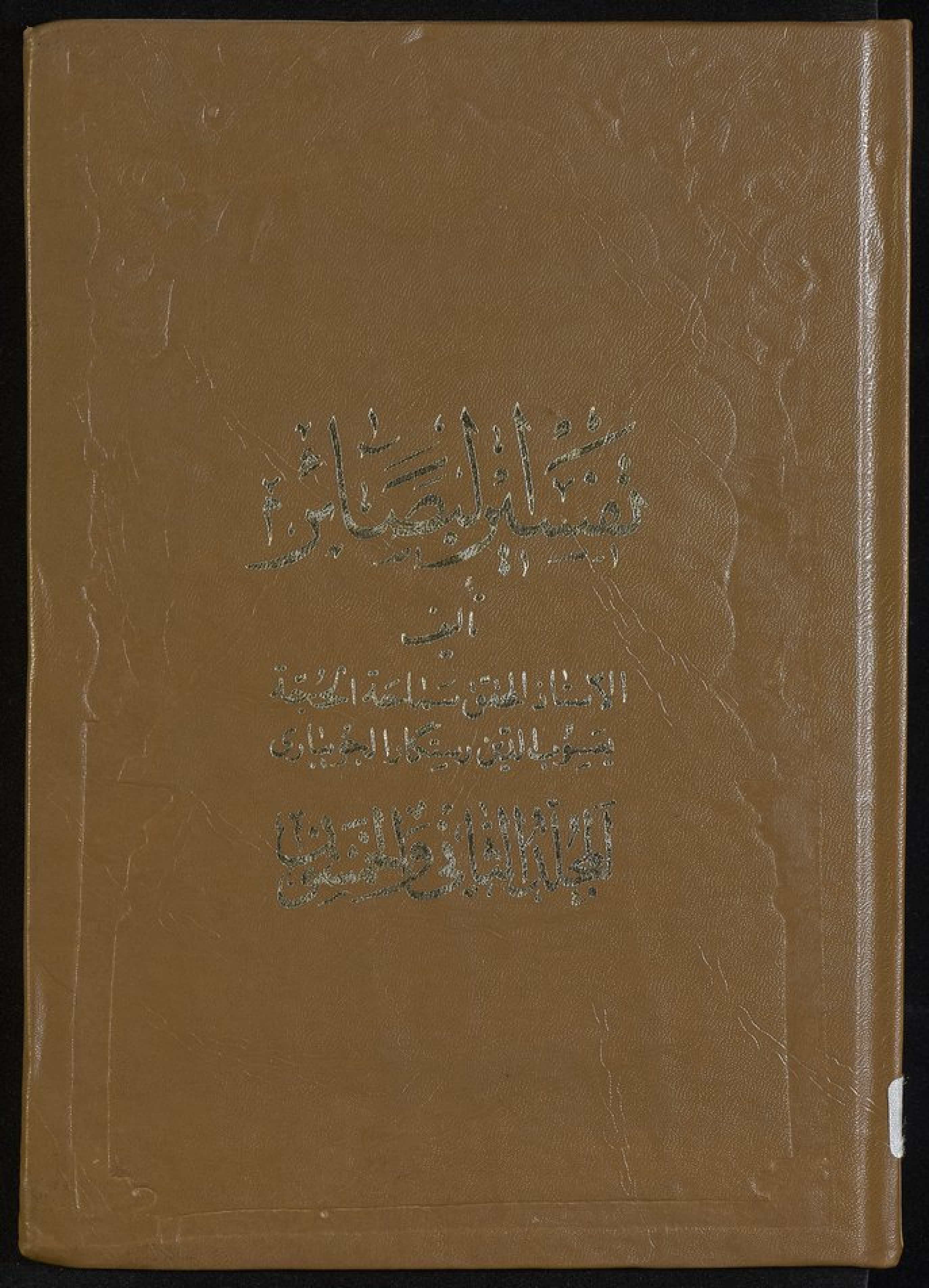
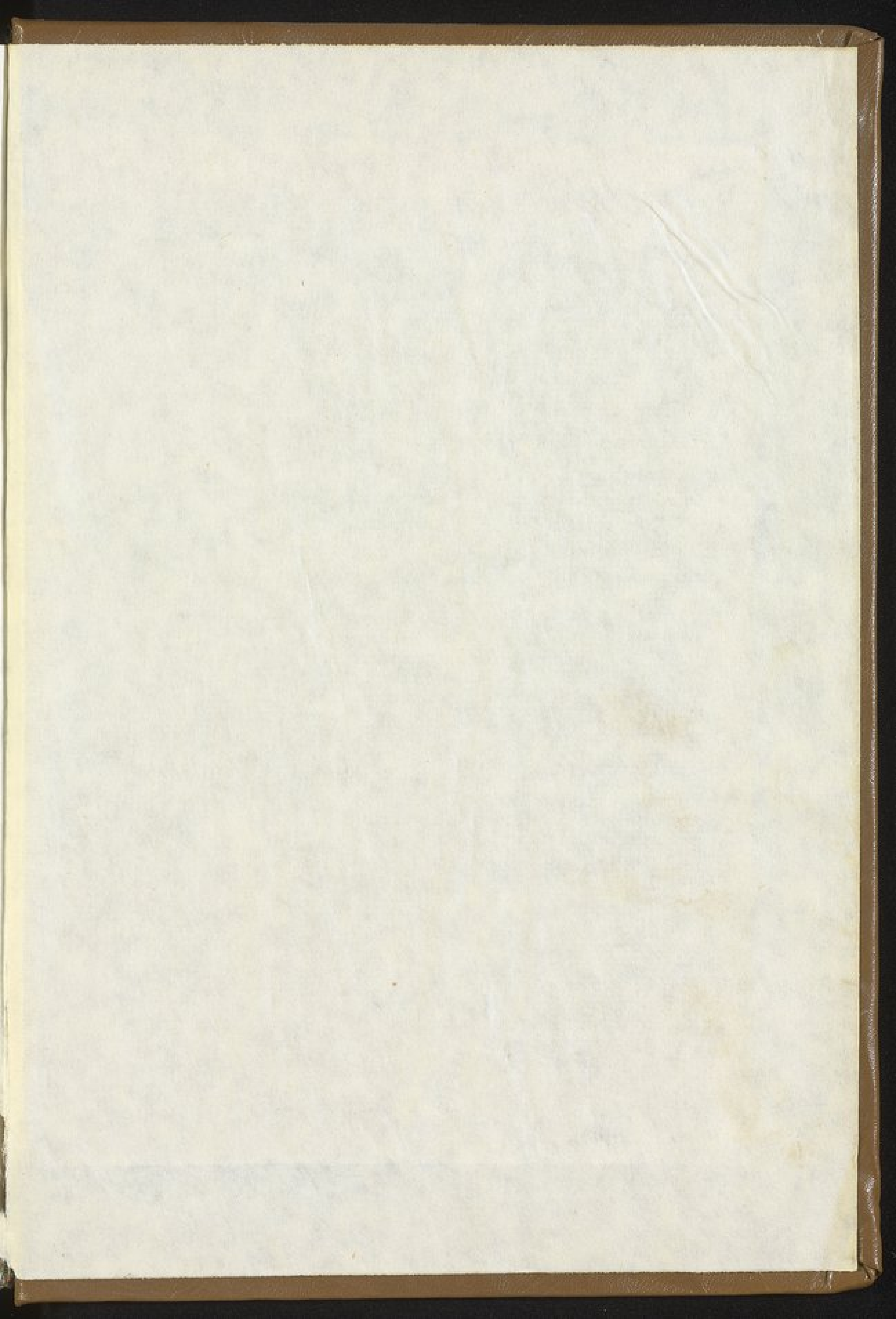
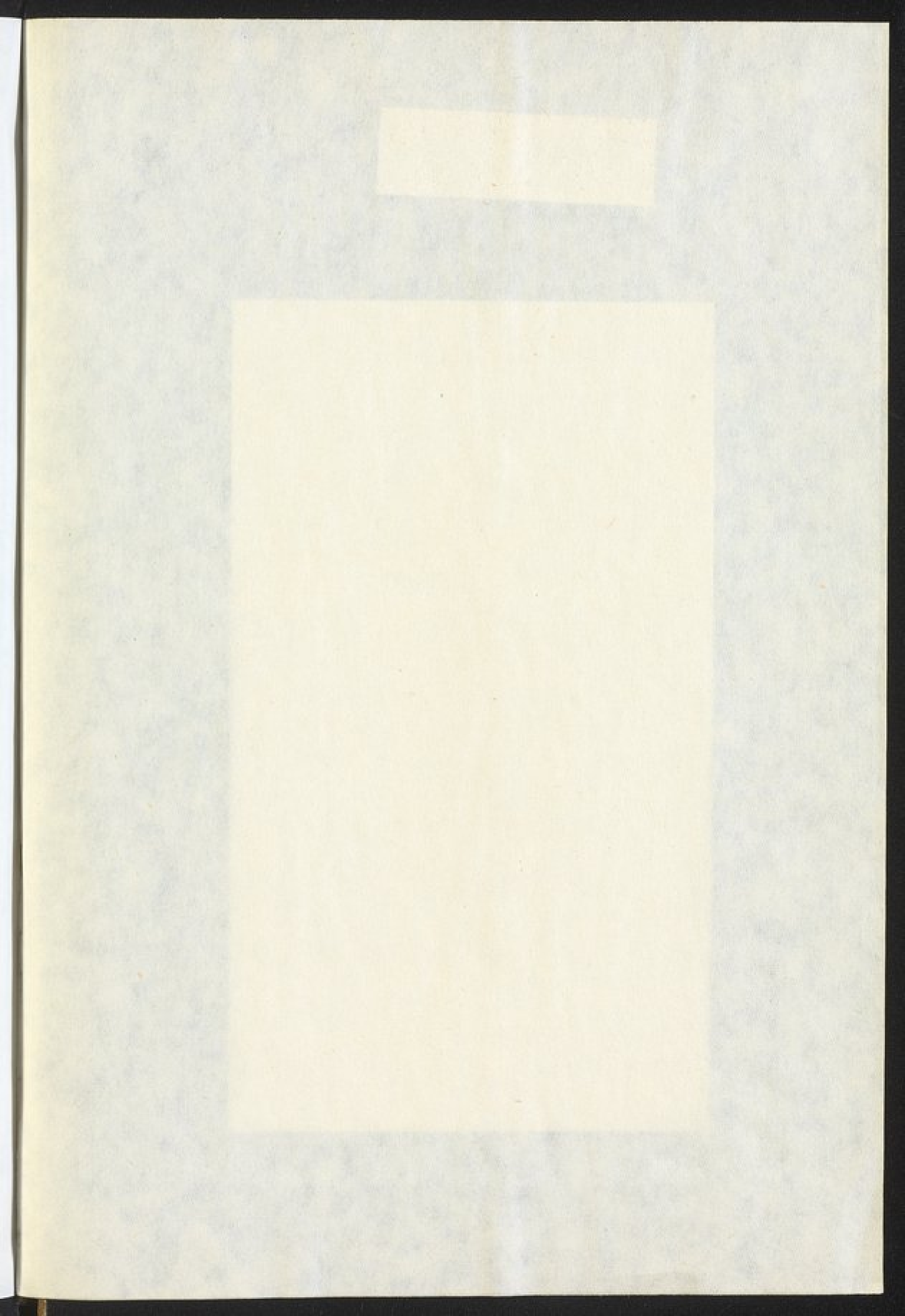

تفسير البصائر
ألف
الأستاذ المحقق سماحة الحجة
يعسوب الدين رستگار الجويباري
المجلد الثاني والخمسون







Juybari ...

المجلد الثاني والخمسون

من كتاب

تفسير البصائر

تأليف

يعسوب الدين رستگار الجويباري

ايران - قم

١٤٠٢ هـ ق = ١٣٦١ هـ ش



وَالنّٰزِعٰتِ غَرْقًا (١) وَّالنّٰشِطٰتِ نَشْطًا (٢) وَّالسّٰبِحٰتِ سَبْحًا (٣) فَالسّٰبِقٰتِ

سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرٰتِ اَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوْبٌ يَّوْمَئِذٍ

وَّاجِفَةٌ (٨) اَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُوْلُوْنَ ءَاِنَّا لَمَرْدُوْدُوْنَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) ءَاِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً (١١)

قَالُوْا تِلْكَ اِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَاِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَّاحِدَةٌ (١٣) فَاِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤) هَلْ اَتٰكَ حَدِيْثُ

مُوْسٰى (١٥) اِذْ نَادٰىهُ رَبُّهٗ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اِذْهَبْ اِلٰى فِرْعَوْنَ اِنَّهٗ طَغٰى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَّكَ

اِلٰى اَنْ تَزَكّٰى (١٨) وَاَهْدِيَكَ اِلٰى رَبِّكَ فَتَخْشٰى (١٩) فَاَرٰىهُ الْاٰيَةَ الْكُبْرٰى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصٰى (٢١)

ثُمَّ اَدْبَرَ يَسْعٰى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادٰى (٢٣) فَقَالَ اَنَا رَبُّكُمُ الْاَعْلٰى (٢٤) فَاَخَذَهُ اللّٰهُ نَكَالَ الْاٰخِرَةِ وَ

الْاُوْلٰى (٢٥) اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَّخْشٰى (٢٦) ءَاَنْتُمْ اَشَدُّ خَلْقًا اَمِ السَّمَآءُ بَنٰىهَا (٢٧) رَفَعَ

سَمْكَهَا فَسَوّٰىهَا (٢٨) وَاَغْطَشَ لَيْلَهَا وَاَخْرَجَ ضُحٰىهَا (٢٩) وَالْاَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحٰىهَا (٣٠) اَخْرَجَ

مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعٰىهَا (٣١) وَالْجِبَالَ اَرْسٰىهَا (٣٢) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِاَنْعَامِكُمْ (٣٣) فَاِذَا جَآءَتِ الطَّآمَّةُ الْكُبْرٰى



﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْاِنْسَانُ مَا سَعٰى ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيْمُ لِمَنْ يَّرٰى ﴿٣٦﴾ فَاَمَّا مَنْ طَغٰى ﴿٣٧﴾ وَاٰثَرَ الْحَيٰوةَ
الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَاِنَّ الْجَحِيْمَ هِيَ الْمَاْوٰى ﴿٣٩﴾ وَاَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهٖ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوٰى ﴿٤٠﴾
فَاِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَاْوٰى ﴿٤١﴾ يَسْئَلُوْنَكَ عَنِ السَّاعَةِ اَيَّانَ مُرْسٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيْمَ اَنْتَ مِنْ ذِكْرٰىهَا
﴿٤٣﴾ اِلٰى رَبِّكَ مُنْتَهٰىهَا ﴿٤٤﴾ اِنَّمَا اَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَّخْشٰىهَا ﴿٤٥﴾ كَاَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوْا
اِلَّا عَشِيَّةً اَوْ ضُحٰىهَا ﴿٤٦﴾

﴿فضلها و خواصها﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن الحسين بن عمرو الرمّاني عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال ـ في حديث ـ : و من قرأ « والنازعات » لم يمت إلاّ ريّاناً ولم يبعثه الله إلاّ ريّاناً ، ولم يدخله الله الجنة إلاّ ريّاناً .

اقول : رواه الطبرسي في المجمع ، والبحراني في البرهان ، والحويزي في نور الثقلين ، والشيخ المحدث الحر العاملي في وسائل الشيعة ، والمجلسي في البحار .

و في مكارم الاخلاق للطبرسي رضوان الله تعالى عليه : من قرأ « والنازعات » لم يدخله الله الجنة إلاّ ريّان (ريّاناً ظ) ولايدركه في الدنيا شقاء أبداً .

اقول : وذلك ان من قرأها متدبراً فآمن واتقى ، و خاف مقام ربه ونهى نفسه عن الهوى فانَ الجنة هي مأواه ، وتفكر فيمن اتخذ سبيل الغيّ والشقاء ، فكذّب وطغى ، وفيما أخذه الله نكال الاخرة والاولى ، فاعتبر فلا يدركه الشقاء ، وهو لايموت إلاّ ريّاناً ، ولايبعثه الله جل وعلا إلاّ ريّاناً ، ولايدخله الجنة إلاّ ريّاناً .

قال الله تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى » النازعات : ٤٠ ـ ٤١)

و قال : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألاّ

تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الاخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون » فصلت : ٣٠ ـ ٣١)

وقال : «ان المتقين فى جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين» الحجر: ٤٥ـ٤٦)

و قال : « ان المتقين فى جنات و نهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » القمر : ٤٦ ـ ٥٥)

وقال : « ولمن خاف مقام ربه جنتان ـ فيهما عينان تجريان » الرحمن : ٤٦ ـ ٥٠)

وقال : « مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين و أنهار من عسل مصفى » محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ١٥)

وفى المجمع : عن النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قال: ومن قرأ سورة «والنازعات» لم يكن حبسه وحسابه يوم القيامة إلا كقدر صلاة مكتوبة حتى يدخل الجنة .

اقول : وذلك لمن قرأها وكان مؤمناً وعاملاً بصالح الاعمال ، وأوتى كتابه يوم القيامة بيمينه .

قال الله جل وعلا : « فأما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً » الانشقاق : ٧ ـ ٩)

وأما الطغاة والآثمون فيحاسبون يومئذ حساباً شديداً كما انهم يحاسبون فى الدنيا كذلك .

قال الله تعالى : « و كأين من قرية عتت عن أمر ربها و رسله فحاسبناها حساباً شديداً» الطلاق: ٨) .

وقال : « والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الارض جميعاً ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب » الرعد : ١٨)

وقال: «وأما من اوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم اوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه» الحاقة: ٢٥ - ٢٦)

وفي البرهان: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: من قرأ هذه السورة أمن من عذاب الله تعالى و سقاه الله من برد الشراب يوم القيامة، ومن قرأها عندمواجهة أعدائه إنحرفوا عنه، وسلم منهم، ولم يضرّوه.

وفيه: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أدمن قرائتها أمن من عذاب الله، وسقاه شربه يوم القيامة، ومن قرأها عند مواجهة أعدائه إنحرفوا عنه، وسلّم من أذاهم.

وفيه: وقال الصادق عليه السلام: من قرأها وهو مواجه أعدائه لم يبصروه، و انحرفوا عنه، ومن قرأها وهو داخل على أحد يخافه نجى منه وأمن باذن الله تعالى.

اقول: ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورة ما جاء في الروايات الثلاث الاخيرة لمن أحرز شرائط التأثير والخواص . . . أهمها الايمان والتقوى وصالح الاعمال . . . فان الله تعالى لن يجعل لكافر على مؤمن سبيلاً.

قال الله تعالى: «ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين» آل عمران: ١٣٩)

وقال: «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً» النساء: ١٤١)

﴿الغرض﴾

غرض السورة توكيد رباني بتحقيق يوم البعث للحساب و الجزاء، و ما يستولى فيه على الطغاة المكذبين والعصاة المستكبرين من خوف وفزع وندم، وإشارة إلى بعض ظروفه و مشاهده، وأقوال الكفار عند وقوعه: فسوف ترجف الارض مرة، تردفها رجفة اخرى حين حلول اليوم المعلوم، فسوف يستولى حينئذ الرعب والاضطراب على قلوب منكرى البعث و تخشع أبصارهم، وسوف يتساءل هؤلاء البغاة الفجرة عما إذا كان حقاً قد عادوا إلى الحياة مرة ثانية بعد أن كانوا عظاماً بالية، وهم يقولون: ان هذا إذا كان حقاً، فانها لعودة خاسرة.

وفيها إحتجاج على تحقق البعث لامحالة من طريق التدبير الربوبي في الخلق، المنتج ان الناس سينقسمون يومئذ على طائفتين: طائفة من أصحاب النار والعذاب، وطائفة من أصحاب الجنة والنعيم لانقسامهم في الحياة الدنيا على فريقين: فرقة طاغية وعبيد الدنيا، وفرقة خاضعة مطيعة لأمر الله تعالى، واستشهد على الاولين بفرعون الطاغي وأحزابه لما في ذلك من عبرة لمن اعتبر، وتدليل على قدرة الله جل وعلا على البعث، والتنكيل بالكفار، و تنديد بهم لشكهم في الاخرة.

وفيها تذكير برسالة موسى عليه السلام إلى فرعون و موقف فرعون، و بيان إنذاري بمصير الطغاة وعبيد الدنيا، و ردّ عليهم، وإثارة الخوف فيهم، و حملهم على الارعواء، وبيان تبشيري بمصير الخائفين مقام ربهم، والمطيعين لله عزوجل.

وفي ختامها إشارة إلى سؤالهم النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عن وقت البعث وقيام الساعة والجواب عنه.

﴿النزول﴾

سورة « النازعات» مكية ، نزلت بعد سورة « النباء » وقبل سورة«الانفطار» وهي السورة الواحدة والثمانون نزولاً ، والتاسعة والسبعون مصحفاً ، و تشتمل على ست وأربعين آية ، سبقت عليها /٤٣٥٨ آية نزولاً ، و/٥٧١٢ آية مصحفاً على التحقيق .

و مشتملة على /١٧٠ كلمة ، وقيل :/ ١٩٧ كلمة ، وقيل: /١١٩ كلمة و على /٧٥٣ حرفاً وقيل :/ ٧٣٠ حرفاً على مافي بعض التفاسير .

ولهذه السورة ثلاثة أسماء : ١ـ سورة « النازعات » ٢ ـ سورة « الساهرة » ٣ـ سورة «الطامة» . ولكل وجه ، ولكن المشهور هو الاول .

في أسباب النزول للسيوطي: أخرج سعيدبن منصورعن محمدبن كعب قال : لما نزل قوله : « أئنا لمردودون في الحافرة » قال كفارقريش : لئن حيينا بعد الموت لنخسرن ، فنزلت : « قالوا تلك إذا كرة خاسرة » .

وفي شواهدالتنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي : باسناده عن إبن عباس في قوله تعالى : « فأما من طغى » يقول : علا وتكبّر وهو علقمة بن الحرث بن عبدالله بن قصيّ « وآثرالحياة الدنيا » وباع الآخرة بالدنيا « فان الجحيم هي المأوى» من كان هذا . « و أما من خاف مقام ربه » يقول علي بن أبي طالب عليه السلام خاف مقام بين يدي ربه وحسابه وقضاؤه بين العباد ، فانتهى عن المعصية، ونهى نفسه عن الهوى يعني عن المحارم التي يشتهيها النفس ، فان الجنة هي مأواه

خاصة ، ومن كان هكذا عاماً .

و فى الدر المنثور : عن إبن عباس قال : ان مشركى مكة سئلوا النبى ﷺ فقالوا : متى تقوم الساعة إستهزاء منهم ، فنزلت : « يسئلونك عن الساعة أيان مرساها » الايات .

و فى أسباب النزول للسيوطى : وأخرج الطبرانى وابن جرير عن طارق بن شهاب قال : كان رسول الله ﷺ يكثر ذكر الساعة حتى نزلت : « فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها »



﴿القراءة﴾

قرأ أبو عمرو « والسابحات سبحاً فالسابقات سبقاً » بالادغام فيهما ،و قرأ نافع « إنا لمردو دون » بهمزة واحدة غيرممدودة ، وهكذا في « إذا كنا » بغير إستفهام ، وقرأ إبن عامروالكسائي « أإنا لمردودون » بهمزتين ، وهكذا في «أإذا كنا » بالاستفهام .

و قرأ أبوعمرو «ناخرة» بالالف لشبه أواخرالآيات بعضها ببعض نحو «الحافرة» و « خاسرة » و قرأ الباقون : « نخرة » تخفيفاً . و قرأ الحجازيون والبصريون « طوى » بغير تنوين على التأنيث ، و قرأ الباقون بالتنوين نحوثني على معنى المقدس مرة بعد مرة .

وقرأ نافع وأبوجعفر و إبن كثير « تزكى » بتشديد الزاء على إدغام التاء في الزاء لتقاربهما لان أصلها تتزكى ، والباقون « تزكى » بتخفيف الزاء على معنى طرح التاء ، تخفيفاً ، و كل متفقون على أنه فعل مضارع من باب التفعل .

وقرأ أبوجعفر وأبو عمرو « إنما أنت منذر » بالتنوين لان « منذر » إسم فاعل للحال ، ويدل عليه قوله تعالى : « قل إنما انذركم بالوحي » فليس المراد انذرفيما استقبل ، وانما يقول : انذرفي الحال ، وإسم الفاعل على قياس الفعل . و قرأ الباقون بغير تنوين تخفيفاً كما حذف من قوله تعالى : « فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم » ونحوذلك مما جاء على لفظ الاضافة والمراد به الانفصال . و يجوزأن يكون « منذر » على نحو : هذا ضارب زيداً أمس لانه قد فعل الانذار.

﴿الوقف والوصل﴾

«غرقاًلا» و«نشطاًلا» و«سبحاًلا» «سبقاًلا» للعطف بالواو والفاء و «أمراًم» لان جواب القسم محذوف أى ليبعثن، ولأنه لو وصل لأوهم ان «يوم» ظرف المدبرات، وليس كذلك لان تدبير الملائكة قدانقضى و قتئذبل عامل «يوم» «تتبعها» و«الراجفة لا» للصفة الآتية، و «الرادفةط» لتمام الكلام و إستيناف التالى، و «واجفةلا» للنعت التالى، و «خاشعة م» لتناهى وصف القيامة وإبتداء حكاية قولهم فى الدنيا.

«الحافرة ط» للاستفهام التالى، و «نخرة ط» لتمام الجملة، و «خاسرة م» لتناهى قولهم بالانكار وإبتداء اخبار الله تعالى. و «واحدة لا» لفاء النتيجة التالية، و «بالساهرة ط» لمكان الاستفهام، و «موسى م» لان «إذ ناداه» يجوز أن يكون ظرفاً لاذكر. و من المحتمل أن يكون متعلقاً بـ «حديث».

و «طوى ج» لاحتمال أن يكون «إذهب» مفعول «ناداه» لانه فى معنى القول. و من المحتمل أن يكون مفعول القول محذوفاً، و «طغى ز» للاية مع إتفاق الجملتين والوصل أوجه للفاء، و «تزكّى لا» للعطف، و «فتخشى ط» للاية و إنتهاء الاستفهام مع العطف بقاء التعقيب، و «الكبرى زى» لذلك إنما كان الوصل أوجه للفاء و إتصال المقصود، و «ى» علامة العشر توضع عند إنتهاء الايات العشر.

و «عصى ز» و «يسعى ز» و «فنادى ز» و «الاعلى ز» لماتقدم، و «الاولى ط» لتمام الكلام وإبتداء التالى، و «يخشى ط ع» لتبدل الكلام لفظاً و معنى وإبتداء

الاستفهام و« ع» علامة إنتهاء الركوع وهو الحصة اليومية لمن يريد حفظ القرآن في عامين و « أم السماء ط » بناء على أن الجملة لا تقع صفة للمعرفة ، وتقدير حذف الموصول من ضيق العطف فاعرفه ، و « بناها قف » للوصف و « فسوّاها » للعطف ، و « ضحيها ص » علامة الوقف المرخص : وهو الذي يرخص فيه الوقف للضرورة .

و « دحاها ط» بناء على أن مابعده كالتفسير للدحو وهو تمهيدها لأجل السكنى ، ويجوز أن يكون « اخرج » حالاً باضمار قد فلا وقف . و «مرعاها ص » و « أرساها لا » للتعليل الآتي ، و« لانعامكم ط » لتمام الكلام ، و «الكبرى ز» لان « يوم » ظرف جائت ، و عامل « إذا » مقدر فتقديره ترون أو كان ماكان ، و يجوز أن يكون « يوم » مفعول « اذكر » وعامل « إذا » مقدر قبل « يوم » ومن المحتمل ان يكون الشرط والجزاء بالتمام وهو قوله تعالى: « فأما من طغى...» جواباً لقوله : « فاذا جائت » .

و « ما سعى لا » للعطف ، و « طغى لا » للعطف ، و « الدنيا لا » للجواب . و « المأوى ط » لتمام الكلام و «الهوى لا » لمكان الجواب ، و « المأوى ط » كالسابق ، و « مرساها ط » للاستفهام التالي و « ذكراها ط » لتمام السؤال ، و « منتهاها ط » لتمام الجواب ، و « يخشيها ط » لتمام الكلام .

﴿ اللغة ﴾

٢٧ - النزع - ١٥٠٢

نزعه ينزعه نزعاً - من باب ضرب - : جذبه واقتلعه وحوّله عن موضعه .
إنتزعه من مكانه : إقتلعه .

ويقال : نزع الشيء من فلان : سلبه إياه .

يأتي في الاعيان يقال : نزعت الدلو : إذا أخرجتها . و يقال : رجل نقل عليه نزع العمامة أي قلعها .

قال الله تعالى : « ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما » الاعراف :٢٧) أي يقتلع ويسلب .

وقال : « ونزع يده فاذاهي بيضاء للناظرين » الاعراف : ١٠٨)أي أخرجها من جيبه .

ويأتي في المعاني فيقال : نزع الله الرحمة من قلب الظالم والجبّار .
قال الله تعالى : « ونزعنا ما فيصدورهم من غل » الاعراف : ٣٣) أيسلبنا
وقال : « ولئن أذقنا الانسان من رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤوس كفور » هود : ٩)

و يقال في المبالغة : نزّاع و نزّاعة قال تعالى : « كلا انها لظى نزّاعة للشوى » المعارج : ١٦) أي جذّابة قلاّعة .

نازعه : خاصمه و جادله و عاداه كأنه يجاذبه الحجة . يقال : نازعني فلان

بنانه : صاف ، .

ق' عالى : « فلا ينازعنك فى الامر وادع إلى ربك » الحج : ٦٧)

تنازع القوم فى الامر : إختلفوا فيه . وتنازعوا أمرهم : تجاذبوا الرأى فيه قال تعالى: « ولا تنازعوا فتفشلوا فتذهب ريحكم » الانفال : ٤٦) .

والتنازع : التشاور قال الله تعالى : « فتنازعوا امرهم بينهم » طه : ٦٢ أى تشاوروا .

وقال : « وإن الساعة لاريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم » الكهف : ٢١) أى يتشاورون .

التنازع : التعاطى . تنازعا الكأس : تعاطيا هذا يعطى صاحبه الكأس و يعطيه الاخر إياها كأنما يتجاذبانها فى مودة وعلاقة وملاعبة .

قال الله تعالى : « يتنازعون فيها كأسا لالغوفيها ولا تأثيم » الطور : ٢٣) أى يتعاطون .

النزاع من القبائل هم بعيدون عن أهلهم وعشيرتهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « طوبى للغرباء قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال: النزاع من القبائل »

موضع النزع من الرأس هو إنحسار الشعر من جانبى الجبهة وهما نزعتان .

فى المفردات : نزع الشيء : جذبه من مقره كنزع القوس عن كبده و يستعمل ذلك فى الاعراض ، ومنه نزع العداوة والمحبة من القلب .

و فى النهاية : أصل النزع : الجذب والقلع ، و منه نزع الميت روحه و نزع القوس إذا جذبها .

و فى مجمع البحرين : النزعة بالتحريك وهو أحد البياضين المكتنفين بالناصية وهما النزعتان .

وفى اللسان : المنازعة : المجاذبة فى الاعيان والمعانى .

والمنازعة فى الخصومة : مجاذبة الحجج فيما يتنازع فيه الخصمان .

٤٣ - النشط - ١٥١٨

نشط الشيء ينشطه نشطاً - من باب ضرب ونصر - :جذبه ونزعه .

تقول : نشطت الدلومن البئر أخرجتها منها .

ويقال : نشط الحيوان ينشط نشطاً - من باب ضرب - : خرج من أرض إلى أرض اخرى .

الناشط : الثورالوحشى الذى يخرج من أرض إلى أرض اخرى .

وفسّرت « الناشطات نشطاً » بالملائكة الذين ينزعون الارواح ويجذبون الانفس كما تجذب الدلو من البئر وهذا من المعنى الاول .

وفسّرت أيضا بخيل الغزاة تخرج من دار الاسلام إلى دار الحرب للجهاد وبالنجوم تخرج من برج إلى برج آخر كالثور الناشط وهذا من المعنى الثانى .

نشط الجبل نشطاً : عقده . نشط من المكان : خرج . نشط من بلد إلى بلد أى قطع ونشط الدلو من البئر نزعها وأخرجها منه .

ونشطت زيداً : طعنته فى جنبه ونشطته الحية أى لدغته وعضّته بأنيابها .

نشط الرجل نشاطاً - من باب علم - : طابت نفسه للعمل وغيره يقال :نشط إليه وفى عمله : خفّ وأسرع فهو ناشط ونشيط .

وفى الدعاء : « اللهم ارزقنى القوة والنشاط » بالفتح .

ونشطت الدابة : سمنت ويقال : نشطت الابل أى كانت ممنوعة من المرعى فأرسلتها ترعى .

يقال : إنشط الحبل : حلّ عقده . انشط من عقال أى حلّ . يقال : للآخذ بسرعة فى أىّ عمل كان وللمريض إذا برأ وللمغشى عليه إذا أفاق و للمرسل فى أمر يسرع فيه عزيمته .

فى المفردات : بئر أنشاط : قريبة القعر يخرج دلوها بجذبة واحدة .

و فى اللسان : النشاط : ضد الكسل يكون ذلك فى الانسان والدابة .

١٧ - الرجف - ٥٤٥

رجف يرجف رجفاً ورجفاناً ورجوفاً - من باب نصر - : تحرّك وإضطرب إضطراباً شديداً .

قال الله تعالى :« يوم ترجف الارض والجبال » المزمل : ١٤)

الرجف : الاضطراب والرجفة : المرّة منه .

قال تعالى : « فاخذتهم الرجفة » الاعراف : ٧٨)

الراجفة : الواقعة التى تزلزل عندها الاجرام .

قال تعالى : « يوم ترجف الراجفة » النازعات : ٦)

أرجف الشيء : زلزله وحرّكه حركة شديدة . إرتجف : إرتعد .

وأرجف إرجافاً : خاض فى الفتنة . والأخبار السيئة فهو مرجف والمرجفون: الذين يشيعون فى الناس الاخبار السيئة ليوقعوهم فى الاضطراب .

قال الله تعالى :« لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم » الاحزاب : ٦٠)

ومنه : « إذا وقعت المخاويف كثرت الأراجيف »

الرّجاف : فعّال للمبالغة يقال : الرجاف أى بحر موّاج .

فى المفردات : الارجاف : ايقاع الرجفة إما بالفعل وإما بالقول قال تعالى « والمرجفون فى المدينة » ويقال : الاراجيف : ملاقيح الفتن .

وفى النهاية : فى الحديث : « أيها الناس اذكروا الله جائت الراجفة تتبعها الرادفة » الراجفة : النفخة الاولى التى يموت لها الخلائق ، والرادفة : النفخة

الثانية التى يحيون لها يوم القيامة .

وفى اللسان : رجف القلب : إضطرب من الجزع . والراجف : الحمّى المحرّكة . رجف الشجر يرجف : حرّكته الريح .و رجف القوم إذا تهيّؤوا للحرب واسترجف رأسه : حرّكه .

وفى القاموس و شرحه : رجف الشىء : حرّك و تحرّك لازم و متعد والرجاف إسم بحرسمى بەلاضطرابه .

٢٨ - الردف - ٥٥٦

ردف الرجل يردفه ردفاً - من باب علم - و ردفه يردفه - من باب نصر - : ركب خلفه أوتبعه ولحقه .

قال الله تعالى : « قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون » النمل : ٧٢) أى تبعكم ولحقكم وعدّى باللام لتأكيد وصول الفعل إلى المفعول اولتضمين ردف معنى دنا .

والرادفة : الواقعة أو النفخة التى تردف وتتبع الاولى .

قال تعالى : « يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة » النازعات : ٧)

أردف الرجل : ركب خلفه فهى بمعنى ردف . و أردف الرجل أيضاً : أركبه خلفه .

إسم الفاعل : مردف قال تعالى : « فاستجاب لهم ربهم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين » الانفال : ٩) أى يأتون فرقة بعد فرقة متتابعين أو متقدمين مردفين وراءهم ملائكة آخرين . وقيل : متقدمين للعسكر يلقون الرعب فى قلوب الاعداء .

ترادفا - تعاونا . و زوّج كل منهما صاحبه بامرأة من أهله .

ترادفا: تتابعا وركب أحدهما خلف الآخر .

الردفان : الليل والنهار لان كل واحد منهما يردف صاحبه ويتعقبه الترادف: تتابع اللفظين أو الالفاظ معنى و كونها بمعنى واحد .

فى المفردات : الردف : التابع وردف المرأة : عجيزتها . والترادف : التتابع . والرادف : المتاخر . والمردف : المتقدم الذى أردف غيره .

وفى مجمع البحرين الارتداف : الاستدبار. يقال : أتينا فلافاً فارتدفناه أى اخذناه من ورائه أخذاً . وصلاة مترادفة : متتابعة .

و فى اللسان : الردف : ماتبع الشيء و كل شيء تبع شيئاً فهو ردفه وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف . و الجمع :ردافى .

يقال : جاء القوم ردافى أى بعضهم يتبع بعضاً .

١٤ - الوجف - ١٦٤٧

وجف يجف وجفاً ووجيفاً و وجوفاً - من باب ضرب - : إضطرب يقال : و جف القلب : خفق و إضطرب من الفزع والوصف واجف يقال : قلب واجف و قلوب واجفة .

قال الله تعالى : « قلوب يومئذ واجفة » النازعات : ٨)

أوجف دابته من بعيرأوفرس ونحوهماايجافاً : حثها وحملها على الاسراع فى السير وأصل ذلك أن يحملها على الوجيف وهو الاضطراب وهوفى الدابة من سرعة سيرها .

قال الله تعالى : « فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب » الحشر : ٦)

أى ما عملتم ولا أسرعتم على تحصيله وتغنيمه خيلا ولاركاباً وإنما مشيتم إليه على أرجلكم فلم تحصلوا أموالهم بالغلبة والقتال ولكن الله تعالى سلط رسوله عليهم وخوّله أموالهم .

إستوجف الحب فؤاده : ذهب به .

فى المفردات : الوجيف : سرعة السير . وأوجفت البعير : أسرعته .

وفى النهاية : ومنه حديث على رضى الله عنه : « وأوجف الذكر بلسانه » أى حركه مسرعاً .

وفى مجمع البحرين : الوجيف : ضرب من سير الابل والخيل .

وفى تاج العروس : الوجيف كالوجيب :السقوط من الخوف وقلب وجاف، شديد الخفقان .

٥٥ - الحافرة - ٣٤٣

حفر الشيء يحفر حفراً - من باب ضرب - : نقاه كما تحفر الارض بالحديدة الحفرة : جزء من الارض نزع ترابه ، فانخفض .

الحفير : القبر والحفار فعال من الحفر وغلب على من يحفر القبور والبئر.

يقال : للفرس : الحافر لانه بشدة رؤسه يحفر الارض أولحفرة أرجله . هذا فى الاعيان . . .

و أما فى المعانى فمنها قوله تعالى : « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » آل عمران : ١٠٣)

وفى الحديث : « من حفر بئراً لاخيه المؤمن أوقعه الله فيه »

ويقال : رجع فلان إلى حافرته : أى عاد إلى حاله الاولى .

قال الله تعالى : « يقولون أإنا لمردو دون فى الحافرة » النازعات : ١٠)

أى أنعود فى الدنيا كما كنا أوفى الخلق الاول أو إلى الحياة بعد الموت

ومنه قولهم : « رجع على حافرته وفى حافرته » أى فى طريقه التى جاء فيها .

رجع على حافرته يقال أيضاً لمن كان فى أمرفخرج منه ثم عاد إليه .

وكانت سورة براءة تسمى الحافرة وذلك انها حفرت عن قلوب المؤمنين و

ذلك انه لما فرض القتال تبين المنافق من غيره ، ومن يوالى المؤمنين ممن يوالى أعدائهم.

و فى القاموس وشرحه : و من المجاز حفر المرأة : جامعها تشبيها بحفر النهر .

وحفر الصبيّ : سقطت له الثنيتان العليبان والسفليان للاثناء والارباع .

٢١- النخرة-١٤٩٦

نخر العظم والشجر ينخر نخراً فهو نخر - من باب علم - : بلى وقل تماسك أجزائه من الندم حتى لومس لتفتت .

يقال : عظم نخر وعظام نخرات ونخرة .

قال الله تعالى : « يقولون أإنا لمردودون فى الحافرة أ إذا كنا عظاماً نخرة » النازعات : ١١)

ونخر الانسان والفرس والحمار ينخر نخراً - من باب نصر - : مد الصوت والنفس فى خياشيمه فهو ناخر .

النخير : الصوت بالأنف . النخوار - بالكسر - :الشريف والمتكبر و فى حديث العابد : « فنخر إبليس نخرة واحدة فاجتمع إليه جنوده » من النخير وهو صوت الأنف .

و منه حديث إبن عباس : « لما خلق إبليس نخر » أى صوت من خياشيمه كأنه نغمة جاءت مضطربة .

وقيل : الجبان . وقيل : الضعيف .

المنخر والمنخور : الأنف . وقيل : ثقبه .

فى النهاية : فى الحديث : « انه أخذ بنخرة الصبى » أى بأنفه .

والنخرة - بالتحريك - : مقدم الأنف . والمنخران : ثقبا الأنف .

١٧ - الكرة - ١٢٩٠

كرّ على عدوّه يكرّ كرّاً - من باب ضرب - : حمل عليه قاصداً التغلب عليه.

قال الله تعالى : « ثم رددنا لكم الكرة عليهم » الاسراء : ٦) أى الغلبة والسلطان . كرّ الشيء : رجع . والكرّة : المرّة من الكر .

وكرّه وكرّ بنفسه يتعدى ولايتعدى .

قال الله تعالى : « و قال الذين اتبعوا لو أن لنا كرّة فنتبرأ منهم» البقرة : ١٦٧) أى عودة ورجوعاً إلى الحياة الدنيا .

الكرّة : الرجعة وهى المرّة والجمع كرّات .

قال تعالى : « قالوا إذا كرّة خاسرة » النازعات : ١٢)

الكرّة : البعث وتجديد الخلق بعد الفناء . الكرة بعد الفرّة هى الاقدام بعد الفرار .

كرّ الشيء و كركر: أعاده مرّة بعد اخرى ومنه التكرار .

تكركرالرجل فى أمره أى تردّد .

الكرّ - بالضم - فى الشرع عبارة عن ألف و مأتى رطل بالعراق و بحسب المنّ التبريزى يصيرمأة وثمانية وعشرين منا إلا عشرين مثقالاً .

وأما بحسب المساحة فالمشهورالاقوى بلوغه ثلاثة وأربعين شبراً إلاّ ثمن شبر .

وفى الرواية : « إذا بلغ الماء قدر كرلم ينجسه شىء »

فى المفردات : الكر : العطف على الشيء بالذات أوبالفعل ويقال للحبل المفتول كرّ وهوفى الاصل مصدروصار إسماً وجمعه كروراً .

٥- الزجر- ٦٢٢

زجره يزجر زجراً - من باب نصر - : إنتهره و نهاه ودفعه وطرده فهو زاجر.

قال الله تعالى : « فالزاجرات زجراً» الصافات : ٢) هى الملائكة التى تدفع السحاب أو تطرد الشياطين أو ينهى العباد عن المعاصى بالهام الخير .

يقال : زجر الراعى غنمه : صاح بها ودفعها .

والزجرة إسم مرّة من زجر قال تعالى : « فانما هى زجرة واحدة» النازعات : ١٣) وهى الصيحة والمراد منها نفخة الصور .

إزدجره : إنتهره ومنعه ونهاه قال تعالى : « فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون و ازدجر » القمر : ٩)

والمزدجر : مصدر ميمى من إزدجر قال تعالى : « و لقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر » القمر : ٤)

الزجّار فعال للمبالغة . الزجور : الناقة التى تعرف ولدها بعينها وتنكره بأنفها .

فى المفردات : الزجر : طرد بصوت يقال : زجرته فانزجر ثم يستعمل فى الطرد تارة وفى الصوت اخرى .

وفى النهاية فى حديث إبن مسعود : « من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث فهو زاجر » من زجر الابل يزجرها إذا حثّها وحملها على السرعة .

٨٩- السهر- ٧٤٨

سهر يسهر سهرا - من باب علم - : لم ينم . السّهر: ضد النوم والساهرة : الارض البيضاء التى لا نبات فيها، واريد بالساهرة فى القرآن الكريم أرض المحشر قال الله تعالى : « فاذا هم بالساهرة » النازعات : ١٤) أى فاذا هم بارض المحشر .

فى المفردات : الساهرة قيل : وجه الارض . وقيل : هى أرض القيامةو حقيقتها التى يكثر الوطأ بها فكأنها سهرت بذلك .

و فى اللسان : السهر : إمتناع النوم بالليل ورجل سهار العين : لا يغلبه النوم .

وقالوا : ليل ساهر أى ذوسهر كما قالوا : ليل نائم .

٩١-النكل والنكال-١٥٦٦

نكل ينكل نكلاً و نكلاًو نكولاً ـ من باب ضرب و نصر و علم ـ : نكص و جبن وامتنع .

وفى حديث على عليه السلام : « بغير نكل فى قدم » أى بغير جبن و إحجام فى الاقدام النكل ـ بالكسر ـ : القيد الشديد من أىّ شىء كان .

نكّل المجرم ينكّله تنكيلاونكالا ـ من باب التفعيل ـ : عاقبه على جرمه عقوبة تردع غيره عن إرتكاب مثل ذلك الجرموتكون عبرة يعتبربها وأصل ذلك من النكول عن الشىء وهو الامتناع عنه والجبن إذاكانت العقوبة تجبّن عن الاقدام على مثل الفعل المعاقب عليه .

نكله عن الشىء : صرفه عنه .

قال الله تعالى : « والله أشد بأساً وأشد تنكيلا » النساء : ٨٤)

النكال يأتى فى معنى التنكيل كالسلام فى معنى التسليم و يأتى فى معنى التسليم ويأتى فى معنى العقوبة على الجرم الزاجرة عن الاقدام على مثله،فتكون عبرة يعتبربها .

قال الله تعالى : « فأخذه الله نكال الاخرة والاولى » النازعات : ٢٥)

الانكال : جمع النكل والنكل : القيدا لشديد من أىّ شىء كان .

قال تعالى : « ان لدينا أنكالاً وجحيماً » المزمل : ١٢)

فى المفردات : نكل عن الشيء : ضعف وعجز و النكل : قيد الدابة و حديدة اللجام لكونهما مانعين والجمع : الانكال .

وفى النهاية : فى الحديث : « ان الله يحبّ النكل على النكل قيل : وما ذاك ؟ قال : الرجل القوى المجرّب المبدىء المعيد على الفرس القوى المجرّب»

النكل - بالتحريك - من التنكيل وهو المنع والتنحية عما يريد والامتناع ومنه النكول فى اليمين وهو الامتناع منها وترك الاقدام عليها .

٤-العبرة والاعتبار-٩٦٩

عبر النهر والطريق يعبره عبراً وعبوراً - من باب نصر - : قطعه من عبر إلى عبر . والاسم العبرة لما يستدل به على غيره ويتعظ جمعها عبر .

من الحسى العبر - بفتح العين و كسرها - : شط النهروجانب الوادى .

وعابر السبيل : المار بالطريق .

المعبر - بالكسر - : ما عبربه النهر من قنطرة أوسفينة . المعبر - بالفتح - الشط المهيّأ للعبوروجمع العبور عبائر .

ومن المعانى : عبرالكتاب : نظر فيه يتدبره فى نفسه ولم يرفع صوته بقراءته والعابر : الناظر فى الشيء يقدره جملة .

والمعبّر - من باب التفعيل - : الذى يقدر الشيء تفصيلا ومنه قالوا : عبّر الرؤيا أى فسّرها وأخبر بما يؤول إليه أمرها .

و الاعتبار : التدبر والاتعاظ . والمعتبر : المستدل بالشيء على الشيء .

ورد فى القرآن الكريم من المادة عبور السبيل و تعبير الرؤيا والاعتبار المتدبر والعبرة بها فى آيات الله تعالى :

قال الله تعالى : « إلاّ عابرى سبيل » النساء : ٤٣) أى مار الطريق من غير مكث

وقال : « إن كنتم للرؤيا تعبرون » يوسف : ٤٣)

وقال : « إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى » النازعات : ٢٦)

وفى الحديث : « من أطفأ نورعبرته بشهوات نفسه فكأنما أعان هواه على هدم عقله ».

ومنه : « الاعتبار يفيدك الرشاد »

العبرة : الدمعة . وعبرة الدمع : جريه .

وفى الحديث عن الامام الحسين بن على عليه السلام : « أنا قتيل العبرة »معناه: ما ذكرت عند أحد إلاّ استعبر وبكى .

فى المفردات العبر: تجاوزمن حال إلى حال . وأما العبارة فهى مختصة بالكلام العابر الهواءمن لسان المتكلم إلى سمع السامع والاعتبار والعبرة بالحالة التى يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ماليس بمشاهد . والتعبيرمختص بتعبير الرؤيا وهو العابر من ظاهرها إلى باطنها وهو أخص من التأويل فان التأويل يقال فيه وفى غيره .

٧٣٧ - السمك - ٧٨

سمك الشىء يسمكه سمكاً - من باب نصر -:رفعه فارتفع لازم ومتعد .

السمك : مسافة مابين أسفل الشىء وأعلاه ويراعى فيه البده من السفل فان نظر إلى البده من العلو قيل له : عمق .

والسمك : السقف .

قال الله تعالى : « رفع سمكها فسواها » النازعات : ٢٨) أى جعل المسافة بين السماء والارض بعيدة مديدة أوجعل سقفها مرفوعاً بعيداً عن الارض .

والقامة من كل شىء بعيد طويل السمك والثخن الصاعد كسمك المنارة ونحوها . السمك حيوان مائى على أنواع كثيرة لكل نوع إسم خاص يميزه عن

غيره جمعه: سماك وسموك والسماك .

بيت مستمك و منسمك : طويل السمك . والمسموكات السبع : السموات وقالوا : المسمكات أيضا . المسموك : الطويل .

إسمك فى الريم أى اصعد فى الدرجة . السامك إسم فاعل . وسنام سامك تامك : مرتفع وهومن قبيل الاتباع .

السماك ما سمك به الشيء أى رفع جمعه: سمك. السماكان : كوكبان نيّران يقال لاحدهما : السماك الرامح والاخر السماك الأعزل . والرامح لانوءله و هو إلى جهة الشمال والاعزل من كوكب الأنواء وهو إلى جهة الجنوب وهما بـرج الميزان و طلوع السماك الاعـزل مع الفجر يكون فى تشرين الاول و حينئذ يبتدىء البرد .

فى المفردات : السمك : سمك البيت . وقد سمكه أى رفعه .

وفى بعض الادعية : « يا بارىء السموات المسموكات » وسنام ساميك: عال

وفى النهاية : فى حديث على عليه السلام : « وبارىء المسموكات » أى السماوات السبع .

٢٢- الغطش - ١٠٩١

غطش الليل يغطش غطشاً وأغطشه الله تعالى ـ من باب ضرب ـ :أظلمه.

من الحسى فلاة غطشى: لايهتدى فيها . والاغطش : الذى فى عينه شبه عمش تغطشت عينه: أظلمت وضعف بصرها و من هذا يكون الظلام والاظلام .

قال الله تعالى : « أغطش ليلها » النازعات : ٢٩)

ومن المعانى : التغاطش : التعامى والتجاهل والتغافل عن الشيء .

وغطش فلان : مشى رويدا من مرض أو كبر .

وفى الرواية : « أطفأ بشعاعه ظلمة الغطش »

مياه غطيش من أسماء السراب .

وفى اللسان : يقال : الغطش : هوالذى لايفتح عينيه فى الشمس .

٧- الدحو -٣٦٦

دحا الشيء يدحوه دحواً ويدحاه دحياً - واوى ويأتى من باب دعا و رضى - : بسطه و مهّده .

دحاالبطن يدحو : عظم واسترسل إلى أسفل . إدحوى الشيء : إنبسط .

تدحّى الشيء : تبسّط .

ودحوالارض : بسطها وتمهيدها للسكنى والتقلب فى أقطارها .

قال الله تعالى : « والارض بعد ذلك دحاها » النازعات : ٣٠)

الدحية - بفتح الدال - : القردة الانثى و بكسرها : رئيس الجندجمعها: دحاء، فكأنه من دحاه يدحوه إذا بسطه و مهّده لان الرئيس له البسطوالتمهيد .

فى المفردات : دحا المطرالحصى من وجه الارض أى جرفها ومرّ الفرس يدحو دحوا إذا جرّ يده على وجه الارض فيدحو ترابها .

وفى النهاية : الدحو : البسط والمدحوّات : الارضون يقال : دحا يدحو ويدحى : أى بسط و وسّع .

و فى حديث على عليه السلام و صلاته على النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم يا داحى المدحوّات » أى باسط الارضين وموسّعها .

ومنه حديث الاخر : « لاتكونوا كقيض بيض فى أداحىّ » جمع **الأدحى** و هو الموضع الذى تبيض فيه النعامة وتفرّخ وهو افعول من دحوت لانها تدحوه برجلها أى تبسطه ثم تبيض فيه .

وفى الحديث : «كان جبرئيل يأتيه فى صورة دحية الكلبى » **هو دحية بن** خليفة أحد الصحابة كان جميلا حسن الصورة .

٧٧ـ الطم والطامة ـ ٩٤٤

طمّ الماء يطمّ طماً وطموماً ـ من باب نصروضرب ـ : إرتفع وعلا .

من الحسى : طمّ البحر: غلب سائرالبحور . وطمّ البئر : ملأت حتى إستوت مع الارض . وفى أمثال العرب : جرى الوادى فطمّ على القرى وهو مفرد جمعه اقرية وقريان وهى الجداول والانهار طممّ الطائر : وقع على الغصن .

ومن المعنوى : طمّ الأمر : إشتدّ وجاوز الطاقة فهو طامّ وهى طامّة و بها سميت القيامة لهولها .

قال الله تعالى : « فاذا جائت الطامة الكبرى » النازعات : ٣٤)

الطامّة : الداهية تغلب ما سواها قيل لها : ذلك لانها تطمّ كل شىء أى تعلوه وتغطّيه . وأصل الطم الدفن والغلب فكل ما غلب شيئاً وقهره و أخفاه فقد طمه وفى الحديث ، « أما أهوال الطامّة فلكم مرصدة » .

٧٨ـ الأوى والمأوى ـ ٧٨

أوى المكان وإليه يأوى أوياً وإوياً ـ من باب ضرب ـ : نزله .

وفى نزول المكان معنى الانضمام والالتجاء .

قال الله تعالى : « إذ أوى الفتية إلى الكهف » الكهف : ١٠) أى نـزلوا والتجئوا .

وآواه غيره يؤويه ايواء : ضمّه وأنزله :

قال الله تعالى : « و لما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه » يوسف : ٦٩) أى ضمّه .

والمأى إسم للمكان الذى يؤوى إليه .

قال الله تعالى : « فان الجنة هى المأوى » النازعات : ٤١)

و قال : « فلهم جنات المأوى نزلاً بماكانوا يعملون » السجدة : ١٩)

وفى اللسان : تأوّت الطير تأوّيا : تجمعت وإنضمت بعضها إلى بعض فهى متأوّية و متاويات كما يتأوّى الناس .

٤٢ - الهوى - ١٦٢٦

هوى يهوى هوياً - من باب ضرب - : سقط من علو إلى سفل .

قال تعالى : « أوتهوى به الريح فى مكان سحيق » الحج : ٣١) أى تسقط وتسفل .

وبمعنى تردّى وهلك قال تعالى : « ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى» طه : ٨١) كأنما سقط من عال فهلك .

وبمعنى أسرع يقال : هوت الدابة : أسرعت قال تعالى : « فاجعل أفئدةمن الناس تهوى إليهم » ابراهيم : ٣٧) أى تسرع فى ميل وحنين وبمعنى نزع إليه و حنّ يقال : هوى إلى وطنه .

وبمعنى غاب وغرب وأسرع فى إنكداره يقال : هوى النجم وهوفى مرأى العين يسقط من علو إلى سفل .

قال تعالى : « والنجم إذا هوى » النجم : ١)

وهوى يهوى هوى - من باب علم - : أحب ومال .

يقال : هويت الشيء وهويته نفسى .وأكثرما يستعمل الهوى فى الميل إلى الباطل وماليس بحق .

ويأتى الهوى فى معنى الشهوات وما تميل إليه النفس فى المذهب والاعتقاد ونحوذلك مما يجانب الحق ويجافى الصواب ويستعبد النفوس ويجمع الهوى على الاهواء .

قال الله تعالى : « أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم إستكبرتم »

البقرة : ٨٧)

وقال : « فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا » النساء : ١٣٥)

وقال : « ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل و أضلّوا كثيراً » المائدة ٧٧)

الهواء : الخلاء بين السماء والارض . يقال : أرض طيبة الهواء والاهوية .

ويقال : قلب هواء وقلوب هواء على التشبيه أى كالهواء فى الخلو و يراد انها صفر من العقل أو الشجاعة وماجرى هذا المجرى من فصال الخير .

إستهوى الشيطان : حمله على أن يهوى أى يذهب و يسرع أو حمله على أن يهوى ويميل إلى الضلال .

قال الله تعالى : « إستهوته الشياطين فى الارض حيران » الانعام : ٧١)

الهاوية : الوهدة الغامضة من الارض لايدرك قعرها .

قال تعالى : « وأما من خفت موازينه فامه هاوية » القارعة : ٩)

أى نار سافلة لايدرك قعرها .

فى المفردات : الهوى : ميل النفس إلى شهوة . يقال : ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة وقيل: سمى بذلك لانه يهوى بصاحبه فى الدنيا إلى كل داهية وفى - الاخرة إلى الهاوية . والهاوية هى النار .

و فى النهاية : يقال : هوى يهوى هوياً - بفتح الهاء فى المصدر و كسر الواو من باب ضرب - : إذا هبط وبضم الهاء فى المصدر : إذا صعد و قيل بالعكس وبمعنى أسرع فى السير .

وفى اللسان : الهواء ممدود: الجو ما بين السماء والارض والجمع: الاهوية وأهل الاهواء واحدها هوى و كل فارغ هواء .

والهواء : الجبان لانه لاقلب له فكأنه فارغ الواحد والجمع فى ذلك سواء وقلب هواء : فارغ . و كذلك الجمع و فى التنزيل العزيز : « و **أفئدتهم هواء** » يقال فيه : انه لاعقول لهم .

والهاوية : إسم من أسماء جهنم « فامه هاوية » أى مسكنه جهنم ومستقره النار . و قال بعضهم : امه هاوية : صارت هاوية مأواه كما تؤوى المرأة إبنها فجعلها إذلامأوى له غيرها أمّاله .

وقيل : معنى قوله : « فامه هاوية » ام رأسه تهوى في النار .

٤ - اللبث - ١٣٤١

لبث يلبث لبثاً ولبثاً ولباثاً مثلث اللام - من باب علم - : أقام وإستقر .

يقال : لبث فى المكان : أقام به .

قال الله تعالى : « فلبث فى السجن بضع سنين » يوسف : ٤٢) أى أقام به مسجوناً .

ويقال : لبث فى أهله وقومه : أقام بينهم .

قال تعالى : « فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما » العنكوت : ١٤) أى أقام بين قومه .

ويقال : لبث فى العمل : إستمرّ يقاسى متاعبه .

قال تعالى : « أن لو كان يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين » سباء : ١٤)

أى ما استمرّوا يقاسون آلامه .

و يقال : مالبث ان فعل كذا :أسرع إلى فعله من دون توان و كسل .

قال تعالى : « فمالبث أن جاء بعجل حنيذ » هود : ٦٩) أىأسرع فجاء به من دون توان ومكث .

تلبّث بالامر : أخّره وتلبّث بالمكان : أقام فيه أوتوقّف .

إستلبث : إستبطاء وفى الرواية : « فاستلبث الوحى » أى إستبطاء وتأخر .

فى المفردات : لبث بالمكان : أقام به ملازماً له .

٤٨ - العشى والعشو - ١٠١٣

عشى الرجل عن حق أصحابه يعشى عشى - من باب رضى - : إذا ظلمهم.

وعشا يعشوعشواً - من باب دعا يدعو - إذا ضعف بصره .

من الحسى العشى : آخر النهار والعشاء أول الليل بعد وقت صلاة المغرب.

ومنه فى المادة من معنى الظلام وقلة الوضوح وضعف البصر .

فيقال : العشاء : سوء البصر بالليل والنهار. والأعشى : الذى لايبصر بالليل وهو بالنهار يبصر .

والعشواء : الناقة التى كأنها لا تبصر مع أمامها فتخبط كل شيء . وعشى إلى ناره لانه يخبط إليها فى الظلام .

والمتعاشى : الذى ينظر كنظر ذى العشاء .

وورد من المادة : الوقت والنظر المتغافل .

قال الله تعالى : « كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها » النازعات : ٤٦)

وقال : « ومن يعش عن ذكر الرحمن » الزخرف : ٣٦) أى يغفل .

فى المفردات : العشى من زوال الشمس إلى الصباح قال : « إلا عشية أو ضحاها »

والعشاء من صلاة المغرب إلى العتمة . والعشاءان : المغرب والعتمة .

والعشاء : ظلمة تعترض فى العين .

و فى النهاية فى الحديث : « احمدوا الله الذى رفع عنكم العشوة » يريد ظلمة الكفر .

والعشوة بضم العين وفتحها و كسرها : الامر الملتبس . وان يركب أمرا بجهل لايعرف وجهه مأخوذ من عشوة الليل وهى ظلمته .

﴿النحو﴾

١- (والنازعات غرقاً)

الواو للقسم ، و« النازعات » : جمع مؤنث من إسم الفاعل من قبيل ذكر الوصف وإرادة الموصوف ، مجرور بواوالقسم ، متعلق بفعل القسم المحذوف أى اقسم بالنازعات ، و « غرقاً » منصوب على المصدر على المعنى لان النازع : المغرق فى نزع السهم أو فى جذب الروح . و قيل : مصدر محذوف الزيادة أى إغراقاً . وقيل : إن الغرق والاغراق بمعنى واحد . وقيل : إسم اقيم مقام المصدر وهو الاغراق .

٢- (والناشطات نشطاً)

الواو للعطف ، و«الناشطات » جمع الناشطة ، عطف على « النازعات » مجرورة بجارها و « نشطاً » على المصدرعلى اللفظ أى تنشط نشطاً .

٣- (والسابحات سبحاً)

إعرابها ظاهرمن سابقها .

٤- (فالسابقات سبقاً)

الفاءللعطف ، عطفت هذه الاية بالفاءدون الآيتين السابقتين لان «السابقات» مشتقة من التى قبلها ، أى واللاتى يسبحن فيسبقن تقول : قام فذهب ، فهذايوجب أن يكون القيام سبباً للذهاب ، ولوقلت: قام وذهب لم يكن القيام سبباً للذهاب.

٥- (فالمدبرات أمراً)

الفاء للعطف تنبيهاً على تفرّع صفة التدبير على صفة السبق ، ومدخولها: إسم فاعل ، جمع المدبرة من باب التفعيل ، وفى نصب « أمراً » وجوه : أحدها ـ منصوب على انه مفعول به للمدبرات . ثانيها ـ منصوب على الحال أى يد برون مأمورات . ثالثها ـ منصوب على التمييز . رابعها ـ منصوب بنزع الخافض على تقدير بأمر . فان التدبير ليس من الملائكة ، وإنما هو من الله تعالى ، والملائكة مرسلة بما يأمرها به .

و فى جواب القسم وجوه : أحدها ـ محذوف على تقدير : لتبعثن أيها الكافرون ولتحاسبن. ويدل عليه إنكارهم للبعث فى قوله تعالى حكاية عنهم: « أإنا المردودون فى الحافرة » وقيل :اضمر الجواب لمعرفة السامعين بالمعنى . ثانيها ـ ان جواب القسم هو قوله تعالى : « ان فى ذلك لعبرة » ثالثها ـ قوله تعالى : « يوم ترجف الراجفة » هو الجواب على حذف اللام أى ليوم ترجف الراجفة . رابعها ـ ان فى الكلام تقديماً وتأخيراً فالتقدير : يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات غرقاً . . .

٦- (يوم ترجف الراجفة)

فى نصب « يوم » وجوه : أحدها ـ منصوب بفعل مقدر ، دلّ عليه قوله تعالى : « قلوب يومئذ واجفة » فتقديره : و جفت قلوبهم . فيكون يومئذ بدلاً من « يوم ترجف الراجفة » ثانيها ـ منصوب بـ « اذكر » محذوفاً . ثالثها ـ ظرف لجواب القسم المحذوف وهو قوله :« لتبعثن » رابعها ـ ظرف لما دلّ عليه « واجفة » أو « خاشعة » أى يخاف يوم ترجف . و« ترجف » فعل مضارع و« الراجفة » فاعل الفعل ، والجملة فى موضع جر لاضافة « يوم » إليها من إضافة الموصوف إلى صفته ، لان الجملة وصف ا « يوم » .

٧- (تتبعها الرادفة)

الفعل للمضارع ، وضمير التأنيث فى موضع نصب ، مفعول بها ، راجع إلى

« الراجفة » و« الرادفة » فاعل الفعل ، وفى موضع الجملة وجوه : أحدها ـ فى موضع رفع ؛ على أنها صفة من « الراجفة » ثانيها ـ فى موضع نصب ، حالاً لها . فاليوم واسع للنفختين وغيرهما فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب الثانية.ثالثها ـ لاموضع لها ، على أنها مستأنفة .

٨- (قلوب يومئذ واجفة)

« قلوب » جمع قلب ، مبتداء ، خبره « واجفة » و « يومئذ » ظرف متعلق « واجفة » والجملة مستأنفة مبينة لصفة اليوم . وقيل : « قلوب » مبتداء و« واجفة» صفة للقلوب والآية التالية خبر المبتداء على تقدير : أصحاب أبصار القلوب خاشعة.

٩- (أبصارها خاشعة)

الأبصار جمع بصر اضيف إلى ضمير القلوب ، والمجموع من المضاف والمضاف إليه مبتداء و« خاشعة » خبره .

١٠- (يقولون ء انا لمردودون فى الحافرة)

« يقولون » فعل مضارع ، وضمير الجمع ، راجع إلى أصحاب القلوب ، والهمزة للاستفهام و« انا » حرف تأكيد مع إسمها ، واللام فى « لمردودون » للتأكيد ، ومدخولها جمع مذكر من إسم المفعول ، خبر لحرف التأكيد ، و«فى الحافرة » متعلق بـ« مردودون » والجملة مقولة للقول . قيل : « الحافرة » مصدر كالعاقبة والعافية .

١١- (ءاذا كنا عظاماً نخرة)

الهمزة للاستفهام ، و « إذا »فى موضع نصب بفعل مقدر أى نردفى الحافرة، و « كنا » فعل ماض للتكلم مع الغير من أفعال الناقصة ، و « عظاماً » جمع العظم ، و « نخرة » صفة لـ« عظاماً »

١٢- (قالوا تلك اذاً كرة خاسرة)

« تلك » فى موضع رفع ، مبتداء ، و « إذاً » فجائية ، ظرف لـ« خاسرة »

و« كرة » خبر المبتداء ، و « خاسرة » وصف لـ « كرة » والجملة مقول القـول ، والجملة بتمامها في موضع الجواب على سبيل الاخبار .

١٣- (فانما هى زجرة واحدة)

الفاء للتفريع ، و « انما » أداة حصر ، و« هى» مبتداء ، راجع إلى « كرة» و قيل : إلى « الرادفة » والمراد بها النفخة الثانية ، وقيل : إلى الصيحة التى يستفاد من السياق ، و « واحدة » صفة لـ « زجرة » .

١٤- (فاذاهم بالساهرة)

الفاء تفريعية ، و « إذا » فجائية ، و« هم» مبتداء ، و « بالساهرة » متعلق بالمحذوف وهو خبر المبتداء على تقدير : يقعون على وجه الارض وظهرها . .

١٥- (هل أتاك حديث موسى)

« هل » إستفهامية و « أتى » فعل ماض ، والكاف فيموضع نصب ، مفعول به ، خطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و« حديث » فاعل الفعل ، اضيف إلى «موسى».

١٦- (اذناداه ربه بالواد المقدس طوى)

« إذ » ظرف متعلق بـ« حديث » و « نادى » فعل مـاض ، والضمير فـى موضع نصب ، مفعول به ، راجع إلى « موسى » و« ربه » فاعل الفعل ،والضمير راجع إلى« موسى » و « بالواد »متعلق بفعل النداء و «المقدس » نعت من«بالواد» و « طوى » بيان للوادى المقدس لانه إسم للوادى المقـدس و قيل : إسم بلدة أو بقعة فعلى هذا فـ « طوى » غير منصرف . وقيل : إسم موضع أوبلد أو مـكان فيكون متصرفاً .

١٧- (اذهب الى فرعون انه طغى)

« إذهب » فعل أمر ، خطاب لموسى ، و « إلى فرعون » متعلق به «اذهب» ، و « انه » حرف تأكيد ، والضمير في موضع نصب ، إسمها ، راجع إلى«فرعون» و« طغى » فعل ماض ، خبر لحرف التأكيـد ، والجملة فـى موضع تعليل للامـر

بالذهاب .

١٨- (فقل هل لك الى أن تزكى)

الفاء للتفريع ، و « قل » فعل أمر ، خطاب لموسى عليه السلام ، و « هل » للاستفهام ، و « لك » متعلق بمحذوف وهو خبر لمبتداء محذوف أى هل لك حاجة أوميل أوإلتفات و « إلى » حرف جار و « أن » حرف ناصب ، و « تز كى » فعل مضارع من باب التفعل على حذف إحدى التائين ، خطاب لفرعون ، والفعل بعد إنسباكه إلى المصدرمجروربحرف الجار ، متعلق بمحذوف . ولماكان المعنى : أدعوك . جاء بـ « إلى » .

١٩- (وأهديك الى ربك فتخشى)

عطف على « تز كى » و «أهدى» فعل مضارع للتكلم وحده منصوب بالعطف، وكان الخطاب في موضع نصب ، مفعول به ، و « إلى ربك » متعلق بفعل الهداية، والفاء فى « فتخشى » للنتيجة ، ومدخولها فعل مضارع ، خطاب لفرعون .

٢٠- (فاراه الآية الكبرى)

الفاء فصيحة و مدخولها فعل ماض ، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « موسى » وضمير الغائب فى موضع نصب ، مفعول أول ، راجع إلى « فرعون »، و « الاية » مفعول ثان ، و « الكبرى » صفة لـ « الاية » .

٢١- (فكذب وعصى)

الفاء للتفريع ولكن على العكس ، و « كذّب» فعل ماض من باب التفعيل، وفاعله ضمير مستترفيه ، راجع إلى « فرعون » و « عصى » عطف على « كذّب» .

٢٢- (ثم ادبر يسعى)

« ثم » حرف عطف ، و «أدبر » فعل ماض من باب الافعال ، وفاعله ضمير مستترفيه ، راجع إلى « فرعون » عطف على « كذب» و « يسعى » فعل مضارع، فى موضع نصب ، حال من الضمير المستترفى « أدبر » .

٢٣ـ (فحشرفنادى)

الفاءالاولى تفريع من سعيه في إدباره ، و مدخولها فعل ماض ، و فاعله ضميرمستتر فيه ، راجع إلى « فرعون » والفاء الثانية تفريع من حشره الناس على موسى عليه السلام .

٢٤ـ (فقال أنا ربكم الاعلى)

الفاء تفريعية على نداء فرعون ، و مدخولها فعل ماض ، و فاعله ضمير مستترفيه ، راجع إلى « فرعون » و « أنا » مبتداء ، و « ربكم » خبره ،والخطاب من فرعون لقومه ، و «الاعلى» نعت من « ربكم » والجملة مقولة للقول .

٢٥ـ (فأخذه الله نكال الاخرة والاولى)

الفاء للنتيجة ، و « أخذ » فعل ماض ، والضمير في موضع نصب ، مفعول أول ، راجع إلى « فرعون » و « الله » فاعل الفعل . و في نصب « نكال » وجوه : أحدها ـ منصوب لكونه مفعولاً له . ثانيها ـ على أنه مصدرمؤكد . لان أخذه و نكل به هنا بمعنى كأنه قيل : نكل الله به نكالاً . و هو مصدر كالتنكيل مثل السلام والتسليم : فأخرج نكال مكان مصدرمن معناه لامن لفظه . ثالثها ـ منصوب بنزع حرف الصفةأى فأخذهالله بنكالالآخرة ، فلمانزع الحافض نصب .و«الاولى» عطف على « الاخرة » .

٢٦ـ (ان في ذلك لعبرة لمن يخشى)

« ان » حرف تأكيد ، و« في ذلك » متعلق بـ « لعبرة » قدّم لمكان لام التأكيد ، في إسم « ان » وهو « عبرة » لعدم إجتماع التأكيدين في الكلام من غيرفصل ، واللام في « لمن » حرف جرّ ، و« من» موصولة مجرورة باللام،متعلق بمحذوف ، و هو خبر لحرف التأكيد ، و« يخشى » فعل مضارع ، و فاعله ضمير مستترفيه ، راجع إلى الموصول والجملة صلة الموصول ، على حذف المفعول أي يخشى الله تعالى أويخشى عذاب الله تعالى أو الشقاء .

٢٧- (ءأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها)

وقدوردت الهمزتان المفتوحتان من غيرفصل بينهمافي القرآن الكريم،في إحدى وثلاثين موضعاً:منها قوله تعالى: « ءأنتم »الهمزة إستفهامية و«أنتم»مبتداء ،و «اشد»خبره،و« خلقاً»تمييز ،و«أم»متصلة يطلب بها التعيين نحو :أزيدفى الدار أم عمرو، و«السماء » مبتداء ، وخبره محذوف أي أشد . و في «بناها» وجوه : أحدها - في موضع رفع ، نعت من « السماء » ثانيها - جملة مستأنفة لامحل لها . ثالثها - في موضع نصب ، حال لمحذوف . و « بنا » فعل ماض ، فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى الله تعالى و«ها» في موضع نصب ، مفعول بها راجعة إلى « السماء » .

٢٨- (رفع سمكها فسواها)

« رفع» فعل ماض ، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى الله تعالى، و«سمكها» مفعول به ، وضمير التأنيث راجع إلى « السماء » والفاء في « فسواها » تفريعية و « سوى » فعل ماض من باب التفعيل ، وفاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى الله، وضمير التأنيث في موضع نصب ، مفعول به ، راجع إلى السماء .

٢٩- (واغطش ليلها وأخرج ضحيها)

الواو للعطف ، و « أغطش » فعل ماض من باب الافعال ، عطف على ما تقدم وفاعل الفعل ، ضمير مستتر فيه ، راجع إلى الله تعالى و « ليلها » مفعول به ،و ضمير التأنيث راجعان إلى « السماء » . و « وأخرج ضحيها » عطف كالمتقدم .

٣٠- (والارض بعد ذلك دحاها)

الواو للعطف ، و«الارض » منصوب ، مفعول به على إضمار « دحى » على شريطة التفسير و «بعد» ظرف ، متعلق بالمحذوف ، وقيل : بالمذكور ، و«دحا» فعل ماض ، فاعله ضمير مستتر فيه ،راجع إلى « الله » وضمير التأنيث في موضع نصب ، مفعول بها ، راجع إلى «الارض » .

٣١- (اخرج منها ماءها ومرعاها)

« أخرج » فعل ماض من باب الافعال ، فى موضع نصب على الحال باضمار « قد » أى مخرجاً ، و فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى الله تعالى ، و « منها » متعلق بفعل الاخراج ، و « ماءها » مفعول به ، و « مرعاها » عطف على «ماءها» و ضمائر التأنيث راجع إلى « الارض » .

٣٢- (والجبال أرساها)

الواو للعطف ، و«الجبال » مفعول به لمحذوف كالارض أى أرسى الجبال ، و « أرسى » فعل ماض من باب الافعال ، وفاعله ضمير مستترفيه ، راجع إلى الله تعالى ، وضمير التأنيث فيموضع نصب ، مفعول بها ، راجع إلى « الجبال » .

٣٣- (متاعاً لكم ولانعامكم)

فى نصب « متاعاً » وجوه : أحدها ـ مفعول له لمقدر . على تقدير : فعل ذلك متعة . ثانيها ـ منصوب على المصدر من غير اللفظ لان معنى : « أخرج منها ماءها ومرعاها » امتع بذلك تمتيعاً. ثالثها ـ منصوب بنزع الخافض باسقاط حرف الصفة على تقدير: لتمتعوابه متاعاً ، و«لكم» متعلق بـ « متاعاً » و«لانعامكم»عطف على « لكم » والانعام جمع قلة من النعم .

٣٤- (فاذا جاءت الطامة الكبرى)

الفاء تفريعية و « إذا » شرطية ، و « جائت » فعل ماض ، و « الطامة»فاعل الفعل و«الكبرى» صفة من « الطامة » وعامل الشرط قوله تعالى : « يتذكر » و جواب الشرط محذوف ،يدل عليهقوله تعالى : « فاما من طغى وآثرالحياةالدنيا» و يحتمل أن يكون العامل معنى قوله تعالى : « يوم يتذكر » و كان هو جواب الشرط وقيل : جواب « إذا » محذوف على تقدير : إذاجاءت الطامة دخل أهل النار النارو أهل الجنة الجنة .

و قيل : على تقدير : فاذاجائتالطامة الكبرى إنقسمالناسعلى قسمينفاما من طغى . . .

٣٥- (يوم يتذكر الانسان ما سعى)

« يوم » بدل من « إذا » لانه إذا رأى أعماله مدوّنة مكتوبة تذكرها وكان قد نسيها و « يتذكر » فعل مضارع من باب التفعل ، و « الانسان » فاعل الفعل ، و « ما » موصولة فى موضع نصب ، مفعول به ، و سعى فعل ماض ، ناقص يائىّ ، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « الانسان » والجملة صلة الموصول على حذف العائد .

٣٦- (وبرزت الجحيم لمن يراى)

الواو للعطف و « برزت » فعل ماض ، مبنىّ للمفعول من باب التفعيل ، و « الجحيم » نابت مناب الفاعل ، والجملة عطف على « جاءت » واللام فى «لمن» حرف جار ، و مدخولها إسم موصول ، مجرور متعلق بـ« برزت » و « يرى » فعل مضارع ، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى «من» فالفعل صلة الموصول ،وضمير الفاعل عائده ، على حذف المفعول أى يراها .

٣٧- (فاما من طغى)

الفاء لجزاء الشرط المتقدم : « إذا » و « أما » تفصيلية ، و « من » للشرط ، و « طغى » فعل ماض ، فعل الشرط .

٣٨- (وآثر الحياة الدنيا)

الواو للعطف ، و «آثر» فعل ماض من باب الافعال ، وفاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « من » و «الحياة » مفعول بها و «الدنيا » صفة لـ« الحياة » .

٣٩- (فان الجحيم هى المأوى)

الفاء جواب لـ« أما » و « ان » حرف تأكيد ، و « الجحيم » إسمها ، و «هى» مبتداء و«المأوى» خبره ، والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد. و فى الالف و «اللام »فى المأوى وجوه : أحدها ـ بدل من الهاء العائد إلى «من» أى مأواه .

قال به الكوفيون . ثانيها ـ اللام للعهد الذهني أى مأواه اللائق بـه . و لذلك استغني عن العائد ، ولاحاجة إلى تكلف ان اللام بدل من الاضافة . ثالثها ـ على تقدير : هى المأوى له إذلابدمن ذلك ليعود الضمير من الجملة إلى المبتداء « من » رابعها ـ على تقدير : الماوى لهم إذلاضمير في الجملة عائد على موصوف.

٤٠- (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى)

الواو للعطف ، و « أما » عطف على ماتقدم على سبيل التفصيل ، و « من » إسم شرط و «خاف » فعل ماض للشرط ، وفاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى «من» و « مقام » مفعول به ، اضيف إلى الرب المضاف إلى ضمير « من » و «نهى» عطف على « خاف » و «النفس » مفعول بها ، و « عن الهوى » متعلق بـ« نهى » .

٤١- (فان الجنة هى المأوى)

إعرابها ظاهر من قوله تعالى : « فان الجحيم هى المأوى » .

٤٢- (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها)

« يسئلونك » فعل مضارع لجمع المذكر الغائب ، وضمير الفاعل راجع إلى الكفار ، وكاف الخطاب للنبى ﷺ في موضع نصب ، مفعول به ، و « عن الساعة » متعلق بـ« يسئلونك » و « أيان » إسم إستفهام يستفهم به عن الزمان المستقبل وقد يجيىء عن الماضى ، في موضع رفع على الابتداء و « مرساها» خبره.

٤٣- (فيم أنت من ذكراها)

« فيم » أصله«فيما»:حذفت الألف لكثرة الاستعمال ، و « ما» إستفهام إنكارى في موضع رفع على الابتداء و « أنت » خبره ، وقيل : العكس . و « من » في «من ذكراها » لابتداء الغاية ، مع مجرورها متعلق بمحذوف ، وضمير التأنيث راجع إلى « الساعة » والتقدير : فى أى شيء أنت من كثرة ذكر الساعة أى ماذا يحصل لك من العلم بوقتها من ناحية كثرة ذكرها .

٤٤- (الى ربك منتهاها)

« إلى ربك » متعلق بـ « منتهاها » وضمير المخاطب للنبى ﷺ و ضمير التأنيث راجع إلى « الساعة » .

٤٥- (انما أنت منذرمن يخشاها)

« انما » أداة حصر ، و « أنت » مبتداء ، و «منذر» خبره ، اضيف إلى«من» موصولة ، في موضع نصب ، مفعول به لـ « منذر » و « يخشى » فعل مضارع ، و فاعله ضميرمستترفيه ، راجع إلى « من » وضميرالتأنيث فى موضع نصب،مفعول بها ، والضمير راجع إلى « الساعة » .

٤٦- (كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أوضحاها)

«كان» من حروف مشبهة بالفعل ، وضمير الجمع فى موضع نصب ، إسمها راجع إلى المشر كين و « يوم » مفعول فيه ، و « يرون » فعل مضارع للجمع المذكر المغائب، وضميرالتأنيث في موضع نصب ، مفعول به ، راجع إلى«الساعة» والجملة في موضع رفع ، خبرلحرف التشبيه ، و«لم» حرف جحد ، و « يلبثوا » فعل مضارع ، مجزوم لفظاً باسقاط النون ، و منفى بحرف الجحد ، و « إلاّ » حرف إستثناء ، و « عشية » مفعول بها ، و « أو » حرف‌عطف‌للترديد،و «ضحيها» عطف على « عشية » و ضمير التأنيث راجع إلى العشية والجملة بتمامها نعت لـ « يوم » فضحى اضيف إلى ضمير « عشية » كقولك : فى ليلة و يومها ، و صحت إضافة الضحى إلى العشية لما بينهما من الملابسة ، إذهما طرفا النهار ، و حسن الاضافة وقوع الكلمة فاصلة .

﴿البيان﴾

١- (والنازعات غرقاً)

ان المستفاد من سياق طرفى هذه السورة نزولاً ـ أعنى سورة النبأوسورة الانفطار إذقال تعالى فى الاولى : « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن » النباء :٣٨) وفى الثانية: « ان عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون » الانفطار : ١٠ ـ ١٢) ـ . ان الايات الخمس التى ابتدئت السورة بها أقسام من الله جل وعلا بطوائف من الملائكة على طريق ذكر الاوصاف و إرادة الموصوف بها لدخلها فى إمتثالهم للأوامر الصادرة عليهم عن ساحة العزة، المتعلقة بتدبيرامورهذاالعالم المشهود من نزع الارواح من الأجساد . . . كل بحسب إستحقاقه ، ثم قيامهم بالتدبير باذن الله تعالى .

وفيها إشعار بان كل واحدمن الاوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيق بأن يكون على حياله مناطاً لاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غيرإنضمام الأوصاف الاخرفيه .

ان تسئل : كيف قال الله تعالى : « والنازعات » بلفظ التأنيث وكذا ما بعده ، والكل أوصاف للملائكة ، وهم ليسوا اناثا ؟

تجيب: ان هذا قسم بطوائف الملائكة و فرقها ، و الطوائف و الفرق مؤنث أو باعتبار لفظها .

وفى كلمتى النزع والغرق تنبيه إلى نزع أرواح الكفار بشدة من أقاصى

الاجساد من أناملها وأظفارها . . . يقال : نزع في القوس فأغرق أي بلغ غايته حتى إنتهى إلى النصل . على أن النازعات هم قابض أرواح الكفار وأذنابهم فقط . و « غرقاً » مصدر مؤكد بحذف الزوائد أي إغراقاً في النزع حيث تنزعها من أقاصي الاجساد . . .

٢ـ (**والناشطات نشطاً**)

قيل : في الوصف إشعار بان قابض أرواح المؤمنين غير قابض أرواح الكافرين ، إذ في لفظة النشط دلالة على أن إخراج الملائكة أرواح المؤمنين يكون بلين ورفق وسهولة ، فان النشط هو : الجذب والخروج برفق وسهولة و حلّ العقدة فكأنها نشطت من عقابها .

فطائفة من الملائكة يجذبون أرواح المؤمنين برفق و لين كما ينشط الدلومن البئر ، أو كما ينشط العقال من يد البعير إذا حلّ عنه ، فتخرج الارواح نشيطة مسرعة . هذا بناء على إحدى الاقوال الآتية غير المختارة .

٣ـ (**والسابحات سبحاً**)

في الوصف اشعار بمضى الملائكة و سرعتهم إلى ما امروا به من قبض الارواح فهم يفعلون ما يؤمرون به من غير فتور ولاتسامح لان السبح هو المرّ السريع في الماء والهواء ، فتنزل الملائكة من السماء مسرعة سابحة في الهواء لتنفيذ أوامر الله جل وعلا كما تسبح الفرس الجواد إذا أسرعت في الجرى .

وقيل : في الوصف إيماء إلى أن الملائكة تسبح حين قبض أرواح المؤمنين و كذلك الارواح تسبح شوقاً إلى لقاء الله تعالى ورحمته حين تخرج .

٤ـ (**فالسابقات سبقاً**)

وصف رابع للملائكة . وفيه إشارة إلى سبق الملائكة إلى ما امروا به، و في العطف بالفاء دلالة على ترتب السبق على السبح بلامهلة أي واللائي يسبحن فيسبقن .

٥- (فالمدبرات أمراً)

وقد أقسم الله جل وعلا بتلك الصفات الخمس للملائكة، و خامسها صفة التدبير لهم باذن الله تعالى وأمره. و في تقييد التدبير بالامر دلالة على أن تدبير الملائكة طولى للتدبير الالهى لا التدبير العرضى، فلا ينافى تدبير الملائكة بالوساطة أصالة التدبير الالهى، فهم لايدبرون إلاّ باذن الله جل وعلا إذ قال: «بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» الانبياء: ٢٦ ـ ٢٧)

وفى العطف بالفاء دلالة على أن التدبير مسبب السبق، فتتفرع صفة التدبير على صفة السبق، واريد بـ«أمراً» الجنس يقوم مقام الجمع، وتنكيره للتهويل والتفخيم.

٦- (يوم ترجف الراجفة)

تقرير لما يجرى فى يوم الفصل الذى جاء القسم لتوكيده الامر الذى يقتضى التسليم به، فلم يبق إلاّ بيان ما يحدث فيه، فالارض يومئذ تضطرب و تتحرك حركة شديدة متداخلة متزلزلة لاحياء الموتى. وفى كون «يوم» ظرفاً لجواب القسم المحذوف ـ وهو لتبعثن ـ دلالة على فخامة اليوم، و بلوغه غاية فى الشدة والهول والفزع على الكفار والطاغين.

٧- (يتبعها الرادفة)

بيان لعلامة اخرى من علائم تبدل نظام الكون، ونواميس العالم، من تلو السماء بما فيها من الكواكب والنجوم بالانشقاق والانتثار إثر إضطراب الارض وميدانها، فتردف السماء ما سبقها وتدعم.

٨- (قلوب يومئذ واجفة)

مستأنف بيانى لصفة اليوم، وتنكير «قلوب» للتنويع، وفى الجملة إخبار عن حال الطغاة والكافرين حين تطلع عليهم أمارات الساعة وإرهاصاتها.. وفى الاخبار عن القلوب دون أصحابها إشارة إلى أن القلوب فى هذا اليوم هى التى

تتلقى هذه الاحداث، وتتفاعل بها، وان الانسان في هذا اليوم قد استحال إلى قلب واجف مضطرب كل جارحة فيه، و كل عضو من أعضائه، قد صار قلباً يدرك و يشعر و ينفعل، وذلك من شدة وقع الاحداث التي يتنبه لها كيان الانسان كله.

وفي تنكير القلوب إشارة إلى أنها قلوب غير تلك القلوب التي عهدها الناس انها هذا الانسان المجتمع فيها بكل أعضائه وجوارحه.. فسوف يستولي يومئذ الرعب والاضطراب على قلوب كثيرة...

٩- (أبصارها خاشعة)

إشارة اخرى إلى أحوال الطغاة يوم القيامة، وقد أوقع الذلّ على الابصار لأنها هي المرآة التي تتجلى على صفحتها أحوال الانسان، ومايقع في القلب من مسرّات ومساءات.. وقيل: إن إضافة الابصار إلى القلوب و نسبتها و إضافتها إليها لمكان أن المراد بالقلوب في أمثال هذه المواضع التي تضاف إليها الصفات الادراكية من العلم والخوف والرجاء وما إليها هي النفوس، و نسبة الخشوع إلى الأبصار وهو من أحوال القلب إنما هي لظهور أثره الدال عليه في الابصار أقوى من سائر الاعضاء.

ومن المحتمل أن يكون المراد من أبصار القلوب هي أبصار القلوب واقعاً إذ لكل قلب بصران كعيني الرأس و كل بما يناسبه، مع أنه لافرق بين الانسان و قلبه يومئذ فنسبة الخشوع إلى الابصار وهو من أحوال القلب لان الابصار مظاهرها على الاول، وأما على الثاني فلظهور ما في القلب يوم القيامة لانه يوم تبلى السرائر وهو يوم التأويل.

قال الله تعالى: «يوم تبلى السرائر» الطارق :٩)

وقال: «يوم يأتي تأويله» الاعراف: ٥٣)

و في الايات الاربع من التخويف والتهويل وحمل الطغاة على الارعواء كما أن في الايات التسع من التوكيد الرباني بتحقيق وعد البعث و وقوعه،

والاشارة إلى بعض ظروفه و مشاهده وما ستتبعه من أقوال الكفار و أحوالهم مالايخفى .

١٠ـ (يقولون ء انا لمردودون فى الحافرة)

فى موضع تعليل لوجف قلوب الكافرين وخشوع أبصارهم يوم القيامة على طريق الحكاية والاخبار بماكانوا يتقوّلونه فى الحياة الدنيا حول البعث مستبعدين لوقوعه إثر بيان وقوعه على سبيل التأكيد القسمى ، وذكر مقدماته الهائلة .. .

١١ـ (ء اذاكنا عظاماً نخرة)

تأكيد للانكار والاستبعاد السابقين بأن لوكانت الحياة بعد الموت منكرة مستبعدة فهى مع فرض العظام وتفتت الاجزاء أشد إنكاراً وإستبعاداً . والمعنى : كيف نردّ إلى حياة جديدة بعد الموت ، و قد بليت منا العظام و تفتت أجزائها ، ولم يبق لها أىّ أثر؟ وهذا شيء عجيب . وفى الاية إشارة إلى وجه الاحالة .

١٢ـ (قالوا تلك اذاًكرة خاسرة)

إخبار بانهم قالوا ذلك فى الحياة الدنيا على طريق الاستهزاء والتهكم إعتقاداً منهم انّ ذلك لايكون قطّ ، وفى الاشارة البعيدة « تلك » إشارة إلى إستبعاد المشار إليه ، وهو الرجعة المفهوم من قوله تعالى : « ء إنا لمردودون فى الحافرة» تأكيداً على الانكار والاستبعاد . والمعنى : لو صحت الرجعة إلى الحياة وحدثت ، فنحن أخسر الناس صفقة ، ولسنا كذلك قط ، وإنما نحن الرابحون وأنتم خاسرون

ففى الاية الكريمة حكاية لكفر آخرلهم ، متفرع على كفرهم السابق ولعل توسيط ما قالوا بينهما للايذان بأن صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم فى كافة أوقاتهم حسبما ينبىء عنه حكايته بصيغة المضارع أى قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين إلى ما أنكروه من الردة فى الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع .

۱۳- (فانما هى زجرة واحدة)

تعليل لمقدّر يقتضيه إنكارهم لاحياء العظام النخرة التى عبّروا عنها بالكرة، فان مداره لماكان إستصعابهم إياها ردّ عليهم ذلك ، فقيل : لاتستصعبوها فانما هى صيحة واحدة اى الكرة حاصلة بصيحة واحدة ، وعبّر عنهابها تنبيهاً على كمال إتصالها بها كأنها عينها .

و فى الاية الكريمة ردّ وجواب عليهم إذ استبعدوا البعث ، و إفحام إذ استصعبوه على الله جل وعلا ، و إنذار لهم إذ أنكروا به . و بيان لسهولة البعث على الله تعالى، وإخبار من الله جل وعلا بان الكرة ستحقق بصيحةواحدة وإشارة إلى حضورهم الموقف عقيب الكرة التى عبّر عنها بالزجرة ، و فى التعبير عن النفخة الثانية بالزجرة لما فيها من نقلهم من نشأة الموت إلى نشأة الحياة،ومن بطن الارض إلى ظهرها .

فالامر لن يقتضى إلاّ صرخة واحدة ، فلايلبث الناس إلاّ أن يروا أنفسهم فى صعيد واحد فى إنتظار قضاء الله تعالى و حكمه فيهم . و المعنى : لاتحسبوا تلك الكرة صعبة على الله تعالى ، إذ ماهى إلاّ صيحة واحدة . ففى حرف الفاء وأداة الحصر «فانما» مالايخفى على القارىء الخبير، فتأمل جيداً واغتنم جداً .

وان الاية وتاليها تستهد فان إثارة الخوف فى المنكرين و المشككين، وحملهم على الارعواء .

و قيل : إن الضمير «هى» راجع إلى « الرادفة » فقوله تعالى : « فاذاهم بالساهرة » حينئذ بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجأة أى فاذا هم أحياء على وجه الارض بعد ماكانوا أمواتاً فى جوفها .

۱۴- (فاذا هم بالساهرة)

تفريع على الزجرة الواحدة ، وسميت الارض ساهرة إذ لانوم للناس يومئذ فيها بل هم فى سهر دائم بعد بعثهم من نومهم فى القبور. والساهرة الارض البيضاء

المستوية سميت بذلك لان ساكنها لاينام خوف الهلاك أو لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة أى جارية .

وقيل : سميت بهذا الاسم لان فيها نوم الحيوان وسهرهم، و العرب تسمى الفلاة ووجه الارض ساهرة بمعنى ذات سهر لانه يسهر فيها خوفاً منها، فوصفها بصفة مافيها .

فى تلخيص البيان للسيد الرضى رضوان الله تعالى عليه فى قوله تعالى: «فاذا هم بالساهرة» قال : و هذه إستعارة لان المراد بالساهرة ههنا على ما قال المفسرون و الله أعلم : الارض قالوا : إنما سميت ساهرة على مثال عيشة راضية كأنه جاء على النسب أى ذات السهر وهى الارض المخوفة أى يسهر فى ليلها خوفاً من طوارق شرها .

وقيل أيضاً : إنما سميت الارض ساهرة لانها لاتنام عن أنماء نباتها وزروعها فعملها فى ذلك ليلاً كعملها فيه نهاراً .

١٥- (هل أتاك حديث موسى)

مستأنف وارد على طريق السئوال الموجه إلى النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يراد به الخبر لما يؤذن به هنا من عظيم اللطف و كريم الاحسان من الله جل وعلا إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم حتى ليخاطبه مولاه خطاب الحبيب إلى الحبيب فى رفق ومودة ليقول له : «هل أتاك حديث موسى» أى أعلمت حديث موسى ؟ أتريد أن تعلم ولم ياتك حديثه بعد ؟ ألا فاستمع إليه إذن .

و الكلام يتضمن معنى التذكر لكل من يستمع حديث موسى عليه السلام و رسالته إلى فرعون طاغية مصر وعتوه وتبعاته ...

وفيه إشارة إلى أن ذلك أول ماتلقاه النبى صلى الله عليه وآله وسلم من آيات الله تعالى فى نبأ موسى وفرعون .

وفيه إستدعاء له من هذا الجوّ الخانق الذى ينفث فيه المشركون سمومهم

والذى ترى فيه أنفاسهم بدخان كثيف من تلك النار المشتعلة فى قلوبهم كمداً وحسرة وغيظاً من النبى ﷺ ودعوته . .. وهذا الخطاب إدناء للنبى الكريم ﷺ من ربه جل وعلا وايناس له .

إشارة إجمالية إلى قصة موسى عليه السلام و رسالته إلى فرعون ، و موقفه فى دعوته إلى أن أخذه الله تعالى نكال الاخرة والاولى تسلية لرسول الله ﷺ من تكذيب قومه بأن يصيبهم مثل ما أصاب فرعون الذى بلغ فى العتو والطغيان حداً لم يبلغه قومك ، فقد ادعى الا لوهية وألّب قومه على موسى عليه السلام وكان موسى مع هذا كله يحتمل المشاق العظام فى دعوته إلى الايمان ، فكان فرعون أقوى من المشركين ثم أخذناه و كذلك هؤلاء .

ففى القصة تهديد لهم بانهم إن لم يؤمنوا بالله تعالى ورسوله ﷺ وباليوم الاخر، فسيصيبهم مثل ما أصاب فرعون وقومه ، فيها إنذار وعظة و عبرة اخرى لجميع الكفار فى طوال الاعصار ... بان فرعون طاغية مصر مع شكيمة قوية و شوكة شديدة وسلطان عظيم ، فهو لما تمرّد على موسى وعصى أمر ربه أخذه الله تعالى نكال الاخرة والاولى ولم يعجزه أن يهلكه و يجعله لمن خلفه أية ، فانتم أيها الطغاة الجبابرة ، أيها الحكام المستبدة ، أيها السلاطين المستكبرة ، أيها الامراء الباغية ، و أيها الرؤساء من أتباع الشهوة مهما عظمت حالكم و قوى سلطاتكم واشتهار كم لم تبلغوا مبلغ فرعون فأخذ كم أهون على الله جل وعلا منه

تذكرة واعتبار:

و لقد رأينا فى زماننا هذا كيف أخذ الله القادر القهار سلطان الايران و عمّاله مع شوكتهم و قواهم و إشتهارهم فى العالم ومع عددهم و عددهم إذ اتخذوا الفروع الدينية لعباً ، وأظهروا الفسق وبدّلوا التاريخ الاسلامى بتاريخ اليهود العنيد، فأخذهم الله جل وعلا وخذلهم من غير تصور لاحد من الايرانيين، فجاء بآخرين ، فعلى الاخرين الاعتبار من سابقيهم ...

فكيف على الاخرين إذا اتخذوا الاصول الدينية لعباً وأبطنوا الفسق، و بدّلوا الاصول الاسلامية باصول الاشتراكيين الحمقاء والجهلة السفلاء، فحرّموا حلال الله تعالى و حللوا حرامه، وابتد عوافي الاسلام، و سفكوا الدماء من غير حق وجاوزوا حدود الله تعالى، وحكموا بغير ما أنزل الله جل وعلا، وأكلوا أموال الناس من غير تراض، وهتكوا أعراض العلماء العاملين والمؤمنين بالتهم الكاذبة لاعتراضهم في تقوّلاتهم وبدعهم في الاسلام، وتركوا الاحكام الاولية في الاسلام ... وجعلوا أحكاماً ثانوية من تلقاء أنفسهم على مصالح واهية عندهم و خالفوا سيرة أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين ثم ادعوا: انهم حماة الدين وتلك أعمالهم فكأنهم لم يسمعوا قول الله عزوجل: «ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين» الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧) فاعتبروا يا اولي الابصار.

وقد اختص بذكر قصة موسى عليه السلام وفرعون مصر في المقام واختارها من بين القصص لان موسى أبهر الانبياء المتقدمين معجزة، وقصة فرعون أبلغ موعظة للمتعظين وأشد إنذاراً للمشركين الذين كانوا ينكرون البعث و يتوسّلون به إلى ردّ الدعوة الدينية إذ لامعنى لتشريع الدين لولا المعاد.

وفيها مع ذلك كله حجة على وقوع البعث للحساب و الجزاء فان هلاك فرعون وجنوده تلك الهلكة الهائلة دليل على حقيّة رسالة موسى عليه السلام من جانب الله تعالى إلى الناس ولاتتمّ رسالته من الله جل وعلا إلاّ بربوبيته منه للناس على خلاف مايزعمه المشركون: أن لاربوبية له تعالى بالنسبة الى الناس، وان هناك أرباباً دونه وأنه سبحانه رب الارباب لاغير.

وقال بعض الاعلام: ان هذا النوع من الاستفهام لاينا في تقدّم علم السامع بالحديث لان الغرض توجيه نظر السامع إلى الحديث دون السؤال والاستعلام حقيقة فمن الممكن أن تكون الايات أول مايقصّه الله جل وعلا من قصة موسى عليه السلام أو تكون مسبوقة بذكر قصته كما اشير إليها في سورة «المزمل» التي

نزلت قبل هذه السورة .

١٦- (اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى)

ظرف للحديث ببيانه ، و هو أول ما أوحى الله جل‌وعلا إلى موسى عليه‌السلام فقلّده الرسالة .

١٧- (اذهب الى فرعون انه طغى)

تقرير لما نودى به موسى عليه‌السلام عن ربه ، و فى تخصيص فرعون بالذكر مع كون دعوة موسى عليه‌السلام شاملة لجميع قومه لان فرعون كان قائدهم ، فكانت دعوته دعوة لجميع قومه .

و قوله تعالى : «انه طغى» بيان لسبب الدعوة بالذهاب إليه . . انه تجاوز الحدود فى بغيه وعدوانه ، فى كفره وضلاله ، وفى عتوه واستكباره

١٨- (فقل هل لك الى أن تزكى)

الفاء للنتيجة بان تكون نتيجة الذهاب دعوة فرعون إلى التزكية، ويحتمل أن تكون سبباً آخر للامر بالذهاب إلى فرعون ، و على أيّ التقديرين ان هذا الكلام كلام تعليمى من الله تعالى رسوله كيف يواجه فرعون مصر، وطلب من الله تعالى أن يلين موسى عليه‌السلام لفرعون القول ليكون ذلك أنجع فى الدعوة، ويخاطب هذا الطاغى بأحسن الأساليب و أقواها جاذبية ، جامعة لبرهان العاطفة و العقل و الاحساس ، وهذا ألين كلام من داع الحق لأحمق الطغاة إلى الحق ، إذ ابتدأ بالسؤال عن ميله إلى التزكى دون أن يحتمّ عليه أنه قذر ، فيجب عليه التزكى، سؤال لاجواب لفرعون إلاّ الايجاب والرغبة إلى مايدعوه إليه .

وفى هذا الاسلوب الاستفهامى ترفق وتلطف فى الدعوة إلى الله جل‌وعلا، وفى مواجهة عناد المعاندين و كبر المتكبرين باللطف والرفق واللين،ان حكمة الدعوة تقضى أن يستميل الداعى إلى الحق من يدعوه إليه ، و أن يترفق فى الدخول إلى قلبه ، حتى يجد منه اذناً صاغية ، وقلباً واعياً ، إذا كان فيه بقية من

عقل أويقظة من ضمير . . ولوجاء الداعى إلى من يدعوه إلى العدول عن الطريق الذى هوعليه ـ لوجاءه آمراً أوزاجراً أوفاضحاً لحاله المتلبس بها لما وجدمنه إلا إعراضاً وازوراراً ، وتكرّها لسماع ما يلقى إليه من حديث .

فكيف إذاكان هذا المدعوّ جباراً عنيداً كفرعون مصر ؟ ولهذا جاء قوله تعالى : « فقل هل لك إلىأن تزكى » راسماً لموسى عليه السلام هذا المنهج الحكيم، هذا الطريق القويم ، و هذا السبيل الصحيح لدعوة هذا الجبار العنيد كما جاء ذلك فىقوله تعالى : « إذهبا إلى فرعون انه طغى فقولاله قولاً ليناً لعله يتذكر أويخشى » طه : ٤٣ ـ ٤٤)

وفى هذا الاسلوب القرآنى الخطة المثلى ، والمثل الكامل القويم لأصحاب الدعوات ،من القادة والزعماء والوعاظ والعلماء والمصلحين . . . انهم لن يبلغوا بدعوتهم مواطن الاقناع ولن يحصلوا منها على ثمر طيب إلا إذا جعلوا الرفق واللين سبيلها إلى الناس ، وإلا إذا غذّوها بمشاعر الحب والرغبة الصادقة فى الاصلاح ، وبخاصة إذاكان الداعى يدعو إلى حق ويهدف إلىهدى وإصلاح:«ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة و جادلهم بالتى هى أحسن » النحل : ١٢٥)

وليس مما يدخل فى هذا الباب المداهنة والمخادعة والنفاق ، فان ذلك كله شر ، إذا اختلط بالدعوة الصالحة أفسدها ، و إذا خالط الحق اثار الدخان الكثيف فى سمائه الصافية،فغشى على الابصار ، وحجب الرؤية عن مواقع الهدى...

١٩- (وأهديك الى ربك فتخشى)

دعوة إلى التحلية بالاخلاق الفاضلة ـ بعد الدعوة إلى التخلية ـ أهمها التوحيد المترتب عليه الخشية التى منها تنشأ جوامع الخيرات . . .

وفى دعوة موسى عليه السلام فرعون إلى الرب المضاف إلى ضميرفرعون لاإلى ضمير نفسه فقال : « إلى ربك » ولم يقل : « إلى ربى » أو « إلى الله » . . . مع أن

فرعون يدعو الناس إلى نفسه و يقول لهم: « أنا ربكم الاعلى » مالا يخفى على القارىء الخبير فتأمل جيداً واغتنم جداً .

٢٠- (فأراه الآية الكبرى)

الفاء للفصاحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلاً على تفصيلها في السور الاخرى بعد ماجرى بين موسى عليه السلام وبين الله جل وعلا من الاستدعاء والاجابة وغيرهما من المراجعات، وما جرى بين موسى عليه السلام و فرعون من المحاورات... و تفصيل ذلك : ان موسى عليه السلام جاء إلى فرعون فدعاه برفق ولطف ، و بلين و مداراة إلى الله جل وعلا ، فماكان من فرعون إلا أن يردّ موسى ردّاً قبيحاً،واغلظ له القول و رماه بالكذب والجنون ، فلما أراد موسى أن يدفع هذه التهم عنه و يثبت لفرعون انه رسول رب العالمين ، تحدّاه فرعون بأن يأتي بما يدل على أنه من عندالله جل وعلاوقال «إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين» الاعراف : ١٠٦)

ففي الاية الكريمة إخبارعن أول ملاقاته عليه السلام فرعون و بيان لارائه موسى عليه السلام معجزة لاثبات نبوته ، فأراه في أول ملاقاته العصا واليدالبيضاء لقوله تعالى: « فالقى عصاه فاذاهي ثعبان مبين ونزع يده فاذاهي بيضاء للناظرين »الاعراف : ١٠٧ ـ ١٠٨)

وفي الاية دلالة على عدم تأثير دعوة موسى عليه السلام في فرعون مصر إذلم يخضع لديها ، ولم يقنع بما أدلى إليه موسى عليه السلام من لين القول و رفق الدعوة .

ان تسئل : كيف قال الله تعالى : « فأراه الاية الكبرى » مع أن موسى عليه السلام أراه الايات كلها لقوله تعالى : « ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى »طه: ٥٦) و كل آية كبرى ؟

تجيب: ان الاخبارفي هذه الاية الكريمة عن أول ملاقاته إياه ، و إنما أراه في اول ملاقاته العصا واليد البيضاء ، فأطلق عليهما الاية الكبرى لا تحاد

معناهما .

اواريد بالاية الكبرى العصا لانهاكانت كالمقدمة والاصل، وكانت الاخرى كالتبع لهالانه كان يتبعها بيده فقيل له : ادخل يدك في جيبك .

٢١- (فكذب وعصى)

تقرير لموقف فرعون بعد أن أراه موسى عليه السلام الاية الكبرى ، فكذّب بما رآه بلامهلة ولافصل ، من غير تأمل ولاتفكر فيه ، ولم يكتف بالتكذيب بل اتهم موسى عليه السلام بأنه ساحر ، وما رآه فهو سحر ، و أظهر التمرد والطغيان .

٢٢- (ثم أدبر يسعى)

في حرف التراخي « ثم » دلالة على تراخي الرتبة بين التكذيب والادبار . فان الهرب من الحية مع إدعاء الربوبية ممالا يجتمعان ، و كذا السعاية و المكيدة بين الناس .

وفي الاية الكريمة إشارة إلى أن فرعون لما رأى ثعباناً و أفا عيلها ، وما أوقعته في قلبه وقلوب من معه لبس ثوب الثعبان ، فجعل يسعى في الناس مهدداً متوعداً ، باعثاً الرعب والفزع في القلوب حتى يخرج منها هذا الفزع الذى إستولى عليها من حية موسى عليه السلام .

٢٣- (فحشر فنادى)

تقرير لنتيجة السعي بأن فرعون جمع سحرته والناس و لقى بهم موسى معلناً في الناس بعجلة انه الرب الاعلى ، و ان الرب الذى يدعو إليه موسى هو رب دونه منزلة وعلواً ، فهكذا يبلغ الضلال والسفه بالضالين السفهاء والسفلة الجهلاء .

٢٤- (فقال أنا ربكم الاعلى)

بيان لما دعا فرعون قومه إليه بعد أن جمعهم تجاه مادعاه إليه موسى عليه السلام رداً عليه ومنع الناس عن قبول ما يدعوهم إليه موسى عليه السلام .

٢٥- (فأخذه الله نكال الآخرة والاولى)

تقرير لما انتهى إليه مآل أمر فرعون فى الدنيا والاخرة ، من هزيمته وخزيه وفضح ربوبيته على أعين الناس . . .ثم لم يقف الامر عند هذا بل أخذه الله تعالى بالعذاب فى الاخرة ، بأن أعدّ له أسوأ مكان فى جهنم كما أخذه بالعذاب فى الدنيا بأن أماته شرّ ميتة بأن أهلكه غرقاً ثم ألقى جثته المتعفنة على الشاطىء ، و قد عافت حيوانات البر أن تطعم منها ، بل ظلت هكذا عبرة و عظة فى هذا الرب المتعفن الذى يزكم الانوف ريحه النتن ، و قدّم نكال الاخرة على نكال الاولى لان عذاب الآخرة أشد وأقسى لايكاد ما لقاه فرعون فى الدنيا يعدّ شيئاً بالنسبة سيلقاه لما فى الاخرة .

فالأخذ كناية عن التعذيب ، و إضافة النكال إلى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما لا باعتبار أن ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فان ذلك لايتصور فى الاخرة بل فى الدنيا، فان العقوبة الاخروية تنكل من سمعها وتمنعها من تعاطى من يؤدى إليها لامحالة ، فالاضافة من إضافة المسبب إلى السبب .

٢٦- (ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى)

ختام قصة جاء على طريق المستأنف البيانى التعليلى، فكأنه قيل : لما ذا جائت تلك القصة ؟ فقيل : لان فيها لعبرة وموعظة لمن يخشى العواقب ...

وفى تعليق الاعتبار على الخشية إشعار بعليتها له ، فلولاها فلاعبرة، ففى القصة عبرة وعظة لمن كان له عقل يرى بهمصير أهل السوء والضلال ، أهل الكفر و العناد ، و أهل الفسق والفساد ، و يميّز به الحق من الباطل ، و الكمال من الانحطاط ، والسعادة من الشقاء ، والخير من الشر ...

٢٧- (ء أنتم اشد خلقاً ام السماء بناها)

خطاب توبيخى و إلتفات إلى السامعين الذين كانوا ينكرون البعث بناء على صعوبته فى زعمهم على طريق السؤال المستنكر المندد عما إذاكانوايرون

خلقهم أشق و أصعب على الله تعالى من الا كوان التى خلقها ، فهو الذى خلق السماء وأعلى سقفها وضبط نواميسها بعد ما بيّن كمال سهولته بالنسبة إلى قدرة الله تعالى بقوله : « فانما هى زجرة واحدة »

وفى الكلام تنبيه على أمر معلوم بالمشاهد ، وتصوير للامر المعقول وهو الابداع والاختراع بالامر المحسوس وهو البناء ، و هو أن خلق السماء أعظم و أبلغ فى القدرة ، و إذا كان الله جل وعلا قادراً على ايجاد هذا العالم الشاسع يكون قادرا على خلق العالم الضئيل ، فيتضمن الكلام الجواب عن إستبعادهم البعث بقولهم: « إنا لمردودون فى الحافرة ءإذا كنا عظاماً نخرة » بان الله عزوجل خلق ما هو أشد منكم خلقاً فهو على خلقكم وإحياءكم بعد موتكم لقدير .

مع تضمنه أيضاً الاشارة إلى الحجة على وقوع البعث حيث يذكر التدبير العام العالمى وإرتباطه بالعالم الانسانى ولازمه ربوبية الله جل وعلا ولازم الربوبية صحة النبوة وجعل التكاليف ، ولازم ذلك الجزاء الذى موطنه البعث والحشر ، و لذا فرّع عليه حديث البعث بقوله : «فاذا جاءت الطامة الكبرى » ...

وفيه تفريع وتحذير لمنكرى البعث خاطبهم بعد ما قدّم ما أتى به موسى عليه السلام وما قابله به فرعون وما عوقب به فى الدارين .

و ان الاية الكريمة و تاليها تنطوى الجواب على السؤال ، بأن الله تعالى هو الذى خلق السموات والارض وأودع فيها النواميس اللازمة والتى تفوق فى العظمة خلق الناس أهون عليه أن يخلق الناس ثانية بطبيعة الحال ، مع أنها قد جاءت فى صدد تو كيد البعث والتدليل على قدرة الله تعالى عليه ، وهى و الحالة هذه متصلة بالسياق السابق على قصة رسالة موسى عليه السلام إلى فرعون و تكون الاشارة التذكيرية إلى هذه القصة قد جاءت استطراداً مما هو مألوف فى النظم القرآنى ، لتلقى المشركين والمنكرين فى طوال الاعصار ، بقوة الله جل وعلا ، وليراهم كيف تجليات هذه القدرة ؟ و كيف آثارها ؟ وانهم ليسوا أرباباً كما ظن

فرعون في نفسه انه رب ورب أعلى .

وقوله تعالى : « بناها» بيان و تفصيل لكيفية خلق السموات ، و في عدم ذكر الفاعل فيه ، و فيما يعطف عليه من الافعال لتعينه و تفخيم شأنه و كمال الوضوح بحيث لايحتاج إلى ذكره .

٢٨ـ (رفع سمكها فسواها)

بيان لهيئة البناء بالامتداد القائم على كل من إمتدادى الطول و العرض ، فاذا اعتبر من السفل إلى العلو يسمى سمكاً ، و إذا اعتبر بالعكس يسمى عمقاً . فالله تعالى أقام السماء على هذا النظام البديع ، وترتيب أجزائها وتركيبها بوضع كل جزء في موضعه الذى تقتضيه الحكمة الالهية ، وما تتزين به من كواكب ونجوم ...

٢٩ـ (واغطش ليلها واخرج ضحيها)

فى إضافة الليل والضحى إلى ضمير السماء لدوران حدوثهما على حركتها أوبواسطة الشمس ، فالسبب الاصلى لهما سماوى ، وهو ظهور الأجرام المظلمة بشروق الانوار السماوية كنور الشمس وغيره وخفائها بالاستتار، ولايختص الليل و النهار بالارض التى نعيش على وجهها بل يعمان سائر الاجرام المظلمة المستنيرة

و قيل : فى إضافة الليل إلى السماء إشارة إلى أن الليل انما يرى كوناً معتماً مطبقاً على الارض فهو ليل السماء التى اطفىء سراجها وهو الشمس .

فالله جل وعلا هو الذى أخرج ضحى هذه السماء وأضاء سراجها وأوقده بعد أن أخرجه من عالم الظلام .

وقيل : انما أضاف الليل والنهار إلى السماء لانهما بسبب غروب الشمس و طلوعها الحادثين بسبب حركة الفلك .

وقيل : أضاف الليل إلى السماء لان الليل يكون بغروب الشمس، والشمس مضاف إلى السماء . ويقال : نجوم الليل لان ظهورها بالليل .

قيل : وإن تسئل: كيف أضاف الله تعالى الليل إلى السماء بقوله :« وأغطش ليلها » مع أن الليل إنما يكون فيالارض لافيالسماء ؟ .

تجيب: إنما أضافه إليها لانه أول ما يظهر عند غروب الشمس إنما يظهر من افق السماء من موضع الغروب ، وأما قوله تعالى : « وأخرج ضحاها»فالمراد به ضوء الشمس بدليلقوله تعالى : « والشمس و ضحاها » أى وضوئها ، فلاإشكال فيإضافته إليها .

وقيل : « وضحاها » كناية عن ضوء النهار .

وقيل : فيالاشارة إلى الضحى من بينأوقات النهارإلفات إلى الوقتالذى يمتد فيه نورالشمس ، فيغمرالآفاق كلها ، وهوما يسمى رائعة النهار .

وقيل : فيالتعبير بالضحى عن النهارلان الضحى أكمل أجزائه في النور والضوء ، و لانه أشرف أوقاته و أطيبها ، و فيه من إنتعاش الارواح ما ليس في سائرها .

٣٠- (والارض بعد ذلك دحاها)

بيان لاصلاح الارض بعد الخلق ، ففي الاية الكريمة دلالة على أن خلق السماءكان بعد خلقالارض بأن الله تعالىخلق الارض غيرممهدة للسكنىوالسير ثم خلق السموات ثم بسط الارض ومهّدها .

٣١- (أخرج منها ماء هاومرعاها)

بيان للتمهيد بمالابدمنه فيتأتيسكنى الارض من أمرالمآ كلوالمشارب وإمكانالسيروالقرارعليها. وإطلاق المرعى علىماترعى النعم من الشجر والعشب، وما يأكله الناس منالقوات والثمارإستعارة . فدلّ بشيئين على جميعماأخرجه منالارض قوتاً ومتاعاً للأنام إطلاقاً من العشب والشجر والحب والتمر والعصف و الحطب واللباس والنار والملح لان النار من العيدان و الملح من الماء لقوله تعالى : « متاعاً لكم ولانعامكم » .

فتجريد الجملة عن العاطف لانها بيان وتفسير لدحو الارض وتكملة له ، فان السكنى لاتتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لابد من تسوية أمر المعاش من المآكل والمشارب حتماً .

٣٢ـ (والجبال أرساها)

بيان لما تمسك به الارض من الجبال ، وتحفظ بها توازن الارض وثباتها ، و ما ادخر فيها المياه والمعادن . . .

٣٣ـ (متاعاً لكم ولانعامكم)

بيان حكمة لما تقدم ، وفى إضافة الانعام إلى ضمير الخطاب للانسان دلالة على أن الانسان هو الغرض الأصيل .

قيل . وفى الاية الكريمة إشارة إلى أن الناس والانعام سواء فى هذا الرزق الذى أخرجه الله تعالى من الارض ، وان العقل الذى امتاز به الناس على سائر الحيوان ليس هو الذى يفيض عليهم هذا الرزق ، وإنما هو فضل من فضل الله تعالى ، ورزق من رزقه ، فانهم يرزقون من فضل الله تعالى كما ترزق الانعام سواء بسواء .

٣٤ـ (فاذا جاءت الطامة الكبرى)

شروع ببيان أحوال المعاد إثر بيان أحوال المعاش . و ان الطامة كناية عن يوم القيامة ، سميت بها لانها تطم على كل شىء ، فتعم ما سواها لعظم هولها أى تغلبه و تغمره فان اصل الطم : الدفن والغلب . فكل ما غلب شيئاً وقهره و أخفاه فقد طمه . فيوم القيامة داهية عظمى تعلو وتغلب كل داهية هائلة لاتدفع .

ووصف يوم القيامة بالطامة الكبرى متناسب مع حقيقتها و خطورتها ، مع الانذار بمجيئها وما يكون فيها كما أن فى وصف الطامة بالكبرى دلالة على غاية الفظاعة ونهايتها الشدة وعظيم البلاء على أهل الكفر والفساد ، على أصحاب البغى والضلال ، على أهل الجرم والطغيان ، وعلى أهل اللجاج والعناد . . .

ولعل فى تصدير الجملة بفاء التفريع إشارة إلى أن مضمونها أعنى مجيىء

يوم القيامة من لوازم خلق السماء والارض : وجعل التدبير الجارى فيهما المترتبة على ذلك ، أو دلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبيء عنه لفظ المتاع .

٣٥- (يوم يتذكر الانسان ما سعى)

وصف ليوم القيامة ، فحينما تجييء يتذكر كل امرىء ماقدمت يداه من أعمال ليؤدى عليها الحساب ، فاليوم ظرف لمجييء الطامة الكبرى ولماينكشف على الانسان ما فعل به في الحياة الدنيا .

٣٦- (وبرزت الجحيم لمن يرى)

وصف آخر ليوم القيامة ، وفى ايثار الفعل « برزت » بصيغة الماضى دلالة على خلق الجحيم قبل يوم القيامة ، وانما تظهر يومئذ ظهوراً بكشف الغطاء عنها .

وقيل : وهذا مثل فى الامر المنكشف الذى لايخفى على أحد ، فعلى هذا يكون إستعارة ولايجب أن يراها كل أحد لان الاخبار إنما وقع عن كونها بحيث لاتخفى على ذى بصر لاعن وقوع البصر .

٣٧- (فأما من طغى)

شروع بتقسيم الناس فى الحياة الدنيا على طائفتين : طائفة كافرة طاغية ، وطائفة مؤمنة خاضعة، مع الاشارة إلى إختلاف مآل أمرهم فى الآخرة : من النار وعذابها ، والجنة ونعيمها لاختلاف مواقفهم فى الدعوة السماوية فى الدنيا .

قيل : فى الاية الكريمة إشارة إلى فساد القوى النظرية ، فان من عرف الله تعالى بالكمال عرف نفسه بالنقصان ، فلم يصدر عنه الطغيان .

٣٨- (وآثر الحياة الدنيا)

فى عطف ايثار الحياة الدنيا على الطغيان قرينة على أن المندد به ليس الاستمتاع بطيبات الحياة إطلاقاً ،وإنما هو الاستغراق فيها إستغراقاً يجعل المرء لايحسب حساب الاخرة ويطغى فى الارض . ففيه إشارة إلى أهم أسباب الطغيان ،

وهو إختيار الحياة الدنيا و رفض الاخرة باتباع هوى النفس فيما تريده وطاعتها فيما تهواه ومخالفته تعالى فيما يشاء .

وقيل : في الاية الكريمة رمز إلى إختلال القوة العملية ، فان حب الدنيا رأس كل خطيئة .

٣٩ـ (فان الجحيم هي المأوى)

تقرير لنتيجة الطغيان و تقديم الدنيا على الآخرة باتباع هوى النفس ، و مآل أمره .

وقدّم أصحاب الجحيم مع صفتي الطغيان وايثار الحياة الدنيا على أصحاب الجنة مع صفتي الخوف ونهي النفس عن الهوى لان وجه الكلام إلى المشركين ولان الخوف مقدم على الرجاء والانذار مقدم على البشارة . وان الله تعالى لم يصف أصحاب الجحيم باتباعهم هوى النفس كما يصف أصحاب الجنة بالنهي عن إتباع الهوى ، فان الطغيان لايكون عن إتباع الهوى .

٤٠ـ (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى)

بيان لما عليه طائفة آخرون الذين يستشعرون بخوف الله تعالى، ويحسبون حساب الاخرة ، ويزجرون أنفسهم عن اتباع الهوى والباطل ، ويسيرون في سبيل الله تعالى والحق .

في قوله تعالى : « ونهى النفس عن الهوى » إشارة إلى أن لاهواء النفس سلطاناً قاهراً ، وانه إذا لم يقم الانسان على نفسه ناهياً ينهاها وزاجراً يزجرها عن إتباع هواها كلما دعتها دواعيه ـ إنقاد لهذا الهوى الذي يغلبه على أمره و يطرحه في مطارح الضلال والدمار والهلاك .

وفي الجملة دلالة على الخوف وحده لايثمر إلاّ بنهي النفس عن الهوى .

وتعبير « ونهى النفس عن الهوى » تعبير قوي نافذ في صدد إجتناب الآلام والموبقات والشهوات من حيث تصوير كون أهم ما يورط المرء في ذلك هو إتباع

هوى النفس دون وازع ولازاجر ، وفى هذا تلقين جليل مستمرالمدى .و إضافة « مقام » إلى الرب تنبيء عن شئون التربية من الرحمة والغضب .

٤١- (فان الجنة هى الماوى)

إشارة إلىمآل طائفة مؤمنة منالجنة ونعيمها . وفى التقابل بينالطائفتين صفة ومآلاً مالايخفى ،وذلك ان الخوفهوتأثرالضعيف المقهورمن القوىالقاهر. فيخشع و يخضع لديه ، فينهى نفسه عما تشتهيه نفسه من متاع الحياة الدنيا و زخرفها ، وان الطغيان هو عدم التأثر فيتعدى الطاغى ، و يخرج نفسه عن زى العبودية ، فلايخشع ولايخضع ، فيختارما تهواه نفسه من زينة الحياة الدنيا .

٢٢- (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها)

حكاية لسئوال الكفارللنبى ﷺ عن موعد قيام الساعة عناداً وإستهزاء . و يطلبون منه ﷺ أن يعجل بها كما يدل عليه قوله تعالى : « يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها » وفى ايثارالسئوال بصيغة المضارع دلالة على إستمرار السئوال حتى بعدالرسول ﷺ إلى يوم البعث، وإن كانالخطابموجهاً إلىرسول الله ﷺ و كان المشركون يراجعونه ﷺ بعد أن سمعوا حديث القيامة ، فيسئلونه عن وقتها وعلائمها و كيفيتها مصرين على ذلك .

« أيان مرساها » المرسى مصدر ميمى بمعنى الاثبات والاقرار ، والجملة تقرير للسئوال . و فيها إشارة إلى أن الحياة الدنيا أشبه بسفينة أقلعت بالناس ، آخذة مسيرتها بهم علىأمواج الزمن حتى تلقى بهم على الشاطىء الاخر،المقابل للشاطىء الذى أقلعت منه سفينتهم، فكأنهم يقولون ، متى ترسوبنا سفينةالحياة على مرفأ هذا اليوم الموعود ؟ وهم يسئلون سئوال المنكر المستهزىء .

٤٣- (فيم انت من ذكراها)

إستفهام إنكارى ، تنديد بسئوالهم الذى يوردونه من قبيل التحدى والاستخفاف .

٤٤- (الى ربك منتهاها)

جواب لما قبلها وتقرير بان موعد الساعة عندالله تعالى وفي علمه .

٤٥- (انما انت منذر من يخشاها)

خطاب للنبي الكريم ﷺ ، وتقرير لما قبله من قوله تعالى : « فيم أنت من ذكراها » وتحقيق لما هو المراد منه ،وبيان لمهمته ﷺ بان قصارى شأنك انك منذر بالساعة لينتفع بذلك من كان يستشعر بالخوف من أهوالها ، ويريد أن يتحاشا أسبابه بالايمان وصالح الاعمال . . .

والمعنى : ما كلفناك إلا بانذار من يخشى الساعة دون الاخبار بوقت قيام الساعة حتى تجيبهم عن وقتها إذا سئلوك عنه ، فالقصر قصر إفراد بقصر شأنه في الانذار، وتنفى عنه العلم بالوقت وتعيينه لمن يسئل عنه . و خصّ الانذار بأهل الخشية لانهم المنتفعون بذلك ، وإن كان منذراً لكل مكلف .

٤٦- (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الاعشية أوضحاها)

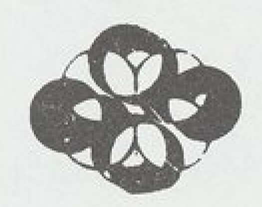
تقرير و تأكيد لما ينبيء عنه الانذار من سرعة مجييء المنذر به ، وبيان لقرب الساعة بحسب التمثيل والتشبيه بأن قرب الساعة من حياتهم الدنيا بحيث مثلهم حين يرونها مثلهم لو لبثوا بعد حياتهم في الارض عشية أو ضحى تلك العشية أى وقتاً نسبته إلى نهار واحد نسبة العشية إلى ما قبلها منه أو نسبة الضحى إلى ماقبله منه . فهم سيرون الساعة حتماً ، وفي برهة أقرب بكثير مما يظنون ، و انهم حينما يرونها سيظنون من شدة هذا الامر انه ما بينها و بين موتهم إلا مساء أو صباح . ففي الآية الكريمة إخبار بأنهم حين يرون الساعة يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا حتى كأنها لم تبلغ يوماً كاملاً .

و قيل : ردّ لما أدمجوه في سؤالهم ، فانهم كانوا يسئلون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها ، وإن كان على نهج الاستهزاء بها ، ويقولون : « متى هذا الوعد إن كنتم صادقين » فعلى الاول معناه كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد

الانذار بها إلا عشية يوم واحد أوضحاه ، فلما ترك اليوم اضيف ضحاه إلى عشيته . وعلى الثانى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها إلا عشية أوضحاها .

وقيل : فائدة الترديد : ان زمان المحنة يعبر عنه بالعشية ، وزمان الراحة يعبّر عنه بالضحى ، فكأنه قيل : ماكان عمرنا فى الدنيا إلا هاتين الساعتين .

وقيل :كان مبدأ اليوم بليلته قبل الاسلام فى أكثر الاديان من نصف النهار . وقد صار فى الاسلام من أول الفجر ، فكأنهم حين أرادوا التعبير عن بعض اليوم قالوا : إن كان المبدأ من نصف النهار فنحن لم نلبث إلا عشية وهو ما بعد الزوال إلى الغروب ، وإن كان المبدأ من أول الفجر فلم نلبث إلا من الفجر إلى الضحى ، فلعل هذا هو السرّ فى تقديم العشية على الضحى مع رعاية الفواصل . . .



﴿الاعجاز﴾

نحن نكتفي في المقام بوجه من وجوه إعجاز هذه السورة أشارت إليه على سبيل الاجمال حسب مقتضى الحال لما فيه من الاعتبار لمن تدبر واتعظ من قصة موسى عليه السلام ورسالته إلى فرعون مصر طاغي الزمان، ورده دعوته عليه السلام إلى أن أخذه الله القادر المتعال نكال الاخرة والاولى، ان في ذلك لعبرة لمن يخشى، وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى.

ومن البديهي ان كل فنّ من الفنون الجميلة لابد أن يضمّ في كيانه قدراً من المعطيات المحجبة وراء ظلاله و المختفية خلف ستوره! فهكذا شأن الفن دائماً .. لاتجييء معطياته كلها متجردة عارية تنالها كل عين، ويستولي عليها كل نظر ..! ان للفن حرماً لايغشاه إلاّ أهله في جلال ورفق وحساب .. فانه و إن أباح للناس جميعاً أن ينظروا فيه ويأخذوا منه إلاّ انه - مع ذلك - يحتفظ لنفسه بقدر ما من روائع أسراره و ذخائر مكنونه لايطلع عليها أحداً إلاّ بحساب و تقدير .. قطرة قطرة، وحالاً حالاً ...

و من هنا كتب للفنون الحياة، و الخلود الحي المتجدد الذي يطلع على الناس كل يوم بوجه جديد، و بموحيات جديدة و خير جديد! هذا الجانب المتخفي من العمل الفني هو في الواقع منطقة رمزية تنطلق منها رموز وإشارات، وهي كلمة السرّ بين الفن وأهله، يعرفون مدلولها، ويترجمون منطوقها، أما عند غيرهم فهي شيء لاشيء وراءه !!!

و القرآن الكريم ـ بهذا المفهوم ـ هو فى القمة التى لايبلغها فن من الفنون ولايدانيه فيها عمل من الاعمال ... على أن مفهوم كلمة : «الأدب الرمزى» أو العمل الرمزى فى الفنون عامة لايراد به هذا المفهوم الذى هو خط مشاع بين الفنون كلها ، وجانب قائم فى كل عمل منها ... وإنما يراد «بالرمز» أن يكون العمل الفنى كله « رمزاً » بمعنى أنه يقوم من أول أمره على هذا الوجه الظاهر الذى يراه الناس عليه ، وهو غير مراد ، وانما المراد منه هو مايكمن وراء هذا الوجه من حقائق ...

وإذا نظرنا فى القصص القرآنية من مجملاتها ومفصلاتها لم نجد فيها رمزاً معروفاً يقوم على ضرب من الخداع التى يضل معها العقل ، وتتوه فيها قوافله... ان القرآن الكريم ـ كما قلنا ـ هو فى هذا الفن الذى فهمناه للفن الرفيع من حيث إنطوائه على معان لاتنتهى وراء الدلالات اللفظية التى تكشف عنها النظرة الاولى .

وقد قلنا: ان هذه المعانى المختفية ، والتى تنكشف حالاً بعد حال ليست من الرموز المعروفة بين الناس التى لاتخلو من خداع ، والمقصود بكلمة رمز! إذ ليس فى القرآن الكريم كله شىء من هذا الخداع الذهنى أو اللفظى على مايعرف فى الكنايات والتوريات بين عامة الناس أو أكثرهم ...

و ذلك ان القرآن الكريم من روعة النظم و دقة الأداء فى غنى عن إصطناع هذه الأساليب و الاستعانة بهذه الألوان ، فانها على أىّ حال ، و فى أحسن وضع لاتعدو أن تكون صنعة يراد بها تجميل اللفظ أو تمكين المعنى .. و ان القرآن فى غنى عن كل مجلوب بزين اللفظ أو يمكن للمعنى إذ ليس وراء حسن ألفاظه حسن ولابعد سطوة معانيه و روعتها و دقتها سطوة أو روعة أو دقة .

و شأن القصص القرآنية هو شأن القرآن كله فى هذا . . فليست فيه تلك

الصورة الرمزية التى تخرج بها القصة فى واد ، والمعنى المراد منها فى واد بعيد تتقطع دونه الأعناق !

و من المسلم به ان وراء كل قصة ساقها القرآن الكريم هدفاً تومىء إليه أحداث القصة .. تذكر به وتدعو الناس إليه ، وهو هدف تصل بينه و بين أحداث القصة أمارات دالة وإشارات مضيئة . .. دون أن يكون هناك مناطق مظلمة أو مطبات تزل فيها الاقدام ، وتتعثر الخطا و ان القصص القرآنية أقرب الموارد لتحقيق هذه الغاية ... حيث تمثل القصة صورة متكاملة من النظم كما انها تكشف فى يسر وسهولة عن علوّ البلاغة القرآنية وإقتدارها على تصريف الاحداث وامتلاك زمامها وتحريكها حسب مقتضيات الحال والمقام .

وان قصة القرآن الكريم أفضل وسيلة للتربية و التهذيب . فعن طريق العرض القصصى لحوادث القصة و أشخاصها تتفتح أشواق النفس إلى متابعة هذا العرض ، وإلى المشاركة الوجدانية فى مواقف القصة وأحداثها ومآزقها ، حتى لكأن القارىء أو المستمع أو المشاهد جزء منها ، و واحد من أشخاصها يأخذ الموقف الذى يرتضيه لنفسه من بين مواقفها ، و يعيش مع كل حدث من أحداثها ...

ولاتنتهى القصة حتى يكون المستمع لها أو القارىء أو المشاهد ـ قد عاش فى تجربة نفسية ، و قطع مرحلة تطول أو تقصر حسب طول القصة و قصرها ـ مرحلة تترك فى النفس آثاراً وجدانية ونفسية و روحية أشبه بهذه الآثار التى يتركها الصوت على صفحة لوح التسجيل.. بعضها عميق وبعضها قليل الغور حسب قوة الاحساس و ضعفه ، و تبعاً لما يبلغ التأثير من نفس القارىء أو المستمع أو المشاهد .

ولاتبلغ القصة مبلغاً من النفس ، ولاتصل أحداثها و مؤثراتها إلى مشاعر الانسان إلاّ إذا احكمت مشاهدها، وجرت على أحكام العقل والمنطق، وتجاوبت

مع واقع الناس والحياة .. وإلاّ كانت خرافة ـ إن جنح بها الخيال وحلقت فى عوالم لايعيش فيها الناس أوكانت غثة باردة ـ إن هى ألمّت بالامور التافهة التى لايلتفت إليها أحد، ولايعلق بها نظر!

والقصة الناجحة هى التى ينتزع موضوعها من أحداث الحياة أو مايمكن أن يكون من أحداث الحياة .. . ثم يجرى أشخاصها فى هذا المجال ، و يوضع كل واحد فى المكان المناسب له .

و لسنا نريد هنا أن نجعل القصة موضوع هذا البحث ، فان الحديث عن القصة وما يجب أن يتوفر لها من عناصر النجاح يتطلب بحثاً خاصاً مستقلاً ليس هنا موضعه ولا من غايتنا الوقوف طويلاً عنده ، و إنما تلك إشارة مجملة تشير إلى القصة من أثر فى التربية و التهذيب ، و انها من هذه الناحية أداة قوية من أدوات التربية والاصلاح فى يدالمصلحين والمربين .

وان القرآن الكريم ـ هو مدرسةأهل التقوى واليقين ، وجامعةالمجتمع الاسلامى فى كل وقت ومكان إلى يوم البعث ـ لم يغفل عن شأن القصة: فهويعتمد عليها فى كثير من المواقف لتكون وسيلة من وسائله الفعالة فى تقرير الحقائق وتثبيتها فى النفوس ، وفى الكشف عن مواطن العظة والعبرة فيها ، و هو يقص فى هذه السورة قصة موسى عليه السلام و فرعون مصر طاغى الزمان ويقول حثاً على إستماعها: «هل أتاك حديث موسى ـ ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى» : ١٥ـ٢٦)

وقصص القرآن الكريم قصص جاد مساق للعبرة والموعظة، ليس فيها مجال اللهو أو التسلية فقط كما قد يزعم من ليس له تدبّر فى القرآن الكريم ، و ليس فى مواقف القصص مايثير شيئاً من الغرائز الخسيسة التى كثيراً ما تكون مقصداً أصيلاً من مقاصد القصة عند كثير من كتاب القصص الذين يجذبون القراء إليهم بهذا التملق الرخيص للغرائز الدنيا التى تعيش فى كيان الناس، و تترقب الفرص السانحة التى تستدعيها وتفك قيودها ...

وعناصر القوة فى القصص القرآنية مستمدة من واقعية الموضوع وصدقه، ودقة عرضه والعناية بابراز الاحداث ذات الشأن فى موضوع القصة دون التعرض للجزئيات التى يشير إليها واقع الحال، و تدل عليها دلالات ما قبلها و ما بعدها من صور ...

وذلك ممايشوق القارىء، ويوقظه ويفرض عليه مشاركة فعلية فى تكملة أجزاء القصة، وإستحضار ماغاب من أحداثها، وهذا مايجعله يندمج فى القصة، و يعيش فى أحداثها ومن ثم يتأثر بها، بما فيها من عبر و عظات . . . فاعتبروا ياأولى الابصار ...

وخاصة السلاطين والامراء، وأصحاب القدر والقوى، والعدد والعدد . . كيف أخذ الله جل وعلا فرعون مصر نكال الاخرة و الاولى، فلا تغرنكم الحياة الدنيا و زخارفها... ولعمرى انكم لستم بخير منه إذا قلتم بقوله، أو فعلتم فعله، وانتار أينا بأعيننا فى زماننا هذا كيف أخذ الله تعالى السلطان الطاغى و أذنابه مع عددهم وعددهم و جاء بآخرين، فعلى الاخرين الاعتبار بالسابقين لو كانوا ذوى بصائر . . . فلا يغرنكم أيها الاخرون الاقبال إذ فى دبره إدبار، فعليكم باصلاح الادبار فى الاقبال بالعدل بين الناس عملاً لا ادعاءاً و شعاراً و الآ كان فرعون مصر يدعى العدل بين رعيته و كان العدل شعاره ... وفى القصص القرآنية يلتقى الانسان مع أقوى دوافعه و عواطفه التى و لدت فى ضباب طفولته و التى نضجت على الزمن فى صراعه الطويل مع الحياة ... ومن هذه الدوافع والعواطف يقاد الانسان ويؤخذ بناصيته إلى الغايات التى تدعوه إليها القصة وتسوقه ونحوها، فالقصة كانت ولا تزال مدخلاً طبيعياً يدخل منه أصحاب الرسالات و الدعوات و الهداة والقادة إلى الناس و إلى عقولهم و قلوبهم ليلقوا فيها بما يريدونهم عليه، من آراء ومعتقدات وأعمال ... ولعل عصرنا هذا هو خير شاهد على ماللقصة من سلطان فى الحياة، و من أثر فى تغيير أوضاعها و تلوين و جوهها السياسية و

الاجتماعية والاقتصادية ، إذهى أقوى جهازمن أجهزة التأثير في قيادة الجماعات البشرية فى الحرب والسلم على السواء .

لقد أصبحت الفنون كلها اليوم من وراء القصة .. فالغناء والتمثيل والرسم والتصوير ... كلها تتبع القصة، وتعمل على تجسيد كلماتها وتشخيصها و تلوينها وتنغيمها حتى ينتظم من هذه الكلمات موكب حافل من مواكب الحياة فى جدّها وهزلها ، وفى خيرها وشرها وفى نعيمها وبؤسها .. وبهذا كان للقصة على الناس هذا السلطان الذى تجتمع ليده قوى الفنون كلها ، ومالها على الناس من تسلط وسلطان !!

من أجل هذا كانت القصة فى القرآن الكريم ركيزة قوية من ركائز الدعوة الاسلامية القائمة على الاقناع العقلى والاطمئنان القلبى بما تدعو إليه من الايمان بالله جل وعلا ورسله و كتبه واليوم الآخر ، وبما تحمل من مثل فى مجال الجهاد والكفاح والبذل والتضحية والفداء فى سبيل الدعوة إلى الحق ،والتوجيه إلى الخير والهدى، والتنكر للباطل والضلال ، والصمود فى وجه الظلم والطغيان

و هذه الدراسة التى نريد لقاء القصص القرآنى بها ، إنما هى محاولة للكشف عن اسلوب من أساليب القرآن فى تبليغ الرسالة السماوية ، و فى لفت العقول و القلوب إليها لفتاً يأخذ عليها السبيل إلى المصاولة و المقاولة ، و إلى المراء والمهاترة إذيراها الحق مشرقاً مشرقاً عليها ، لاتملك معه إلاّ التسليم به، والاذعان له مالم يستبد بها الحمق والنزق . ومالم تأخذها العزة بالاثم ، فتغمض عينيها وتصم أذنيها وتلوذ بالفرار والهرب !

فالقصص هو أحد الأساليب التى حملها القرآن الكريم ليحاج بها الناس. و ليقطعهم عن الجدل و المماحكة ، شأنه فى هذا شأن ما جاء فى هذا الكتاب السماوى من أساليب الاستدلال والمناظرة والتعجيز والوعد و الوعيد و التهديد والمبانى والمعانى ، وغيرها من المشاهد والمواقف المبثوثة فى القرآن الكريم

كله ، من قصار السور إلى طوالها ... لانتالن نجد سورة ـ مهماقصرت ـ تخلومن مشهد أو موقف يمهد للدعوة الاسلامية ، و يضع معلماً أو معالم للهدى إليها و التبصرة بها فى منطق محكم وحجة دامغة وبيان معجز مفحم .

ولكن كيف نلتقى بالقصة القرآنية ؟ و من أى جانب ننظر إليها ؟ و بأىّ مقاييس نقيسها ؟

إنما القصص القرآنية نهج وحده فى موضوعه و فى أسلوب أدائه ، و فى مقاصد وغاياته... فهو فى موضوعه نسيج من الصدق الخالص ، وعصارة من الحقيقة المصفّاة لاتشوبه شائبة من وهم أو خيال ! انه يبنى من لبنات الواقع بلا تزويق ولاتمويه ، و هذا هو الواقع لايتغير وجهه حين يعرض هذا العرض المعجز فى ذلك الاسلوب القرآنى الرائع .. فالاعجاز والروعة إنما يتجليان فى صدق الأداء، وفى نقل الواقع وما تلبس بهمن سرائر النفوس ، وخلجات الصدور ...

وانه ليس النقل « الفتو غرافى» الذى يقف عند « السطح» ولايتجاوز شيئاً مما ورائه من أبعاد وأعماق ... بل هو نقل حىّ للأحداث ، حتى لكأنها تتجسد فى الزمان والمكان اللذين حملاها، فتظهر و كأنها فى ساعة ميلادها ، لايختلف يومها عن أمسها ، ولا يفقد من يشهدها اليوم شيئاً مما شهده منها الشاهدون بالأمس ... من صور وأشكال . ومن مشاعر وأحاسيس ... وهذا هو الاعجاز الذى نشهده فى كلمات القرآن . . . و هو أيضاً الروعة التى تطلع علينا من عبقريات الفن وآياته ...

وهنا أمر ينبغى أن نلتفت إليه ... وهو التفرقة بين الواقع فى ذاته، وبين نقله مصوراً فى كلمات ، أو فى عمل من أعمال الرسم ، أو النحت أو الموسيقى ، إذ ليس الاعجاب الذى يستولى علينا، والروعة التى تأسر ألبابنا ، وتملك مشاعرنا من آيات هذه الفنون ـ ليس ذلك لمجرد الدقة فى المحاكاة ، والصدق فى النقل عن الواقع بقدر ماهو كشف عما يكمن وراء القشرة السطحية للأشياء ، والتصريح

بمكنونها الذى لاينكشف إلاّ لنظر الفنان : ولايدلى بأسراره إلاّ إليه .

فالزهرة فى الطبيعة هى فى مرأى العين.زهرة : حمراء أو بيضاءأوصفراء.. لها ريح طيب نفاذ أو غير نفاذ ، فهى فى مجال النظر و الشم ، نبتة ذات لون و ريح ... ولكنها فى مجال الشعور و الوجدان ، وفى مجلى الخاطر و البصيرة ، كائن حىّ يحدّق بأحداق ، و يحدث بلسان و يبسم بفم ، فهى ترضى و تسخط و تبسم و تعبس و تمنع . . . إلى غير ذلك مما يكون للكائن الحىّ ذى العاطفة و الشعور !

والفن إذ ينقل هذه الزهرة فى عمل فنى بأية أداة من أدواته التى تحملها يدفنان صناع - لاينقل هذه الزهرة مجرد نقل « فتو غرافى » يتناول السطح و لايجاوزه إلى الأعماق ، و إنما ينقل الزهرة محملة بهذه الرؤى التى انكشفت لبصيرته وتجلت لخاطره و وقعت لسمعه وبصره وقلبه .

و ان كلمات القرآن الكريم و حدها - دون سائر الكلام - هى القادرة قدرة مطلقة على أن تحمل الحق كله و تضمه إليها لأنها هى ذاتها حق مطلق ، لايتلبس بها إلاّ الحق ولايحمل عليها إلاّ ماهو حق وحق مطلق ! و إذن فنحن فى مواجهة القصص القرآنيةوفى لقاء الاحداث التى يعرضها - إنما نشهدالواقع فى أروع ماتراه عين ، أو تكشفه بصيرة ! ، وإذن - مرة اخرى - فليست القصص القرآنية إلاّ القرآن الكريم فى صدقه المطلق ، فى كل لمحة منه ، و فى كل إشارة له من بعيد أو قريب.. إن لحمته وسداه ،هو الحق الذى : « لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد» .

هذا وقد انخدع بعض الدارسين المحدثين بكلمة « القصص» التى جعلها القرآن الكريم عنواناً دالاً على ماذكر فيه من سير الاولين وأخبار الغابرين- فوقع لفهم هؤلاء انهم قد يكونون فى المجتهدين - فى الاسلام - أو المجددين فى الأدب إذاهم أخذوا القصص القرآنية بمعايير القصص الادبية بما فيها من

تلفيقات الوهم و الخيال . . ثم جرّهم هذا أو جرأهم على القول بأن القصص القرآنية ليست كلها حقاً وصدقاً ، إذ ليس الحق والصدق من مقاصدها . . وانما هي مسوقة لاثارة الفنية التي تجيىء من ورائها العبرة والعظة ، وانه لاإثارة للفن إذا التزم حدود الحق والصدق .. إذ ان الفن في صميمه حرية و لاحرية مع إلزام و إلتزام !

ولقد اندفع أصحاب هذا الرأى إلى أبعد من هذا ، فقايسوا بين الله جل و علا وبين الانسان ، فما الله تعالى ـ في حسابهم هنا ـ إلاّ فنان ينزل على حكم الضرورة والقصور ، فيسوّي قصصه على نحو مايسوى الفنانون قصصهم.. من مزجها الحقيقة بالخيال ، و الواقع بالوهم و المحال ، و تلك المقولات فوق أنها عدوان على الحق في جانب الله جل وعلا ، وماينبغي لذاته و كلماته من تنزيه و تقديس عن نقائص البشر وقصورهم ـ هي عدوان صارخ على الفن ، وماينبغي له من تصوّن عن التلفيق ، والكذب والتمويه ، إذ الفن بمعنى هذه الكلمة ـ نسيج محكم من صميم الحق ، و رحيق مصفّى من لباب الواقع أو المتوقع ، و بغير هذا لايكون العمل الفني فناً رفيعاً يأخذ مكان البقاء والخلود !!

ومن المعلوم بالضرورة : ان مقاصد القصص القرآنية و غاياتها هي الدعوة إلى الحق ، والهداية إلى مواقع الخير، وإقامة وجه الانسانية على مسالك الحق والخير ، و الميل بها عن مسارب الضلال و البوار ـ فليس في القصص القرآنية ما في غيره من القصص . . . من تلك المواقف و الصور التي يراد منها إستثارة العواطف المريضة واسترضاء الميول المنحرفة في الانسان وتملقه بها ، واقتياده منها ... وإنما القصص القرآنية حرب على هذه العواطف المريضة ، و تلك الميول المنحرفة يلقاها في حزم وحسم ، وينزل أصحابها منازل البوار والهوان في كل موقف يلقاهم فيه... ذلك لانه كما وصفه الله جل و علا بقوله : «ان هذا لهو القصص الحق» وماكان للحق أن يلبس الباطل أويسلك مسالكه ...

﴿التكرار﴾

يدور البحث في المقام حول امور ثلاثة:

احدها - ما يتعلق بموسى عليه السلام وفرعون مصر طاغي الزمان وقصتهما: و قد جاءت كلمة «موسى» / ١٣٦ مرة في / ٣٤ سورة من السور القرآنية، وقد جاءت لفظة «فرعون» / ٧٤ مرة في / ٢٧ سورة من القرآن الكريم، وقد تكررت قصتهما في / ٢٢ سورة بأساليب مختلفة على طريق الاجمال والتفصيل حسب مقتضى الحال والمقام، كما انا نجد في كل آية من أول القرآن الكريم إلى آخره الشواهد الناطقة لرعاية مقتضى الحال و داعية المقام فيها، فجائت القصة فيما جاءت له مستولية على زمام الامر كله فيه، ممسكة به من جميع أطرافه... زمانه و مكانه وحوادثه وأشخاصه...

وقد تكررت القصة أكثر من سائر قصص الانبياء عليهم السلام لان حكاية موسى عليه السلام منذ ولادته إلى وفاته كلها عبر ونصح وإنذار وتبشير وتسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين. وفيها آيات دالة على كمال علم الله جل وعلا وسعة حكمته، وإطلاق قدرته... و على تحمل موسى عليه السلام من قومه الذين هم أشد حمقاً من جميع الامم مالم يحمله غيره من الانبياء من أقوامهم...

ثانيها - قال الله تعالى في سورة النازعات: «فاذا جاءت الطامة الكبرى» : ٣٤) وقال في السورة التالية «عبس»: «فاذا جاءت الصاخة»: ٣٣) وذلك لان الطامة من طممت البئر: إذا كبستها، وسميت القيامة طامة لانها تكبس كل شيء

تكسره ، وسميت الصاخة ، والصاخة من الصخ : الصوت الشديد لانه بشدة صوتها يجثولها الناس ، كما ينتبه النائم بالصوت الشديد .

وقد خصت النازعات بالطامة لان الطم قبل الصخ ، والفزع قبل الصوت ، فكانت هي السابقة وخصت عبس بالصاخة لانها بعدها وهي اللاحقة .

ثالثها ـ نشير إلى صيغ عشرين لغة : أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة ـ جائت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنية:

١ـ جاءت كلمة (النزع) على صيغها في القرآن الكريم نحو:٢٠ مرة :

٢ـ « « (النشط) « « « : مرتين :

وهما في سورة النازعات : ٢)

٣ـ « « (الرجف) « « « : ثمان مرات :

١ـ٣ـ سورة الاعراف :٧٨ و٩١و١٥٥)٤ـسورة العنكبوت : ٣٧) ٥ـ سورة المزمل: ١٤) ٦و٧ـ النازعات : ٦) ٨ـ الاحزاب : ٦٠)

٤ـ « « (الردف) « « « : ثلاث مرات :

١ـ سورة النازعات : ٧) ٢ـ سورة النمل : ٧٢) ٣ـ سورة الانفال : ٩)

٥ـ « « (الوجف) « « « : مرتين :

أحدهما ـ سورة الحشر:٦) ثانيهما ـ سورة النازعات : ٨)

٦ـ « « (الحفر) « « « : مرتين :

أحدهما ـ سورة آل عمران : ١٠٣) ثانيهما ـ سورة النازعات : ١٠)

٧ـ « « (النخرة) « « « : مرة واحدة وهي في سورة النازعات : ١١)

٨ـ « « (الكرة) « « « : ست مرات :

١ـ سورة النازعات : ١٢) ٢ـ سورة الزمر :٥٨) ٣ـ سورة الشعراء : ١٠٢)٤ـ سورة الاسراء : ٦) ٥ـ سورة البقرة : ١٦٧) ٦ـ سورة الملك : ٤)

٩ـ » » (الزجر) » » » : ست مرات :

١ـ سورة النازعات : ١٣) ٢ـ٤ـ سورة الصافات : ٢ و ١٩) ٥ و ٦ـ سورة القمر : ٤ و ٩)

١٠ـ » » (الساهرة) » » » : مرة واحدة وهي في سورة النازعات : ١٤)

١١ـ » » (النكال) » » » : خمس مرات :

١ـ سورة النازعات : ٢٥) ٢ـ سورة البقرة : ٦٦) ٣ـ سورة المائدة : ٣٨) ٤ـسورة النساء : ٨٤) ٥ـ سورة المزمل : ١٢)

١٢ـ » » (العبرة) » » » : تسع مرات :

١ـ سورة النازعات: ٢٦) ٢ـ سورة النور :٤٤) ٣ـ سورة المؤمنون : ٢١) ٤ـسورة النحل : ٦٦) ٥ـ سورة يوسف : ١١١) ٦ـ سورة آل عمران : ١٣) ٧ـ سورة الحشر : ٢) ٨ـ سورة يوسف : ٤٣) ٩ـ سورة النساء : ٤٣)

١٣ـ » » (السمك) » » » : مرة واحدة وهي في سورة النازعات : ٢٨)

١٤ـ » » (الغطش) » » » : مرة واحدة وهي في سورة النازعات : ٢٩)

١٥ـ » » (الدحو) » » » : مرة واحدة وهي في سورة النازعات : ٣٠)

١٦ـ » » (الطامة) » » » : مرة واحدة وهي في سورة النازعات : ٣٤)

١٧ـ » » (الأوى) » » » : ٣٦/ مرة:

١٨ـ » » (الهوى) » » » : ٣٨/ مرة:

١٩ـ » » (اللبث) » » » : ٣١/ مرة:

٢٠ـ » » (الغشى) » » » : ١٤/ مرة:

﴿ التناسب ﴾

ان البحث في المقام على جهات ثلاث :

احدها ـ التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً .

ثانيها ـ التناسب بينها وما قبلها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى : فالتناسب بين هذه السورة وسورة « النباء » التى نزلت قبلها فبامور : أحدها ـ ان الله تعالى لما ختم سورة النباء بذكر أحوال القيامة وأهوالها، إفتتح هذه السورة بمثله زيادة في التخويف والتهديد لحمل المشركين على الارعواء .

ثانيها ـ ان الله تعالى لما أنذر الكافرين في سورة النباء عذاباً سيأتيهم يوم كانوا هم منكرين به ، و حكى عنهم في ختامها ما سيقولون إذا رأوه افتتح هذه السورة بأقسام هائلة على أن البعث حق لاريب فيه مع تقرير كيفية وقوع البعث، تفزع عنده القلوب ، و تخشع لديه الابصار، مستشهداً على وقوع ذلك بما وقع على فرعون وقومه من نكال الآخرة والاولى .

ثالثها ـ ان الله تعالى لما أشار في سورة النباء إلى تساؤل المنكرين عن النباء العظيم واختلافهم فيه على طريق الابهام والاجمال ، ذكرهما في هذه السورة بصراح في قوله : « يقولون ءإنا لمردودون في الحافرة ـ يسئلونك عن الساعة أيان مرساها . . . »

رابعها ـ لما ذكر في السورة السابقة إخراج الحب والنبات والجنات الالفاف من غير ذكر غاية لها ، أشار في هذه السورة إليها بقوله : « متاعاً لكم ولانعامكم »

خامسها ـ لما جاء ذكر الطاغين والمتقين في السورة السابقة من غير ذكر موجبات الطغيان والتقوى فيها ، أشار في هذه السورة إلى أهم ما يوجب الطغيان والتقوى مع ذكر أعرف الطغاة وهو فرعون مصر .

و أما الثانية : فقد ظهرت مما تقدم فتأمل جيداً .

و أما الثالثة : فلما بدئت السورة بأقسام هائلة لما في مضامينها ، مع ما فيها من تعظيم المقسم بها ، أخذت بذكر كيفية البعث و أهواله إجمالاً من غير ذكر الجواب للقسم لما علم سابقاً ومن سياق السورة .

ثم أشارت إلى ما يعترى منكرى البعث يومئذ من وجف القلوب وخشوع الابصار مع ايراد أقاويلهم في يوم الفصل ، وتساؤلهم عنه وإستبعادهم عن وقوعه ، ثم فصّل ما أجمل سابقاً بأن البعث ليس على سبيل التدريج كما ان فرعون وأذنابه أخذوا من غير تدريج مع شدتهم وبطشهم ، و إنما هي زجرة واحدة فاذاهم بالساهرة بقوله تعالى : « و النازعات غرقاً ـ فاذاهم بالساهرة » : ١ ـ ١٤)

ان الله تعالى لما حكى إصرار مشركي مكة على إنكار البعث و تماديهم في العتو والطغيان ، واستهزائهم بالنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و كان ذلك يشق عليه صلى الله عليه وآله وسلم ويصعب على نفسه صلى الله عليه وآله أشار إلى قصة موسى عليه السلام و رسالته إلى فرعون مصر و طغيانه إجمالاً إلى أن ادعى الربوبية العالية ، و ألب قومه على موسى عليه السلام و بلغ في الاستكبار والعتو إلى مالم يبلغه هؤلاء المشركون ولكن كان موسى عليه السلام مع ذلك كله يحتمل المشاق في مهمته ليكون ذلك تسلية لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم عما يلاقيه من قومه ، من شديد العناد واللجاج و عظيم الاعراض ، و ليكون وعيداً عليهم ، وعبرة لمن يخشى ولنا في القصة اسوة حسنة ـ بقوله تعالى : « هل أتاك حديث موسى ـ ان في ذلك لعبرة لمن يخشى » : ١٥ ـ ٢٦)

ثم استشهدت السورة المباركة على قدرة الله جل و علا على البعث بخلق السماء والارض و بالليل والنهار ، و بما فيه حياتهم فى الدنيا لو فرض هؤلاء المنكرون على أنهم أشد خلقاً من فرعون وقومه ، ولكنهم ليسوا أشد خلقاً من السماء والارض . . . فالله جل وعلا قادر على إحياء الاموات كما انه كان قادراً على خلق الاكوان . . . بقوله تعالى : « ء أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها ـ متاعاً لكم ولانعامكم » : ۲۷ ـ ۳۳)

ثم أخذت بذكر القيامة وأهوالها ، وتقسيم الناس فيها على طائفتين: طائفة كافرة طاغية تابعة الهوى وأحوالهم يومئذ ومآل أمرهم فيها من النار وعذابها ، و طائفة مؤمنة خائفة ناهية النفس عن الهوى ومأواهم يوم القيامة الجنة بقوله تعالى: « فاذا جائت الطامة الكبرى ـ فان الجنة هى المأوى » : ۳۴ ـ ۴۱)

ثم ختمت السورة بما كان المشركون يسئلون النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عنه عناداً ولجاجاً ، مع الاشارة إلى وظيفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى هذا السؤال المستنكر بقوله تعالى : « يسئلونك عن الساعة أيان مرساها ـ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها » : ۴۲ ـ ۴۶) .



﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

ولم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أن في هذه السورة ناسخاً أومنسوخاً أومتشابهاً ، فآياتها محكمات والله جل وعلا هو أعلم .



﴿تحقيق فى الاقوال﴾

۱- (والنازعات غرقاً)

فى « النازعات» أقوال: ۱- عن إبن عباس وإبن مسعود ومجاهد ومسروق: هى الملائكة التى تنزع نفوس بنى آدم عليه السلام . ۲- عن سعيد بن جبير ومقاتل : هى الملائكة التى تنزع أرواح الكفارعن أبدانهم بالشدة كما يغرق النازع فى القوس ، فيبلغ بها غاية المدى .

و عن إبن عباس و إبن مسعود أيضاً : أى ينزع ملك الموت أنفس الكفار من أجسادهم من تحت كل شعرة ، و من تحت الأظافير و اصول القدمين نزعاً كالسفود الكثير الشعب ينزع من الصوف المبتل الرطب ثم يرجعها إلى أجسادها ثم ينزعها ، وهذا عمله بالكفار .

و قيل : تنزع الملائكة أرواح الكفار من أقاصى أجسامهم ثم تغرقها أى ترجعها فى أجسادهم ثم تنزعها ، فهذا عملهم ، فتخرج نفس الكافر كالغريق فى الماء . و عن إبن عباس و سعيد بن جبير : نزعت أرواحهم ثم غرّقت ثم حرقت ثم قذف بها فى النار .

و قيل : يرى الكافر نفسه حين النزع كأنها تغرق . ۳ - عن السدى : النازعات: هى النفوس حين تنزع فتغرق فى الصدور ثم تخرج . ۴- عن مجاهد أيضاً : النازعات هى الموت ينزع النفوس .

۵- عن الحسن وقتادة وأبى عبيدة والاخفش والجبائى وإبن كيسان: النازعات

هى النجوم والكواكب الجاريات على نظام معين فى سيرها ، فتنزع من افق إلى افق أى تذهب من قولهم : نزع إليه أى ذهب .

أو من قولهم: نزعت الخيل أى جرت . وعن أبى عبيدة أيضاً : تنزع النجوم من مطالعها وتغرق فى مغاربها . و «غرقاً» أى أنها تغرق وتغيب وتطلع من افق إلى افق آخر .

وقيل : هى النجوم البعيدة الغائرة الغارقة فى أطباق السماء العليا. وقيل: هى الكواكب لانها ترمى بالشهب من نزع عن القوس أى رمى عنها .

٦- عن عطاء وعكرمة: النازعات هى القسىّ تنزع بالسهام و «غرقاً» بمعنى إغراقاً ، وإغراق النازع فى القوس أن يبلغ غاية المدى حتى ينتهى إلى النصل . فالقسم بفاعلها وهم الغزاة الرماة المجاهدون فى سبيل الله تعالى . على أن الغزاة الرماة حين تنزع قسيها فى الرمى فتبلغ غاية المدى .

٧- قيل : النازعات : هى خيل الغزاة تنزع فى أعنتها و تغرق فى عرقها .

٨- قيل : النازعات: الوحوش تنزع من الكلأ وتنفر، وغرقاً أى إبعاداً فى النزع.

٩- قيل: اريد بالنازعات كل نازعة فتعم الملائكة والجن والانس والموت والنجوم والقوس وغيرها من القوى النازعة من غير تخصيص بنازعة دون نازعة.

هذا هو إختيار الطبرى وتبعه بعض المعاصرين فقال : فلاتختص النازعات بالملائكة كما يظن ويتوهم ولانهم ليسوا مؤنثين بانهم ليسوا إناثاً ولا ذكوراً ، ولايؤتى بضمير التأنيث إلاّ للانثى و يؤتى بضمير التذكير لغيرها ذكراً أم لا ذكراً ولا انثى كما الله تعالى و ملائكته ، و لم يأت القرآن للملائكة بضمير التأنيث بتاتاً إذاً فالمناسب هنا كون النازعات هى القوى الشاملة للملائكة و سواهم .

اقول : والثانى هو المروى فانتظر،واستدلال الاخير مردود بنفس القرآن الكريم فى كثير من آيه: منها قوله تعالى : «تتنزل عليهم الملائكة» فصلت:٣٠)

والبقرة : ٢٤٨) وآل عمران : ٣٩ و٤٢) والانعام : ١٥٨) والنحل : ٢٨و٣٢و٣٣) والانبياء : ١٠٣) والمعارج : ٤) وغيرها من الايات القرآنية .. .

٢ـ (والناشطات نشطاً)

في «الناشطات» أقوال : ١ـ عن إبن عباس : هي الملائكة التي تنشط نفس المؤمن فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير إذا حل عنه .وقيل: الناشطات: إشارة إلى أن خروجهم من هذه الاحوال ليس على سبيل الكلفة والمشقة ولكنه بمقتضى الطبيعة والماهية .

٢ ـ عن إبن عباس أيضاً : هي النفس عند الموت تنشط للخروج ، و ذلك انه مامن مؤمن يحضره الموت إلاّ وتعرض عليه الجنة قبل أن يموت ، فيرى فيها ماأعدّ الله تعالى له من أزواجه وأهله من الحور العين ، فهم يدعونه إليها، فنفسه إليهم نشطة أن تخرج فتأتيهم .

وقيل: الناشطات : المخرجات أو الخارجات بسرعة وسهولة . ٣ـ عن إبن عباس أيضاً : هي نفوس الكفار والمنافقين ، تنشط كما ينشط العقب الذي يعقب به السهم ، والعقب ـ بالتحريك ـ : العصب الذي تعمل منه الاوتار الواحدة . و النشط : الجذب بسرعة .

و منه الأ نشوطة عقدة يسهل إنحلالها إذا جذبت مثل عقدة التكة يقال : نشطت الحبل وانشطته أي حللته وأنشطت الحبل أي مددته حتى ينحل . ٤ـ عن إبن عباس أيضاً: الناشطات : الملائكة لنشاطها تذهب ويجييء بأمر الله تعالى حيثما كان . وقيل : أي المتحركات بسرعة حيثما تريد باذن الله جل وعلا .

٥ ـ قيل : هي الملائكة تنشط أرواح الكفار ما بين الجلد والاظفار حتى تخرجها من أجوافهم نشطاً بالكرب . و النشط : الجذب يقال : نشطت الدلو أنشطها أي نزعتها . قال الاصمعي : بئر أنشاط أي قريبة القعر تخرج الدلو منها بجذبة واحدة .

٦ ـ عن مجاهد : هى الموت ينشط نفس الانسان . ٧ ـ عن السدى : هى النفوس حين تنشط من القدمين . ٨ـ قيل : هى أيدى الغزاة أو أنفسهم تنزع القسىّ باغراق السهام وهى التى تنشط الاوهاق .

وقيل : هى السهام تنشطمن قسيّها فى الغزوات . وقيل : هى الغزاتلانها تخرج بسرعة إلى ميدانها . ٩ ـ قيل : هى التى تنشط من موضع إلى موضع ، فتذهب إليه ولايخصص الله جل وعلا بذلك شيئاً دون شىء بل عمّ القسم بجميع الناشطات والملائكة تنشط موضع إلى موضع ، وكذلك الموت وكذلك النجوم والاوهاق وبقر الوحش أيضاً تنشط من بلدة إلى بلدة.

وهذا مختارالطبرى . وقال : فكل ناشط فداخل فيما اقسم به إلاّ أنتقوم حجة يجب التسليم لها بأن المعنى بالقسم من ذلك بعض دون بعض .

١٠ـ عن عكرمةوعطاء : هى الاوهات تنشط السهام . والاوهاق جمع وهق بحركتين- وقد يسكن : الحبل تشدّ به الابل و الخيل لئلاتند ويقال فى طرفه : انشوطة .

١١ـ عن عطاء أيضاًوقتادة والحسن والاخفش والجبائى : هى النجوم تنشط من افق إلى افق أى تذهب أى من برج إلى برجكالثور الناشط من بلد إلى بلد.

وقيل : هىالنجوم القريبة نسبياً منا ، فنرى لها حركات ظاهرة علىخلاف النجومالغارقة فى أجواء السموات العلا حيث تبد و وكأنها مقيدة فى أماكنها.. وأما النجوم القريبةفتظهرعليها الحركة ، وتبدو كأنها نشطت من عقالها... وقيل هى الكواكب الخارجات من برج إلى برج من قولهم : نشط النور إذا خرج.

١٢ـ عن عطاء أيضاً وأبى عبيدة : هى الوحش حين تنشط من بلد إلى بلد، ومن قطر إلى قطر .

١٣ـ قيل : هى الملائكة الذين يخرجون الارواح من الاجساد سواءكانت من الكفار والمنافقين ، أم من المؤمنين .

أقول : والخامس هو المروى وفى معناه الاخير .

٣- (والسابحات سبحاً)

فى «السابحات» أقوال : ١- قيل : هى الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين بعد إخراجها من أجسادها بين السماء والارض .

٢- عن الكلبى: هى الملائكة تقبض أرواح المؤمنين كالذى يسبح فى الماء فأحياناً ينغمس ، و أحياناً يرتفع يسلّونها سلاً رفيقاً بسهولة ثم يدعونها حتى تستريح .

٣- قيل : أى الملائكة تقبض الارواح فتسرع بروح المؤمن إلى الجنة و بروح الكافر إلى النار ، والسبح: الاسراع فى الحركة كما يقال للفرس :سابح إذا أسرع فى جريه .

٤- عن مجاهد وأبى صالح: هى الملائكة ينزلون من السماء مسرعين لامر الله تعالى كما يقال للفرس الجواد : سابح إذا أسرع فى جريه . وقيل : يسرعون فى النزول والصعود. وعن مجاهد أيضاً : أى الملائكة تسبح فى نزولها وصعودها. عن قتادة والحسن : هى النجوم تسبح فى أفلاكها . . . لقوله تعالى : « كل فى فلك يسبحون» وقيل : هى الكواكب المطلعة علينا فى سماء الدنيا كالشمس والقمر و المشترى والمريخ وزحل وغيرها ... فهذه الكواكب لقربها منا نراها سابحة فى الجو كما تسبح الطيور .

وقيل : هى الكواكب السائرات فى أفلاكها سيراً هادئاً لا إضطراب فيه و لا إختلال وقد جعل مرورها فى جوائها كالسبح فى الماء .

٥- عن مجاهد أيضاً : هى الموت يسبح فى نفوس بنى آدم . ٦- عن أبى مسلم : هى الخيل الغزاة تسبح فى عدوها وتسرع كقوله تعالى : «والعاديات ضبحاً».

٧- عن عطاء : هى السفن تسبح فى الماء .

٨- قيل : هى السحاب . ٩- قيل :هم الذين سبحوا فى بحار جلال الله تعالى.

١٠- عن إبن عباس : السابحات هى أرواح المؤمنين تسبح شوقاً إلى لقاءالله جل وعلا ورحمته حين تخرج .

١١- قيل : هىالمنايا تسبح فى نفوس الحيوان . ١٢- قيل : هى دواب البحار وخاصةالاسماك .

١٣- قيل : السابحات : كل سابح من خلقه من غير إختصاص بسابح دون سابح ، وهذا مختار الطبرى . وقال بعض المعاصرين : وذلك ان السبح هوالمر السريع فى الماء وفىالهواء ويجمعه المرالسريع أياًكان ، والسابحات هىالقوى المسرعات فىبحرالكون فىالماء والفضاء وفىالارض سبحاً جسدانياً أوروحانياً فالكون كله مسبح للسابحات .

أقول : والاول هوالمروى وفى معناه الثانى .

٢- (فالسابقات سبقاً)

فى « السابقات » أقوال : ١- عنإبن مسعود والربيع . هى نفوسالمؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرورشوقاً إلى لقاء الله تعالى و رحمته ، فتسبق بالخروج عند الموت . ٢- قيل : هى الملائكة يسبق بعضهابعضاً بأرواح المؤمنين إلى الله تعالى ، و تتسابق إلى الحضرة الالهية أو إلى مصائرها السعيدة . وعن مقاتل : هى الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلىالجنة .

٣- عن مجاهد و مسروق : هى الملائكة تسبق الشياطين بالوحى إلى الانبياء عليهم السلام . ٤- عنمجاهدأيضاً وأبىروق : هى الملائكة سبقت إبن آدمبالخير والايمان والعمل الصالح . وقيل :تسبق بنىآدم إلى العمل الصالح فتكتبه.وقيل: تسابقها لتدبيرالامور التى تعهد إليها . ٥- عن مجاهد أيضاً : هى الموت يسبق الانسان .

٦- عن قتادة والحسن والمعمر والجبائى : هى النجوم والكواكبالسيارة يسبق بعضها بعضاً فى السير، و ذلك لان سيرها المتفاوت يصير سبباً لسبق بعضها بعضاً فى السير، وذلك لأن سيرها المتفاوت يصير سبباً لسبق بعضها بعضاً

ويترتب على السبق الاتصالات و الانصرافات و معرفة الفصول و الاوقات، و تقدم العلم بالكائنات بل العالم السفلى و تدبيراتها مناط بتلك الحركات باذن خالق الارض وفاطر السموات . . .

وقيل : يبدو من ظاهر حركاتها فى سباق مع بعضها حيث ترى الشمس مرة أمام القمر ويرى القمر مرة أمامها فى مسرعات فى سبحها ، فتتم دورتها حول ما تدور عليه فى مدة أسرع مما يتم غيرها كالقمر فانه يتم دورته فى شهر قمرى والارض تتم دورتها فى سنة شمسية ، و هكذا غيرها من السيارات السريعة . . . و منها مالا يتم دورته إلا فى سنين .

٧ـ قيل : هى ملائكة الموت تسبق بروح المؤمن إلى الجنة وبروح الكافر إلى النار . ٨ـ عن عطاء و أبى مسلم : هى الخيل التى تسبق إلى الجهاد والغلبة والظفر وتسبب فيه .٩ـ عن الماوردى: السابقات ما تسبق من الارواح قبل الاجساد إلى جنة أو نار .

١٠ـ قيل : هى المنايا تسبق الآمال . ١١ ـ قيل : هم الذين يسبق بعضهم بعضاً فى ميدان المعرفة بالله تعالى وحلبة البرهان . ١٢ـ قيل : السابقات تشمل لكل سابق فى مأموره .

اقول : والثانى هو المروى .

٥ـ (فالمدبرات امراً)

فى الاية الكريمة أقوال : ١ـ قيل : هى الملائكة الذين يدبرون أمر العباد من السنة إلى السنة من أمر الدنيا من البحر والبر والحيوان والنبات والانسان ، ومن أمر السموات والارض و ما بينهما . وعن إبن عباس : هى الملائكة وكلت بتدبير أحوال الارض فى الامطار والرياح وغير ذلك وانها حافظات فى امور الكون وما فيه .

٢ ـ عن إبن عباس أيضاً وقتادة : هى الملائكة و تدبيرها نزولها بالحلال والحرام و تفصيلهما وسميت بالمدبرات باعتبار النزول بالاصول والفروع والمعارف

والحكم . . .

٣- قيل : هى الكواكب السبعة ، وفى تدبيرها الأمر وجهان : أحدهما - تدبير طلوعها وافولها . ثانيهما - تدبيرما قضاه الله جل وعلا فيها من تقلب الاحوال . . . وقيل : هى الافلاك كلها يقع فيها أمرالله تعالى فيجرى بها القضاء فى الدنيا . وذلك ان الله سبحانه علّق كثيراً من تدبير العالم بحركات النجوم ، فاضيف إليها التدبير : وإن كان من الله عزوجل كما يسمى الشىء باسم ما يجاوره . وقيل : إن تدبير الكواكب لامورنا هو فيما يظهر من آثارها فى حياتنا من حرّ وبرد ، و من هبوب رياح ونزول أمطار ، وإنضاج ثمار ومدّ و جزر فى البحار ، وماتضبط من الزمن والساعات والايام والفصول والسنين . . . و غير ذلك مما نشهده من حركة الشمس والقمر وما يتبع هذه الحركة من آثار فى عالمنا الارضى براً و بحراً وجواً .

٤- عن عبدالرحمن بن سابط : المدبرات هم الملائكة الاربعة : من جبرئيل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل عليهم السلام ، وهم يدبّرون امور الدنيا من النبات والجماد والاحياء والاماتة وما إليها باذن الله جل وعلا ، أما جبرئيل فهو موكل بالرياح والجنود والوحى ، وأما ميكائيل فهو موكل بالقطر والنبات ، و أما ملك الموت فهو موكل بقبض الانفس ، وأما إسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وهو صاحب الصور .

٥- قيل : هى الملائكة الذين يدبرون أمر الثواب والعقاب ، من اللذات والآلام من النعم والنقم ومن الجنة والنار .

٦- قيل : هى الملائكة الذين يدبرون أمر الحرب من الظفر والغلبة للمؤمنين . والفرار و الهزيمة للكافرين . ٧- قيل : المدبرات أى المعقبات لانها تأتى فى أدبار هذه الأفاعيل بأمر الغلبة والنصر .

أقول : والاول هو المروى وعليه أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين

بعض الاقوال الاخر .

٦- (يوم ترجف الراجفة)

فى «الراجفة» أقوال: ١- عن إبن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك: هى النفخة الاولى، وهى صعقة الموت، فتميت بها الاحياء وكل شىء، فهذه النفخة نفخة النزع، وهى صيحة عظيمة فيها تردد وإضطراب كالرعد إذا تمخض وبها يرجف كل شىء أى يتزلزل، فوصفت بما يحدث منها .

٢- عن مجاهد : الراجفة هى الزازلة . ٣- قيل : الراجفة : الارض بمن عليها يرجف يوم القيامة وتضطرب وتنشق .

٤- قيل : الراجفةهى الصيحة العظيمة التى فيها تردد وإضطراب، فيسمع لها صوت شديد .

٥-قيل : الراجفةأى المحركة تحريكاًشديداً، الحركة للارض والجبال. فالراجفة هىالتى تحدث الرجفان فىالارض و الاضطراب فى الجبال . ٦- قيل: الراجفة هى قلوب أهل النار تجف وأبصارهم تخشع .

٧- عن عطاء : الراجفةالقيامة . ٨-عن إبن زيد : الراجفة الموت.

أقول : و على الاول أكثر المفسرين .

٧- (تتبعها الرادفة)

فى «الرادفة» أقوال : ١- عن مجاهد : الرادفة : الصيحة . ٢- عن مجاهد أيضاً وابن عباس والحسن وقتادة : هى النفخة الثانية يحيى بها الخلائق كلهم بعد النفخة الاولى التى يموت بها الخلائق أجمعون .

٣- عن مجاهد أيضاً - هى الزلزلة حين تنشق السماء وتحمل الارض و الجبال فتدك دكة واحدة . فتتلاشى السماء والارض بعد الزلزلة والاضطراب و الانشقاق .

٤- قيل : هى السموات والكواكب لانها تنفطر و تنتشر على اثر ذلكحتى

تنقطع الارض وتفنى ، فتتبعها السماء فيما يقع فيها من أحداث ذلك اليوم تتبعها خراباً ودماراً .

٥-عن عطاء :الرادفةهى البعث يوم القيامة . ٦- عن إبن زيد وعبدالرحمن: هى قيام الساعة . ٧- عن أبى مسلم : هى خيل المشركين .

اقول : والثانى هوالمروى من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر .

٨- (قلوب يومئذ واجفة)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- عن إبن عباس وقتادة وإبن زيد : أى قلوب خلق من خلقه يومئذ خائفةوجلة من عظيم الهول النازل . والمراد بذلك أصحاب القلوب ، فانها قلقة غير هادئة ولاساكنة ، فجفت لما عاينت من أهوال القيامة

٢-عن السدى :أىعامة القلوب زائلة عن أماكنها كقولهتعالى : «إذالقلوب لدى الحناجر» .

٣- عن الحسن والمبرد وقتادة أيضاً : أى قلوب الكفار مضطربة شديدة الاضطراب المذعورة . الوجيف : ضرب من السير السريع المضطرب . ٤-عن المؤرج : أى قلقة مستوفزةمرتكضة غير ساكنة .

اقول : وعلى الثالث أكثر المفسرين وفى معناه الاقوال الاخرى إلاّ قول السدى فى التعميم فان المؤمنين عن فزع يومئذآمنون .

١٠ - (يقولون ءانالمردودون فى الحافرة)

فى «الحافرة» أقوال : ١- عن إبن عباس والسدى ومجاهد وقتادة والخليل والفراء : أى الحالة الاولى من الحياة بعد الموت فقد ظنوها حياتهم الاولى . و أصله : من رجع فلان فى حافرته أى الطريقة التى جاء فيها . جعل أثر قدميه حفراً . فالطريق فى الحقيقةمحفورة إلاّ انها سميت حافرة على الاسناد المجازى أو على وتيرة النسبة أى ذات حفر كقوله تعالى : «من ماء دافق» و «فى عيشة راضية» .

والمعنى : يقول هؤلاء المكذبون المنكرون للبعث إذا قيل لهم :انكم ستبعثون قالوا منكرين متعجبين : أنردّ من قبورنا بعدموتنا إلى أول الامرفنعود أحياء ونرجع إلى حيث جئنا و كنا بعد الموت كما كنا قبل الموت ، فنبعث خلقاً جديداً كقوله تعالى حكاية عنهم : « أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً » يقال : رجع فلان فيحافرته و على حافرته أى رجع من حيث جاء و فى المثل : النقد عند الحافرة أى عند أول كلمة .

٢- عن مجاهدأيضاً : الحافرة : الارض المحفورة التى حفرت فيهاقبورهم. وقيل : سميت الارض الحافرة لانها مستقر الحوافر كما سميت القدم أرضاً لانها على الارض . والمعنى : أ إنا لراجعون بعد الموت إلى الارض فنمشى على أقدامنا . . .

٣- عن إبن زيد ومقاتل وزيد بن أسلم : الحافرة النار أى هى إسم من أسماء النار إذ لها أسماء عديدة وهى الجحيم وسقر وجهنم والهاوية والحافرة ولظى والحطمة

٤- قيل : الحافرة : العاجلة أى أإنا لمردودون إلى الدنيا ، فنصير أحياء كما كنا وعن إبن عباس : الحافرة فى كلام العرب : الدنيا . والمعنى : انهم يقولون : أ إنا لنرجع إلى الدنيا ونرد إلى أول حالنا وإبتداء أمرنا ، فنصير أحياء كما كنا .

والحافرة عند العرب إسم لاول الشيء وإبتداء الامر .

٥- قيل : الحافرة الارض المنتنة بأجساد موتاها من قولهم : حفرت أسنانه إذا ركبها الوسخ من ظاهرها و باطنها . ٦- قيل ، الحافرة : الطريقة المعتادة المحفورة . ٧- قيل : ان الاية الكريمة تخبر عن إعترافهم بالبعث يوم القيامة ، فالكلام كلامهم بعد الاحياء فكأنهم لما بعثوا وشاهدوا ماشاهدوا يستغربون ما شاهدوا فيستفهمون عن الرد إلى الحياة الدنيا بعد الموت .

٨- عن إبن عباس والسدى أيضاً : الحافرة : الحياة الثانية وهى العودة إلى الحياة الدنيا بعد الموت حيث ظنوا البعث خروجاً من بطن الارض إلى ظهرها

تماماً كما كانوا من قبل .

أقول : والاول هو المروى والمؤيد بالايات الكريمة .

١١- (ء اذا كنا عظاماً نخرة)

فى « نخرة » أقوال : ١- قيل : أى بالية متفتتة . ٢- قيل : أى مجوّفة تنخر الرياح فى جوفها إذا مرّت بها ، فيصوت فيها الهواء لرخوتها . ٣- عن إبن عباس: أى بالية فانية . ٤- عن مجاهد : أى مرفوتة .

٥- عن أبى عمرو بن العلاء : الناخرة هى التى لم تنخر بعد أى لم تبل، ولا بد أن تنخر . ٦- قيل : الناخرة هى التى أكلت أطرافها ، و بقيت أو ساطها ، والنخرة هى التى فسدت كلها .

أقول : والاول هو الانسب بمعناه اللغوى فراجع .

١٢- (قالوا تلك اذاً كرة خاسرة)

فى « كرة خاسرة » أقوال : ١- عن الحسن : أى رجعة خائبة كاذبة باطلة أى ليست كائنة . ٢- قيل : أى رجعة غابنة ذات خسران فأهلها خاسرون لانهم نقلوا من نعيم الدنيا إلى عذاب ، والخاسر الذاهب رأس ماله ، فكيف الربح ؟ والمعنى : إن كان الامر على ما يقوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأننا نبعث ونحاسب و نعاقب فتلك كرة ذات خسران علينا . وهذا بناء على أنهم كانوا يقولون ذلك فى الحياة الدنيا على سبيل الاستهزاء .

٣- عن الربيع إبن أنس : أى رجعة خاسرة على من كذّب بها فهو ذات خسران . ٤- قيل : أى قال الكفار : تلك الكرة الكائنة بعد الموت كرة خسران والمعنى : أن أهلها خاسرون لانهم نقلوا من نعيم الدنيا إلى عذاب النار ،ولاشىء أخسر من كرة تقتضى المصير إلى النار . ٥- عن قتادة ومحمد بن كعب :أى رجعنا أحياء بعد الموت لنحشرن بالنار ، وقالوا ذلك لانهم اوعدوا بالنار .

٦ - قيل : انهم يقولون ذلك عند البعث ، و ما شاهدوه من أهوال القيامة

فيكون هذا منهم على سبيل التشاؤم والتحسّر.

أقول : وعلى الثانى أكثر المفسرين ، وفى معناه بعض الاقوال الاخر .

١٤- (فاذاهم بالساهرة)

فى « الساهرة » أقوال : ١- عن إبن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وقتادة والضحاك و إبن زيد و عكرمة : أى وجه الارض . والمعنى : فاذاً هؤلاء المنكرون على ظهر الارض أحياء بعد أن كانوا فى بطنها أمواتاً . وإن كان الخلائق أجمعون كذلك ولكن الضمير «هم» راجع إلى هؤلاء المكذبين . و قال الفراء : سميت الارض بالساهرة لان فيها نوم الحيوان وسهرهم ، والعرب تسمى الفلاة ووجه الارض ساهرة بمعنى ذات سهر لانه يسهر فيها خوفاً منها ، فوصفها بصفة ما فيها .

٢- عن مجاهد: الساهرة : الارض البيضاء المستوية . وقيل : الارض المستوية الفلاة أو منبسط الارض الخالية من النبات ، سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم: عين ساهرة : جارية الماء ، وفى ضدّها نائمة . وقيل : لان سالكها لاينام خوف الهلكة . وقيل : هى أرض الاخرة جدّدها الله تعالى يوم القيامة . وهى عرصة القيامة لانها أول مواقف الجزاء ، وهم فى سهر لانوم فيه . و قيل : هى أرض الدنيا سميت ساهرة لان عملها فى النبت فى الليل والنهار دائب ، و لذلك قيل : خير المال عين خرّارة فى أرض خوّارة تسهر إذا نمت . و تشهد إذا غبت ثم صارت إسماً لكل أرض .

٣- عن إبن عباس : الساهرة: هى أرض من فضة لم يعص الله جل وعلا عليها قط خلقها حينئذ .

٤- قيل : الساهرة إسم للارض السابعة يأتى بها الله تعالى ، فيحاسب عليها الخلائق وذلك حين تبدل الارض غير الارض .

٥- عن سفيان الثورى: الساهرة : أرض بالشام . ٦- عن وهب بن منبه: هى

جبل بيت المقدس . وقيل : جبل بجنب بيت المقدس .

٧- عن عثمان بن أبي العاتكة : الساهرة إسم مكان من الارض بعينه بالشام، وهو الصقع الذى بين جبل أريحاء وجبل حسّان يمدّه الله جل وعلا كيف يشاء .

٨- عن قتادة أيضاً : الساهرة هى جهنم . والمعنى : فاذاً هؤلاء الكفار فى جهنم . وانما قيل لها : ساهرة لانهم لاينامون فيها ، ولانهم أنكروا جهنم فاذا هم منها فى الاعماق .

٩- قيل : الساهرة : الصحراء على شفير جهنم أى يوقفون بأرض القيامة فيدوم السهر حينئذ .

١٠- قيل : أى فاذاهم بالحالة الساهرة على الاسناد المجازى أو فى جماعة ساهرة .

اقول : والاول هو المروى من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر فتدبر جيداً .

١٦- **(اذناداه ربه بالواد المقدس طوى)**

فى «طوى» أقوال : ١- عن مجاهد وقتادة : «طوى» إسم للوادى المقدس وهو الموضع الذى كان فيه أول ما أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام و كلمه فقلّده الرسالة .

٢- قيل : «طوى» إسم واد بالشام عند الطور . ٣- عن إبن زيد : إسم المقدس طوى . ٤- عن الفراء : طوى واد بين المدينة ومصر .

٥- عن الزجاج : طوى : المقدس مرة بعد مرة وبثت فيه البركة والتقديس مرتين. وهو الموضع الذى كلّم الله فيه موسى عليه السلام .

٦- قيل : الوادى المقدس هو واد فى أسفل جبل سيناء من الجانب الايمن منه فى الطريق المتجه من الشام إلى مصر وطوى إسم لهذا الوادى . ٧- قيل: طوى واد بين أيلة و مصر . وقيل : سميت طوى لما طواه موسى عليه السلام من الفلاة بينه

وبين الواد المقدس حتى آنس من جانب الطور ناراً ، فطوى أهله و تحلل عنهم أيضاً قاصداً وادى الوحى ثم طواه الله بالوحى بعد إنتشاره وتفرق باله ، و بعد ما طوى نفسه عن غير الوحى وعما سوى الله إذ خلع نعليه نعل الاهلين و نعل نفسه وانيته فحلّ بالوادى مجرداً عما سوى الله فاحتل منزلة الوحى أو أن طوى هي الارض التى حلّ بها موسى سميت طوى لما عرفنا من طوى موسى وإنطوائه إلى مطوى الوحى .

وقيل : الواد المقدس واد فى أسفل جبل طور سيناء من برية فلسطين و طوى إسم لذلك الوادى .

اقول : والاول هو المروى .

١٨- (فقل هل لك الى ان تزكى)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- عن إبن عباس وعكرمة : أى هل لك أن تشهد أن لا إله إلاّ الله ، فتطهر من الشرك . وهذا على سبيل التلطف فى الاستدعاء .

٢- عن إبن زيد : أى تسلم وتصلح فتطهر من الذنوب .

٣- قيل : أى هل لك حاجة أو ميل أو إلتفات أو رغبة إلى أن تتزكى . و هذه كلمة جامعة لمواجب التكاليف لان المكلف لايصير زاكياً إلاّ بالتخلية عن كل مالاينبغى للانسان . والمعنى : هل تودّ أن تتزكى وتتطهر عن كل مالا ينبغى للانسان ، وهل ترغب إلى ما يرغب إليه كل إنسان .

٤- قيل: ان التزكى إشارة إلى تطهير النفس الفاسدة ، وتطهرها من قذارة الطغيان والمعنى : هل لك أن تطهر نفسك من الآثام التى انغمست فيها ، وتعمل بما ادلك عليه من طرق الخير وتبعد عما أنت فيه من إجتراح السيئات ، وتتطهر من العيوب والبغى وقذارة الطغيان . . .

٥- قيل : هل لك ميل أن تعمل عملاً صالحاً فتزكى به نفسك . ٦- قيل: طلب موسى عليه السلام من فرعون إرسال بنى إسرائيل معه .

اقول : ولكل وجه من غير تناف بينها.

٢٠- (فأراه الاية الكبرى)

في «الاية الكبرى» أقوال: ١- عن مجاهد وقتادة والحسن : هي عصاه ويده
٢- عن إبن عباس و إبن زيد : هي العصا والحية إذ تحوّلت ثعباناً مبيناً .
٣- قيل : هي العلامة العظمى وهي المعجزة تشمل جميع آياته ومعجزاته.
٤- قيل : هي اليد البيضاء تبرق كالشمس إذ أخرجها بيضاء للناظرين .
٥- قيل : هي فلق البحر. ٦- قيل: إشارة إلى جميع آياته ومعجزاته . .

اقول : وما يستظهر من إجمال القصة وتفصيلها : ان الآية الكبرى هي العصا إذ تحوّلت ثعباناً مبيناً ويد موسى عليه السلام إذ أخرجها فهي بيضاء للناظرين. وكانتا هاتين برهانين قد أبرزهما موسى عليه السلام وقتاً واحداً بمرئى فرعون وملائه عند إبتداء دعوته ، ووحدة الاية لما طلبها فرعون بصيغة واحدة من موسى عليه السلام إذ «قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين» الاعراف : ١٠٦).

٢٢- (ثم ادبر يسعى)

في الاية الكريمة أقوال :١- قيل : أي ثم تولى فرعون يجدّ ويجتهد في إبطال أمر موسى عليه السلام ومعارضته ، فما ازداد إلّا كفراً وغواية .

٢- عن مجاهد : أي ثم ولى فرعون مدبراً معرضاً عن الايمان ، ويعمل بالفساد في الارض .

٣- عن الجبائي : ان فرعون لما رآى الحية على عظمها خاف منها فأدبر وكان يسعى هارباً من الحية وقيل : أي يتحيل في دفع موسى عليه السلام .

٤- قيل : أي أدبر خوفاً من الثعبان ، ويسعى في نكاية موسى .

٥- قيل : أي تولى عن موسى عليه السلام إظهاراً للجحود . ٦- قيل : أي ولى معرضاً عما دعاه إليه موسى عليه السلام من طاعته ربه وخشيته وتوحيده، يسعى في معصية الله جل وعلا وفيما يسخطه عليه ، ويسعى في كيده .

اقول: والاول هو الانسب بظاهر السياق و بما جاء في تفصيل القصة .

٢٣- (فحشر فنادى)

في الاية الكريمة أقوال : ١- قيل : أى جمع فرعون أصحابه ليمنعوا موسى عليه السلام من دعواه ، فنادى فى المقام الذى اجتمعوا فيه معه .

٢- قيل : أى جمع جنوده للقتال والمحاربة والسحرة الذين فى بلاده للمعارضة .

٣- عن إبن زيد : أى فحشر جنوده للحضور والمشاورة ليشاهدوا على ما أراد من إبطال أمر موسى عليه السلام وان الحشر بمعنى الجمع من كل جهة ، و قد يكون الجمع بضم جزء إلى جزء فلايكون حشراً فاذا جمع الناس من كل جهة ، فذلك هو الحشر ، ولهذا سمي يوم الحشر ، والحاشر هو الذي يجمع الناس بازعاج من كل جهة إلى الخراج .

اقول: وعلى الأخير أكثر المفسرين .

٢٤- (فقال انا ربكم الاعلى)

فى «ربكم الاعلى» أقوال : ١- قيل : أى لارب لكم فوقي . وروى : ان ابليس تصور لفرعون فى صورة الانس بمصر فى الحمام ، فأنكره فرعون ، فقال له ابليس : ويحك! أماتعرفني؟ قال : لاقال : و كيف وأنت خلقتني ؟ ألست القائل : أنا ربكم الاعلى .

٢- قيل : ان فرعون كان يدعي تفضيل نفسه على كل من يلي امورهم وانه فوق سائر اولياء امور مملكته من حكّام وعمّال لكونه سلطاناً عليهم كماحكاه الله تعالى عما قال به : «ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر» الزخرف : ٥١) .

٣- قيل : ان فرعون كان يدعي العلو فى الربوبية عند بزوغ دعوة موسى عليه السلام وكان يدعى انحصار الالوهية بنفسه حيثما طال عليه الامر والسطوة .

٤ ـ قيل : أى أنا الذى انال بالضرر من شئت ولا ينالنى غيرى ، وقد كذب اللعين فان هذه الصفة مختصّة بالله جل وعلا الذى خلق الخلائق كلها . ٥ـ عن عطاء : كان فرعون يصنع لهم أصناماً صغاراً ، وأمرهم بعبادتها ، فقال : أنا رب أصنامكم .

٦ـ قيل : ان فرعون جعل الاصنام أرباباً لأهل مملكته ، فكانوا يعبدونها، فقال : أنا ربها و ربكم جميعاً بانه رب الارباب ، فكان يدعى العلو فى الربوبية على سائر الارباب التى كان يقول بها قومه الوثنيون ، فيفضّل نفسه عليها . وكان فرعون وثنياً أيضاً يعبد الآلهة كما قال الله تعالى حكاية عن ملأه إذ كانوا يخاطبون له حثاً له على إهلاك موسى وقومه : «أتذر موسى و قومه ليفسدوا فى الارض و يذرك آلهتك» الاعراف : ١٢٧) .

فمراده بهذا التفضيل انه يدّعى أن يكون أقرب الآلهة منهم حيث تجرى بيده أرزاقهم وتصلح بأمره شئون حياتهم ، ويحفظ بمشيئته شرفهم وسؤددهم و سائر الآلهة ماكانت على تلك الصفة .

٧ـ قيل: أراد القادة والسادة وهو ربهم واولئك هم أرباب السفلة الجهلة .

اقول : والثالث هو المؤيد بالرواية الآتية فانتظر .

وفى الخطاب «ربكم» أقوال : ١ـ خطاب من فرعون طاغية مصر لطائفة من حواشيه وعماله لقوله تعالى : « قال لمن حوله ألا تستمعون» الشعراء : ٢٥) و هذا من دأب الفراعنة فى كل وقت و مكان فى طوال الاعصار بين عمّالهم و حواشيهم ، وهؤلاء العمال السفلة والحواشى المردة يتقبلون من فراعنتهم دعاويهم بقبول حسن ، وإن كان أكثرهم يعلمون بكذب تلك الدعاوى ولكنهم يحمون عنها ويروّجونها و يشيعونها لحفظ أربابهم و مقامات أنفسهم ، و حفظ رئاساتهم و مكاناتهم . . . لانهم يسقطون بسقوط أربابهم . . .

٢ـ قيل : خطاب لطائفة من السفهاء والبلهاء من أهل مملكته وهم السود

الاعظم . ٣ـ قيل : خطاب لجميع أهل مملكته .

أقول : والاخير هو الانسب بظاهر السياق .

٢٥ـ (فأخذه الله نكال الاخرة والاولى)

في «نكال الاخرة والاولى» أقوال: ١ـ عن إبن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والشعبي ومقاتل والضحاك وعكرمة وإبن زيد : « نكال الاخرة » قول فرعون :«ما علمت لكم من إله غيري » والاولى قوله : « أنا ربكم الاعلى » . وعن إبن عباس كان بين الكلمتين أربعون سنة . وقيل : عشرون سنة .

وفيه دليل على أنه تعالى يمهل ولا يهمل . والمعنى : أمهله في الاولى ثم أخذه في الاخرة ، فعذبه بكلمتيه . ٢ـ عن إبن عباس أيضاً ـ عكس الاول .

٣ ـ عن الحسن وقتادة : نكال الاولى هو عذاب الدنيا من إغراق فرعون وجنوده ونكال الاخرة هو عذابه يوم القيامة بالنار. ٤ـ عن مجاهد أيضاً والكلبي: أي أخذ بأول عمله في أول عمره ، وبآخر عمله في آخر عمره . ٥ـ عن قتادة أيضاً والقفال : نكال الاولى تكذيب فرعون لموسى عليه السلام و نكال الاخرة قوله : « أنا ربكم الاعلى » .

٦ـ عن أبي رزين : نكال الاولى عصيانه ربه و كفره ، والاخرة قوله : « أنا ربكم الاعلى » . ٧ـ قيل : النكال التعذيب الذي يردع من رآه أو أسمعه عن تعاطي مثله ،والاخرة : عذاب الاخرة ، و انه نكال حيث ان من شأنه أن يردع من سمعه عن تعاطي ما يؤدي إليه من المعصية ، والاولى : عذاب الدنيا وهو عذاب الاستيصال فهو نكال لذلك .

٨ـ قيل : الاولى أول معاصيه ، والاخرى آخرها . والمعنى : أخذه الله تعالى نكال مجموع معاصيه . ٩ـ قيل : نكال الاخرة أي سواء الجحيم والاولى أي عذاب أليم .

أقول : والاول هو المروي من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر .

٢٨- (رفع سمكها فسواها)

في الاية الكريمة أقوال : ١- عن قتادة : أى رفع الله تعالى بناء السماء فسوّاها . فلا شيء أرفع من شيء ، ولاشيء أخفض من شيء ولكن جميعهامستوى الارتفاع والامتداد . والسمك هو الامتداد القائم على كل من إمتدادى الطول والعرض ، فاذا اعتبرمن أسفل إلى العلو يسمى سمكاً ، وإذا اعتبر بالعكس يسمى عمقاً .

٢- عن أصحاب الهيئة : ان المراد بتسوية السماء جعلها كروية كالارض .

٣- عن مجاهد : أى رفع بناءها بغير عمد ترونها . ٤- قيل : أى جعل الله تعالى السماء طبقات مرتبة كقوله : « فسواهن سبع سموات » .

٥- عن إبن عباس : أى رفع الله تعالى بنيان السماء وجعلها مستوية بلاشقوق ولافتور ولاتفاوت . ٦- قيل : أى رفع سقفها و ما ارتفع منها فأضبطها بان أعلى سقفها وضبط نواميسها . . . ٧- قيل : أى جعل سمتها في جهة العلو رفيعاً فجعلها مستوية مؤلفة بلاعيب . ٨- قيل : فسواها أى فأحكمها وجعلها متصرفاً للملائكة.

اقول : والخامس هو المؤيد بالروايات الآتية فانتظرمن غير تناف بينه و بين بعض الأقوال الاخر فتأمل جيداً .

٣٠- (والارض بعد ذلك دحيها)

في الاية الكريمة أقوال : ١- عن إبن عباس : أى ان الله تعالى دحا الارض من بعد خلق السماء وإن كانت الارض خلقت قبل السماء . وذلك ان الله جل وعلا خلق الارض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ثم خلق السماء فسوّاها ثم دحا الارض بعد ذلك . وكانت الارض ربوة مجتمعة تحت الكعبة ولكن بسطها بعد خلق السماء . وقال إبن عباس : ان الله تعالى خلق الكعبة ووضعها على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألف عام (بالفى عام خ) ثم دحيت الارض من تحت البيت .

٢ـ عن قتادة والسدى وسفيان : أى بسط الارض . وهذا يشير إلى كون الارض بعد السماء . والعرب تقول : دحوت الشىء أدحوه دحواً إذا بسطته ٣. ـ عن إبن عباس أيضاً و مجاهد والسدى و إبن جريج : « بعد ذلك » أى مع ذلك كقوله تعالى : « فك رقبة ـ ثم كان من الذين آمنوا » أى كان مع هذا من أهل الايمان بالله و قوله تعالى : « عتل بعد ذلك زنيم » أى مع ذلك . و ذلك ان الله تعالى خلق الارض ودحاها قبل السماء لقوله تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات » ٤ـ قيل : دحاها أى سوّاها .

٥ـ قيل : « بعد » بمعنى « قبل » كقوله تعالى : « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر » أى من قبل الفرقان . ٥ـ عن إبن زيد : دحاها بمعنى شقيها . ٦ـ قيل : دحاها أى مهّدها للاقوات . ٧ـ قيل : دحاها أى دحرجها وقلّبها . ٨ـ عن مجاهد أيضاً : أى عند ذلك دحاها .

اقول : والاول هو المروى .

٣٢ـ (فاذا جائت الطامة الكبرى)

فى « الطامة الكبرى » أقوال : ١ـ عن إبن عباس والضحاك : الطامة إسم من أسماء يوم القيامة . عظمه الله تعالى وحذره عباده سميت بذلك لانها تعلو وتغلب على كل شىء ، فتعم ما سواها لعظم هولها . وأصل الطم : الدفن والغلب فكل ما غلب شيئاً وقهره وأخفاه فقد طمه .

٢ـ عن مجاهد : الطامة : أى حين يساق أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار . ٣ـ عن سفيان: الطامة هى الساعة التى يساق فيها أهل النار إلى الزبانية أى الداهية التى طمت وعظمت .

٤ـ عن إبن عباس أيضاً والحسن : الطامة هى النفخة الثانية التى يكون معها البعث والحساب والجزاء . ٥ـ قيل : الطامة هى الغاشية الغليظة المجللة

التى تدقق الشيء بالغلظ . ٦- عن المبرد ، الطامة الكبرى هى الداهية العظمى التى لاتستطاع ولاتطاق من قولهم : طم الفرس طميماً إذا إستفرغ جهده فى المشى والجرى ، فاذا وصفت بالكبرى كانت فى غاية الفظاعة و نهاية الشدة .

اقول : وعلى الاول أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر .

٣٦- (وبرزت الجحيم لمن يرى)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- عن إبن عباس : أى كانت الجحيم فى مكان بارز يراها كل من له عينان ، فيشاهدونها مشاهدة عيان ، فيكشف عنها تتلظى ، فيراها كل ذى بصر ، سواء منهم المؤمن والكافر ، ولكنها تكون مقراً للكافرين، وينجي الله تعالى المؤمنين . ٢- قيل : هذا مثل فى الامر المنكشف الذى لايخفى على أحد فعلى هذا يكون إستعارة ، ولايجب أن يراها كل أحد لان الاخبار إنما وقع عن كونها بحيث لاتخفى على ذى بصر لا عن وقوع البصر .

٣- قيل : ان الجحيم برزت ليراها كل من له بصر ، و على هذا يجب أن يراها لكل أحد إلا ان المؤمنين يمرون عليها كالبرق الخاطب ، وأما الكافرون، فيقعون فيها ، فكأنها برزت لأجلهم فقط ، فيراها الخلق كلهم مكشوفاً عنها الغطاء ويبصرونها مشاهدة عيان ، فالاية فى معنى قوله تعالى : « لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاؤك فبصرك اليوم حديد » ق : ٢٢)

٤- قيل : ظهرت الجحيم بارزة واضحة لكل كافر بما فيها من أنواع العذاب لانه الذى يرى النار ويدخل فيها. ٥- قيل : أى يراها المؤمن ليعرف قدر النعمة ويصلى الكافر بالنار .

اقول : والرابع هو الانسب بظاهر السياق والمؤيد بالايات القرآنية فتأمل و اغتنم .

٤٠- (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى)

فى قوله تعالى : « من خاف مقام ربه » أقوال : ١ـ عن الربيع : أى من حذرمقامه بين يدى ربه يوم الحساب، وقيامه بين يديه فيموقف الجزاءوالقضاء. ٢ـ قيل : ان المراد بالمقام هوموقف الله جل وعلا الذى يقف به عباده يوم القيامة وهوموقف الحساب . ٣ـ قيل : أى من خاف مسئلة الله تعالى إياه عند وقوفه يوم القيامة بين يدى ربه عما يجب عليه فعله وتركه ، وضبط نفسه و توطينها على متاعب التكاليف من الافعال التى تشرد النفس عن فعالها والتروك التى تشتهى النفس وتهواها ، فاتقاه باداء فرائضه واجتناب معاصيه .

٤ـ عن مجاهد وقتادة : ان لله تعالى مقاماً يخافه المؤمنون ، وهو خوفهم من الله تعالى فى الحياة الدنيا عند مواقعة الذنب ، فيقلعون و يتركونه ، و عند مواقع ترك العبادات والأوامر فيطيعون ويمتثلون . وان المقام إسم مكان يراد به المكان الذى يقوم فيه جسم من الاجسام ، و هو الاصل فى معناه ككونه إسم زمان ومصدراً ميمياً لكن ربما يعتبرما عليه الشىء من الصفات والاحوال محلاً ومستقراً للشىء بنوع من العناية ، فيطلق عليه المقام كالمنزلة كما فى قوله تعالى فى الشهادة : « فاخران يقومان مقامهما » المائدة : ١٠٧) وقول نوح عليه السلام لقومه على ما حكاه الله جل وعلا : « إن كان كبر عليكم مقامى و تذكيرى بآيات الله » يونس : ٧١)

وقول الملائكة على ما حكاه الله تعالى : « ومامنا إلاله مقام معلوم » الصافات: ١٦٤) فمقامه جل وعلا المنسوب إليه بما أنه رب هو صفة ربوبيته بما تستلزمه أو تتوقف عليه من صفاته العلية كالعلم والقدرة المطلقة والقهر والغلبة والرحمة والغضب وغيرها من الصفات الالهية . . . فمقامه تعالى الذى يخوف منه عباده مرحلة ربوبيته التى هى المبدأ لرحمته ومغفرته لمن آمن واتقى ، ولأليم عذابه و شديد عقابه لمن كفره وطغى .

٥- قيل : ان المقام مصدر أى خاف قيامي عليه بالحفظ والمراقبة فيما يعمل، وقيامي بالعدل في الجزاء . ولذلك قال : خاف مقامه دون أن يخافه ، وليس خوف المقام هنا إلاّ لخوف الوعيد الناتج عن مقام الرب ، و هو قيامه العدل والجزاء الوفاق للحسنات والسيئات ، فالله تعالى لايحيف حتى يخاف من جوره إذاً فلا يخاف الرب ، وإنما يخاف مقام الرب ، العاصي لعصيانه ، والعادل فلا يعصي، فخوف الله ليس لالوهيته وإنما لعدله بربوبيته .

٦- قيل : معنى خاف مقام ربه: خاف ربه بطريق الاقحام كما قيل في قوله تعالى : «اكرمى مثواه» .

٧- قيل : أى جلاله وعظمته بين يدى ربه في ذلك اليوم وأدرك مقدار عظمته وقهره وغلبة جبروته وسطوته. ٨- قيل أى من خاف من حسابه وإنتقامه واكتفى بجلاله عن حرامه .

أقول : والرابع هو المروى .

وفي قوله تعالى : «نهى النفس عن الهوى» أقوال : ١- قيل : أى زجر النفس عن المعاصي والمحارم . وعن سهل : ترك الهوى مفتاح الجنة .

٢- قيل : أى نهى نفسه عن هواها فيما يكرهه الله ، ولايرضاه منها فزجرها عن ذلك وخالف هواها إلى ما أمره به ربه . ٣- قيل :أى نهى النفس عن المحارم التي تشتهيها وتهواها .

٣- عن مقاتل : ان الرجل يهمّ بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها.

٥- قيل : أى زجرها و كفّها عن هواها المردى لها بميلها إلى الشهوات فلم تجر وراء شهواتها وجنب نفسه الوقوع في محارمه . . .

ونعم ما قال الشاعر :

فخالف هواها واعصها إن من يطع هوى نفسه تنزع به كل منزع

ومن يطع النفس اللجوجة ترده وترم به في مصرع أى مصرع

اقول: ولكل وجه والمعاني متقارب .

٤٢ـ (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها)

في «أيان مرساها» أقوال : عن إبن عباس وأبي عبيدة : أي أيان منتهى الساعة . ومرسا السفينة حيث تنتهي .

٢ـ قيل :أيءمتى قيام الساعة . وقال الفراء:رسوها : قيامها كرسوالسفينة.

٣ـ عن الربيع بن أنس : أي متى زمانها وحصولها .

٤ـ قيل : أي زمان إرسائها وهو إقامةالله تعالى إياها . ٥ـ قيل : أيءمتى أيام الساعة وحصولها ووقوعها .

٦ـ قيل : أي متى قيامها وظهورها . وقال الفراء : ان الارساء للسفينة و الجبال الراسية وماأشبههن ، فوصفالساعةبالارساء لانها بمنزلة السفينة إذاكانت جارية فرست ورسوّها : قيامها،قال: وليس قيامها كقيام القائم إنما هي كقولك: قد قام العدل وقام الحق أي ظهر وثبت .

اقول: والمعاني متقارب .

٤٣ـ (فيم أنت من ذكراها)

في الاية الكريمة أقوال :١ـ قيل : أي في أيّ شيء انت يا محمد ﷺ من ذكر القيامة والسؤال عنها ؟ وليس لك السؤال عنها . فكأنه ﷺ لما اكثروا عليه السؤال عنها سئل‌الله تعالى أن يعرفه ذلك ، فقيل له : لاتسئل‌عنها بعد ، إذ لست في شيء من‌ذلك . وقيل :أيّ شيء أنت من ذكر الساعة والبحث عن شأنها. ٢ـقيل :أيءلستفي شيء من علم الساعة وذكراها . والمعنىلاتعلمها ٣ـ عن الحسن : أي ليس عندك علم بوقتها، وإنما تعلم انها تكون لامحالة . و المعنى : يسئلونك فيم أنت من العلم بها . ٤ـ قيل : أي ليس هذا مما يتصل بما بعثتلأجلهفانمابعثت داعيا .

٥- قيل: انها من حكاية قولهم . والمعنى : انك قد أكثرت من ذكراها فمتى يكون .

٦- قيل : ان الاستفهام للانكار على المشركين فى مسئلتهم له أى فيم أنت من ذلك حتى يسئلوك بيانه ولست ممن يعلمه . والذكرى بمعنى كثرة المذاكرة فالمعنى : ماذايحصل لك من العلم بوقت الساعة بسبب كثرةالمذاكرة بينهم ، والسئوال عنها . وأين أنت من ذكراها و وقتها ، وقد تفرد بعلمها علام الغيوب .

٧- قيل : انالاية منتمام سئوال المشركين خاطبوا به رسولالله ﷺ والمعنى : ما الذى عندك من العلمبها وبوقتها أو ما الذى حصل لك وأنتتكثر ذكراها .

٨- قيل : ان الاستفهامللانكاروالذكرى بمعنى حضور حقيقة معنىالشيء فى القلب ، فالمعنى : لست فى شيء من العلم بحقيقتها وتحيط بوقتها .

٩- قيل : أى ليسذكرى الساعة مما يرتبط برسالتكودعوتك ، إنمابعثت أنت لتنذر من يخشاها .

١٠- قيل:هذاتعجب من كثرة ذكره لها كأنه قيل : فى أى شغل وإهتمام أنت من ذكرها ، والسئوال عنها حرصاً على جوابهم إلى ربك منتهى علمها .

١١- قيل :ان«فيم» إنكارلسئوالهم و«أنت من ذكراها»مستأنفسيق تعليلاً لانكار سئوالهم ، فالمعنى : فيم هذا السئوال إنما أنت من ذكرى الساعة لاتصال بعثتك بها ، وأنت خاتم الانبياء عليهم السلام وهذا المقدار من العلم يكفيهم لقوله ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين إنكادت لتسبقنى» .

أقول : والتاسع هو الانسب بظاهر السياق من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر فتأمل جيداً .

٤٦- (كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أوضحاها)

فىالاية الكريمة أقوال : ١- عن إبن عباس : أى كأن المنكرين للبعث

يوم يرون الساعة لم يلبثوا إلاّ يوماً واحداً . وهذا على طريق التمثيل والتشبيه بان قرب الساعة من حياتهم الدنيا بحيث مثلهم حين يرونها مثلهم لو لبثوا بعد حياتهم فى الارض عشية أوضحى تلك العشية أو وقتا نسبته إلى نهار واحد نسبة العشية إلى ما قبلها منه أو نسبة الضحى إلى ما قبله منه ، فالمراد باللبث لبث ما بين الحياة والبعث أى لبثهم فى القبور لان الحساب يقع على مجموع الحياة الدنيا .

فالمعنى: كأنهم لم يلبثوا فى قبورهم إلاّ عشية أوضحاها ،وذلك انهم استقصروا مدة لبثهم فى القبور لما عاينوا من أهوال الساعة . فيوم يحشر المنكرون إلى ربهم يظنون انهم لم يلبثوا فى القبور إلاّ ساعة من نهار .

٢ـ عن قتادة : أى كأن الكفار يوم يرون الساعة لم يلبثوا فى دنياهم إلاّ قدر عشية أوقدر الضحى الذى يلى تلك العشية ، والمراد باللبث لبثهم فى الحياة الدنيا والمراد تقليل مدة الدنيا بالنسبة إلى الاخرة كقوله تعالى : «لم يلبثوا إلاّ ساعة من نهار» فهم حين يرون الساعة يستصغرون مدة لبثهم فى الدنيا ،فكأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلاّ عشية أوضحاها وقت الدنيا فى أعين القوم حين عاينوا الاخرة وقد يعبّر عن زمان المحنة بالعشية ، وعن زمان الراحة بالضحى ،فكأنه قيل : ماكان عمرنا فى الدنيا إلاّ هاتين الساعتين . وان العشية : طرف النهار من آخره ، والضحى : طرفه من أوله . فهم إذا رأوا الآخرة صغرت الدنيا فى أعينهم حتى كأنهم يقيموا بها إلاّ مقدار عشية أو مقدار ضحى تلك العشية .

٣ـ قيل: إن هذا اليوم الموعود خيّل إليهم انهم لم يلبثوا من يوم خلقوا إلى يوم البعث إلاّ طرفاً من نهار أوله أوآخره ، ولم يلبثوا نهاراً كاملا لمفاجأتها لهم من غير إستعداد لوقوعها .

٤ـ قيل : أى كأنهم يرون الساعة ، وهى صيحة الاحياء للبعث انهم لم يلبثوا فى الحياة قبلها من البرزخ وقبله إلاّ عشية أوضحاها .

٥- قيل : ان المرادباللبث لبث بين حين سؤالهم عن وقت وقوع الساعة، وبين البعث ، و فيه انهم إنما يشاهدون لبثهم على هذه الصفة عند البعث ،والبعث الذى هو الاحياء بعد الموت إنمانسبته إلى الموت الذى قبله دون مجموع الموت وبعض الحياة التى بين زمان السؤال عن الوقت و زمان الموت .

٦- قيل : اى كأن هؤلاء المكذبين بالبعث يوم يرون الساعة لم يلبثوافى وقوعهاو تحققها إلاّ عشية أوضحاها بان جاءت الساعة ووقعت بأقل قليل من الزمن، فتبدو فى حسّهم كأنها عشية أوضحاها .

اقول : وعلى الثانى أكثر المحققين .



﴿التفسير والتأويل﴾

١- (والنازعات غرقاً)

اقسم بالملائكة الذين ينزعون نفوس الكفرة الطاغية ، والفجرة الباغية من بني آدم نزعاً بشدة من أقاصي الاجساد من أناملها وأظفارها . . .

وان الاية الكريمة في معنى قوله تعالى : « ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم » الانعام . ٩٣)

وقوله جل وعلا : « قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون » السجدة : ١١)

وقوله سبحانه : « فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم » محمد ﷺ : ٢٧ _ ٢٨)

وان النزع صفة من صفات طائفة من طوائف الملائكة سميت بها السورة كقوله تعالى : « والصافات صفاً » الصافات : ١) و قوله جل وعلا : « والذاريات ذرواً » الذاريات : ١) وقوله سبحانه : « والمرسلات عرفاً » المرسلات : ١)

٢- (والناشطات نشطاً)

و اقسم بالملائكة الذين يجذبون أرواح الكفار وأذنابهم من بين الجلد والاظفار واللحوم حتى يخرجوها من أجوافهم بالكرب والغم .

٣- (والسابحات سبحاً)

واقسم بالملائكة الذين يقبضون أرواح المؤمنين ، ويسلّونها سلاً رفيقاً و سهولة حتى تستريح كالسابح بالشيء في الماء يرمى به ، ويسبحون بها بين السماء والارض ويسرعون بها إلى الجنة .

قال الله تعالى : « كذلك يجزى الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » النحل : ٣١-٣٢)

و قال : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الاخرة » فصلت : ٣٠ - ٣١)

٤- (فالسابقات سبقاً)

فاقسم بالملائكة الذين يسبق بعضهم بعضاً بأرواح المؤمنين إلى الله جل وعلا وإلى الجنة بعد أن قبضوها برفق وسهولة .

٥- (فالمدبرات أمراً)

فاقسم بالملائكة الذين يدبرون أمر الكون السماوى والارضى باذن الله تعالى . ومن البديهى ان المدبر فى التكوين والتشريع هو الله جل و علا وحده بالاصالة والاستقلال من غير أن ينافى هذا التدبير الالهى وساطة التدبير للملائكة وغيرهم ، فتدبيرهم طولىّ ولايكون عرضياً ، فانهم لايدبرون الاّ بامر الله جل و علا ، فهم يرسلون لانفاذ أمره كل حسب مراتبه فى المقام .

قال الله تعالى حكاية عنهم : « ومامنا إلاّ له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون » الصافات : ١٦٤ - ١٦٦)

فالايات الخمس التى إبتدأت بها السورة أقسام من الله تعالى بطوائف الملائكة من طريق ذكر الاوصاف و إرادة الموصوفين بها لدخلها فى إمتثالهم للأوامر الصادرة عليهم من ساحة العزة المتعلقة بتدبير امورهذا العالم المشهود من نزع الارواح من الاجساد كل حسب إستحقاقه ، ثم قيامهم بالتدبير باذن الله تعالى ،

وللاشعار بأن كل واحد من الاوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيقة بأن يكون على حياله مناطاً لاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير إنضمام الاوصاف الاخر إليه .

فالآيات الخمس أقسام بما يتلبس به الملائكة من الصفات عندما يؤمرون بتدبير أمر من امور هذا العالم المشهود من حين يأخذون في النزول إليه إلى تمام التدبير ، وفيها إشارة إلى نظام التدبير الملكوتي عند حدوث الحوادث كما أن الايات التالية أعني قوله جل وعلا : « هل أتاك حديث موسى . . . » الخ إشارة إلى التدبير الربوبي الظاهر في هذا العالم ، وفي التدبيرين حجة على البعث والحساب والجزاء فتدبر .

والايات الكريمة شديدة الشبه سياقاً بآيات مفتتح سورة الصافات: «والصافات صفاً فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً » الصافات : ١ ـ ٣) وبآيات مفتتح سورة المرسلات : « والمرسلات عرفاً فالعاصفات عصفاً والناشرات نشراً فالفارقات فرقاً فالملقيات ذكراً » المرسلات : ١ ـ ٥) و بآيات مفتتح سورة الذاريات : «والذاريات ذرواً فالحاملات وقراً فالجاريات يسراً فالمقسمات أمراً » الذاريات : ١ ـ ٤)

٦ـ (يوم ترجف الراجفة)

ان الله تعالى أقسم بهؤلاء الموصوفين على صفاتهم بأن الكافرين الذين ينكرون البعث والحساب والجزاء ليبعثن و يحاسبن يوم ترجف الارض بالصيحة العظيمة التي فيها تردد وإضطراب ، والمراد بها النفخة الاولى التي يموت فيها الخلائق كلهم ، وصعق عندئذ كل من في السموات والارض .

قال الله تعالى : « ونفخ في الصور فصعق من في السموات و من في الارض إلا من شاء الله » الزمر : ٦٨)

وقال : « إن كانت إلا صيحة واحدة فاذاهم خامدون » يس : ٢٩)

وقال : «فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة» الحاقة : ١٣-١٥) .

و قال : « يوم ترجف الارض و الجبال و كانت الجبال كثيباً مهيلاً » المزمل: ١٤) .

٧- (تتبعها الرادفة)

تتبع النفخة الاولى، النفخة الثانية حين حلول اليوم المعين ، والرادفةهي رجفة اخرى تتبع الاولى ، فتضطرب الارض وتبدل غير الارض والسموات لاحياء الموتى كما اضطربت في الاولى لموت الاحياء ، و بهذه الصيحة العظيمةالمتأخرة التابعة يبعث معها الخلق كلهم .

فالاية الكريمة وماقبلها تنطبقان على نفختي الصور التي يدل عليهماقوله تعالى : «و نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض إلاّ من شاءالله ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون» الزمر : ٦٨) .

وقال في النفخة الثانية : «ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً» الكهف :٩٩).

وقال : «ونفخ في الصور فاذاهم من الاجداث إلى ربهم ينسلون ـ إن كانت إلاّ صيحة واحدة فاذاهم جميع لدنيا محضرون» يس : ٥١ـ٥٣) .

وقال : «يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ـ يوم تشقق الارض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير» ق : ٤٢ ـ ٤٤) .

وقال : «يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً» النباء : ١٨) .

وماورد في الايتين الكريمتين فمن باب التأويل فتأمل جيداً .

٨- (قلوب يومئذ واجفة)

قلوب الكفار والمجرمين على طوائفهم يوم القيامة خائفة وجلة ، قلقةغير هادئة ، ومضطربة إضطراباً شديداً غير ساكنة ، فجفت لما عاينت ماكان النبي الكريم ﷺ يذكرهم بهمن أهوال القيامة وفزعها،مخافة أن يحل بهمماأنذروا

به ، فيستولى الرعب والاضطراب على قلوبهم ، فتنخلع خوفاً .

فيومئذ تتقلب قلوب الكفار وتبلغ الحناجر ، وتزوغ أبصارهم ، فيؤخذون من مكان قريب كما أخذالله جل وعلا فرعون وقومه نكال الاخرة الاولى .وأما المؤمنون فهم من فزع يومئذ آمنون .

قال الله تعالى: «يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار» النور : ۳۷) .

وقال: «وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين» غافر :۱۸).

و قال : « وإذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر» الاحزاب : ۱۰) .

وقال : «ولو ترى إذ فزعوا فلافوت واخذوا من مكان قريب» سبأ : ۵۱).

وقال : «ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله - من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون» النمل: ۸۷ - ۸۹) .

و قال: «ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون - لايحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون» الانبياء : ۱۰۱ - ۱۰۳) .

۹- (ابصارها خاشعة)

أبصار أصحاب تلك القلوب الواجفة يوم القيامة منكسرة ذليلة من أهوال ما تراه و ما علاها من الكآبة والحزن والخوف والرعب الذى قد نزل بهم .

قال الله تعالى : «خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة» المعارج . ۴۴).

و قال : « خشعاً أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر » القمر : ۷) .

و قال : «ولاتحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعى رؤسهم لايرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء» ابراهيم: ۴۲ - ۴۳) .

وقال : «واقترب الوعد الحق فاذاهى شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين» الانبياء : ٩٧) .

وقال : «يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار» النور : ٣٧) .

١٠- (يقولون ءاانالمردودن فى الحافرة)

إذا قيل فى الحياة الدنيا لمنكرى البعث والحساب فى الدار الاخرة :انكم مبعوثون من بعد الموت للحساب والجزاء بما كنتم تعملون فى الحياة الدنيا ، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً ، هم يقولون على طريق الاستبعاد والاستعجاب. وعلى سبيل الاستهزاء والاستنكار : أإنا لمردودون إلى حالتنا الاولى قبل الممات أفنرجع إلى أول الامر بعد موتنا ؟ أفنعود أحياء كما كنا قبل مماتنا ، وليس كذلك ان الله لايبعث من يموت .

قال الله تعالى : «ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولنّ الذين كفروا إن هذا إلاّ سحر مبين» هود : ٧) .

وقال : «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت» النحل : ٣٨) .

وقال : « إن هى إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيى و مانحن بمبعوثين » المؤمنون :٣٧) .

وقال: «زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبئون بما عملتم وذلك على الله يسير» التغابن : ٧) .

١١- (ءاذاكنا عظاماً نخرة)

هؤلاء المنكرون للبعث والمكذبون بالحساب والجزاء يقولون على سبيل الاستبعاد والاستنكار : أنردّ أحياء بعد ماصرنا عظاماً بالية متفتتة؟ كيف نبعث إلى خلق جديد ، وقد بليت عظامنا و لم يبق لها أىّ أثر ؟

قال الله تعالى: «وقالوا أ إذا كنا عظاماً ورفاتاً أ إنا لمبعوثون خلقاً جديداً» الاسراء : ٤٦) .

وقال : «أيعدكم انكم إذامتم و كنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون» المؤمنون : ٣٥ ـ ٣٦) .

وقال : « أإذامتنا و كنا تراباً ذلك رجع بعيد » ق : ٣) .

١٢ـ (قالوا تلك اذاكرة خاسرة)

قال هؤلاء المنكرون للبعث والحساب و الجزاء على سبيل الاستهزاء : إن صحت الرجعة كما يقول بها محمد ﷺ باننا نبعث ونحاسب و نجازى ، فتلك إذاً رجعة ذات خسران علينا ، و كنا إذاً لمن الخاسرين لتكذيبنا بها على طريق الاستهزاء .

فقال الله تعالى : «قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وماكانوا مهتدين» يونس : ٤٥) .

وقال : «ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون» الجاثية : ٢٧) .

١٣ـ (فانما هى زجرة واحدة)

فلا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله جل وعلا ، فان هذه الكرة ليست إلا صيحة واحدة وهى صيحة إسرافيل فى النفخة الثانية ، فيبعث الله تعالى بها الاموات ، فلا تستصعبوها أيها المنكرون بها . والزجر : طرد بصوت وصياح .

قال الله تعالى : «فانما هى زجرة واحدة فاذاهم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين» الصافات :١٩ ـ ٢٠) .

و قال : «أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير» العنكبوت :١٩) .

و قال :«يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ـ يوم تشقق الارض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير» ق : ٤٢ ـ ٤٤) وماورد فى المقام فمن باب التأويل فتأمل جيداً .

١٤- (فاذاهم بالساهرة)

فحين الكرة بالنفخة الثانية هؤلاء المكذبون بالبعث ، والمنكرون للحساب والجزاء والمتعجبون من إحياء الله تعالى إياهم من بعد مماتهم تكذيباً منهم بذلك هم بظهر أرض المحشر بعد أن كانوا في بطن أرض الدنيا ، ولا يتخلف منهم أحد ولا يستطيع التخلف إن أراد ، ولا نوم لهم يومئذ فيها ، بل هم في سهر دائم بعد بعثهم من نومهم في القبور ، فهم محضرون لعرض الحساب وموقف الجزاء كما ان الخلائق كلهم بارزون يومئذ لله الواحد القهار .

قال الله تعالى : «ونفخ في الصور فاذاهم من الاجداث إلى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون إن كانت إلاّ صيحة واحدة فاذاهم جميع لدينا محضرون» يس : ٥١ ـ ٥٣) .

وقال : «يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار» ابراهيم :٤٨) .

وقال :«ويوم نسيّر الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً وعرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعداً» الكهف : ٤٧ ـ ٤٨) .

وقال :«يومهم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار» غافر:١٦).

١٥- (هل أتاك حديث موسى)

قد أتاك و بلغك أيها النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حديث موسى بن عمران عليه السلام مع فرعون طاغية مصر وقومه .

وقد جاء الاستفهام بداعي ترغيب السامع في إستماع الحديث ليتسلّى به هو صلى الله عليه وآله وسلم و يكون للمنكرين إنذاراً بما فيه من ذكر العذاب وإتماماً للحجة . ولا ينافي هذا النوع من الاستفهام تقدم علم السامع بالحديث لان الغرض هو توجيه

نظر السامع إلى الحديث دون السئوال والاستعلام حقيقة . وقد سبقت على هذه السورة إحدى والعشرون سورة نزولاً بذكر قصة موسى عليه السلام وفرعون مصر على طريقى الاجمال والتفصيل .

ولذلك نظائر منها : قصة ضيف إبراهيم عليه السلام فى قوله تعالى : «هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ـ وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم» الذاريات : ٢٤ ـ ٣٧) وهى مسبوقة نزولاً بذكرها تفصيلاً فى سورة الحجر من آية : ٥١ ـ ٨٤) .

١٦ـ (اذناداه ربه بالواد المقدس طوى)

حين نادى الله جل وعلا موسى عليه السلام واصطفاه للرسالة، وهو بالواد المبارك المطهر طوى من طور سيناء من برية الشام بعد مضى وقت من الليل ، وهو الموضع الذى كلّمه وقلّده للرسالة ، وأوّل ما اوحى إليه .

قال الله تعالى : «وهل أتاك حديث موسى إذ رآى ناراً فقال لاهله امكثوا انى آنست ناراً لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودى يا موسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى اننى أنا الله لا إله الاّ أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى» طه : ٩ـ١٤).

وقال : «وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجياً» مريم : ٥٢).

وقال : «فلما أتاها نودى من شاطىء الواد الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى أنى أنا الله رب العالمين» القصص : ٣٠) .

١٧ـ (اذهب الى فرعون انه طغى)

قال الله عز وجل لموسى بن عمران: إذهب يا موسى إلى فرعون طاغية مصر ناصحاً ومرهباً، واعظاً ومنذراً لانه تجاوز الحدود فى بغيه وعدوانه ، فى خطيئته وطغيانه، فى استعلائه واستكباره ، فى كفره وضلاله ، فى تمرده و فساده فى الحرث و النسل . فى استعماره عباد الله تعالى واستعباد هم واستخفافهم واستحمارهم ،و

فى إضلالهم وصدّهم عن سواء السبيل .

قال الله تعالى : « نتلوا عليك من نباء موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إن فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم انه كان من المفسدين ـ وقال فرعون يا أيها الملأ ماعلمت لكم من إله غيرى » القصص : ٣ ـ ٣٨)

و قال : « ثم بعثنا من بعدهم موسى و هارون إلى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ـ وان فرعون لعال فى الارض وانه لمن المسرفين » يونس : ٧٥ ـ ٨٣)

وقال : « وأضل قومه وما هدى » طه : ٧٩)

وقال : « ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين » القصص : ٨)

١٨- (فقل هل لك الى أن تتزكى)

إذا ذهبت يا موسى عليه السلام إلى فرعون مصر فقل له : هل لك رغبة إلى أن تتزكى نفسك من قذارة الكفر والطغيان، من قذارة العيوب والعصيان ، من قذارة الرذائل والاستكبار ، ومن قذارة الفساد والاضلال ، وأن تطهر نفسك من الآثام التى انغمست فيها بالايمان والهداية ، وبالطاعة وصالح الاعمال . . .

انه إرشاد سام ذكره القرآن الكريم ليكون مثالاً يحتذى به فى كل وقت وظرف ، فان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر إذا صاحبهما اللين كانا أفعل و أشد أثراً فى النفس فى ردّها عن غيّها ، لانه يترك لها فرصة التفكر والتأمل فى الوضع الذى هى فيه ، وفى فائدة النصيحة التى القيت إليها .

وهذا ما يرضى كرامتها و كبريائها ، ويجعلها طيّعة لقبول ما يعرض عليها من الخير وخاصة إذا لازمه الاقناع بخلاف طريقة القسر والشدة والقول الغليظ . فانه يحملها على التمرد والنفور وعدم تقبل النصيحة .

قال الله تعالى : « إذهبا إلى فرعون انه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر

أو يخشى » طه : ٤٣ _ ٤٤)

١٩- (وأهديك الى ربك فتخشى)

وأن أدلك يا فرعون إلى معرفة ربك بالادلة والبرهان بانه الخالق وأنت المخلوق : وأنه الرب وأنت المربوب ، وأنه الرازق وأنت المرزوق ، وانه القادر وأنت العاجز . . . وهل لك ميل إلى أن ارشدك يافرعون إلى طريق الحق والصواب، إلى طريق السعادة والرشاد ، إلى طريق العزة والكمال و إلى سبيل الجنة والسلام الذى إذا سلكته وصلت إلى رضا الله جل وعلا و ثوابه ، فتخشاه و تخاف من مخالفة أمره وتتقيه حتى تأمن من عقابه .

ومن المعلوم ان الخشية لاتحصل إلاّ بمعرفة الله جل وعلا وعزّه وجلاله و عظمته وقدرته إذقال : « انما يخشى الله من عباده العلماء » فاطر . ٢٨) .

فجعل الخشية نتيجة للهداية لأنها ملاك الامر إذ من خشى الله جل و علا أتى بكل خير، ومن آمن اجترأ على كل شيء ، وكلها متفرع على المعرفة بالله تعالى .

فأمر الله جل و علا موسى عليه السلام أن يخاطب فرعون بالاستفهام الذى معناه العرض ليستدعيه بالتلطف في القول ، ويستنزله بالمداراة من عتوه و سطوته و تعيده بنى إسرائيل لنفسه .

قال الله تعالى : « فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل و لاتعذّبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى » طه : ٤٧)

٢٠- (فأراه الآية الكبرى)

فجاء موسى عليه السلام إلى فرعون مصر ، و دعاه فى رفق ولطف إلى الله جل و علا فلما لم يقنع فرعون بالدليل القولي وماكان من فرعون إلاّ أن ردّ موسى عليه السلام رداً قبيحاً و أغلظ له القول و رماه بالكذب والجنون أراد موسى أن يدفع هذه التهم عنه ويثبت لفرعون انه رسول رب العالمين تحدّاه فرعون بأن يأتى بما

يدل على أنه رسول من عندالله جل وعلا أظهرموسى عليه السلام لفرعون آية محسوسة ودليلاً ظاهراً يراه بعينه ، وهي إنقلاب العصا حية تسعى أظهرها على يده .

وأخرج يده بيضاء للناظرين ،وهاتان برهانان قدتمرّن بهما موسى عليه السلام بالواد المقدس طوى ، و لما جاء فرعون و دعاه إلى ما دعا ، فطلب منه آية فأبرزهما موسى عليه السلام بمرئى فرعون وملائه زمناً واحداً .

قال الله تعالى : « فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله آنس من جانب الطورناراً قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبرأوجذوة من النارلعلكم تصطلون فلما أتاها نودي من شاطىء الواد الأيمن في البقعةالمباركة من الشجرة أن يا موسى انيأنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتزّ كأنها جان ولّى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولاتخف انك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غيرسوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملائه انهم كانوا قوماً فاسقين » القصص : ٢٩-٣٢)

وقال : « ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على أن لاأقول على الله إلاّ الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني اسرائيل قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذاهي بيضاء للناظرين » الاعراف : ١٠٣ - ١٠٨)

وقال : « قال لئن اتخذت إلهاً غيري لاجعلنك من المسجونين قال أو لو جئتك بشيء مبين قال فأت به إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذاهي بيضاء للناظرين » الشعراء : ٢٩ - ٣٣)

٢١- (فكذب وعصى)

فكذّب فرعون مصر مارآه من الآية الكبرى بيد موسى عليه السلام من عصاه و يده بأنها من الله جل و علا وجائيها رسول عليه السلام تكذيباً بالقلب و اللسان إذنسب

المعجز إلى السحر ، واتهمه بأنه ساحر ، وما أتاه ليس من الله جل وعلا من غير تأمل وتفكر في غاية التكذيب ، وعصى فرعون ربه إذ تمرّد و أظهر التجبر و الطغيان ، وعصاه فيما أمره به من طاعته ربه وخشيته إياه ، وعصى نبي الله إذ جحد نبوته و فيما تراه .

قال الله تعالى: «ولقد أريناه آياتنا كلها فكذّب وأبى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى» طه : ٥٦-٥٧) .

وقال : «قال للملا حوله ان هذا لساحر عليم» الشعراء : ٣٤) .

٢٢- (ثم أدبر يسعى)

ثم أدبر فرعون وتولى إذ رآى الاية الكبرى ليطلب ما يكسر به حجة موسى عليه السلام في المعجزة العظيمة، فما ازداد إلاّ غواية ، و كان يجتهد في إبطالهما بعد أن كان يطلب منه الاية لصدق نبوته .

٢٣- (فحشر فنادى)

فجمع فرعون مصر الناس من أهل مملكته ، ومنهم السحرة لابطال أمر موسى عليه السلام و غيرهم للتشاور على الابطال و غير ذلك ، فنادى فيهم :

قال الله تعالى حكاية عن فرعون : «قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا و بينك موعداً لانخلفه نحن ولاأنت مكاناسوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب و قد خاب من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما و يذهبا بطريقتكم المثلى فاجمعوا كيدهم ثم ائتوا صفاً . . » طه : ٥٧ - ٦٤)

٢٤- (فقال انا ربكم الاعلى)

فقال فرعون إذ جمع قومه : أنا ربكم الاعلى ، و ان الرب الذي يدعو

إليه موسى عليه السلام هو رب دونه منزلة وعلواً ، فلا سلطان يعلو سلطاني .

وقدكان فرعون في تضاد الآلهة ، فانه كان قد يعترف بوجود أرباب ولكنه أعلاهم : « فقال أنا ربكم الاعلى » وكان قد يعبد آلهة كما يعبدها غيره : « وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض و يذرك وآلهتك » الاعراف : ١٢٧)

و كان قد ينفي الالوهية لغيره و يهدّد موسى عليه السلام ان اتخذ إلهاً غيره توحيداً لنفسه في الالوهية : « قال لئن اتخذت إلها غيري لاجعلنك من المسجونين » الشعراء : ٢٩) « و قال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري » القصص : ٣٨)

ومن غير أن يكون فرعون يدعي العلو في الربوبية عند إبتداء دعوة موسى عليه السلام إياه وقومه إلى الله تعالى وحده ، وإن كان هو يعبد آلهة ، وكان يأمر الناس أن يعبدوه كما أمر موسى عليه السلام بذلك . فلما طال عليه الامر واستمرت الحكومة إدعى إنحصار الالوهية لنفسه ، كما ان هذا هو دأب الحكام الجائرين إذا طالت حكومتهم على الناس .

٢٥- (فأخذه الله نكال الاخرة والاولى)

فأخذه الله جل وعلا فرعون مصر بسبب كفره وطغيانه بعذاب نار جهنم في الاخرة ، كما أخذه بعذاب الاستيصال والاغراق في الحياة الدنيا .

فقد انتهت قصة موسى عليه السلام وفرعون بهزيمته وخزيه ، وفضح ربوبيته على أعين الناس . . . ثم لم يقف الامر عند هذا بل أخذه الله تعالى بالعذاب في الاخرة بأن أعدّ له أسوأ مكان في جهنم كما أخذه بالعذاب في الدنيا بان أماته شرّ ميتة بان أهلكه غرقاً ، ثم ألقي جثته المتعفنة على الشاطىء ، وقد عافت حيوانات البر أن تطعم منها ، بل ظلت هكذا عبرة و عظة في هذا الاله المتعفن الذي يزكم الانوف ريحه النتن .

قال الله تعالى : « ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لاتخاف دركاً ولا تخشى فأتبعهم فرعون و جنوده فغشيهم من اليم ماغشيهم » طه : ٧٧ ـ ٧٨)

وقال : « وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب » غافر : ٤٥ ـ ٤٦)

٢٦- (ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى)

ان فى حديث موسى عليه السلام وفى قصة فرعون مصر ونكاله فى الدنيا والاخرة لاعتباراً لمن عقل ، ويرى به مصير أهل البغي والضلال ، واعتبر ، فيخشى على نفسه مثل هذا المصير فيباعد بينها وبين السوء والضلال ، و فى ذلك عظة لمن فكر وتدبر فى عواقب الكفر والطغيان والاستكبار والعصيان واتعظ ، ويخشى نكاله العاجل والآجل ، ويخاف عقابه ونقمته من أهل الاعتبار والاتعاظ ومن أهل التقوى واليقين ومن اولى الابصار والالباب ، ومن أصحاب العلم ، و إلا فلا شأن للكافر والمنافق فى ذلك باعتبار .

قال الله تعالى : « إنما تنذر من اتبع الذكر و خشى الرحمن بالغيب » يس : ١١)

وقال : « فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين » التوبة : ١٣)

وقال : « إنما أنت منذر من يخشيها » النازعات : ٤٥)

وقال : « انما يخشى الله من عباده العلماء » فاطر : ٢٨)

وقال : « ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار » آل عمران : ١٣)

وقال : « لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب » يوسف : ١١١)

٢٧- («انتم اشد خلقاً ام السماء بنيها)

وأنتم أيها المنكرون للبعث والحساب والجزاء بعد الموت أشد خلقا ـ و قد خلقتهم من ماء مهين ضعافاً عاجزين لاتملكون لانفسكم نفعاً ولاضراً ولاموتاً

ولاحياة - وأصعب إبداعاً وإنشاء فى تقدير كم ؟ أم هذه السماء التى ترون خلقها وبديع تركيبها وعظمة شأنها بناهاالله جل وعلا وضم أجزائها المتفرقة بعضها إلى بعض وربطها بما يمسكها حتى حصل عن جميعها بنية واحدة ؟

انكم أيها المكذبون بالبعث لاتنازعون فى أن السماء أشد منكم خلقاً و قوة وصلابة ورموزاً وغموضاً ، بدءاً وعوداً ، وأصعب إنشاءاً ، ومع ذلك لم نعجزعن إبداعها ، فكيف تظنون انا نعجزعن إعادتكم بعد موتكم ، فمن قدر على خلق السماء قدرعلى الاعادة .

ومن البين : ان خلق السماء أعظم وأبلغ فى القدرة ، فاذاكان الله عزوجل قادراً على إنشاء العالم الاكبر يكون على العالم الاصغربل على إعادته أقدر .

فالله تعالى هوالذى خلق السموات على عظمها و إنطوائها على تعاجيب البدائع التى تحارالعقول عن ملاحظة أدناها ، وأودع فيها النواميس اللازمة ، و التى تفوق فى العظمة خلق الناس عليه أهون أن يخلقهم ثانية بطبيعة الحال .

قال الله تعالى : « أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض قادرعلى أن يخلق مثلهم و جعل لهم أجلاً لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفوراً » الاسراء : ٩٩)

و قال : « أوليس الذى خلق السموات والارض بقادرعلى أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم » يس : ٨١)

وقال : « لخلق السموات والارض أكبرمن خلق الناس ولكن أكثرالناس لايعلمون » غافر : ٥٧)

وقال : « ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله » الزمر:٣٨)

وقال : « فاستفتهم أهم أشدخلقاً أم من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب» الصافات : ١١)

وقال : « أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن

بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير » الاحقاف : ٣٣)

٢٨- (رفع سمكها فسواها)

رفع الله جل وعلا سقف السماء ، فعدلها مستوية ملساء بلا تفاوت ولا فتور لما فيها من ترتيب أجزائها وتركيبها بوضع كل جزء فى موضعه الذى تقتضيه الحكمة الالهية ، وسوّاها على هذا النظام البديع وما تتزين به من كواكب ونجوم ، وأبدع فى خلق الكواكب وجعل كل كوكب منها على نسبة من الاخر، وجعل لكل منها ما يمسكه فى مداره وكل فى فلك يسبحون .

قال الله تعالى : « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها » الرعد : ٢)

وقال : « والسماء رفعها ووضع الميزان » الرحمن : ٧)

وقال : « وإلى السماء كيف رفعت » الغاشية : ١٨)

وقال . « والسقف المرفوع » الطور : ٥)

وقال : « الذى خلق سبع سموات طباقاً ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور » الملك : ٣)

و قال : « هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسوّاهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم » البقرة : ٢٩)

٢٩- (واغطش ليلها واخرج ضحيها)

وأظلم الله تعالى ليل السماء بغروب الشمس ،وأخرج ضياء السماء وأبرز نهارها بطلوع الشمس .

قال الله تعالى : « يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل وسخّر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى » الزمر : ٥)

وقال : « والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى » الليل : ١ ـ ٢)

و قال : « والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس » التكوير : ١٧ ـ ١٨)

وقال : « والله يقدّر الليل والنهار » المزمل : ٢٠)

وقال : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » الاسراء : ١٢)

و قال : « يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار » النور : ٤٤)

و إنما أضاف الله تعالى الليل والضحى إلى السماء لان منها منشأ الظلام والضياء بغروب الشمس وطلوعها على ما دبّرها الله عزوجل ، فجعل الليل مظلماً والنهار نوراً بالسبب السماوي .

٣٠ـ (والارض بعد ذلك دحاها)

و بسط الله جل وعلا الارض ومدّها ومهّدها وجعلها قابلة للسكنى والاستقرار بعد ما بنى السماء ورفع سمكها وسوّاها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . فقد كانت الارض مخلوقة غير مدحوة قبل خلق السماء ، بأن خلقها الله تعالى و ما فيها خلقاً ، ثم خلق السماء و سواها ، ثم دحا الارض و يسّرها للسير والاستقرار ، فلا تنافي بعدية دحو الارض تقدم خلقها على خلق السماء وإستوائها في قوله تعالى : « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً ثم استوى إلى السماء » البقرة : ٢٩) كما توهم بعض المفسرين .

قال الله تعالى : « قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين و تجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك و قدّر فيها أقواتها في أربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللارض إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سماوات في يومين و أوحى في كل سماء أمرها و زينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم » فصلت : ٩ ـ ١٢)

٣١ـ (أخرج منها ماءها ومرعاها)

أخرج الله تعالى من الارض ماءها من البحار والعيون المتفجرة الجارية في الانهار ، وأخرج نبات الارض مما ترعاه النعم من الشجر والعشب ، و ما يأكله

الناس من الاقوات والثمار . . .

قال الله تعالى : « الذى جعل لكم الارض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً و أنزل من السماء ماء فاخرجنا بهأزواجاً من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لاولى النهى » طه : ٥٣ - ٥٤)

وقال : « أولم يروا إلى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم إن فى ذلك لآية وماكان أكثرهم مومنين » الشعراء : ٧ ـ ٨)

وقال : « وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب و فجّرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون » يس : ٣٤ - ٣٥)

وقال : « سبحاسم ربك الاعلى الذىخلق فسوّى والذى قدّرفهدىوالذى أخرج المرعى » الاعلى : ١ - ٤)

وقال : « أمن جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً » النمل : ٦١)

٣٢- (والجبال أرساها)

وأثبت الله جلوعلا فوق الارض الجبال فى أماكنها أوتاداً لها لتمسكها و تحفظ توازنها ، لئلاتميد بمن على وجهها ، ولاتضطرب بهم .

قال الله تعالى : « ألم نجعل الارض مهاداً والجبال أوتاداً » النباء : ٧و٨)

وقال : « وألقى فىالارض رواسى أن تميدبكم وأنهاراً وسبلاً»النحل:١٥)

و قال : « و جعلنا فى الارض رواسى أن تميدبهم وجعلنا فيها فجاجاً » الانبياء : ٣١)

٣٣- (متاعاً لكم ولانعامكم)

ان الله تعالى خلق الارض وبسطها ، وأخرج منها المياه والمراعى و أنبت عليها الجبال بما فيها من أنواع المعادن ليمتعكم و أنعامكم متاعاً كل بحسبه لتعرفوا ربكم وتخافوا مقامه ، وتنهواالنفس عن الهوى ، وتذكروا نعمتهعليكم وتشكروه عليها .

قال الله تعالى : « فلينظر الانسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً ثمشققنا

الارض شقاً فأبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهة و أباً متاعاً لكم ولأنعامكم » عبس : ٢٤ - ٣٢)

وقال : « الذى جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماءماء فأخرج به من الثمرات رزقاًلكم فلاتجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون »البقرة :٢٢)

وقال : « فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً و اشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون » النحل : ١١٤)

٣٤- (فاذا جائت الطامة الكبرى)

فاذا وقعت الواقعة ، و جاء اليوم الموعود الذى هو طامة كبرى و داهية عظمى تغلب على كل داهية هائلة من الدواهى ، و تغمرما سواها من الاهوال بعظيمهولها ، فتنسى الدواهيوالاهوال كلهاالعظيموبالهاو بلائهاوهولهاالتى لاتدفع عن أهل الكفر والضلال ، عن أهل البغى والفساد ، عن أهل المعصيةوالطغيان ، عن أهل العناد واللجاج ، و عن أصحاب الاستكبار والاستبداد وطلاقة العنان...

قال الله تعالى : « بل الساعة موعدهم والساعة أدهى و أمر ان المجرمين فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوامس سقر » القمر : ٤٦ - ٤٨)

وقال : « ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسرالمبطلون » الجاثية : ٢٧)

وقال : « ولوترى إذ فزعوا فلافوت واخذوا من مكان قريب وقالواآمنابه وأنى لهم التناوش من مكان بعيد » سباء : ٥١ - ٥٢)

وقال : « ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاؤا وكانوابشركائهم كافرين ويوم تقوم الساعةيومئذيتفرقون » الروم :١٢-١٤)

وقال : « ويوم ينفخ فيالصورففزع من فيالسموات ومن فيالارض إلا من شاء الله و كل أتوه داخرين » النمل : ٨٧)

و قال : « ان زلزلة الساعة شى عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى و ماهم بسكارى و لكن

عذاب الله شديد » الحج : ١ ـ ٢)

٣٥- (يوم يتذكر الانسان ما سعى)

يوم القيامة يوم يتذكرفيه كل إنسان ما سعى فى الحياة الدنيا مما نساه أو تناساه وما فى ذكره : من خيرأوشر ، من كفرأو ايمان ، من إخلاص أو نفاق ، من صلاح أوفساد ، من إصلاح أوإفساد ، من صدق أو كذب ، من أمانة أوخيانة ، من طاعة أومعصية ، من إحسان أوإساءة ، من بر أوفجور ، وما قدمت يداه من أعمال ليؤدى عليها الحساب والجزاء ، إن خيراً فخيراً ، وإن شراً فشراً .

قال الله تعالى : « يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه و نسوه والله على كل شيء شهيد » المجادلة : ٦)

وقال : « يومئذ يتذكرالانسان وأنى له الذكرى » الفجر : ٢٣)

وقال : « يوم ينظرالمرء ما قدمت يداه » النباء : ٤٠)

وقال : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خيرمحضراً وما عملت من سوء » آل عمران : ٣٠)

و قال : « ان الساعة آتية أكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى »طه:١٥)

و قال : « وأن ليس للانسان إلا ما سعى و انسعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى » النجم : ٣٩ ـ ٤١)

وما ورد فى المقام فمن باب التأويل فتدبر جيداً .

٣٦- (وبرزت الجحيم لمن يرى)

و ظهرت الجحيم وهى نارالله الموقدة لمن يراها يوم القيامة من الغاوين إذا تلظى .

قال الله تعالى : « وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاون »الشعراء : ٩١ ـ ٩٤)

وقال : «ويوم نبعث من كل امة شهيداً ثم لا يؤذن للذين كفروا ولاهم يستعتبون وإذا رأ الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولاهم ينظرون» النحل : ٨٤ ـ ٨٥).

وقال : « ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأ المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً» الكهف : ٥٢ـ٥٣) .

وقال : «وأعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيراً إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً» الفرقان : ١٢) .

وقال : «إذ تبرّأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب» البقرة : ١٦٦) .

وقال : «وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون» يونس : ٥٤) .

وقال : «وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مردّ من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى» الشورى : ٤٤ـ٤٥) .

وقال : «ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» التكاثر : ١ـ٨) .

٣٧- (فاما من طغى)

فأما من طغى على ربه بالشرك والكفر والعصيان ، طغى على نبيه بالتكذيب والايذاء والعناد ، طغى على نفسه بالانحطاط والشقاء والخسران ، وعلى الناس بالاضلال والافساد وصدّهم عن سواء السبيل . . . وتجاوز حدود الحق في حياته، وسلك مسلك فرعون طاغية مصر واستكبر، وتجاوز الحد فى العتو والبغي والضلال، وتجاوز حدود الله جل وعلا ، فترك أوامره وارتكب نواهيه . . .

قال الله تعالى: «وقالوا إن هذا إلاّ سحر مبين ـ إذا متنا و كنا تراباً وعظاماً إنا لمبعوثون ـ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ـ وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً طاغين ـ انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلاّ الله يستكبرون» الصافات: ١٥ ـ ٣٥) .

وقال : «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جائتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الايات عند الله وما يشعركم أنها إذا جائت لايؤمنون و نقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون» الانعام : ١٠٩ و ١١٠).

وقال: «وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم انما نحن مستهزؤن الله يستهزىء بهم ويمدّهم في طغيانهم يعمهون اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فماربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين» البقرة : ١٣ ـ ١٦) .

وقال : «اذهب إلى فرعون انه طغى» النازعات : ١٧) .

و قال : «وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد» الفجر : ١٠ ـ ١٢) .

وقال : « كذلك ماأتى الذين من قبلهم من رسول إلاّ قالوا ساحر أومجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون» الذاريات : ٥٢ ـ ٥٣) .

وقال : «انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولايستثنون ـ قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين ـ كذلك العذاب ولعذاب الاخرة أكبر لو كانوا يعلمون» القلم : ١٧ ـ ٣٣) .

وقال : «ومن يعص الله و رسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها» النساء : ١٤) .

٣٨- (وآثر الحياة الدنيا)

الايثار : إرادة الشيء على سبيل التفضيل له على غيره . و المعنى : اعتلق

قلبه بالحياة الدنيا ، وفضّل لذاتها الفانية وشهواتها الزائلة على كرامة الاخرة الدائمة ونعيمها الباقية باتباع الهوى ،فاختار متاع الحياة الدنيا ورضي عن زخارفها واطمأن بهاوسعى لهاسعيه ، وترك الاخرة وغفل عن الجنة ونعيمها ولم يعمل لها عملاً .

قال الله تعالى : «بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير و أبقى» الاعلى : ١٦ ـ ١٧) .

وقال : «ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة وان الله لايهدى القوم الكافرين اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم واولئك هم الغافلون لاجرم أنهم في الاخرة هم الخاسرون» النحل : ١٠٧ ـ ١٠٩).

وقال : «الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله و يبغونها عوجاً اولئك في ضلال بعيد» ابراهيم : ٣) .

وقال :«ان الذين لايرجون لقائنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون» يونس : ٧).

وقال : «فأعرض عن من تولّى عن ذكرنا ولم يرد إلاّ الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم» النجم : ٢٩ ـ ٣٠) .

٣٩- (فان الجحيم هي المأوى)

فان جهنم مسعّرة هي مأوى الطاغي الذى لاينهى نفسه عن الهوى ، وماكان خائفاً مقام ربه ، وكان يعمل في الحياة الدنيا طلاقة العنان . . . فهذه منزله الذى يأوى إليه ، ومصيره الذى يصير إليه يوم القيامة ، ومثواه الذى هو اللائق به ، و مستقره الذى هو يستحقه .

الجحيم : نارالله الموقدة الشديدة التأجج ، يقال : جحم النار : أوقدها . فجحمت : اضطرمت و كثر جمرها ولهبها و توقّدها والمراد بها جهنم إذاسعّرت .

قال الله تعالى : «اولئك مأواهم النار بماكانوا يكسبون» يونس : ٨) .

وقال : «و وإذا الجحيم سعرت» التكوير : ١٢) وقال : «مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا» الاسراء : ٩٧) .

وقال : «ان جهنم كانت مرصاداً للطاغين مآباً» النباء : ٢١ ـ ٢٢) .

وقال : «وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار و مالكم من ناصرين ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزواً وغرتكم الحياة الدنيافاليوم لايخرجون منها ولاهم يستعتبون» الجاثية : ٣٤ ـ ٣٥) .

وقال : «وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون» السجدة : ٢٠).

وقال : «جهنم يصلونها وبئس القرار» ابراهيم : ٢٩) .

٤٠ـ (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى)

وأمامن خاف قيام الله جل وعلا عليه بالحفظ والمراقبة فيما يعمل فى الحياة الدنيا ،فيخاف منه عندموافعة الذنب فيقلع ويتركه ، وعند مواقع ترك الطاعات فيطيعه ، ويخاف قيام الله تعالى بالعدل فى الجزاء يوم الحساب ، فهو يستشعر بخوف الله عزوجل و حسابه وعذابه ، ونهى نفسه الامارة بالسوء عن هواها وزجرها عن إتباعها، وضبطها ووطّنها على متاعب التكاليف من الافعال والتروك إبتغاء لوجه الله تعالى .

فكلما دعته نفسه إلى أمر يخالفها ويزجرها عن إتباع الهوى والباطل ، و سار فى سبيل الله جل وعلا وطريق الحق والصواب والفلاح .

قال الله تعالى : « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت» الرعد : ٣٣) .

وقال :«ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد» إبراهيم : ١٤) .

وقال : «من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب» ق : ٣٣) .

و قال : « و من يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون »

النور : ٥٢) .

وقال حكاية عن إحدى إبني آدم لأخيه : «لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدى إليك لاقتلك انى أخاف الله رب العالمين» المائدة : ٢٨) .

وقال : «قل إني أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم» الانعام : ١٥) .

وقال : حكاية عن الابرار : «إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً» الانسان : ١٠) .

٤١- (فان الجنة هى المأوى)

فان الجنة هى مأوى الخائف مقام ربه ، ومنزل المتقى الصالح ، ومستقر الناهي نفسه عن الهوى ومثوى المؤمن الذى يهنأ فيه بنعيم الله جل و علا و رضوانه ، وله فيها حياة طيبة سعيدة آمنة أمينة باقية وله فيها تحية وسلام .

قال الله تعالى : «ولمن خاف مقام ربه جنتان» الرحمن : ٤٦) .

وقال : «جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتياً لايسمعون فيها لغواً إلا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقياً» مريم : ٦١ ـ ٦٣) .

وقال : «من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون» النحل : ٩٧) .

وقال : «أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون» السجدة : ١٩) .

وقال : «ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم» غافر : ٩) .

وقال : «وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ماله من نفاد» ص ٤٩ ـ ٥٤) .

وقال : « ان المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون » الدخان: ٥١ ـ ٥٢)

وقال : « وان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون» العنكبوت: ٦٤)

وقال : « ان الذين آمنوا و عملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » يونس : ٩ - ١٠)

٢٢- (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها)

يسئلك أيها الرسول ﷺ هؤلاء المنكرون للبعث والحساب والجزاء ، والمكذبون بالساعة التى تبعث فيها الموتى من قبورهم ، والمستهزؤن بها وغيرهم من الناس عن الساعة : متى قيام الساعة وظهورها ؟ متى إثباتها وإقرارها ؟ متى وقوعها وموعدها ثابتة على ما وصفتها؟ متى تلقى مراسيها على الشاطىء الموعود ومتى يكون زوال الزمان و ضياعه بكائناته ، والانتقال إلى زمان لازوال له ولا انتهاء بتبدل نواميس الكون . . .

قال الله تعالى : « وقالوا ء إذا كنا عظاماً ورفاتاً ء إنا لمبعوثون خلقاً جديداً فسيقولون من يعيدنا - ويقولون متى هو » الاسراء : ٤٩ - ٥١)

وقال : « قل هو الذى ذرأكم فى الارض وإليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين » الملك : ٢٤ - ٢٥)

وقال : « الذين هم فى غمرة ساهون يسئلون أيان يوم الدين » الذاريات : ١١ - ١٢)

وقال : « يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله » الاحزاب : ٦٣)

٢٣- (فيم أنت من ذكراها)

فى أى شىء أنت يا محمد ﷺ من ذكرى الساعة لهم ؟ فانك لست فى شىء من العلم بحقيقة الساعة ولاتحيط بوقتها ، ولم يؤت علمها بأحد من الانبياء والمرسلين عليهم السلام ، فأنت بعيد عن ذكرها كل البعد ، فانها خفية شديدة عمن سوى الله جل وعلا ، فانها من إختصاصات الربوبية علمها و إقامتها و موعدها ،

فليس عندك علمها حتى تذكر و تجيب عن وقت وقوعها ، و ليس ذكراها مما يرتبط برسالتك ودعوتك ، إنما بعثت أنت لتنذرمن يخشاها .

فلاحاجة إلى الاستفهام عن وقتها بعد العلم باقترابها فان هذا القدر من العلم يكفي في وجوب الاستعداد لها ، بل لايتم الغرض من التكليف إلاّ باخفاء وقته كالموت ، وليلة القدر ، وغضب الله تعالى فى المعاصى ، ورضاه فى الطاعات ، وعبده الصالح بين الناس ، والساعة من ساعات الجمعة ، وما إليها من الامور الخفيّة . . . ولاخفائها علل وحكم وأسرار أوردناها فى محلها . . .

قال الله تعالى : «ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث و يعلم مافى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأىّ أرض تموت ان الله عليم خبير » لقمان : ٣٤)

وقال : « ان الساعة آتية أكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى »طه:١٥)

وقال : « يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لايجليها لوقتها إلاّ هو ثقلت فى السموات والارض لاتأتيكم إلاّ بغتة يسئلونك كأنك حفىّ عنها قل إنما علمها عندالله ولكن أكثر الناس لايعلمون » الاعراف : ١٨٧)

وقال : « ولله غيب السموات والارض وما أمر الساعة إلاّ كلمح البصر أوهو أقرب ان الله على كل شىء قدير » النحل : ٧٧)

و قال : « يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدرك لعل الساعة تكون قريباً » الاحزاب : ٦٣)

٤٤- (الى ربك منتهاها)

إلى ربك أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أمر الساعة ومنتهى علمها ، فموعدها عندالله تعالى وحده وفى علمه ، فلا يوجد عندغيره إذلم يؤته أحداً من خلقه ، فليس فى وسع أحد غيره أن يجيب عنها ، وهو جل وعلا أخفاها لحكمة إلهية تقتضى إخفائها من غيره .

فلا يعلم أحد متى يكون ذلك ، ولا وقت قيامها وحقيقتها ولا صفاتها إلا هو ، فلست يا محمد ﷺ تعلم وقت قيامها ، فتجيبهم عنه ، و ليس لهم أن يسئلوك عنها .

قال الله تعالى : « وعنده علم الساعة وإليه ترجعون » الزخرف : ٨٥)

وقال : « إليه يردّ علم الساعة » فصلت : ٤٧)

٤٥ـ (انما أنت منذر من يخشيها)

انما أنت يا محمد ﷺ مبعوث بانذار الساعة وأهوالها من يخافها ، فينتفع بانذارك ويعمل حسابها ويعدّ نفسه ليومها ، دون أن تعلم أو تقدر على شيء منها أو تخبر بوقت قيامها وتبيّن حقيقتها حتى تجيبهم عن وقتها إذا سئلوك عنه إذ ليس ذلك غرضاً من رسالتك ولا من مهماتها ، فليس لك أن تسئل عنها ، ولا أن تجيب السائلين عن سئوالهم عن وقتها .

فلا يؤثّر إنذارك بالساعة وأهوالها إلا فيمن يستشعر بالخوف منها ، ويريد أن يتحاشا أسبابه بالايمان وصالح الاعمال لها ، ويتوقعها في موعدها الموكول إلى صاحبها ، فمن لم يؤمن فلا يخشاها ، فكأنك لم تنذره ، و إن كنت منذراً لكل مكلف . فتخصيص الانذار بمن يخشى لانهم المنتفعون به .

قال الله تعالى : « إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب » يس : ١١)

وقال : « انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة » فاطر : ١٨)

وقال : « وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون » الانعام : ٥١)

و قال في عموم الانذار : « تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » الفرقان : ١)

وقال : « قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين » الحج : ٤٩)

وقال : « ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل إنما العلم عند الله

وإنما أنا نذير مبين » الملك : ٢٥ ـ ٢٦)

٤٦ـ (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أوضحيها)

كأن هؤلاء المكذبين الذين يسئلون عن الساعة ويستعجلون يومها إستهزاء وإستخفافاً دون أن يعدّوا أنفسهم لها ، هم يوم يرون الساعة قدقامت من عظيم أهوالها وفزعها صغرت الدنيا في أعينهم حتى كأنهم لم يلبثوا في الحياة الدنيا ولم يقيموا فيها إلاّ مقدار عشية ليلة أومقدار ضحى هذه العشية .

فهم يرونها حتماً وفي برهة أقرب بكثير مما يظنون ،وهم سيعلمون حين تطلع عليهم أن رحلتهم إليها لم تطل ، وسيظنون من شدة هذا الامر انهم لم يلبثوا في دنياهم إلاّ عشية ليلة أوضحى هذه الليلة .

قال الله تعالى : « فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ـ ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا و كنا قوماً ضالين ـ قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فسئل العادين قال إن لبثتم إلاّ قليلاً لو انكم كنتم تعلمون » المؤمنون:١٠١-١١٤)

وقال : « ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلاّ ساعة من النهار يتعارفون بينهم» يونس : ٤٥)

وقال : « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لاتعلمون » الروم : ٥٥ ـ ٥٦)

و قال : « كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلاّ ساعة من نهار » « الاحقاف . ٣٥)

﴿ جملة المعاني ﴾

٥٧١٣- (والنازعات غرقاً)

أقسم بالملائكة الذين ينزعون نفوس الكفار نزعاً بشدة من أقاصي أجسادهم.

٥٧١٣- (والناشطات نشطاً)

وأقسم بالملائكة الذين يجذبون أرواح الكافرين من بين الجلد واللحوم .

٥٧١٥- (والسابحات سبحاً)

وأقسم بالملائكة الذين يقضبون أرواح المؤمنين برفق وسهولة .

٥٧١٦- (فالسابقات سبقاً)

فاقسم بالملائكة الذين يسبق بعضهم بعضاً بأرواح المؤمنين إلى الله تعالى و رضوانه .

٥٧١٧- (فالمدبرات أمراً)

فأقسم بالملائكة الذين يدبرون أمر الكون باذن الله تعالى .

٥٧١٨- (يوم ترجف الراجفة)

ليبعثن المكذبون بالبعث و يحاسبن يوم ترجف الارض بالصيحة العظيمة عند نفخ الصور .

٥٧١٩- (تتبعها الرادفة)

تتبع النفخة الاولى ، النفخة الثانية عند تحقق الساعة .

٥٧٢٠- (قلوب يومئذ واجفة)

قلوب المكذبين على طوائفهم يوم القيامة خائفة وجلة .

٥٧٢١- (أبصارها خاشعة)

أبصار أصحاب تلك القلوب الواجفة يوم القيامة منكسرة ذليلة .

٥٧٢٢- (يقولون ءانا لمردودون فى الحافرة)

يقول هؤلاء المكذبون - على طريق الاستنكار - : ءإنا لراجعون إلى حالتنا الاولى قبل الموت بعد الموت .

٥٧٢٣- (ءاذاكنا عظاماً نخرة)

يقولون - على سبيل الاستبعاد - : أنرد أحياء بعد أن صرنا عظاماً بالية متفتتة ؟

٥٧٢٤- (قالوا تلك اذاً كرة خاسرة)

قال هؤلاء المكذبون - على طريق الاستهزاء - : إن صحت الرجعة كما يقول بها محمد ﷺ فتلك إذاً رجعة ذات خسران علينا .

٥٧٢٥- (فانما هى زجرة واحدة)

فلا تحسبوا أيها المكذبون تلك الرجعة صعبة على الله تعالى ، فان هذه الرجعة ليست إلا صيحة واحدة .

٥٧٢٦- (فاذاهم بالساهرة)

فحين الرجعة بالنفخة الثانية هؤلاء المكذبون ظاهرون على وجه أرض المحشر بعد أن كانوا فى بطن أرض الدنيا .

٥٧٢٧- (هل أتاك حديث موسى)

قد أتاك يا أيها الرسول ﷺ قصة موسى عليه السلام مع فرعون مصر وقومه .

٥٧٢٨- (اذناداه ربه بالواد المقدس طوى)

حين نادى الله تعالى نبيه موسى عليه السلام وهو بالواد المبارك المطهر طوى من طور سيناء .

٥٧٢٩- (اذهب الى فرعون انه طغى)

إذهب يا موسى إلى فرعون مصر ناصحاً وقل له قولاً ليناً لانه تجاوز الحدّ في بغيه .

٥٧٣٠- (فقل هل لك الى أن تتزكى)

فقل يا موسى لفرعون : هل لك رغبة إلى أن تتزكى نفسك من قذارة الكفر والطغيان .

٥٧٣١- (واهديك الى ربك فتخشى)

وأن أدلك يا فرعون إلى معرفة ربك فتخشاه حتى تأمن من عذابه .

٥٧٣٢- (فاراه الآية الكبرى)

فأرى موسى عليه السلام فرعون و أظهر له آية محسوسة عظيمة من إنقلاب العصا حية وإخراج يده بيضاء للناظرين .

٥٧٣٣- (فكذب وعصى)

فكذّب فرعون ما رآه من الاية الكبرى ، وعصى ربه .

٥٧٣٤- (ثم أدبر يسعى)

ثم أدبر فرعون و أعرض عن موسى عليه السلام وآيته ليطلب ما يكسر به حجة موسى عليه السلام .

٥٧٣٥- (فحشر فنادى)

فجمع فرعون ناس مصر من أهل مملكته ، فنادى فيهم :

٥٧٣٦- (فقال أنا ربكم الاعلى)

فقال فرعون لهم : أنا ربكم الاعلى

٥٧٣٧- (فأخذه الله نكال الاخرة والاولى)

فأخذ الله تعالى فرعون مصر بسبب كفره وطغيانه بعذاب نار جهنم في الاخرة كما أخذه بعذاب الاستيصال والاغراق في الحياة الدنيا .

٥٧٣٨- (ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى)

ان في حديث موسى عليه السلام وفرعون مصر، ونكاله في الدنيا والاخرة لاعتباراً لمن عقل فيخشى الله جل وعلا .

٥٧٣٩- (ءأنتم اشد خلقا أم السماء بناها)

ءأنتم أيها المنكرون للبعث أشد خلقاً بعد الموت ؟ أم هذه السماء بناها الله جل وعلا؟.

٥٧٤٠- (رفع سمكها فسواها)

رفع الله تعالى سقف السماء ، فعدلها مستوية ملساء بلا تفاوت ولا فتور .

٥٧٤١- (واغطش ليلها واخرج ضحاها)

وأظلم الله تعالى ليل السماء بغروب الشمس ، وأخرج ضياء السماء وأبرز نهارها بطلوع الشمس .

٥٧٤٢- (والارض بعد ذلك دحاها)

وبسط الله تعالى الارض ومدّها ومهّدها وجعلها قابلة للسكنى والاستقرار.

٥٧٤٣- (أخرج منها ماءها ومرعاها)

أخرج الله جل وعلا من الارض ماءها من البحار والينابيع ، و أخرج نبات الارض مما ترعاه النعم وما يتغذاه الانسان .

٥٧٤٤- (والجبال أرساها)

وأثبت الله تعالى فوق الارض الجبال في أماكنها أوتاداً لها لتمسكها وتحفظ توازنها .

٥٧٤٥- (متاعاً لكم ولانعامكم)

ليمتعكم وأنعامكم متاعاً كلاً بحسبه لتعرفوا ربكم وتخافوا مقامه .

٥٧٤٦- (فاذا جاءت الطامة الكبرى)

فاذا وقعت الواقعة ، وهي داهية عظيمة تغلب على كل داهية ، هائلة تغمر

ما سواها من الاهوال . . .

٥٧٤٧- (يوم يتذكر الانسان ما سعى)

يوم القيامة يوم يتذكر فيه كل إنسان ما سعى في الحياة الدنيا .

٥٧٤٨- (وبرزت الجحيم لمن يرى)

وظهرت الجحيم لمن يراها يوم القيامة من الغاوين إذا تلظى .

٥٧٤٩- (فأما من طغى)

فأما من طغى على ربه بالكفر ، و على نبيه بالتكذيب ، و على الناس بالاضلال ، وعلى نفسه بالخسران .

٥٧٥٠- (وآثر الحياة الدنيا)

واعتلق قلبه بالحياة الدنيا ، وفضّل متاعها الفاني على نعيم الاخرة الباقي.

٥٧٥١- (فان الجحيم هي المأوى)

فان جهنم مسعرة هي مأوى الطاغي المنهمك في شهوات الدنيا ولذائذها...

٥٧٥٢- (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى)

وأما من خاف قيام ربه بالحفظ والمراقبة فيما يعمل في الحياة الدنيا، ونهى نفسه عن إتباع هواها .

٥٧٥٣- (فان الجنة هي المأوى)

فان الجنة هي مأوى الخائف مقام ربه ، ومستقر الناهي نفسه عن الهوى.

٥٧٥٤- (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها)

يسئلك أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هؤلاء المكذبون عن الساعة متى قيامها ووقوعها.

٥٧٥٥- (فيم أنت من ذكراها)

في أي شيء أنت يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم من ذكرى الساعة لهم ؟

٥٧٥٦- (الى ربك منتهاها)

إلى ربك أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أمر الساعة ومنتهى علمها .

٥٧٥٧- (انما انت منذرمن يخشاها)

إنما أنت يا محمد ﷺ مبعوث بانذار الساعة وأهوالها من يخافها .

٥٧٥٨- (كانهم يوم يرونها لهم يلبثوا الاعشية اوضحاها)

كأن هؤلاء المكذبين يوم يرون الساعة قد قامت من عظيم أهوالها . لم يقيموا فى الحياة الدنيا إلا مقدارعشية ليلة أوضحاها .



بحث روائي

في تفسير القمي :في قوله تعالى : «والنازعات غرقاً» قال : نزع الروح، و« الناشطات نشطاً » قال: الكفار ينشطون في الدنيا، و«فالسابقات سبقاً»قال: يعنى أرواح المؤمنين تسبق أرواحهم إلى الجنة بمثل الدنيا ، وأرواح الكافرين بمثل ذلك إلى النار .

وفي المجمع : في قوله تعالى : «والنازعات غرقاً» قال : يعني الملائكة الذين ينزعون أرواح الكفار عن أبدانهم بالشدة كما يغرق النازع في القوس ، فيبلغ بها غاية المدى و روى ذلك عن علي عليه السلام .

وفيه : وقيل : هو الموت ينزع النفوس وروى ذلك عن الصادق عليه السلام .

وفيه : في قوله تعالى : «والناشطات نشطاً» قال : انها الملائكة تنشط أرواح الكفار بين الجلد والاظفار حتى تخرجها من أجوافهم بالكرب والغم عن علي عليه السلام

وفي البرهان : الشيباني في نهج البيان عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : «والنازعات غرقاً» قال : الملائكة تنزع أرواح نفوس الكفار إغراقاً كما يغرق النازع في القوس .

وفي الدر المنثور : عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام في قوله تعالى:«والنازعات غرقاً»قال:هي الملائكة تنزع أرواح الكفار «والناشطات نشطاً» هي الملائكة تنشط أرواح الكفار ما بين الاظفار و الجلد حتى تخرجها«والسابحات سبحاً» هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين بين السماء و الارض «فالسابقات سبقاً» هي الملائكة يسبق بعضها بعضاً بأرواح

المؤمنين إلى الله «فالمدبرات أمراً» قال : هي الملائكة تدبر أمر العباد من السنة إلى السنة .

قيل : لو صحت الرواية فتحمل على ذكر بعض المصاديق ،وقوله : «تنشط أرواح الكفار . . . » ضرب من التمثيل لشدة العذاب .

وفيه: عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار قال الله : «والناشطات نشطاً» أتدري ما هو ؟ قلت : يا نبي الله ما هو ؟ قال : كلاب في النار تنشط العظم واللحم .

وفي المجمع : في قوله تعالى : «والسابحات سبحاً» انها الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها سلاً رفيقاً ثم يدعونها حتى تستريح كالسابح بالشيء في الماء يرمى به عن أمير المؤمنين علي عليه السلام .

وفيه: في قوله تعالى: «فالسابقات سبقاً» وقيل : انها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة عن علي عليه السلام .

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى : «والسابحات سبحاً» قال : المؤمنون يسبحون الله .

وفيه : وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : «فالسابقات سبقاً» يعني أرواح المؤمنين تسبق أرواحهم إلى الجنة بمثل الدنيا ، وأرواح الكفار بمثل ذلك إلى النار .

وفي المجمع : في قوله تعالى : «فالمدبرات أمراً» انها الملائكة تدبر أمر العباد من السنة إلى السنة عن علي عليه السلام .

وفي الدر المنثور: أخرج إبن أبي حاتم عن علي بن أبي طالب عليه السلام ان إبن الكواسئله عن المدبرات أمراً قال : الملائكة يدبرون ذكر الرحمان و أمره .

قيل :ان ذكر الرحمان إشارة إلى الامر التشريعي ، وأمره إلى التكويني.

وفي العيون : باسناده عن الامام علي بن موسى الرّضا عن أبيه موسى بن جعفر عليهما السلام قال: كان قوم من خواص الصادق عليه السلام جلوساً بحضرته في ليلة مقمرة مضحية (مصبحة خ) فقالوا : يابن رسول الله ما أحسن أديم هذه السماء ونور هذه النجوم والكواكب ؟ فقال الصادق عليه السلام : انكم لتقولون هذا ، وان المدبرات الاربعة جبرئيل وميكائيل و اسرافيل وملك الموت عليهم السلام ينظرون إلى الارض ، فيرونكم وإخوانكم في أقطار الارض ونوركم إلى السماوات وإليهم أحسن من نور هذه الكواكب ، وأنهم ليقولون كما تقولون : ما أحسن أنوار المؤمنين ؟ .

وفي كنز الفوائد للكراجكي رضوان الله تعالى عليه بالاسناد عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة» : الراجفة الحسين بن علي عليه السلام والرادفة علي بن أبيطالب عليه السلام وأول من ينفض عن رأسه التراب الحسين بن علي عليهما السلام في خمسة وسبعين ألفاً ، وهو قوله تعالى: «انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار» .

اقول : وفي رواية : «في خمسة وتسعين ألفاً» بدل «في خمسة وسبعين ألفاً».

رواه الكليني في الروضة، وفرات الكوفي في تفسيره، والمجلسي في البحار، والبحراني في البرهان .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : «يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة» قال : تنشق الارض بأهلها والرادفة الصيحة .

وفي البرهان: إبن شهر آشوب عن الامام ثامن الائمة علي بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء في قوله تعالى: «تتبعها الرادفة» قال : إذا زلزلت الارض فاتبعها خروج الدابة ، وقال في قوله جل وعلا : «أخرجنا لهم دابة من الارض» علي بن أبي طالب عليه السلام .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : «قلوب يومئذ واجفة» قال : خائفة ، وفي قوله تعالى : «يقولون أإنا لمردودون في الحافرة» قال: قالت قريش :أنرجع بعدالموت : و «أإذا كنا عظاماً نخرة» أي بالية ، و «تلك إذاً كرة خاسرة» قال : قالوا :هذه على حدّ الاستهزاء فقال الله : «انما هي زجرة واحدة فاذاهم بالساهرة» قال : الزاجرة : النفخة الثانية في الصور والساهرة موضع بالشام عند بيت المقدس .

وفي نهج البلاغة: قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة ـ : «وصارت الاجساد شحبة بعد بضتها والعظام نخرة بعد قوتها» .

اقول : الشحب :الهلاك والبض : الرخص الجسد الرقيق الجلد الممتلىء

وفي تفسير القمي:عن الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : «أإنا لمردودون في الحافرة» يقول : في الخلق الجديد ، وأما قوله : «فاذاهم بالساهرة» والساهرة : الارض كانوا في القبور فلما سمعوا الزجرة خرجوا من قبورهم فاستووا على الارض .

و في كنز الفوائد : بالاسناد عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : والكرة المباركة النافعة لاهلها يوم الحساب ولايتي و اتباع أمري ، وولاية علي والاوصياء من بعده واتباع أمرهم يدخلهم الله الجنة بها، ومعي علي وصيي والاوصياء من بعده ، والكرة الخاسرة عداوتي و ترك أمري و عداوة عليّ والاوصياء من بعده يدخلهم الله بها النار في أسفل السافلين .

وفي الاختصاص : باسناده عن محمد بن عبدالله بن الحسين قال : دخلت مع أبي على أبي عبدالله عليه السلام فجرى بينهما حديث ، فقال أبي لأبي عبدالله عليه السلام: ما تقول في الكرة ؟ قال : أقول فيها : ما قال الله عزوجل ، وذلك ان تفسيرها ـ الكرة ـ صار إلى رسول الله قبل أن يأتي هذا الحرف بخمسة وعشرين ليلة قول الله عزوجل : «تلك إذاً كرة خاسرة» إذا رجعوا إلى الدنيا ولم يقضوا دخولهم ،

فقال له أبي : يقول الله عزوجل : «فانما هي زجرة واحدة فاذاهم بالساهرة» أي شيء أراد بهذا ؟ فقال : إذا انتقم منهم وباتت بقية الارواح ساهرة لاتنام ولاتموت.

قوله عليه السلام : «ذحولهم» الذحول جمع الذحل وهو طلب الثأر .

وفي العلل : باسناده عن يزيد بن سلام ـ في حديث طويل ـ انه سئل رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبر ني عن الوادي المقدس لم سمى المقدس ؟ قال : لانه قدّست فيه الارواح، واصطفيت فيه الملائكة وكلم الله عزوجل موسى تكليماً . . . الحديث.

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : «فحشر فنادى» يعني فرعون فنادى: «فقال أنا ربكم الاعلى فأخذه الله نكال الاخرة والاولى» والنكال : العقوبة والاخرة هو قوله :«أنا ربكم الاعلى» والاولى قوله : «ما علمت لكم من إله غيري» فأهلكه الله بهذين القولين .

وفي الخصال : باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : أملى الله لفرعون ما بين الكلمتين أربعين سنة ثم أخذه الله نكال الاخرة والاولى ، فكان بين أن قال الله تعالى لموسى وهارون : «قد اجيبت دعوتكما» و بين أن عرّفه الاجابة أربعين سنة ، ثم قال : قال جبرئيل عليه السلام نازلت ربي في فرعون منازلة شديدة ، فقلت: يارب تدعه ، وقد قال: أنا ربكم الاعلى ؟ فقال : إنما يقول هذا عبد مثلك .

وفي المجمع : في قوله تعالى : «فأخذه الله نكال الاخرة و الاولى» قال : وجاء في التفسير عن أبي جعفر عليه السلام انه كان بين الكلمتين أربعون سنة .

وفيه : وروى أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال جبرئيل عليه السلام : قلت : يارب تدع فرعون وقد قال : «أنا ربكم الاعلى» فقال : انما يقول هذا مثلك من يخاف الفوت .

وفي روضة الكافي : باسناده عن محمد بن عطية قال : جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام من أهل الشام من علمائهم ، فقال : يا أباجعفر جئت اسئلك عن مسئلة قد اعيت عليّ أن أجد أحداً يفسّرها وقد سئلت عنها ثلاثة أصناف من الناس، فقال:

كل صنف منهم شيئاً غير الذى قال الصنف الاخر ، فقال له أبو جعفر عليه السلام :ماذاك قال : فانى اسئلك عن أول ما خلق الله من خلقه ، فان بعض من سئلته قال : القدر ، وقال بعضهم: القلم ، وقال بعضهم : الروح ، فقال أبو جعفر عليه السلام : ما قالوا شيئاً أخبرك ان الله تبارك وتعالى كان ،ولاشيء غيره ، وكان عزيزاً ولا أحد كان : قبل عزه وذلك قوله : «سبحان ربك رب العزة عما يصفون» .

وكان الخالق قبل المخلوق ولو كان أول ما خلق من خلقه الشيء إذا لم يكن له إنقطاع أبداً ، ولم يزل الله إذاً ومعه شيء ليس هو يتقدمه ولكنه كان إذ لاشيء غيره ، وخلق الشيء الذى جميع الاشياء منه وهو الماء الذى خلق الاشياء منه . فجعل نسب كل شيء إلى الماء ولم يجعل للماء نسباً ، يضاف إليه وخلق الريح من الماء ثم سلط الريح على الماء فشققت الريح متن الماء حتى ثار من الماء زبد على قدر ماشاء أن يثور ، فخلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء نقية ليس فيها صدع ولا ثقب ولاصعود ولاهبوط ولاشجرة .

ثم طواها فوضعها فوق الماء ثم خلق الله النار من الماء فشققت النار متن الماء حتى ثار من الماء دخان على قدر ما شاء الله أن يثور فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقية ليس فيها صدع ولاثقب ، وذلك قوله : «والسماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحيها» قال : ولاشمس ولاقمر ولانجوم ولاسحاب، ثم طواها فوضعها فوق الارض ، ثم نسب الخليقتين ، فرفع السماء قبل الارض . فذلك قوله عز ذكره «والارض بعد ذلك دحيها» يقول : بسطها فقال له الشامى :

يا أبا جعفر قول الله تعالى : «أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما» فقال له أبو جعفر عليه السلام : فلعلك تزعم انهما كانتا رتقاً ملتزقتين ملتصقتين ، ففتقت احداهما من الاخرى ؟ فقال : نعم ، فقال أبو جعفر عليه السلام : استغفر ربك فان قول الله جل وعز : «كانتا رتقاً» يقول :كانت السماء رتقاً لاتنظر المطر ، وكانت الارض رتقاً لاتنبت الحب ، فلما خلق الله تبارك وتعالى الخلق،

وبث فيها من كل دابة فتق السماء بالمطر والارض بنبات الحب ، فقال الشامي : أشهد انك من ولد الانبياء وان علمك علمهم .

اقول : و لعل السائل كان يريد أول ما خلق الله تعالى من الماديات . . . فأجاب الامام عليه السلام عنه ، فلاتنافي بينه و بين ماورد : ان أول ما خلق الله تعالى هو نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو العقل .

وفي نهج البلاغة : قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة يذكر فيها إبتداء خلق السموات السبع ـ : « جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً وعلياهن سقفاً محفوظاً وسمكاً مرفوعاً » .

وفي الكافي : باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام انه قال كذلك ذكر البيت العتيق ان الله خلقه قبل الارض ، ثم خلق الارض من بعده فدحاها من تحته .

وفي الاحتجاج : عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ـ في حديث وفيه قال السائل ـ : فخلق النهار قبل الليل ؟ قال : نعم خلق النهار قبل الليل والشمس والقمر والارض قبل السماء .

وفي نهج البلاغة : قال امام المتقين على بن أبيطالب عليه السلام ـ في خطبة ـ « وجبل جلاميدها ونشوز متونها وأطوادها ، فأرساها في مراسيها فألزمها قرارتها، فمضت رؤسها في الهواء، ورست اصولها في الماء فأنهد جبالها عن سهولها ،وأساخ قواعدها في متون أقطارها ومواضع أنصابها ، فأشهق قلالها وأطال أنشازها، وجعلها للارض عماداً وأرزها فيها أوتاداً ، فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها أو تسيخ بحملها أو تزول عن مواضعها . . . » .

قوله عليه السلام : « وجبل جلاميدها » أي خلق صخورها . و « نشوز » : جمع نشز : هو المرتفع من الارض ، و « متونها » : جوانبها ، و « أطوادها » : جبالها، و « فأرساها في مراسيها » :أثبتها في مواضعها، و «فألزمها قرارها » : أمسكها حيث استقرت ، و«فانهد جبالها»:أعلاها من نهد ثدى الجاري إذا أشرف و كعب ،و«أساخ

. . . » : غيب قواعد الجبال في جوانب أقطار الارض ، و« أنصابها » الانصاب: الاجسام المنصوبة ، و « فأشهق قلالها » : جعلها عالية . والقلال : جمع قلة وهي ما علا من رأس الجبل ، و«أرزها » : أثبتها فيها .

و في اكمال الدين : باسناده عن النزال بن سيارة عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل يذكر الدجال ومن يقتله ؟ و أين يقتل ! ألا ان بعد ذلك الطامة الكبرى قلنا : وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : خروج دابة الارض من عند الصفا معها خاتم سليمان وعصى موسى عليه السلام تضع الخاتم على وجه كل مؤمن، فينطبع فيه هذا مومن حقاً وتضعه على وجه كل كافر ، فيكتب هذا كافر حتى أن المؤمن لينادى : الويل لك حقاً يا كافر ، وان الكافر ينادى : طوبى لك يا مؤمن و ددت انى كنت تلك مثلك ، فأفوز فوزاً عظيماً ثم ترفع الدابة رأسها فيراها من بين الخافقين باذن الله جل جلاله وذلك بعد طلوع الشمس من مغربها .

فعند ذلك ترفع التوبة فلا تقبل توبة ولا عمل يرفع ولا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيراً ثم قال عليه السلام : لا تسئلونى عما يكون بعد هذا فانه عهد إلىّ حبيبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن لا اخبر به غير عترتى .

وفى تفسير القمى : ـ فى حديث طويل ـ عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : كفى بالموت طامة يا جبرئيل فقال جبرئيل: ان ما بعد الموت أطم وأطم من الموت قوله: « يوم يتذكر الانسان ما سعى » قال : يذكر ما عمله كله « وبرزت الجحيم لمن يرى » قال : احضرت .

وفيه : فى قوله تعالى: « وأغطش » قال : أى أظلم ، و « أخرج ضحيها» قال: الشمس ، و « دحاها » قال : أى بسطها ، و «الجبال أرساها » قال : أى أثبتها ، و « يتذكر الانسان ما سعى » قال : أى يذكر ما عمله و « برزت الجحيم » قال: أى احضرت ، و « فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى» قال : هو العبد إذا وقف على معصية الله وقدر عليها ثم تركها مخافة الله ونهى النفس

عنها فمكافأته الجنة .

وفى الكافى : باسناده عن داود الرقى عن أبىعبدالله عليه السلام فى قوله: «ولمن مقام ربه جنتان » قال : من علم ان الله يراه و يسمع ما يقول ويعلم ما يعمله من خير أوشر فيحجزه ذلك عن القبيح من الاعمال ، فذلك الذى خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى .

وفيه : باسناده عن مولى الموحدين أمير المؤمنين على عليه السلام فى حديث قال : ومن طغى ضل على عمل بلاحجة .

وفى رواية : عن عبدالله بن مسعود فى قوله تعالى : « و أما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى » قال : أنتم فى زمان يقود الحق الهوى ، وسيأتى زمان يقود الهوى الحق ، فنعوذبالله من ذلك الزمان .

و فى نور الثقلين : بالاسناد عن عبدالرحمن بن الحجاج قال : قال لى أبو الحسن عليه السلام : اتق المرتقى السهل إذاكان منحدره وعراً ، قال : و كان أبو عبدالله عليه السلام يقول : لاتقول النفس و هواها فان هواها فى رداها ، و ترك النفس وماتهوى داءها ، و كف النفس عما تهوى دواءها .

قوله عليه السلام : « وعراً » الوعر : المكان الصلب ضدّ السهل ، وان المراد بصدر الحديث : النهى عن طلب الجاه والرئاسة والاشتهار و سائر شهوات الدنيا و مرتفعاتها . . . فانها وإن كانت مواتية على اليسر والخفض إلا أن عاقبتها عاقبة سوء ومآل أمرها إلى ذلة وهوان ـ كما رأينا فى زماننا هذا كيف آل أمر أصحاب الجاه والرئاسة والشهرة إلى الهوان والذلة والفرار والهزيمة بأيدى الاذلاء فصارت الاعزاء أذلاء والعكس بالعكس فعلى أذلاء الامس و أعزاء اليوم الاعتبار . . . أعاذنا الله جل وعلا وسائر المؤمنين من شرور الدنيا وغرورها بحق محمد و آله الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين .

و فى تفسير القمى : فى قوله تعالى: « يسئلونك عن الساعة أيان مرساها» قال : متى تقوم ؟ فقال الله : « إلى ربك منتهاها » أى علمها عندالله . قوله: « كأنهم

يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أوضحاها » قال : بعض يوم .

وفى الدر المنثور : عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ان الله إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، قال لأهل الجنة . كم لبثتم فى الارض عدد سنين؟ قالوا لبثنا يوماً أوبعض يوم ، قال : لنعم ما اتجرتم فى يوم أوبعض يوم رحمتى ورضوانى وجنتى ، اسكنوا فيها خالدين مخلدين ، ثم يقول : يا أهل النار كم لبثتم فى الارض عدد سنين ؟ قالوا : لبثنا يوماً أوبعض يوم ، فيقول : بئس ما اتجرتم فى يوم أوبعض يوم نارى وسخطى ، امكثوا فيها خالدين .



﴿ بحث فقهي ﴾

و قد استدل بعض المتفقهين بقوله تعالى : « والنازعات غرقاً ـ فالمدبرات أمراً » النازعات : ١ ـ ٥) على جواز القسم بغير الله تعالى إذا قسم الله تعالى في كتابه العزيز بذاته وبمخلوقاته كما في هذه السورة، وفي ذلك دليل على جواز القسم بها لغير الله تعالى .

اقول : وقد اتفق الفقهاء قديماً و حديثاً على أن لاتنعقد اليمين إلاّ إذا كان القسم به هو الله جل وعلا للروايات الواردة منها صحيح محمد بن مسلم قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام قول الله عزوجل: « والليل إذا يغشى » « والنجم إذا هوى» وما أشبه ذلك ؟ فقال : ان لله عزوجل أن يقسم من خلقه بما يشاء و ليس لخلقه أن يقسموا إلاّ به .

وفي صحيحه آخر : قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : لاتتبعوا خطوات الشيطان قال : كل يمين بغير الله فهي من خطوات الشيطان .

وغيرهما من الروايات ، وقد استقصينا البحث في باب الأيمان فراجع .

ولايخفى ان الله تعالى أقسم ـ بمواضع عديدة في القرآن الكريم ـ تارة بذاته المقدسة واخرى بصفاته العليا ،وثالثة بأفعاله الحكيمة ، ورابعة بمخلوقاته . . . مما نراه و مالا نراه من عوالم شتى : عالم الجماد والنبات ، عالم الانسان والحيوان ، عالم الارواح والملائكة والجن ، والعالم العلوي والسفلي، و غيرها من الازمنة والامكنة والاعيان والاعراض والصفات . . .كالطور والنجم والتين

والزيتون والصافات والذاريات والمرسلات والنازعات ، والقرآن والرسول والشمس والقمر والعصر والفجر والليل والنهار . . .

وان الغرض بالقسم هو تحقيق الخبر و تؤكيده ، وايجاد اليقين فى قلب الانسان إذالم يكن متيقناً بما اقسم به ولازياده نفياً واثباتاً لو كان ، ولما فيه من الدلالة على قدرة الله تعالى وعظمته وتدبيره ، و لتعظيم ما احتقره الانسان أو لم يتنبه إلى ما فيه من الدلائل على علمه وحكمته ، وللاستشهاد بمقسم به لما فيه على المقسم عليه ، ولتعظيم المقسم به وتشريفه ، ولتوجيه إليه ، ولتعريف جلال الله تعالى وهيبته وتذكير نعمته .



﴿ بحث مذهبي ﴾

وقد تشبثت المفوضة بقوله تعالى: « فالمدبرات أمراً » النازعات: ٥) على عقيدتهم السخيفة بأن الله سبحانه فوّض امور الكون بعد خلقه إلى غيره من الملائكة والانبياء والاولياء . . .

اقول: ان تدابير الملائكة ـ كماتشير إليها هذه الاية الكريمة ـ في فعالهم هم مأمورون بها من الله عزوجل لاتخرج امور الكون عن تدبير الله جل وعلا، كما ان الامام يدبر في امور الامة، ثم يولي بعض الناس في البلاد: ويأمره بتدبير امور أهلها والحكم بينهم، وهذا لايخرج الامام عن تدبير الامور، فان تدبير النوّاب ليس إلاّ تدبير الامام، وليس حكمهم بين الناس إلاّ حكمه .

وكذلك يأمرنا الله تعالى بتدبير معيشتنا، والتدبير في آياته التكوينية والتدوينية وفي الاعتقادات، وفي الامور الدنيوية والاخروية . . .

وإنما الملائكة وسائط بين الله تعالى وبين الاشياء بدءاً وعوداً بانهم أسباب للحوادث فوق الاسباب المادية في العالم المشهود قبل حلول الموت والانتقال إلى نشأة الاخرة وبعده، بل انهم خلقوا و شأنهم أن يتوسطوا بين الخالق جل و علاوبين خلقه، ويرسلوا لانفاذأمره إذقال الله تعالى: « الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلاً اولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع » فاطر: ١)

وقال: « بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» الانبياء: ٢٦ ـ ٢٧)

وقال : « يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » النحل : ٥٠)

فلا شغل للملائكة إلا التوسط بين الله تعالى وبين خلقه بانفاذ أمره فيهم. وليس ذلك على سبيل الاتفاق بأن يجرى الله سبحانه أمراً بأيديهم ثم يجرى مثله لا بتوسيطهم فلا اختلاف و لا تخلف في سنته عزوجل : « ان ربى على صراط مستقيم » هود : ٥٦)

وقال : « فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً » فاطر : ٤٣)

وان من وساطة الملائكة حفظهم عباد الله تعالى من بين أيديهم ومن خلفهم: « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » الرعد : ١١) وكتابة أعمالهم : « وان عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون » الانفطار :١٠- ١٢) وقبض أرواحهم و سؤالهم فى القبر ونفخ الصور ، و إعطاء الكتاب و وضع الموازين والحساب والسوق إلى الجنة أو النار . . .

ومن وساطتهم نزول الوحى ودفع الشياطين عن المداخلة فيه ، و تسديد النبى صلى الله عليه وآله وسلم وتأييد المؤمنين وتطهيرهم بالاستغفار . . .

فلا تنافي وساطتهم بين الله تعالى و بين خلقه بكونهم أسباباً تستند إليها الحوادث إستناد الحوادث إلى أسبابها القريبة المادية ، فان السببية طولية لا عرضية أى السبب القريب سبب للحادث والسبب البعيد سبب للسبب .

فليس لشيء من الاسباب إستقلال قباله جل وعلا حتى ينقطع عنه ، فيمنع ذلك إستناد ما استند إليه إلى الله عزو جل على ما يقول به الوثنية من تفويضه سبحانه تدبير الامر إلى الملائكة المقربين ، فالتوحيد القرآني ينفى الاستقلال عن كل شيء من كل جهة : لايملكون لانفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً و لاحياة ولانشوراً .

فمثل الاشياء في إستنادها إلى المترتبة القريبة والبعيدة و إنتهائها إلى الله عزوجل بوجه بعيد كمثل الكتابة يكتبها الانسان بيده وبالقلم ، فللكتابة إستناد

إلى القلم ثم إلى اليد التى توسّلت إلى الكتابة بالقلم ، وإلى الانسان الذى توسّل إليها باليد وبالقلم ، والسبب بحقيقة معناه هو الانسان المستقل بالسببية من غير أن ينافى سببيته إستناد الكتابة بوجه إلى اليد وإلى القلم .

ويستدل بقوله تعالى : « وبرّزت الجحيم لمن يرى » النازعات : ٣٦) على أن الجحيم خلقت قبل يوم القيامة ، وإنما تظهر يومئذ ظهوراً بكشف الغطاء عنها. وفى ردّ على منكرى تجسّم الاعمال ، وعلى منكرى خلق الجنة والنار ، و على من زعم ان أحوال الاخرة غير محسوسة ، و إنما هى راحة الروح أو تألمها من غير حسّ .

وتشبث أهل الجبر بقوله جل وعلا : « إنما أنت منذر من يخشاها » النازعات: ٤٥) على مذهبهم السخيف لاختصاص الانذار بالخائفين . . .

اقول : ان وجه الاختصاص : انهم هم الذين إستعدّوا بأنفسهم للانتفاع بما ينذرهم النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ولاشك انه صلى الله عليه وآله وسلم جاء منذراً للخلق كلهم، كما ان كتابه جاء منذراً لجميعهم .

قال تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس » سباء : ٢٨) وقال : « تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » الفرقان : ١)

﴿الخوف وحقيقته﴾

قال الله عزوجل: «وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى» النازعات: ٤٠ و ٤١).

ونحن نرى المقام مناسباً لبحث الخوف، فنأخذ بذكر حقيقته أولاً، ثم بما يتعلق به ثانياً تحت عناوين عديدة على ما يسعه المقام بحول الله تعالى وقوته:

ان الخوف هو: عبارة عن تألم القلب وإحتراقه بسبب مكروه في الاستقبال، وهو أيضاً ينتظم من علم و حال وعمل:

أما العلم فهو: أن يعلم بالسبب المفضي إلى المكروه كمن جنى على ملك ثم وقع في يده وهو يخاف القتل ويجوز العفو والافلات، ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية إلى قتله، وهو تفاحش جنايته، و كون الملك غضوباً منتقماً، و كون هذا الجاني عاطلاً عن كل حسنة تمحو أثر جنايته عند الملك.

فالعلم بتظاهر هذه الاسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب، و لسبب ضعف هذه الاسباب يضعف الخوف، فهذا العلم سبب لاحتراق القلب وتألمه وخوفه وهو الحال، وهذا الحال يثمر فعلاً بالاستعداد والتهيؤ لما يصلح للعفو.

وان الخوف من الله جل وعلا تارة يكون بمعرفة الله عزوجل و معرفة صفاته ... واخرى يكون بكثرة الجناية من العبد بارتكاب المعاصي والبغي و الظلم على الناس بسفك الدماء وهتك الاعراض ونهب الاموال ... و ثالثة يكون بهما

جميعاً .

و من غير مراء ان خوف الانبياء والمعصومين صلوات الله عليهم أجمعين من القسم الاول من اقسام الخوف، وقد ورد : ان أخوف الناس أعرفهم بربه جل وعلا ، وأعرفهم بنفسه ، وقد قال رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله : أنا أخوفكم لله.

وقال الله تعالى : «انما يخشى الله من عباده العلماء» فاطر : ٢٨) .

و من تقييد العلماء بالعبودية يظهر : ان ليس كل عالم يخشى الله تعالى ، وليست عبودية العلماء مقصورة في الصلاة والتزهد ، والصوم والتهجد ، وإنما هي العمل بماعلم من غير أن يكون له في تعلّمه غرض إلاّ الله جل وعلا و كذلك في تعليمه ودعوته وإرشاده، وإلاّ كان عالماً يفسد به العوالم .

قال الامام على عليه السلام : «إذا فسد العالم فسد العوالم»

فاذا تمت المعرفة حصل للانسان خوف من الله جل وعلا ، و احترق قلبه ، فيفضى أثر الاحتراق من قلبه على قلبه ، وعلى بدنه وجوارحه ، وعلى أحواله و صفاته . .

أما البدن فبالنحول والصفار والبكاء ونحو ذلك . . .

وأما الجوارح فبكفّها عن المعاصى وتقييدها بالطاعات تلافياً لمافرط منه فى الماضى ، وإستعداداً للمستقبل .

ولذلك قيل : ليس الخائف من يبكى ويمسح عينيه ، وإنما الخائف من يترك ما يخاف بان يعاقب عليه . . .

و أما الصفات فهو أن يقمع الشهوات بالخوف ،ويؤدّب الجوارح ويكدّر اللذات . . فتصير المعاصى المحبوبة واللذات المشتهية عنده مكروهة ، كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيه إذا عرف ان فيه سمّاً ، فتحرق الشهوات بالخوف وتتأدّب الجوارح،ويحصل فى القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة.. ويفارقه الكبر والحقد والحسد . . .

بل يصير مستوعب الهمة بخوفه و النظر فى خطر عاقبته ، فلا يتفرّق لغيره

ولا يكون له شغل إلاّ المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالانفاس واللحظات ومؤاخذة النفس في الخطرات والخطوات والكلمات ، فيكون ظاهره و باطنه مشغولاً بما هو خائف منه لامتسع فيه لغيره .

قال الله تعالى : «تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً و مما رزقناهم ينفقون» السجدة : ١٦) .

وقال : «الذين يوفون بعهد الله ولاينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب» الرعد : ٢٠ و ٢١).

و قال : «رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار» النور : ٣٧) .

وقال :«الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله» الزمر : ٢٣) .

هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه ، وأقل درجات الخوف ممايظهر أثره في الاعمال . . . الامتناع من المحظورات ، و يسمى الكفّ الحاصل من المحظورات ورعاً فان زادت قوته، و كف عما يتطرق إليه إمكان التحريم ،فيسمى ذلك تقوى قال الله عزوجل : «ومن يطع الله و رسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون» النور : ٥٢) .

إذ التقوى أن يترك المرء ما يريبه إلى مالايريبه ،وقد يحمله على أن يترك مالابأس به مخافة ما به بأس ، و هو الصدق في التقوى ، فاذا انضمّ إليه التجرد للخدمة فصار لايبني مالايسكنه ولايجمع مالا يأكله ، ولايلتفت إلى دنياً يعلم أنها تفارقه ، ولا يصرف إلى غير الله نفساً من أنفاسه ، فهو الصدق وصاحبه جدير أن يسمّى باراً صديقاً .

ويدخل في الصدق التقوى،وفي التقوى الورع،وفي الورع العفة، فانهاعبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة،فاذاً الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام .

قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لاسحق بن عمار : «يا إسحق خف الله كأنك تراه وإن كنت لاتراه فانه يراك، وإن كنت تراه انه لايراك فقد كفرت؛ وإن كنت تعلم انه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين إليك».

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام - في خطبة يصف المتقين الخائفين -: «قد برأهم الخوف بري القداح ينظر إليهم الناظر ، فيحسبهم مرضى و ما بالقوم من مرض ويقول : لقد خولطوا و لقد خالطهم أمر عظيم لايرضون من أعمالهم القليل ، ولا يستكثرون الكثير فهم لانفسهم متهمون ، ومن أعمالهم مشفقون إذا زكى أحد منهم خاف مما يقال له ، فيقول : انا اعلم بنفسي من غيري ، وربي أعلم بي مني بنفسي! اللهم لاتؤاخذني بما يقولون ، واجعلني أفضل مما يظنون واغفر لي مالايعلمون».

و من البين ان الخوف مقام جليل من مقامات المتقين و هو أحد الاركان التي هي اصول هذا الفن ، وهو التقوى التي حث الله جل وعلا

وما ورد في الخبر : «ان أكرم الناس أشدهم خوفاً له».

قال الله تعالى حكاية عن الابرار «انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً» الانسان : ١٠).

وفي الاية الكريمة وحدها كفاية فيما تقدم ، وإذا نظرت القرآن المجيد وجدت ان المتقين هم الخائفون .

وفي رواية : «أتمكم عقلاً أشدكم لله خوفاً وأحسنكم فيما امر به ونهى عنه نظراً» .

وعن بعض الظرفاء : مسكين ابن آدم لوخاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة .

وعن بعض العلماء : إذا قيل له : من آمن الخلق غداً ؟ قال : أشدهم خوفاً

اليوم .

وقيل للحسن : يا أباسعيد كيف نصنع بمجالسة أقوام من أصحابك يخوّفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير ؟ فقال : انك والله لأن تصحب قوماً يخوّفونك حتى تدرك الأمن خير لك من أن تصحب قوماً يؤمّنونك حتى يدركك الخوف .

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى : «والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة» المؤمنون :٦٠) :هم الذين يعصون ويخافون المعصية ؟ قال : لابل الرجل يصوم ويتصدّق ويخاف ألاّ يقبل منه .

وقول الامام علي عليه السلام : «ولقد خالطهم أمر عظيم» أي مازجهم خوف عظيم تولهوا لاجله فصاروا كالمجانين .

ثم ذكر عليه السلام انهم لايستكثرون في كثير من أعمالهم ولايرضيهم إجتهادهم وانهم يتهمون أنفسهم وينسبونها إلى التقصير في العبادة، وهم مشفقون من عباداتهم إلاّ تقبل .

قيل لبعض الظرفاء : متى يكون العبد خائفاً ؟ قال : إذا نزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام .

وقال عمر بن عبدالعزيز لأبي حازم : يا أباحازم ! اني أخاف الله ممّا قد دخلت فيه ، فقال : لست أخاف عليك أن تخاف ، وأنا أخاف عليك ألاّ تخاف .

وقال إبن السماك : خف الله حتى كأنك لم تطعه قطّ وارجه حتى كأنك لم تعصه قطّ .

و في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي حمزة الثمالي قال : قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام : ارج الله رجاء لايجرئك على معاصيه ،و خف الله خوفاً لايؤيسك من رحمته .

وفي نهج البلاغة : سئل الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام عن الفرق بين الغم والخوف ؟ فقال عليه السلام : «الخوف مجاهدة الامر المخوف قبل وقوعه ، والغم ما يلحق الانسان من وقوعه» .

و قيل : ان الفرق بين الخوف و الحزن : ان الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع ، والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به ، فقوله تعالى : «ألاّ تخافوا » أى لاتخافوا فيما تنتظرون بوقوعه فى المستقبل ، و « لاتحزنوا » أى لاتحزنوا فيما فات عنكم فى الماضى .

وقيل : إن الخوف هو انحراف بغير لمس بسبب توقع ما يحذر كما ان النجدة هى ثقة من نفس لايخامرها خوف .



﴿ كلام في حدوث الخوف وازدياده ﴾

ومن المعلوم : ان الانسان و كذلك الحيوان يرثان إستعداداً عاماً للخوف والابتعاد عن الاشياء والمواقف التي تؤلم الجسم وتؤذيه أوالتي يتوقع منها الألم والاذى حيث ان أغلب الدوافع الفطرية تصحبها إنفعالات مميزة : فان الحاجة إلى الطعام يصحبها إنفعال الجوع ، ودافع الهرب يصحبها إنفعال الخوف، ودافع المقاتلة يصحبه إنفعال الغضب ، والدافع الجنسي يصحبه إنفعال الشهوة ، و دافع الاستطلاع يصحبه إنفعال التعجب .

فكل شيء أوموقف يهدّد بهذا الألم والأذى يشكل لدى الفرد خطراً أو مخافة ، و أما الأخطار الفطرية التي تثير هذا الدافع عند الانسان ، أي تثير فيه الخوف وسلوك الابتعاد والتجنب والهرب ، فمن نوع بدائي وعددها محدود .

من ذلك ان الطفل الرضيع في الستة الاشهر الاولى من حياته لاتبعث في نفسه الخوف إلا الاصوات العالية ، والاحداث المباغتة والازاحة المفاجئة له من مكان إلى آخر ، وفقد السند أي أن يكون متكئاً أو محمولاً على شيء ثم يهوى به هذا الشيء أو يتخلّى عنه . . أما بعد ذلك فالرضيع لايخاف شيئاً مما يخيفنا نحن الكبار ، فالطفل بفطرته لايخاف الكلاب أو الظلام أوالبرق أو أمواج البحر أو الموت أوالقانون ، ثم تزداد مخاوفه بعد ذلك عن طريق النضج الطبيعي و عملية التعلم . . . وأما السلوك البدائي الذي يصدر عن هذا الاستعداد ، فيتخلص في الانتفاض والاجفال والصياح ومحاولة القبض باليد والابتعاد ولو بدرجة طفيفة

ومحاولة الهرب ، مع تعبيرات الوجه المعروفة للخوف والتى لا تبدو فى العادة بشكل واضح متميز قبل نهاية العام الاول من العمر .

فتظهر بعض المخاوف لدى الطفل نتيجة لعملية النضج الطبيعى ، ويقصد بها عملية النموالتى تتوقف على وراثة الفرد وتكوينه البيولوجى ولاتحتاج إلى ممارسة أو تدريب أوتعلم خاص ، فالطفل كلما تقدم فى العمر زادت قدراته الحسية وإدراكه ما بين الاشياء من علاقات ، وقدرته على تذكر الماضى . . . وهذا من شأنه أن يجعله يخاف من أشياء لم يكن يخافها من قبل ، و أن يتوقع وقوع الاخطار قبل حدوثها فعلاً . . .

من ذلك انه يبدأ فى الخوف من رؤية الاشخاص الغرباء عنه حوالى الشهر السادس أوالسابع من عمره أى عند ظهورقدرته على التمييز بين الوجوه الغريبة والوجوه المألوفة له ، كذلك نرى الطفل بتقدمه فى العمر يحرص على ألا يطل من النافذة إلاّ بقدرمعلوم ، وألاّ يحاول أن يثب من فوق المائدة أو الكرسى الذى يجلس عليه إلاّ بعد شىء من التلبث والتحرج ، فكلما زاد فهمه زاد حرصه .

أما القسط الاكبر من المخاوف فيكتسبه الطفل عن طريق التعلم، فقد يصيبه الخوف من الكلاب مثلاً لأن كلباً عضّه أو لأننا حذرناه من الكلاب أولانه رأى علامات الخوف منها على وجوهنا ، أولانه سمع قصة عن ذلك ، و قد ظهر من تجربة عرض فيها المجرب ثعباناً كبيراً غير ضار على مجموعة من الافراد وطلب إليهم أن يلمسوا جلده . . .

ظهر منها أن ليس هناك طفل دون الثانية من العمر يبدى خوفاً أوتوجساً منه أما الاطفال الذين فى الثالثة أو الرابعة ، فيبدو عليهم بعض التوجس من ذلك فى حين أن طلبة الجامعة قد بدا عليهم خوف ملحوظ .

والتعلم يحدث فى تلك الاحوال غالباً عن طريق الاقتران أو الارتباط Conditioning إرتباط شىء مخيف بآخر غير مخيف ، وقد اتضح ذلك بجلاء من

التجربة التى أجريت على طفل كان صحيح الجسم ، عمره أقل من عام بقليل، وكان يألف اللعب مع الكلاب والأرانب والفيران البيضاء . . . فقدّم له المجرب ذات يوم فأراً أبيض وبينما هو يهمّ بامساكه أحدث المجرب صوتاً حاداً مرتفعاً وراء الطفل ، فخاف الطفل وارتعد ، وبتكرار هذه التجربة بضع مرات قليلة لم يعد الطفل يجرؤ على اللعب مع الفأر بل كان يتهيبه ويتراجع عند رؤيته ، بل بدأ فضلاً عن ذلك يخاف الأرانب والكلاب حتى الملابس القطنية وقطع القطن . .

وهكذا إنتشر الخوف وإمتد أثره إلى كثير من الاشياء التى لا تخيف ولكنها ترتبط بالشيء المخيف لشبهها به ، و على هذا النحو يكتسب الفرد مخاوف جديدة كثيرة بتقدمه فى العمر : مخاوف مادية كالخوف من الوالدين أو من المدرس أو الظلام أو رؤية الدم أو الميكروبات والمرض والفقر . . . و مخاوف معنوية كالخوف من الضمير و من العار ومن القانون أو شعوره أنه منبوذ مكروه من المجتمع .

والتعلم عن طريق الاقتران (الارتباط) ليس الطريقة الوحيدة للتعلم ، فهناك التعلم عن طريق المحاولات والاخطاء والتعلم عن طريق الملاحظة والفهم والاستبصار وعن طريقهما نتعلم الخوف من الشيء المفاجيء والغريب والمجهول لأننا لا نعرف كيف نتصرف حياله تصرفاً ملائماً مأموناً ، أو لا يكون لدينا وقت لذلك أو لانه ينطوى على إحتمال الخطر . . كذلك نتعلم الخوف من كل ما يهدد حياتنا و كل ما نملكه أو نهتم له من ماديات ومعنويات . . .

وصفوة القول اننا نرث إستعداداً عاماً للخوف وتجنب ما يؤذيننا لكننا لا نرث مخاوف نوعية غير تلك القلائل التى أشرنا إليها .

فكما يتحور هذا الدافع الفطرى من ناحية مثيراته كذلك يتحور من ناحية السلوك الصادر عنه ،فنحن لا نعود نعبر عن جميع مخاوفنا بالاجفال أو الهرب الجسمى ، بل بمراعاة القانون والمحافظة على الصحة وحسن معاملة الناس وإلتماس التقدير

الاجتماعي أو بالانتماء إلى جمعية تشد أزرنا وتؤكد فينا الشعور بالأمن ،بل تبدو مظاهر هذا الدافع لدى بعض الناس في تجنب المخاطرات والمغامرات ،والحرص والحذر الشديد والمحافظة على القديم ، والتشبث بمعتقدات الطفولة والأباطيل الشائعة بالرغم من الأدلة على زيفها .

و ذلك لحاجتنا الشديدة إلى مجاراة المجتمع من جهة ، وللخوف من المجهول من جهة اخرى فالمجهول يخيفنا لانه ينطوي على إحتمال الخطر ،بل إن إعراض كثير من الناس عن إبتكار الجديد قد يكمن وراءه دافع قوي إلى إلتماس الأمن .

ومن المخاوف مخافة شاذة أو فوبيا هي خوف شاذ من شيء معين أو من فعل معين لا يثير الخوف عند أغلب الناس في العادة ، وهي خوف شديد دائم لا يعرف الفرد له سبباً كما لا يستطيع ضبطه والسيطرة عليه بالارادة ، و من هذه المخاوف الخوف من الكلاب أو الفيران أو الظلام أو التلوث الميكروبي ، ومنها الخوف من الوحدة أو عبور الشوارع أو المكث في أماكن مقفلة كقاعات المحاضرات أو صالات العرض المسرحي .

ومن تلك الحالات ان رجلاً كان يخاف أن يبتعد عن بيته ، وقد كان خوفه هذا عنيفاً بحيث أرغمه على ألاّ يتجاوز البيت إلاّ في مجال ضيق . ولم يعرف سبباً لهذا الخوف إطلاقاً ، و قد عرض الرجل نفسه على محلل نفسي ، و أثناء جلسات التحليل النفسي تذكر الرجل انه لما كان في الثالثة من عمره خرج مع امه لكنه ضلّ عنها ، فذهب إلى محطة السكة الحديد . وبينما هو هناك إذا بقطار يندفع إلى المحطة ، وهو ينفث دخانه اللافح الشديد ، فأصابه الدخان بما كاد يحرق جلده . ومع أنه نسي هذه الحادثة نسياناً تاماً منذ طفولته حتى سنّ الكبر إلاّ أن ما أثارته في نفسه من خوف عميق أرغمه على ملازمته بيته لا يتركه إلاّ بمقدار .

﴿القلق والخوف﴾

إعلم أن القلق عبارة عن إنفعال مركب من الخوف، وتوقع الشروالخطر أوالعقاب غير أنه يختلف عن الخوف من جهتين.

احدهما ـ ان القلق هوخوف من خطرمحتمل غيرمؤكد الوقوع كخوف الطالب من نتيجة الامتحان، أوخوف مذنب من إفتضاح أمره، أوخوف المريض من الموت، فهوخوف من المجهول والخفى والغريب وغير المتوقع.

ثانيهما ـ انه خوف معتقل محبوس لايستطيع أن ينطلق فى مجراه الطبيعى كالهرب أوالاختفاء أوالهجوم، انه إنفعال مؤلم نشعر به حين لانستطيع أن نفعل شيئاً حيال موقف مخيف يتهددنا بالخطر.

وان القلق على أنواع:

منها: قلق موضوعى عادى، و فيه يكون مثيرالخوف خارجياً كخوف الجنود فى الخنادق، وخوف التاجرمن الافلاس، أوقلقنا على شخص عزيزمصاب بمرض خطير. هنا يكون مصدر الخطر خارجياً ويكون للخوف ما يبرره، لكنه ليس خوفاً بالمعنى الدقيق لأنه خوف معتقل لاتتاح له فرصة الانطلاق، ومخاوف صغار الاطفال من هذا النوع لأن الرضيع الخائف أوالمذعور لايستطيع أن يفعل شيئاً محدداً إزاء ما يخيفه.

و منها: قلق ذاتى عادى. وفيه يكون مصدر الخطر داخلياً يشعر الفرد بوجوده، فالانسان لايخاف فقط من القنابل أوالمرض أومن فقد عمله، بل يخاف

أيضاً من ضميره حين يهم بالقيام بعمل غير مشروع ، ويخاف من إنطلاق دوافعه المحظورة ، الجنسية والعدوانية، حين تلح في الاشباع ، لكن الانسان لايستطيع أن يهرب من نفسه ، وهنا يندلع القلق .

وهذا النوع من القلق يتميز بأنه .

١- قلق داخلي المصدر ، لكن الفرد لايعرف له أصلاً ولايستطيع أن يجد له مبرراً موضوعياً أوسبباً صريحاً واضحاً ، فهوخوف أسبابه لاشعورية مكبوتة .

٢- ثم انه قلق تثيره مثيرات غير كافية أي ضغوط بيئية خفيفة ، فان كانت المثيرات كافية بدا الخوف عنيفاً مشتطاً مستمراً .

٣- وبما أنه خوف غير ذي موضوع معين لذا فهو يبدو في صورة توجس هائم طليق يتأهب لأن يلقي بنفسه على كل شيء يستطيع أن يتخذ منه تعلة لوجوده ويلاحظ ان بعض العلماء يقصرون القلق في القلق الذاتي العادي كما أن كثيراً منهم يخلطون بين القلق الذاتي والعصابي .

و منها - قلق عصابي ، و هو عرض مشترك في جميع الامـراض النفسـية والعقلية ، ولكنه في عصاب القلق أظهر الاعراض وأكثرها بروزاً ، فهو أشد عنفاً وأطول بقاء وأكثر تعطيلاً للفرد ، فترى المريض بهذا العصاب يتوقع الشر من كل شيء ومن كل مصدر ، ويرى في كل حدث نذير سوء ، و يؤول كل ظن على أسوء وجه ، لايرى الجانب المفرح من الامور ولا يترقبه ولايتصوره . إن سافر قدر أن القطار سيصطدم أو أن الباخرة ستغرق أو ان الطائرة ستسقط ، وإن رآى في الطريق سيارة الحريق فهي ذاهبة إلى بيته ، وإن تبعه أحد في السير فهو مكلف بمراقبته، دائم القلق على صحته وعمله ومستقبله ، حياته كلها خوف وحذر وتشاؤم وإرتياب.

ومن الأعراض النفسـية الاخرى لهذا العصاب سرعة الاهتياج وضعف القدرة على التركيز وشرود الذهن والهبوط بين آن وآخر ، هذا فضلاً عن التردد الشاذ والتشكك و تزاحم الافكار المزعجة على المريض ، مع فقد الشهية للطعام و أرق

وأحلام كابوس متواترة يرى فيها ان أحداً يطارده أو يهاجمه أو بأنه يسقط أو يفشل في مشروع قام به ، ومن الطبيعي أن يؤدي به هذا القلق الموصول والتوتر الدائم وصعوبة النوم إلى شعور شديد بالتعب والارهاق إلى غير تلك من الاعراض التي كانت تدرج فيما كان يسمى « النور استنيا » .

و أما الأعراض الجسمية التي تصاحب حالات القلق العصابي فهي أعراض الخوف : إضطراب التنفس ، وتقبض القلب و خفوقه ، و إرتفاع ضغط الدم ، مع شحوب وعرق وإرتجاف . . هذا إلى كلال في البصر ودوار شديد و كثرة في التبول وإسهال وإنتفاخ في البطن ، وغصة في الحلق وعدم إستقرار حركي ، وقد يخطىء المريض فيظن أن ما يشعر به من خوف نتيجة طبيعية لاضطراب حالته الجسمية ، بل قد يخطىء الطبيب نفس خطأ المريض .

ومن العوامل التي تهيىء الفرد لهذا العصاب بعد الاستعداد الوراثي المخاوف الشديدة في الطفولة المبكرة من جراء مرض أو إختناق ، أو فقدان الام أو القسوة في المعاملة ، أو تلهف الوالدين وقلقهم الزائد على الطفل ، و لنذكر ان حرمان الطفل من العطف أكثر شيء يفقد الطفل شعوره بالأمن ويبثّ في نفسه الخوف .

على أن مخاوف الطفولة لاتكفي وحدها لخلق عصاب القلق عند الكبار خاصة إن بادرنا بعلاج هذه المخاوف وأشعنا الأمن في حياة الطفل ، أما إن عززتها في الكبر مخاوف اخرى موضوعية أو خلقية ، زاد إحتمال الاصابة بهذا العصاب ، فمن العوامل المباشرة لاندلاع هذا المرض مصادر الخطر والاحباط الشديد، عائلية كانت أم مالية أم مهنية أم جنسية ، و كذلك المواقف التي تسبب توتراً نفسياً شديداً كالاستعداد للامتحان مثلاً .

وإلى جانب السمات الخاصة التي يتميز بها كل طراز عصابي عن غيره، هناك سمات عامة يشترك فيها العصابيون بوجه عام من أظهرها :

١- أن العصابي لايجد للحياة طعماً ، فهو لايعيش حياته بل يكابدها ،وذلك

لكثرة ما يعانيه من توترات وصراعات غير محسوسة ، وما يقترن بهذه الصراعات من مشاعر أليمة بغيضة ، ثم لعسر صلاته الاجتماعية بالناس ، ولان طاقته وجهوده لا تنصب في العادة على أهداف واقعية يجد في بلوغها أشباعاً حقيقياً .

٢- وكل عصابي يتسم بعدم النضج الانفعالي ، فهو يتسم بأنانية الطفولية و غضبها ومخاوفها وقسوتها وسرعة إهتياجها ، ومن سماته الرئيسية الخوف من تحمل التبعات ومن مواجهة مشاكل الحياة ، وضعف الثقة بالنفس ، كما ان حبه من النوع الاستحواذي الطفلي الذي يأخذ ولا يعطي ، ومن هذه السمات «مركزية الذات» أي إنشغاله الزائد بحاجاته و شؤونه الخاصة دون إهتمام كاف بمشاعر الآخرين ، فشخصيته تطغى عليها عواطف الطفولة وإنفعالاتها وأنماطها السلوكية، انه يريد من رئيسه أن يكون أباً له ، ومن زوجته أن تكون أماله ، ومن زملائه أن يكونوا اخوة يغفرون له أخطاءه ويتغاضون عن عيوبه . . .

٣- والعصابي شخص جعلته خبرات طفولته شديد الحساسية لمواقف معينة: لمواقف النقد أو الاحباط أو للمواقف التي يشتم منها رائحة الكراهية أو الاذلال أو فقدان العطف أو الذنب . . فاذا به يستجيب لهذه المواقف إستجابة مشتطة أو شاذة ، انه شخص يحس وخز الابرة طعنة خنجر ، ويرى الحبة يحسبها قبة، ويسمع الهمسة صيحة مثل الحساسية النفسية الزائدة كمثل الحساسية الجسمية الزائدة سواء بسواء .

فمدخن التبغ يألف جسمه النيكوتين تدريجاً حتى يصبح قادراً على إحتمال مقدار منه كان يكفي لقتله وهو مبتدىء ، على أن إسرافه في التدخين قد يؤدي به ذات يوم إلى ردّ فعل عنيف ، فاذا بالمدخن الذي اعتاد أن يدخن عدداً ضخماً من اللفافات في اليوم الواحد قد أصبح لا يطيق على حين فجأة تدخين واحدة منها.

٤- والتعب بعد المجهود القليل عرض يشكو منه أغلب العصابيين، فالشخصية العصابية شخصية هدتها الصراعات النفسية واستنفد الكبت الشديد حيويتها وهو تعب

لايجدى فيه النوم أو الاستجمام أو غير ذلك من ضروب الترويح لأنه تعب نفسى المنشأ .

والامراض النفسية شائعة بين الناس أكثر مما نظن ، وكلما اشتدت زحمة الحياة وزاد الصراع بين الناس ، وعنف المجتمع بأفراده ، فاشتد فى مطالبه ، كلما زاد شيوعها وتفاقمت أضرارها ، غير أنها أكثر شيوعاً من الامراض العقلية، وأصحابها لايعزلون فى العادة فى معازل خاصة ، بل ينتشرون فى كل مكان ، و مع أنهم مصدر متاعب كثيرة لمن يتصلون بهم إتصالاً قريباً ، إلا أنهم لايكونون فى العادة خطراً على غيرهم أو على أنفسهم .



﴿الخوف وأقسامه﴾

وما يستفاد من الايات القرآنية حول الخوف : ان الخوف من الله تعالى على قسمين :

احدهما ـ خوف ممدوح وهو الذى يسوق العبد إلى المواظبة على العلم والعمل لينال بهما القرب من الله جل وعلا والفوز ، فتكف جوارحه عن المعاصى و تقيدها بالطاعات ، و من آثار هذا الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والتفكر فى آيات الله التكوينية ، والتدبر فى آياته التدوينية والتوجه إلى الله عزوجل قلباً وذكره لساناً ، وكل ذلك يستدعى الكمال والحياة مع صحة البدن وسلامة العقل والعيش الهينىء .

قال الله تعالى : « و أما من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى » النازعات : ٤٠)

وقال : « يخافون ربهم من فوقهم و يفعلون ما يؤمرون » النحل : ٥٠)

ثانيهما ـ خوف مذموم ، وهذا إذا خرج عن حد الاعتدال ودخل فى اليأس والقنوط ، وقد يستتبعه المرض والضعف والوله والدهشة وزوال العقل و أحياناً إلى الموت وغيرها من المفاسد .. ومن هنا ورد كثيراً انه لابد أن يكون الانسان بين الخوف والرجاء .

قال الله تعالى : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله » الزمر : ٥٣)

وان الخوف من الله تعالى أيضاً باعتبار آخر على نوعين :

أحدهما - الخوف من عذابه في الحياة الدنيا بالهلاك والدمار . . . و في الاخرة بالنار والخلود فيها، ويقوّى هذا الخوف بالتذكير والوعظ وملازمة الفكر في أحوال الهالكين ، و في أهوال القيامة وأصناف عذابها ، والنظر في أحوال الخائفين ومآل أمرهم .

قال الله تعالى : « إذهب إلى فرعون انه طغى - فأخذه الله نكال الاخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى - فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى» النازعات : ١٧ - ٤١)

ثانيهما - وهو الاعلى - أن يكون الله عزوجل هو المخوف بأن يخاف العبد البعد والحجاب عنه، ويرجوا القرب منه، وهو خوف من عرف الله تعالى بنعوت جلاله وصفات كماله من الانبياء والمرسلين، والاوصياء والعلماء العاملين ممن عرفوه من صفاته العليا ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر، المطلعين على سرّ قوله تعالى : « ويحذركم الله نفسه » آل عمران : ٢٨)

وقال : « الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه و لا يخشون أحداً إلاّ الله » الاحزاب : ٣٩)

وقال : « فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين » آل عمران : ١٧٥)

ثم إن الخوف لا يتحقق إلاّ بانتظار مكروه ، والمكروه إما أن يكون مكروهاً في ذاته كالنار ، وإما أن يكون مكروهاً لانه يفضي إلى المكروه كما تكره المعاصي لأدائها إلى العذاب .

قال الله تعالى : « ان ذلك لآية لمن خاف عذاب الاخرة » هود : ١٠٣)

وقال : « اني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم » يونس : ١٥)

وان الخائفين من النوع الاخير منهم من يغلب عليه خوف الموت قبل التوبة ، أوخوف نقض التوبة ، أوخوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله عز

وجل أوخوف زوال رقة القلب و تبديلها بالقساوة ، أوخوف الميل عن الاستقامة ، أوخوف إستيلاء العادة فى إتباع الشهوات المألوفة ، أوخوف أن يكله الله تعالى إلى حسناته التى إتكل عليها وتعززبها فى عباد الله سبحانه .

أو خوف البطر بكثرة نعم الله جل و علا عليه ، أو خوف الاشتغال عن الله تعالى بغير الله أوخوف الاستدراج بتواتر النعم، أوخوف إنكشاف غوائل طاعاته حتى يبدوله من الله عزوجل مالم يكن يحتسب ، أوخوف تبعات الناس عنده فى الغيبة والنمامة والخيانةوالغش وإضمار السوء . . أوخوف مالا يدرى أن يحدث فى بقية عمره ، أوخوف تعجيل العقوبة فى الحياة الدنيا والافتضاح قبل الموت أو خوف الاغترار بزخارف الدنيا ومتاعها ، أوخوف خاتمة السوء وشر العاقبة ، أو خوف إطلاع الله تعالى على سريرته حال غفلته ، أوخوف السابقة من الاحوال سبقته من قبل . . .

هذه كلها مخاوف الذين عرفوا الله عزوجل بصفاته العليا وأسمائه الحسنى ونعوت جلاله تعالى و أما الخائفون من المكروه لذاته ، فمنهم من يغلب عليهم خوف سكرات الموت وشدته ، أو خوف سؤال منكر و نكير ، أو خوف عذاب القبر و ضغطه، أو خوف أهوال الساعة وفزعها ، أو خوف هيبة الموقف بين يدى الله سبحانه وشدته ، أو خوف الحياء من كشف الستر ، أوخوف السؤال عن النقير والقطمير ، أو الخوف من الصراط وحدّته و كيفية العبور عليه .

أوالخوف من النار وأغلالها وأهوالها و سلاسلها ، أو الخوف من حرمان الجنة ونعيمها، أوالخوف من نقصان الدرجات ومنازلها ، أو الخوف من الحجاب عن الله تعالى ورحمته الخاصة ، و هو أعلاها رتبة و هو خوف العلماء العاملين والصلحاء الصديقين ، وهم الذين عبّر عنهم بالعلماء فى القرآن الكريم : « انما يخشى الله من عباده العلماء » .

﴿المؤمن بين الخوفين﴾

إعلم ان الروايات الواردة فى هذا الباب كثيرة جداً لايسعها المقام و نحن على جناح الاختصار ، فنشير إلى نبذة منها :

١- فى الكافى باسناده عن حمزة بن حمران قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : ان مما حفظ من خطب رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : أيها الناس ! ان لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم ، ألا إن المؤمن يعمل بين مخافتين : بين أجل قد مضى ، لايدرى ما الله صانع فيه ، و بين أجل قدبقى لايدرى ماالله قاض فيه ، فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ، وفى الشبيبة قبل الكبر ، وفى الحياة قبل الممات ، فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتب وما بعدها من دار إلا الجنة أوالنار .

٢- وفيه : باسناده عن أبى عبيدة الحذاء عن أبى عبدالله عليه السلام قال: المؤمن بين مخافتين : ذنب قد مضى لايدرى ما صنع الله فيه ، وعمر قد بقى لا يدرى ما يكتسب فيه من المهالك ، فلايصبح إلا خائفاً ولايصلحه إلا الخوف .

٣- وفيه : باسناده عن داود الرقى عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عزوجل : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » قال : من علم أن الله يراه ويسمع ما يقول ويعلم ما يعلمه « يفعله خ » من خير أوشر فيحجزه ذلك عن القبيح من الاعمال، فذلك الذى خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى .

٤- فى الفقيه : باسناده عن الهيثم بن واقد قال . سمعت أبا عبد الله عليه السلام

يقول : من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء .

٥ـ في الكافي : باسناده عن جميل بن درّاج عن أبي حمزة قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا .

٦ـ وفيه : عن صالح بن حمزة رفعه قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إن من العبادة شدة الخوف من الله عزوجل يقول الله عزوجل : « انما يخشى الله من عباده العلماء » وقال جل ثناؤه : « فلا تخشوا الناس واخشون » وقال تبارك و تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً » قال : وقال أبوعبدالله عليه السلام : ان حبّ الشرف و الذكر لايكونان في قلب الخائف الراهب .

قوله عليه السلام : « حب الشرف » أي النسب والحسب ، و « الذكر » أي حب الجاه والمدح والاشتهار .

٧ـ في الفقيه : عن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام قال : من ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : رأس الحكم مخافة الله عزوجل .

٨ـ و فيه : باسناده عن علي بن غراب قال : قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام . من خلا بذنب فراقب الله تعالى فيه و استحيى من الحفظة غفر الله عزوجل له جميع ذنوبه وإن كانت مثل ذنوب الثقلين .

٩ـ في معاني الاخبار : عن عبدالله بن القاسم الجعفي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : الخائف من لم تدع له الرهبة لساناً ينطق به .

١٠ـ في محاسن البرقي : باسناده عن سعد الاسكاف عن أبي جعفر عليه السلام ـ في حديث ـ قال : وأما المنجيات فخوف الله في السرّ والعلانية والقصد في الغنى والفقر ، و كلمة العدل في الرضا والسخط .

١١ـ وفيه : عن إبن أبي عمير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان قوماً أصابوا ذنوباً ، فخافوا منها وأشفقوا فجاءهم قوم آخرون فقالوا : مالكم ؟ فقالوا : إنا

أصبنا ذنوباً فخفنا منها وأشفقنا ، فقالوا لهم : نحن نحملها عنكم ، فقال الله تعالى يخافون وتجترون عليّ فأنزل الله عليهم العذاب .

١٢ـ في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابن مسعود : يا ابن مسعود! خف الله في السرّ والعلانية ، فان الله تعالى يقول : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » ولا تؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة باللذات والشهوات فانه تعالى يقول في كتابه: « فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى » يعني الدنيا والملعون ما فيها إلاّ ما كان لله .

١٣ـ في وصية النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه: يا أباذر يقول الله تبارك وتعالى : لاأجمع على عبدي خوفين ولاأجمع له أمنين ، فاذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة ، وإذا خافني في الدنيا آمنته يوم القيامة .

١٤ـ في مجالس الحسن بن محمد الطوسي قدس سرّهما باسناده عن موسى بن جعفر عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : ان المؤمن لايصبح إلاّ خائفاً وإن كان محسناً ولايمسي إلاّ خائفاً وإن كان محسناً لانه بين أمرين : بين وقت قد مضى لايدري ما الله صانع به ، وبين أجل قد اقترب لايدري ما يصيبه من الهلكات ألاوقولوا خيراً تعرفوا به ، واعلموا به تكونوا من أهله صلوا أرحامكم وإن قطعوكم ، وعودوا بالفضل على من حرمكم ، وأدّوا الأمانة إلى من ائتمنكم وأوفوا بعهد من عاهدتم وإذا حكمتم فاعدلوا .

١٥ـ في الكافي : باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : قال : ان الرجل ركب البحر بأهله ، فكسر بهم ولم ينج ممن كان في السفينة إلاّ إمرأة الرجل ، فانها نجت على لوح من ألواح السفينة حتى ألجئت إلى جزيرة من جزائر البحر ، وكان في تلك الجزيرة رجل يقطع الطريق ولم يدع لله حرمة إلاّ انتهكها ، فلم يعلم إلاّ وإمرأة قائمة على رأسه فرفع رأسه إليها ، فقال :إنسية أم جنية ؟

فقالت : إنسية فلم يكلمهاحتى جلس منها مجلس الرجل من أهله ، فلما ان همّ بها إضطربت ، فقال : مالك تضطر بين ؟ فقالت : أفرق من هذا و أومت بيدها إلى السماءقال : فصنعت من هذاشيئاً ؟ قالت : لاوعزته ، قال : فأنت تفرقين هذا الفرق ، ولم تصنعى من هذا شيئاً ، و إنما استكرهتك إستكراهاً ، فأنا والله أولى بهذا الفرق والخوف وأحق منك ، قال : فقام ، فلم يحدث شيئاً و رجع إلى أهله ، وليست له همة إلا التوبة والمراجعة فبينا هو يمشى .

إذ جاء راهب يمشى فى الطريق، فحميت عليها الشمس ، فقال الراهب للشاب ادع الله يظلنا بغمامة ، فقد حميت علينا الشمس ، فقال الشاب مالى عند ربى حسنة فاتجاسر على أن أسئله شيئاً قال : فأنا ادعو وتؤمّن أنت ؟ قال: نعم ، فأقبل الراهب يدعو والشاب يؤمّن، فماكان بأسرع من أن اظلتهما غمامة فمشيا تحتها ملياً من النهار ثم تفرقت الجادة جادتين ، فأخذ الشاب فى واحدة وأخذ الراهب فى واحدة ، فاذا السحابة مع الشاب .

فقال الراهب: أنت خير منى لك استجيت ولم يستجب لى ، فخبرنى ماقصتك ؟ فخبره بخبر المرأة ، فقال : غفر الله لك مامضى حيث دخلك الخوف ، فانظر ما تكون فيما تستقبل .

قوله عليه السلام حكاية عن المرأة : « أفرق » الفرق - بالتحريك - : الخوف ، « ملياً » أى ساعة طويلة من النهار .

﴿الخوف و آثاره﴾

ان من أهم آثار خوف الخائفين أمرين : أحدهما ـ الطاعة وصالح الاعمال ... وجوبها ومندوبها ... ثانيهما ـ ترك المعاصي والاجتناب عن المحارم كلها: صغيرها وكبيرها ... ومن المعلوم : ان رقي كل اسرة ، وتقدم كل ملة لاتتمان إلاّ بالائتمار بأوامر الله جل وعلا والانتهاء عن نواه الله تعالى ، وان الأوامر والنواهي لاتنفذ إلاّ بالوعد والوعيد ، وهما لا يتمكنان إلاّ بالترغيب والترهيب ، وهما لا ينجعان إلاّ فيمن يخاف ويرجو .

ولاتظهر آثار الخوف والرجاء ولاتعرف إلا بالائتمار بالأوامر والانتهاء عن النواهي ، فمن لايخاف ولايرجو فمن لايرغب ولايرهب ، فلا ينجع فيه الوعد ولا الوعيد ، ولا الامر والنهي ، فكيف إذاً فلاح لمرء ؟ و رقي لاسرة ؟ وتقدم لامة ؟؟

في مجالس المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن عمرو بن جميع قال: قال لي أبوعبدالله عليه السلام : من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن والتفسير فدعوه ،ومن جاءنا يبدي عورة قد سترها الله فنحّوه ، فقال له رجل من القوم : جعلت فداك أذكر حالي لك ؟ قال : إن شئت قال : والله اني لمقيم على ذنب منذ دهر اريد أن أتحوّل منه إلى غيره ، فما اقدر عليه ، قال له : إن تكن صادقاً فان الله يحبّك وما يمنعك من الانتقال عنه إلاّ أن تخافه .

وفي تحف العقول :ـ في وصية الامام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام ـ ياهشام لايكون الرجل مؤمنا حتى يكون خائفاً راجياً ، و لا يكون خائفاً راجياً حتى

يكون عاملاً لما يخاف ويرجو .

قال الله تعالى : « ويرجون رحمته ويخافون عذابه » الاسراء : ٥٧)

وفيه : قال الامام مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : من خاف الوعيد قرب عليه البعيد . وقال عليه السلام لرجل : كيف أنتم ؟ فقال : نرجو ونخاف ،فقال عليه السلام : من رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف شيئاً هرب منه ، ما أدرى ما خوف رجل عرضت له شهوة فلم يدعها لما خاف منه،وماأدرى ما رجاء رجل نزل به بلاء فلم يصبرعليه لما يرجو .

وفى قرب الاسناد : باسناده عن على عليه السلام قال لرجل وهو يوصيه:خذمنى خمساً : لايرجون أحدكم إلا ربه ، ولايخافن إلا ذنبه ، ولايستحيى أن يتعلم مالا يعلم ، ولايستحيى إذا سئل عمالا يعلم أن يقول : لاأعلم ، واعلموا أن الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد .

اقول : ولعمرى ! لوخاف الناس من الله عزوجل بما يخافون من الفقر لما وجدت معصية ولافقر .

قال الله تعالى : « وأمامن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » النازعات : ٤٠ ـ ٤١)

وقال: «ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف عيد » إبراهيم : ١٤)

وفى نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام لابى ذر رحمة الله تعالى عليه لما اخرج إلى الربذة : « يا أباذر انك غضبت لله فارج من غضبت له ان القوم خافوك على دنيا هم، وخفتهم على دينك فاترك فى أيديهم ما خافوك عليه واهرب منهم بما خفتهم عليه،فما أحوجهم إلى مامنعتهم وماأغناك عما منعوك !وستعلم من الرابح غداً والاكثر حسداً ، ولو ان السموات والارضين كانتا على عبد رتقاً،ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً ، لايؤنسنك إلا الحق ، ولا يوحشنك إلا الباطل ، فلوقبلت دنياهم لاحبوك ، ولوقرضت منها لأمنوك ».

وفي الكافي : باسناده عن سماعة قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلّوا قليل الذنوب يجتمع حتى يصير كثيراً، وخافوا الله في السرّ حتى تعطوا من أنفسكم النصف ، وسارعوا إلى طاعة الله و اصدقوا الحديث وأدّوا الأمانة فانما ذلك لكم ولا تدخلوا فيمالا يحلّ لكم ، فانما ذلك عليكم .

وفي تحف العقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام : يا علي ثلاث موبقات وثلاث منجيات ، فأما الموبقات : فهوى متبع وشحّ مطاع وإعجاب المرء بنفسه ، وأما المنجيات : فالعدل في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر ، و خوف الله في السرّ والعلانية كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك .

وفيه : قال الامام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام : إبن آدم ! انك لا تزال بخير ماكان لك واعظ من نفسك ، و ما كانت المحاسبة من همك ، و ما كان الخوف لك شعاراً والحذر لك دثاراً .

وفي الخصال : باسناده عن إبن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سبعة في ظل عرش الله عزوجل يوم لاظل إلاّ ظلّه : إمام عادل . وشاب نشأ في عبادة الله عزوجل ، ورجل تصدّق بيمينه ، فأخفاه عن شماله ، و رجل ذكر الله عز وجل خالياً ففاضت عيناه من خشية الله ، ورجل لقي أخاه المؤمن ، فقال ، اني لاحبك في الله عزوجل ، و رجل خرج من المسجد و في نيته أن يرجع إليه ، و رجل دعته إمرأة ذات جمال إلى نفسها ، فقال : اني أخاف الله رب العالمين .

وفي البحار : - في وصية لقمان لابنه - : فمن يؤمن بالله يصدّق ما قال الله ، ومن يصدّق ما قال الله يفعل ما أمر الله ، ومن لم يفعل ما أمر الله لم يصدّق ما قال الله : فان هذه الاخلاق يشهد بعضها لبعض ، فمن يؤمن بالله ايماناً صادقاً يعمل لله خالصاً ناصحاً ، ومن يعمل لله خالصاً ناصحاً فقد آمن بالله صادقاً ، ومن أطاع الله خافه ، ومن خافه فقد أحبه ، ومن أحبه اتبع أمره ومن اتبع أمره إستوجب

جنته ومرضاته .

قال الله تعالى حكاية عن قابيل وهابيل إبني آدم عليه السلام : « لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لا قتلك اني أخاف الله رب العالمين » المائدة : ٢٨)

وقال : « قل اني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم » الزمر :١٣)



﴿الخوف والايمان﴾

و أعلم أن التدبر في الايات القرآنية والروايات الواردة في الخوف يلهمنا بأن المؤمن حقاً يخاف الله جل وعلا وحده في كل حال ، ولايخاف غيره في كل حال ، كما أن المؤمن حقاً لايعتمد إلا على الله تعالى وحده .

قال الله تعالى : « و إذقال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم مالم يؤت أحداً من العالمين يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم و لا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسى ان فيها قوماً جبارين وانالن ندخلها حتى يخرجوامنها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون و على الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين » المائدة : ٢٠ ـ ٢٣)

هنا تبرز قيمة الايمان بالله عزوجل والخوف منه، وهذان الرجلان من الذين يخافون الله تعالى ، فينشيء لهما الخوف من الله جل وعلا إستهانة بالجبارين ، و يرزقهما شجاعة في وجه الخطر الموهوم ، وهذا هما يشهدان بقولتهما هذه بقية الايمان في ساعة الشدة، وقيمة الخوف من الله تعالى في مواطن الخوف من الناس، فالله عزوجل لايجمع في قلب واحد بين مخافتين : مخافة الله عزوجل ، و مخافة الناس ، والذي يخاف الله تعالى لايخاف أحداً بعده ، ولاشيئاً سواه .

قال الله تعالى : « فلاتخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين » آل عمران:١٧٥)

وفيه تعريض على أنه صادق الايمان لايكون جباناً فان الشجاعة في سبيل الله تعالى وصف للمؤمن ولأن العلة الحقيقة للجبن هي الخوف من الموت والحرص على الحياة الدنيا وقلب المؤمن لايتسع لهما .

قال الله تعالى : « ومن يعمل من الصالحات وهومؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً » طه : ١١٢)

وقال : « فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولارهقاً » الجن : ١٣)

وقال : « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلاتخشوهم و اخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً »المائدة :٣)

وقال : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله » التوبة : ١٨)

وقال : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا و كانوا يتقون » يونس : ٦٢ ـ ٦٣)

وقال ، « فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون » البقرة : ٣٨)

فالمؤمن حقاً لا يخاف غير الله تعالى، ويخافه غيره من الكفار ، ولا يزال العالم إلى اليوم يشهد شجاعة الجيوش الاسلامية مع ما مني به المسلمون من ضعف في ايمانهم وجهل بكثير من شئون دينهم فضلاً عن المؤمنين حقاً الذين هم أشداء على الكفار رحماء بينهم .

قال الله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » الفتح : ٢٩)

وقال : « سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله »آل عمران : ١٥١)

وقال : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » النساء : ١٤١)

وقال : « ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين»آل عمران

: ۱۳۹)

فى الكافى: باسناده عن المفضل إبن عمر قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «إذا أردت أن تعرف أصحابى فانظر إلى من أشتدّ ورعه وخاف خالقه ورجائوا به، وإذا رأيت هؤلاء أصحابى».

فمن علائم حقيقة الايمان أن لايخاف المؤمن ولا يرجو إلاّ الله عزوجل و يفعل ما يؤمر كما ان الملائكة لايخافون إلاّ من ربهم ويفعلون ما يؤمرون.

قال الله تعالى: «يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون» النحل: ۵۰)

وقال فى المؤمنين: «رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله و إقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار» النور: ۳۷)

و فى الخصال: فى وصايا أبى ذر رحمة الله عليه قال: أوصانى رسول الله صلى الله عليه وآله أن لاأخاف فى الله لومة لائم.

وفى أمالى شيخ الطوسى قدس سره عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال: أمير المؤمنين عليه السلام: لاتأخذكم فى الله لومة لائم يكفكم الله من أراد كم و بغى عليكم.

قال الله تعالى: «يجاهدون فى سبيل الله ولايخافون لومة لائم» المائدة: ۵۴)

و فى تحف العقول: و سئل الامام على بن موسى الرضا عليه السلام عن حدّ التوكل؟ فقال عليه السلام: أن لاتخاف أحداً إلاّ الله.

و فى شرح الحديد: قال الفضيل: يا ربى انى لاستحيى أن أقول: توكلت عليك لو توكلت عليك ما خفت إلاّ منك ولا رجوت إلاّ إياك.

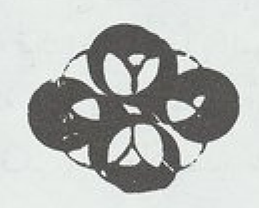
و فى تحف العقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مالى أرى حب الدنيا قد غلب على كثير من الناس حتى كأن الموت فى هذه الدنيا على غيرهم كتب، و كأن الحق فى هذه الدنيا على غيرهم وجب وحتى كأن مايسمعون من خبر الاموات قبلهم عندهم كسبيل قوم سفر عما قليل إليهم راجعون: وبيوتهم أجداثهم وتأكلون تراثهم و

أنتم مخلدون بعدهم : هيهات هيهات أما يتعظ آخرهم بأولهم لقد جهلوا و نسوا كل موعظة فى كتاب الله ، و أمنوا شر كل عاقبة سوء ولم يخافوا نزول قادحة ولابوائق كل حادثة .

و فى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : طوبى لمن شغله خوف الله عن خوف الناس .

وعن بعض الظرفاء : إذا قيل لك : تخاف الله ؟ اسكت فانك إن قلت : لا كفرت ، وإن قلت : نعم كذبت ، فليس وصفك وصف من يخاف .

وفى اعيان الشيعة : قيل للامام المظلوم سيد الشهداء سبط المصطفى الحسين بن على عليه السلام : ما أعظم خوفك من ربك ؟ فقال عليه السلام : «لايأمن من يوم القيامة إلا من قد خاف الله فى الدنيا » .



﴿أخوف الناس من الله تعالى أعرفهم به﴾

وقد ظهر سابقاً ان المعرفة بالله عزوجل هو سبب لخوف منه ، فمن كان أعرف الناس به تعالى فهو أخوفهم منه، فأخوفهم الانبياء والاوصياء صلوات الله عليهم أجمعين مع جلالة قدرهم ومقام عصمتهم ثم العلماء العاملون و الصلحاء المؤمنون على درجات معارفهم بنعوت جلاله و كماله ، و من لامعرفة له بالله عزوجل لايخافه، ويستتبعه خلوّ القلب من الايمان ، والتوكل على الله تعالى ، وخلوّ الصحيفة عن صالح الاعمال .. و من لايخاف الله تعالى فهو يخاف من كل شيء حتى من حجر ومدر ، ومن كل هيا كل مصنوعة وهيئات موهومة ويخاف من زوال الدنيا وفنائها وهو في متاع الدنيا غريق ، ومن الاخرة وأهوالها غير خويف .

في الكافي: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ليس شيء إلاّ وله حدّ ، قال : قلت : جعلت فداك فما حدّ التوكل ؟ قال : اليقين ، قلت : فما حدّ اليقين ؟ قال : ألاّ تخاف مع الله شيئاً .

وفي نهج البلاغة : قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام - في عهد له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر حين ولاّه مصر - : « و إن استطعتم أن يشتدّ خوفكم من الله وأن يحسن ظنكم به فاجمعوا بينهما فان العبد انما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه ، وإن أحسن الناس ظناً بالله أشدهم خوفاً لله» .

وفيه : في كلام له عليه السلام «اوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الابل

لكانت لذلك أهلاً: لايرجون أحدمنكم إلاّ ربه ،ولايخافن إلاّ ذنبه ،ولايستحين أحدمنكم إذا سئل عمالايعلم أن يقول : لاأعلم ، ولايستحيين أحد إذالم يعلم الشيء أن يتعلّمه،وعليكم بالصبرفان الصبر من الايمان كالرأس من الجسد ،ولاخير في جسد لارأس معه ، ولاخير في ايمان لاصبر معه .

وعن بعض الظرفاء : ان الخائف هو الذى لايخاف غير الله أى لايخاف لنفسه، وانما يخاف إجلالاً له ، والخوف للنفس خوف العقوبة ، وان كمال الايمان بالعلم وكمال العلم بالخوف ، وان العلم كسب ، والخوف كسب المعرفة ، ولايسقى المحب كأس المحبة إلاّ من بعد أن ينضج الخوف قلبه ، ومن عرف الله تعالى حق معرفته خافه بالضرورة .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «رأس الحكمة مخافة الله تعالى» .

ان المراد بالمعرفة:معرفة الذات والجلال والعزة والغنى والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الجلال والكمال ، وان المعرفة بها تورث الهيبة لامحالة ، ومن كان خوفه أكثر كان رجائه أيضاً أكثر ، وان ثمرة الخوف الاعراض من الذنوب وثمرة الرجاء تكثير الطاعة والعبادة والتوبة وبقدر المعرفة يخاف من الله عز وجل وبقدر الخوف يعرض عن المعاصي ، وبقدر الرجاء يكثر الطاعة .

ولحصول الخوف طريقان : أحدهما أعلى من الآخر .

فلنفرض مثلاً تقريبياً،وهذا: إن الصبى إذاكان فى بيت، فدخل عليه سبع أو حيّة ربماكان لايخاف ، بل ربما يمدّ يده إلى الحية ليأخذها ويلعب بها ، ولكن إذاكان معه أبوه ورآه الصبى قد ارتعدت فرائصه وهو يحتال فى الهرب وقدغلب عليه الخوف حصل له الخوف من ذلك لعلمه بأنه لايخاف إلاّ من سبب مخوف فى نفسه ، فخوف الاب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وسطوة السبع وبطشه، وخوف الولد إنماكان بمجرد التقليد لانه يحسن الظن بأبيه ، ويعلم انه لايخاف إلاّ من سبب مخوف ، فيعلم ان السبع والحية مخوفان ، ولايعرف وجههما .

وخوف الانبياء والمعصومين عليهم السلام من القسم الاول ، وخوف العلماء العاملين والصلحاء المؤمنين من القسم الثاني مع درجات خوفهم ، وعدم خوف أكثر الناس كعدم خوف الصبي من الحيّة والسبع إما لان أباه لم يره يخوّفه منهما ، وإما تخلّف عن تخويف أبيه .

وقد كان الانبياء والمرسلون والاولياء المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين مع جلالة قدرهم ومقام عصمتهم أخوف الناس من الله عزوجل لكونهم أعرفهم به تعالى .

قال الله تعالى : «ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً ـ اولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته و يخافون عذابه» الاسراء : ٥٦ ـ ٥٧) .

وقال : «قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم» الانعام : ١٥) .

وقال : «واذكر ربك في نفسك تضرّعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولاتكن من الغافلين» الاعراف : ٢٠٥) .

وقد كان رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل في الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل .

وروى : ان داود عليه السلام كان يقول في مناجاته : إلهي إذاذكرت خطيئتي ضاقت علىّ الارض برحبها ، وإذا ذكرت رحمتك إرتدت إلى روحي ، سبحانك إلهي أتيت أطباء عبادك ليداووا خطيئتي ، فكلّهم عليك يدلني فبؤساً للقانطين من رحمتك .

وروى : انه عليه السلام كان يعاتب في كثرة البكاء فيقول : دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء ، قبل تحريق العظام ، وإشتعال الحشا ، وقبل أن يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

ويكفيك في ذلك بكاء أئمتنا المعصومين أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم

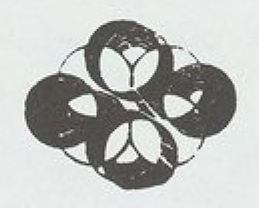
أجمعين وخوفهم ومناجاتهم . . .

قال الله عز وجل فيهم : «ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ـ إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً » الانسان : ٧ ـ ١٠) .

فاذا كانوا هم كذلك فما بالنا لانخاف ؟ وكيف نحن معاشر العصاة ؟ ؟ ؟

ألكثرة طاعاتنا ؟ أم لقلة معاصينا ؟ أو لغفلتنا وقسوتنا ؟ فلاقرب الرحيل ينبهنا ، ولا كثرة الذنوب تحركنا، ولامشاهدة أحوال الخائفين تخوّفنا ، ولاخوف سوء الخاتمة يزعجنا ، ولاهلاك المستكبرين يردعنا ولادمار الظالمين يعظنا...

فما لنا ؟ ومالنا ؟؟؟



الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة عليهما السلام وخوفهما من الله تعالى

كافيك القرآن الكريم أن يحكى خوف أهل بيت الوحى عليهم السلام ،وقد أشار إليه بقوله تعالى حكاية عنهم : «انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً» الانسان : ١٠) .

و قد وردت روايات كثيرة عن الطريقين فى خوف كل واحد من أئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ، ونحن نشير فى المقام إلى نبذة ما ورد فى خوف الامامين سيدى شباب اهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام :

و ماورد عن طريق العامة :

١ـ روى الراغب الاصبهانى فى (محاضرات الادباء ج ٤ ص ٤٩٤ ط بيروت) مالفظه : و بكى الحسن بن علىّ عليهما الرضوان ، فقيل له : ما يبكيك وقد ضمن لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجنة ؟ فقال : إنى أسلك طريقاً لم أسلكها ، و أقدم على سيّد لم أره .

٢ـ روى الخطيب الخوارزمى فى (مقتل الحسين ص ١٣٧ ط الغرى) باسناده عن الباقر عليه السلام قال : لما حضر الحسن بن على عليه السلام الموت بكى بكاء شديداً ، فقال له الحسين عليه السلام :ما يبكيك يا أخى انما تقدم على رسول الله وعلىّ وفاطمة وخديجة عليهم السلام فهم ولّدوك وقد أخبرك الله على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم انك سيد شباب أهل الجنة ، وقد قاسمت الله (لله خ) مالك ثلاث مرات ، ومشيت إلى بيت الله على

قدميك خمس عشرة (خمس وعشرين ظ) مرة حاجاً ، وإنما أراد أن يطيب نفسه؟ قال : فوالله ما زاده إلا بكاء وإنتهاباً ! وقال : يا أخي اني اقدم على أمر عظيم و هول لم يقدم على مثله قط .

٣ـ روى الصنعاني في (طبقات المعتزلة ص ٨٢ ط بيروت) مالفظه :

قال أبوالحسن : وكان ـ أي الحسن بن علي ـ من أحسن الناس وجهاً و تواضعاً وأكثر هم موعظة ، فبينا هو في طلاقاته حتى ذكر الموت ، فتنحدر دموعه ويأخذ في العظة حتى كأنه غير ذلك الرجل .

٤ـ روى الزمخشري في (ربيع الابرار ص ١٩٣) ما لفظه :

كان الحسن بن علي عليه السلام إذا فرغ من وضوئه تغيّر لونه ، فقيل له :فقال: حق على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغيّر لونه .

٥ـ روى السمرقندي الحنفي في (تنبيه الغافلين ص ١٩٤ ط القاهرة)ما لفظه :

روي ان الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما كان إذا أراد أن يتوضأ تغيّر لونه ، فسئل عن ذلك ! فقال : إني اريد القيام بين يدي الملك الجبار وكان إذا أتى باب المسجد رفع رأسه ويقول: «إلهي عبدك ببابك يا محسن قد أتاك المسيىء قد أمرت المحسن منا أن يتجاوز عن المسيىء فأنت المحسن وأنا المسيىء،فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم» ثم دخل المسجد .

٦ـ روى أبونعيم الاصبهاني في (اخبار اصبهان ج١ ص٤٤ طليدن) .

باسناده عن محمد بن علي عليه السلام قال : قال الحسن بن علي عليه السلام : اني لاستحيي من ربي إن ألقاه ولم أمش إلى بيته، فمشى عشرين مرة من المدينة على رجليه .

رواه جماعة من أعلام العامة وحملة أسفارهم :

١ـ أبونعيم الاصبهاني أيضاً في(حلية الاولياء ج ٢ ص ٣٧ ط السعادة بمصر)

٢- الزمخشري في (ربيع الابرار ص ٢٠٨) .

٣- محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى ص ١٣٧ ط القدسي بمصر).

٤- أبو الفرج في (صفة الصفوة ج ١ ص ٣٢٠ حيدرآباد) و غيرهم .

٧- روى الحاكم النيشابوري في (المستدرك ج ٣ ص ١٦٩ ط حيدرآباد) باسناده عن عبدالله بن عبيد بن عمير قال : لقد حجّ الحسن بن عليّ خمساً و عشرين حجة ماشياً وان النجائب لتقاد معه .

رواه جماعة منهم :

١- إبن حجر في (الصواعق ص ١٣٧ ط عبد اللطيف بمصر) .

٢- سبط إبن الجوزي في (التذكرة ص ٢٤٤ ط الغرى) .

٣- الخطيب الخوارزمي في (مقتل الحسين ص ١٠٢ ط الغرى) .

٤- الطبري في (ذخائر العقبى ص ١٣٧ ط القدسي بالقاهرة) وغيرهم .

٨- روى البيهقي في (السنن الكبرى ج ٤ ص ٣٣١ ط حيدرآباد) باسناده عن إبن عباس قال : ما ندمت على شيء فاتني في شبابي إلاّ اني لم احج ماشياً و لقد حجّ الحسن بن علي رضي‌الله عنهما خمسة وعشرين حجة ماشياً وان النجائب لتقاد معه .

رواه الذهبي في (سير اعلام النبلاء ج ٣ ص ١٧٣ ط مصر) .

و غير ذلك من الروايات الواردة عن طريق العامة ، وأما الروايات الواردة حول خوف الامام المجتبى سبط المصطفى الحسن بن علي عليه‌السلام فكثيرة لايسعها المقام ، و كذلك الروايات الواردة عن الطريقين في خوف الامام سيدالشهداء الحسين بن علي عليه‌السلام فنكتفي بذكر كلام منه عليه‌السلام :

في مهج الدعوات : ومن دعاء سبط المصطفى الامام المظلوم الحسين بن علي عليهما‌السلام : «اللهم إني أسئلك توفيق أهل الهدى ، وأعمال أهل التقوى ، ومناصحة أهل التوبة ، وعزم أهل الصبر ، وحذر أهل الخشية ، وطلب أهل العلم ، وزينة

أهل الورع ، وحذر أهل الجزع ، حتى أخافك .

اللهم مخافة تحجزني عن معاصيك وحتى أعمل بطاعتك عملاً أستحق به كرامتك ، وحتى اناصحك في التوبة خوفاً لك ، وحتى اخلص لك في النصيحة حباً لك ، وحتى أتوكل عليك في الامور حسن ظنّ بك ، سبحان خالق النور ، وسبحان الله العظيم وبحمده .



﴿ الامام زين العابدين عليه السلام وخوفه ﴾

وقد وردت روايات كثيرة عن الطريقين في خوف الامام سيد الساجدين علي بن الحسين عليهما السلام ، أما الروايات الواردة عن طريق العامة وحملة آثارهم في أسفارهم فكثيرة جداً لا يسعها المقام ، فنشير إلى نبذة منها :

١ـ روى عبدالوهاب الشعراني في (الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٧ ط القاهرة) قال : وكان ـ علي بن الحسين ـ إذا توضأ اصفرّ وجهه ، فيقول له أهله : ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول : اتدرون بين يدي من اريد أن أقوم.

رواه الغزالي في (مكاشفة القلوب ص ٣٥ ط مصطفى ابراهيم تاج بالقاهرة) إلاّ ان فيه «لونه» بدل «وجهه» و «يعتريك» بدل «يعتادك» .

وروى محمد بن طلحة الشافعي في (مطالب السئول ص ٧٧ ط طهران) ما في الطبقات ورواه الحافظ الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب ص ٣٠٠ ط الغري) .

٢ـ روى الحمزاوي في (مشارق الانوار ص ١١٩ ط مصر) قال : ولقّب بزين العابدين لكثرة عبادته وحسنها كان شديد الخوف من الله تعالى بحيث انه إذا توضّأ اصفرّ لونه وارتعد ، فيقال له : ما هذا ؟ فيقول : أتدرون بين يدي من أقف ، و كان إذا هاجت الريح سقط مغمى عليه .

رواه عبدالله بن سعيد الشافعي في (مرآة الجنان ج١ ص١٩١ ط حيدر آباد).

٣ـ روى عبدالله بن سعيد الشافعي في (روض الرياحين ص ٥٥ ط القاهرة)

قال : و كان (علي بن الحسين عليه السلام) إذا توضأ إصفر لونه، وإذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة فقيل له : مالك ؟ فقال: ما تدرون بين يدي من أقوم، و كان إذا هاجت الريح سقط مغشياً عليه .

رواه جماعة من أعلام العامة باختلاف يسير :

منهم: خواجه بارسا في (فصل الخطاب) على ما في (ينابيع المودة ص ٣٧٧ ط اسلامبول) .

و منهم : الشيخ عبدالهادي في (شرح المنظومة البرزنجي ص ٢٠٤ ط مصر)

و منهم : الشبلنجي في (نور الابصار ص ١٢٩ ط مصر) .

ومنهم : ابن الصبان المالكي في (اسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الابصار ص ٢٣٩ ط العثمانية بمصر) .

ومنهم : إبن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة ص١٨٣ ط الغري).

٤ـ روى ابن حجر في (الصواعق المحرقة ص ١١٩ ط القاهرة) قال : و كان إذا توضأ للصلاة إصفر لونه ، فقيل له في ذلك ، فقال : ألا تدرون بين يدي من أقف .

٥ـ روى القرماني في (أخبار الدول وآثار الدول ص ١٠٩ ط بغداد) مالفظه :

كان إذا توضأ للصلاة يصفر لونه ، فقيل له : ما هذا الذي يعتريك هذا الوضوء ؟ فيقول : أما ترون بين يدي من أريد أن أقف .

رواه ابن الاثير في (المختار في مناقب الاخبار ص ٢٧ مخطوط) .

٦ـ روى إبن عبدربه في (عقد الفريد ج ١ ص ٢٧٨ ط الشرفية بمصر) قال: و كان علي بن الحسين عليهما السلام إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة فسئل عن ذلك، فقال ويحكم أتدرون إلى من أقوم ومن اريد أن اناجي .

رواه إبن سعد الواقدي في (الطبقات الكبرى ج٥ ص ٢١٦ ط دار الصادر

ببيروت) باختلاف يسير ، وروى الذهبي في (تاريخ الاسلام ج ٤ص٣٥ طمصر) ما في الطبقات .

٦- روى أبونعيم الاصبهاني في (حلية الاولياء ج ٣ ص ١٣٣ ط مطبعة السعادة بمصر) قال : كان علي بن الحسين عليه السلام إذا فرغ من وضوئه للصلاة ، و صار بين وضوئه وصلاته اخذته رعدة ونفضة ، فقيل له في ذلك ، فقال : ويحكم أتدرون إلى من أقوم ، ومن اريد أن اناجي .

رواه إبن حجر المكي الهيثمي في (الزواجر ج ١ ص ٥ ط القاهرة) إلا انه أسقط كلمة «ونفضة» وروى الزبيدي في(اتحاف السادة المتقين ج ٩ص٢٥١ ط مصر) مثل ما في (حلية الاولياء) .

٧- روى القرماني في (أخبار الدول وآثار الاول ص ١٠٩ ط بغداد)قال: وسقط إبن له (علي بن الحسين) في بئر ففزع أهل المدينة لذلك حتى أخرجوه وكان قائماً يصلي في المحراب فأزال عن مكانه ، فقيل له في ذلك ، فقال : ما شعرت لأني كنت اناجي رباً عظيماً .

٨- روى الحمزاوي في (مشارق الانوار ص ١١٩ ط مصر) قال : ووقع في بيته (أي علي بن الحسين) حريق وهو ساجد فجعلوا يقولون له : النار فما رفع رأسه حتى طفئت فقيل له : أشعرت ؟ قال : ألهتني عنها النار الكبرى .

رواه المناوي في (الكواكب الدرية ج ١ ص ١٣٩ ط الازهرية بمصر) و وابن الصبان المالكي في (اسعاف الراغبين) المطبوع بهامش (نور الابصار ص ٢٣٩ ط العثمانية بمصر) .

٩- روى إبن طلحة الشافعي في (مطالب السئول ص ٧٧ ط طهران) قال :و وقع الحريق والنار في البيت الذي هو فيه ، وكان ساجدا في صلاته فجعلوا يقولون له : يا ابن رسول الله النار يا ابن رسول الله النار ، فما رفع رأسه من سجوده حتى اطفئت ، فقيل : ما الذي ألهاك منها ؟ قال : نار الآخرة .

١٠- روى الخواجه پارسا فى (فصل الخطاب) على ما فى (الينابيع ص ٣٧٧ ط اسلامبول) قال : ووقع حريق فى بيت هو ساجد ، وقالوا : يا ابن رسول الله النار النار ، فما رفع رأسه ، وطفى النار فقيل له فى ذلك قال : ألهتنى عنها نار الاخرى .

١١- روى إبن حجر العسقلانى فى (تهذيب التهذيب ج٧ ص٣٠٦ ط حيدر آباد) قال : وقال مصعب الزبيرى عن مالك: و لقد أحرم علىّ بن الحسين ، فلما أراد أن يقول : لبيك قالها فأغمى حتى سقط من ناقته فهشم .

رواه الذهبى فى (تاريخ الاسلام ج ٤ ص ٣٧ ط مصر) و إبن سعد فى (الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٧ ط مصر)

١٢- روى الخوارزمى فى (مقتل الحسين ج٢ ص ١٢٤ ط مطبعة الزهراء) بالاسناد عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبى جعفر محمد بن على الباقر عليهما السلام قال : كان أبى علىّ بن الحسين عليه السلام إذا حضرت الصلاة يقشعرّ جلده ويصفرّ لونه وترتعد فرائصه ويقف شعره ، ويقول ودموعه تجرى على خدّيه : لو علم العبد من يناجى ما انفتل .

١٣- روى الزبيدى الحنفى فى (الاتحاف ج ٣ ص ١٢٥ ط الميمنية بمصر) قال : وجماعة كانت تصفرّ وجوههم وترتعد فرائصهم عند القيام إلى الصلاة : منهم على بن أبى طالب ومنهم على بن الحسين بن على رضى الله عنهم .

١٤- روى الذهبى فى (تاريخ الاسلام ج ٤ ص ٣٧ ط مصر) قال : و قال إبن عيينه : حجّ على بن الحسين فلما أحرم اصفرّ لونه ، وانتفض ووقع عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبّى فقيل له : مالك لا تلبّى ؟ قال : أخشى أن أقول : لبيك ، فيقال لى : لا لبيك فلما لبّى غشى عليه ، وسقط من راحلته ، ولم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجّه .

رواه جماعة من أعلامهم فى أسفارهم مع إختلاف يسير :

منهم: إبن الأثير فى(المختار فى مناقب الاخيار ص ٢٧ نسخة الظاهرية بدمشق)

ومنهم: الكنجى الشافعى فى (كفاية الطالب ص ٣٠١ ط الغرى)

ومنهم: العسقلانى فى (تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٠٥ ط حيدر آباد)

ومنهم: خواجه پارسا فى (فصل الخطاب) على ما فى (ينابيع المودة ص ٣٧٧ ط اسلامبول)

ومهنم: الساعاتى فى (بلوغ الأمانى) المطبوع بذيل (الفتح الربانى ج ١٠ ص ٢٥٣ ط القاهرة)

١٥- روى الخواجه پارسا فى (فصل الخطاب) على مافى (ينابيع المودة ص ٣٧٨ ط دارالكتب العراقية سنة ١٣٨٥ هـ) قال : وكان شديد الاجتهاد فى العبادة فأضرّ ذلك جسمه ،فقال له إبنه محمد الباقر : ياأبت كم هذا الجدوالجهد والذوب ؟ فقال : ألاتحب أن يزلفنى ربى ، وكان إذاناول المسكين الصدقة قبّله ثم ناوله وكان له مسجد فى بيته يتعبّد فيه ، وإذاكان من الليل ثلثه أو نصفه نادى بأعلى صوته : اللهم إن هول المطلع والوقوف بين يدك أو حشنى من وسادتى و منع رقادى ، ثم يضع خديه على التراب ، فيجيىءإليه أهله و ولده يبكون حوله ترحماً له وهو لايلتفت إليهم ويقول : اللهم إنى أسئلك الروح والراحة حين ألقاك وأنت عنى راض .

وغيرها من الروايات الواردةعن طريق العامة فى ذلك تركناهاللاختصار.

وفى الصحيفة السجادية: ومن دعاء الامام سيد الساجدين زين العابدين على بن الحسين عليه السلام : « اللهم صل على محمد وآله ! وهب لى ما يجب علىّ لك و عافنى مما استوجبه منك وأجرنى مما يخافه أهل الاساءة فانك ملىء بالعفو مرجوّ بالمغفرة معروف بالتجاوزليس لحاجتى مطلب سواك ولا لذنبى غافرغيرك حاشاك ولاأخاف على نفسى إلا إياك » .

وفيها : ومن دعائه عليه السلام : « اللهم ياكافى الفرد الضعيف وواقى الامر المخوف أفردتنى الخطايا فلاصاحب معى وضعفت عن غضبك ، فلا مؤيد لى وأشرفت على خوف لقائك فلامسكّن لروعتى ، ومن يؤمننى منك وأنت أخفتنى ومن يساعدنى وأنت أفردتنى ومن يقوّينى وأنت أضعفتنى »

وفيها : ومن دعائه عليه السلام فى ذكر التوبة وطلبها : « اللهم يامن لايصفه نعت الواصفين ويامن لايجاوزه رجاء الراجين ، ويا من لايضيع لديه أجر المحسنين، ويامن هو منتهى خوف العابدين ، و يا من هو غاية خشية المتقين هذا مقام من تداولته أيدى الذنوب وقادته أزمة الخطايا واستحوذ عليه الشيطان ، فقصّر عما أمرت به تفريطاً و تعاطا مانهيت عنه تغريراً كالجاهل بقدرتك عليه أو كالمنكر فضل إحسانك إليه حتى إذا انفتح له بصر الهدى وتقشعت عنه سحائب العمى ،أحصى ما ظلم به نفسه ، وفكّر فيما خالف به ربه ، فرآى كبير عصيانه كبيراً و جليل مخالفته جليلاً .

فأقبل نحوك مؤمّلاً لك مستحيياً منك ووجّه رغبته إليك ثقة بك،فأمّك بطمعه يقيناً ، وقصدك بخوفك إخلاصاً ،قد خلا طمعه من كل مطموع فيه غيرك، وأفرخ روعه من كل محذور منه سواك ، فمثّل بين يدك متضرعاً و غمّض بصره إلى الارض متخشّعاً ، وطأطأ رأسه لعزتك متذللاً وأبثّك من سره ما أنت أعلم به منه خضوعاً ، وعدّد من ذنوبه ما أنت أحصى لها خشوعاً ، واستغاث بك من عظيم ماوقع به فى علمك وقبيح مافضحه فى حكمك من ذنوب أدبرت لذاتها ، فذهبت وأقامت تبعاتها فلزمت لاينكر . . » الدعاء .

وفيها : ومن دعائه عليه السلام فى الالحاح على الله تعالى : « إلهى أسئلك بحقك الواجب على جميع خلقك ، وباسمك العظيم الذى أمرت رسولك أن يسبحك به وبجلال وجهك الكريم الذى لايبلى ولايتغيّر ولايحول ولا يفنى أن تصلى على محمد وآل محمد ، و أن تغنينى عن كل شىء بعبادتك ، و أن تسلّى نفسى عن

الدنيا بمخافتك ، وأن تثنيني بالكثير من كرامتك برحمتك ، فاليك أفرّ و منك أخاف ، وبك أستغيث وإياك أرجو ، ولك أدعو وإليك ألجأ وبك أثق ، وإياك أستعين وبك اومن وعليك أتوكل ، وعلى جودك و كرمك أتكل » .

وغير ذلك من الروايات الواردة ودعائه ومناجاته عليه السلام لايسعها المقام .



﴿الدعاء عند الخوف﴾

فى الكافى : باسناده عن أبى‌حمزة قال : قال محمد بن على عليهما السلام : ياأبا حمزة مالك إذا أتى بك أمر تخافه أن لاتتوجّه إلى بعض زوايا بيتك يعنى القبلة، فتصلّى ركعتين ثم تقول : يا أبصر الناظرين ويا أسمع السامعين و يا أسرع الحاسبين و يا أرحم الراحمين سبعين مرة كلما دعوت بهذه الكلمات مرةسئلت حاجة .

وفيه : باسناده عن معاوية بن عمار عن أبى عبدالله عليه السلام ان الذى دعا به أبوعبدالله عليه السلام على داود بن على حين قتل المعلى بن خنيس و أخذ مال أبى عبدالله عليه السلام : « اللهم انى اسئلك بنورك الذى لايطفى وبعزائمك التى لاتخفى و بعزتك الذى لاينقضى وبنعمتك التى لاتحصى و بسلطانك الذى كففت به فرعون عن موسى عليه السلام ».

وفيه : باسناده عن سماعةعن أبى عبدالله عليه السلام قال : إذا خفت أمراً فقل : اللهم انك لا يكفى منك أحد ، و أنت تكفى من كل أحد من خلقك فاكفنى كذا و كذا .

وفيه : باسناده عن بشيرابن‌سلمة عن أبى عبدالله عليه السلام قال : كان على بن الحسين عليهما السلام يقول : ما ابالى إذا قلت هذه الكلمات لو اجتمع علىّ الانس والجن : بسم‌الله وبالله ومن الله وإلى‌الله وفى‌سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم إليك أسلمت نفسى و إليك وجّهت وجهى و إليك ألجأت ظهرى و إليك فوّضت أمرى ، اللهم احفظنى بحفظ الايمان من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى

وعن شمالي ومن فوقي ومن تحتي ومن قبلي (ماقبلي خ) وادفع عني بحولك و قوتك فانه لاحول ولاقوة إلاّ بك .

وفيه : باسناده عن عبدالله بن عبدالرحمن عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال لي : ألا اعلمك دعاءاً تدعو به ؟ إنا أهل البيت إذا كربنا أمر وتخوّفنا من السلطان أمر لاقبل لنا به ندعو به ، قلت : بلى بأبي أنت وامي يا ابن رسول الله قال :قل: ياكائناً قبل كل شيء ، ويا مكوّن كل شيء ويا باقي بعد كل شيء صلّ على محمد وآل محمد وافعل بي كذا و كذا .

وفيه : باسناده عن علي بن مهزيارقال : كتب محمد بن حمزة الغنوي إليّ يسئلني أن أكتب إلى أبي جعفر عليه السلام في دعاء يعلّمه يرجوبه الفرج ، فكتب إليّ أما ما سئل محمد بن حمزة من تعليمه دعاءاً يرجوبه الفرج ، فقل له :يلزم: يا من يكفي من كل شيء ولايكفي منه شيء اكفني ما أهمّني مما أنا فيه ،فاني أرجوأن يكفي ماهو فيه من الغم إن شاءالله تعالى ، فأعلمته ذلك فما أتى عليه إلاّ قليل حتى خرج من الحبس .

وفيه : باسناده عن سعيد بن يسارقال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : يدخلني الغم فقال : « أكثرمن أن تقول : الله الله ربي لااشرك به شيئاً ، فاذاخفت وسوسة أوحديث نفس فقل : اللهم اني عبدك وإبن عبدك وابن امتك ، ناصيتي بيدك،عدل فيّ حكمك ، ماض فيّ قضاؤك ، اللهم إني أسئلك بكل إسم هو لك أنزلته في كتابك أو علّمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تصلّي على محمد وآل محمد، وأن تجعل القرآن نوربصري و ربيع قلبي وجلاء حزني ، و ذهاب همّي ، الله الله ربي لا اشرك به شيئاً »

وفيه : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان دعاء النبي صلى الله عليه وآله ليلة الاحزاب : يا صريخ المكروبين ويا مجيب المضطرين ، و يا كاشف غمي اكشف عنّي غمي وهمي و كربي ، فانك تعلم حالي وحال أصحابي و اكفني هول عدوي .

﴿نكات ولطائف﴾

ههنا تنبيه إلى مابين الخوف والتخويف، و بين الحذر والخشية والفزع والهلع والانذار والرهبة والهول والوجل والبأس من اللطائف الفارقة والنكات الدقيقة لابد للقارىء الكريم من التأمل جيداً والاغتنام جداً.

إعلم ان الخوف هوغالباً : توقع الضررالمشكوك فى وقوعه، فمن يتيقن الضرلم يكن خائفاً، وكذلك الرجاء لا يكون غالباً إلاّمع الشك، فمن تيقن النفع فلم يكن راجياً له، وأما الحذرفهوتوقى الضررسواءكان مظنوناً أومتيقناً، والحذريدفع الضرر، والخوف لايدفعه، ولهذا يقال : خذحذرك، ولايقال : خذ خوفك.

قال الله تعالى : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » النور : ٦٣)

وقال : « أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة و يرجوا رحمة ربه » الزمر : ٩)

وقال : « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم » النساء : ٧١).

و أما الخوف والخشية : فان الخوف يتعلق بالمكروه و بترك المكروه تقول : خفت زيداً كما قال الله تعالى : « يخافون ربهم من فوقهم » النحل : ٥٠)

وتقول : خفت المرض كما قال تعالى : « ويخافون سوء الحساب » الرعد : ٢١)

وان الخشية تتعلق بمنزلة المكروه، ولايسمى الخوف من نفس المكروه

خشية ، ولهذا قال تعالى : « يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب » الرعد : ٢١)

ان تسئل : أليس قد قال الله جل وعلا حكاية عن هارون أخي موسى عليه السلام : « اني خشيت أن تقول فرّقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي» طه : ٩٤)؟

تجيب : ان هارون خشي القول المؤدّي إلى الفرقة ، والمؤدي إلى الشيء بمنزلة من يفعله .

وقال بعض الظرفاء من الادباء :يقال :خشيت زيداً ولا يقال : خشيت ذهاب زيد.

فان قيل : ذلك ، فليس على الأصل ولكن على وضع الخشية مكان الخوف وقد يوضع الشيء مكان الشيء إذا قرب منه .

واما الخوف والفزع والهلع : فان الفزع مفاجأة الخوف عند هجوم غارة أو صوت هدة قال الله تعالى : « من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون » النمل : ٨٩)

و ما أشبه ذلك ، و هو إنزعاج القلب بتوقع مكروه عاجل أو بوقوعه قال تعالى : «لايحزنهم الفزع الاكبر » الحج : ١٠٣)

وتقول : فزعت منه فتعديه بـ« من » أى هو إبتداء فزعى لان من لابتداء الغاية ، وهو يؤكد ما ذكرناه ، وقال تعالى : « إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لاتخف » ص : ٢٢) وتعديه بنفسه ، فمعنى خفته أى هو نفسه خوفي .

وأما الهلع فهو أسوأ الجزع . وقيل : الهلوع على ما فسّره الله تعالى في قوله : « ان الانسان خلق هلوعاً إذا مسّه الشر جزوعاً و إذا مسّه الخير منوعاً » المعارج : ١٩ و ٢١) ولايسمى هلوعاً حتى تجتمع فيه هذه الخصال . . .

وأما التخويف والانذار : فان الانذار تخويف مع إعلام موضع المخافة من قولك : نذرت بالشيء إذا علمته ، فاستعددت له ، فاذا خوّف الانسان غيره و أعلمه حال ما يخوّفه فقد أنذره ، وإن لم يعلمه ذلك لم يقل : أنذره ، والنذر:ما يجعله الانسان على نفسه إذا سلم مما يخافه ، والانذار إحسان من المنذر، و كلما

كانت المخافة أشد كانت النعمة بالانذار أعظم ، ولهذا كان النبى ﷺ أعظم الناس منة بانذاره لهم عقاب الله جل وعلا .

وأما التخويف فهو جعل الخوف فى غيره سواء أعلم موضع المخافة أم لا .

قال الله تعالى : « انا أنذرنا كم عذاباً قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت تراباً » النباء : ٤٠)

وقال : « واوحى إلى ّهذا القرآن لانذر كم به ومن بلغ » الانعام : ١٩)

وقال : « ومانرسل بالآيات إلاتخويفاً » الاسراء : ٥٩)

وقال : « لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخو ّف الله به عباده ياعباد فاتقون ـ أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه» الزمر: ١٦ ـ ٣٦)

وقال : « إنما ذلكم الشيطان يخو ّف أولياءه » آل عمران:١٧٥)

واما الخوف والرهبة : فان الرهبة : طول الخوف و إستمراره و مـن ثم قيل للراهب : راهب لانه يديم الخوف ، والخوف أصله من قولهم : جمل رهـب إذا كان طويل العظام مشبوح الخلق ، والرهابة : العظم الذى علـى رأس المعدة يرجع إلى هذا .

قال الله تعالى : « وأوفوا بعهدى اوف بعهد كم وإياى فارهبون»البقرة:٤٠)

وقال : «لانتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون » الحشر : ١٣)

وقال : « انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً و كانوا لنا خاشعين » الانبياء : ٩٠)

و عن بعض الادباء اللغويين : الرهبة : خوف يقع على شريطة لا مخافة ، والشاهد أن نقيضها الرهبة وهى السلامة من المخاوف مع حصول فائدة ،والخوف مع الشك بوقوع الضرر والرهبة من العلم به يقع على شريطة كذا ، و إن لم

يكن تلك الشريطة لم تقع .

قال الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم » الانفال : ٦٠)

و اما الخوف والهول : فان الهول هو المخافة من الامر لايدرى مايهجم عليه منه كهول الليل وهول البحر، وهول القبر والقيامة . . .

و اما الخوف والوجل : فان الوجل خلاف الطمأنينة ، و جل الرجل يوجل وجلاً إذا قلق ولم يطمئن، ويقال : أنا هذا على وجل ومن ذلك على طمأنينة، ولايقال على خوف فى هذا الموضع ، وفى القرآن الكريم : « الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » الانفال : ٢)

أى إذا ذكرت عظمة الله تعالى وقدرته لم تطمئن قلوبهم إلى ماقدموه من الطاعة ، و ظنوا انهم مقصرون فاضطربوا من ذلك ، و قلقوا فليس الوجل من الخوف فى شىء وخاف متعد ووجل غير متعد ، وصيغتاهما مختلفتان أيضاً، و ذلك يدل على فرق بينهما فى المعنى .

و اما الخوف والباس : فان البأس كل شىء يخاف المرء أن يأتى منه شر ، وان البأس يجرى على العدة من السلاح و العذاب الشديد والخوف الشديد فى الحرب والفقر الشديد والجوع وغيرها . . . ويقال: رجل بئيس : شجاع يخاف منه غيره ، ويستعمل فى موضع الخوف مجازاً ، فيقال : لابأس عليك ، و لا بأس فى هذا الفعل أى لاخوف ولا كراهة فيه .

قال الله تعالى : « قالوا نحن اولوا قوة واولوا بأس شديد » النمل : ٣٣)

وقال : « عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً النساء : ٨٤)

وقال : « قيما لينذر بأس شديداً من لدنه » الكهف : ٢)

وقال : « فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده » غافر : ٨٤)

وقال : « بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً و قلوبهم شتى » الحشر : ١٤)

﴿ كلمات قصار حول الخوف ﴾

غرر حكم ودرر كلم فى الخوف عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام نشير إلى نبذة منها :

١ـ قال الامام عليه السلام : « أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربه »

٢ـ وقال عليه السلام : « أعظم الناس علماً أشدهم خوفاً لله سبحانه »

٣ـ وقال عليه السلام : « تعنوا الوجوه لعظمة الله و تجل القلوب من مخافة الله وتنها لك النفوس على مراضيه »

٤ـ وقال عليه السلام : « غاية المعرفة الخشية »

٥ـ وقال عليه السلام : « أعلم الناس بالله سبحانه أخوفهم منه »

٦ـ وقال عليه السلام : « أعلمكم أخوفكم »

٧ـ وقال عليه السلام . « أخوفكم أعرفكم »

٨ـ وقال عليه السلام : « غاية العلم الخوف من الله سبحانه »

٩ـ وقال عليه السلام : « كل عالم خائف » أى كل عالم عامل .

١٠ـ وقال عليه السلام : « أطلع الله سبحانه فى كل حال ولاتخل قلبك من خوفه ورجائه طرفة عين وألزم الاستغفار »

١١ـ وقال عليه السلام : « إذا خفت الخالق فررت إليه » إذلامفر إلا إليه جل و علا . وقال عليه السلام : « إذا خفت المخلوق فررت منه »

١٢ـ وقال عليه السلام : « عجبت لمن عرف الله كيف لايشتد خوفه »

١٣- وقال عليه السلام : «ينبغي لمن عرف الله سبحانه أن لايخلو قلبه من رجائه وخوفه» .

١٤- وقال عليه السلام ، « الخوف جلباب العارفين »

١٥- وقال عليه السلام : «البكاء من خيفة الله للعبد عن الله عبادة العارفين» .

١٦- وقال عليه السلام : «أعقل الناس محسن خائف» .

١٧- وقال عليه السلام : « أفضل المسلمين إسلاماً من كان همه للاخراه واعتدل خوفه ورجاه» .

١٨- وقال عليه السلام : «من خاف ربه كفّ عن ظلمه» .

١٩- وقال عليه السلام : «من خاف العقاب إنصرف عن السيئات» .

٢٠- و قال عليه السلام : «المؤمن حذر من ذنوبه يخاف البلاء و يرجو رحمة ربه» .

٢١- وقال عليه السلام : «السعيد من خاف العقاب فآمن ورجا الثواب فأحسن»

٢٢- و قال عليه السلام : « الخوف سجن النفس عن الذنوب ورادعها عن المعاصي» .

٢٣- وقال عليه السلام : «ان المؤمنين خائفون» .

٢٤- وقال عليه السلام : «طوبى لمن راقب ربه وخاف ذنبه» .

٢٥- و قال عليه السلام : « طوبى لمن ألزم نفسه مخافة ربه وأطاعه في السر و الجهر» .

٢٦- وقال عليه السلام : «طوبى لمن خاف العقاب وعمل للحساب وصاحب العفاف وقنع بالكفاف ورضى عن الله سبحانه» .

٢٧- وقال عليه السلام : «طوبى لمن خاف الله فأمن» .

٢٨- وقال عليه السلام : «من خاف الله سبحانه أمنه الله من كل شيء ، ومن خاف الناس أخافه سبحانه من كل شيء» .

٢٩- وقال عليه السلام : «الخوف أمان» .

٣٠- وقال عليه السلام: «الخوف إستظهار».

٣١- وقال عليه السلام: «الخوف من الله فى الدنيا يؤمن الخوف فى الاخرة منه».

٣٢- وقال عليه السلام: «إنما السعيد من خاف العقاب فأمن ورجا الثواب فأحسن واشتاق إلى الجنة فأدلج».

٣٣- وقال عليه السلام: «من خاف الوعيد قرّب على نفسه البعيد».

٣٤- وقال عليه السلام: «أمسك عن طريق إذا خفت ضلالته».

٣٥- وقال عليه السلام: «ألا وإن أخوف ما أخاف عليكم إتباع الهوى وطول الأمل».

٣٦- وقال عليه السلام: «ان من أحب العباد إلى الله سبحانه عبداً أعانه على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى فى قلبه وأعدّ القرى ليومه النازل به».

٣٧- وقال عليه السلام: «كم من خائف وفد به خوفه على قرارة الأمن».

٣٨- وقال عليه السلام: «كم من غيظ تجرّع مخافة ما هو أشد منه».

٣٩- وقال عليه السلام: «الخائف لاعيش له» أى خائف غير الله تعالى.

٤٠- وقال عليه السلام: «الناس من خوف الذل متعجّلوا الذل».

٤١- وقال عليه السلام: «إنى أخاف عليكم كل عليم اللسان منافق الجنان يقول ما تعلمون ويفعل ما تنكرون».

٤٢- وقال عليه السلام: «إذا خفت صعوبة أمر فاصعب له يذلّ لك وخادع الناس عن أمثاله تهن عليك».

٤٣- وقال عليه السلام: «من خاف الله قلّت مخافته» أى من غير الله تعالى.

٤٤- وقال عليه السلام: «من كثرت مخافته قلّت آفته» أى من كثرت مخافته من الله تعالى.

٤٥- وقال عليه السلام: «وخافوا بغتة الأجل فانه لن يرجى من رجعة العمر ما

يرجى من رجعة الرزق».

٤٦- وقال عليه السلام: «من خاف الله لم يشف غيظه».

٤٧- وقال عليه السلام: «من قلّت مخافته كثرت آفته» أي من قلت خوفه من الله تعالى، كثرت آفته على نفسه وعلى المجتمع البشري وعلى دينه.

٤٨- وقال عليه السلام: «من لم يصدق من الله خوفه لم ينل منه الآمال».

٤٩- وقال عليه السلام في ذم أهل الدنيا - : «يخاف على غيره أكثر من ذنبه و يرجو لنفسه أكثر من عمله يرجو الله سبحانه في الكبير و يرجو العباد في الصغير، فيعطى العبد مالا يعطى الرب يخاف العبد في الرب و لايخاف في العبد الرب».

٥٠- وقال عليه السلام: «إذا زكى أحد من المتقين خاف مما يقال له فيقول أنا أعلم بنفسي من غيري وربي أعلم بي مني اللهم لاتؤاخذني بما يقولون واجعلني أفضل ما يظنّون واغفرلي مالايعلمون».

٥١ - و قال عليه السلام: «بادروا الأمل و خافوا بغتة الأجل تدركوا أفضل الأمل».

٥٢ وقال عليه السلام: «توخّ رضاالله وتوقّ سخطه وزعزع قلبك بخوفه».

٥٣ وقال عليه السلام: «تأميل الناس خيرك خير من خوفهم نكالك».

٥٤- وقال عليه السلام - في حق من ذمّه - : «جعل خوفه من العباد نقداً و من خالقه ضماناً ووعداً».

٥٥- و قال عليه السلام: «خف ربك وارج رحمته يؤمنك مماتخاف وينلك ما رجوت».

٥٦- وقال عليه السلام: «خف تأمن ولاتأمن فتخف».

٥٧ - وقال عليه السلام: «خف ربك خوفاً يشغلك عن رجائه وارجه رجاء من لا يومن خوفه».

٥٨- وقال عليه السلام: «خير الاعمال إعتدال الرجاء والخوف».

٥٩- وقال عليه السلام: «خف الله خوف من شغل بالفكر قلبه فان الخوف مطية الامن وسجن النفس عن المعاصي».

٦٠- وقال عليه السلام: «خف الله يؤمنك ولاتأمنه فيعذبك».

٦١- وقال عليه السلام: «خوف الله يجلب الله لمستشعره الامان».

٦٢- وقال عليه السلام: «رب أمن إنقلب خوفاً».

٦٣- و قال عليه السلام: «من أخافك لكى يؤمنك خيرلك ممن يؤمنك لكى يخيفك».

٦٤- و قال عليه السلام: «من أمن خائفاً من مخوفه أمنه الله سبحانه من عقابه».

٦٥- وقال عليه السلام: «ثمرة الخوف الأمن».

٦٦- وقال عليه السلام: «جار الله سبحانه آمن وعدوه خائف».

٦٧- وقال عليه السلام: «حلاوة الأمن تنكدها مرارة الخوف والحذر».

٦٨- وقال عليه السلام: «رب خوف يعود بالأمان».

٦٩- وقال عليه السلام: «شر الناس من يتقيه الناس مخافة شره».

٧٠- وقال عليه السلام: «صوم الجسد الامساك عن الأغذية بارادة وإختيار خوفاً من العقاب ورغبة في الثواب والأجر».

٧١- وقال عليه السلام: «عجبت لمن خاف البيات فلم يكف» أي عن المعاصي. و«البيات» أي المبيت.

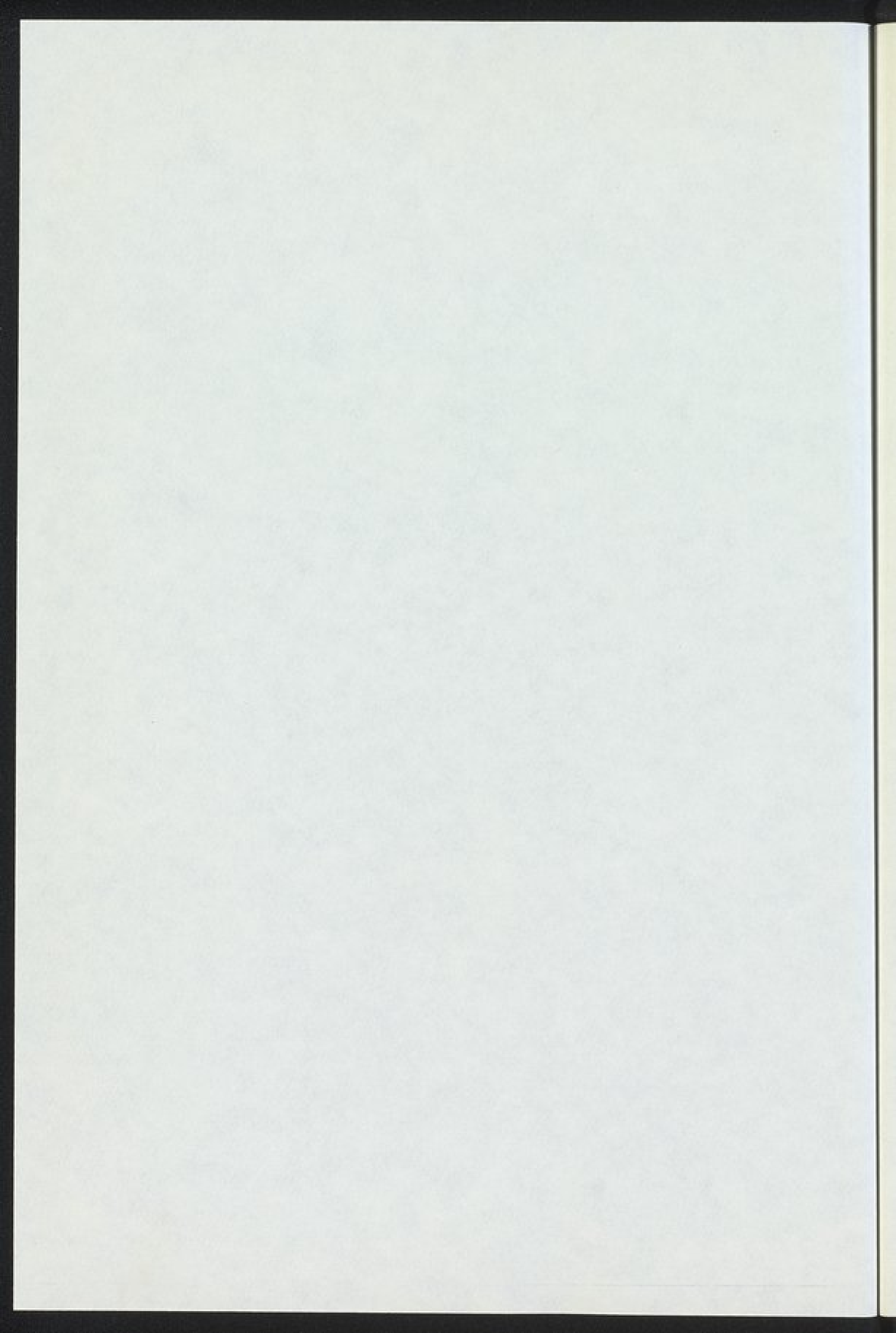
٧٢- وقال عليه السلام: «يانوف إن طال بكائك مخافة من الله عزوجل قرت عيناك غداً بين يدي الله عزوجل، يانوف انه ليس من قطرة قطرات من عين رجل إلا أطفأت بحاراً من النيران يانوف انه ليس من رجل أعظم من رجل بكى من

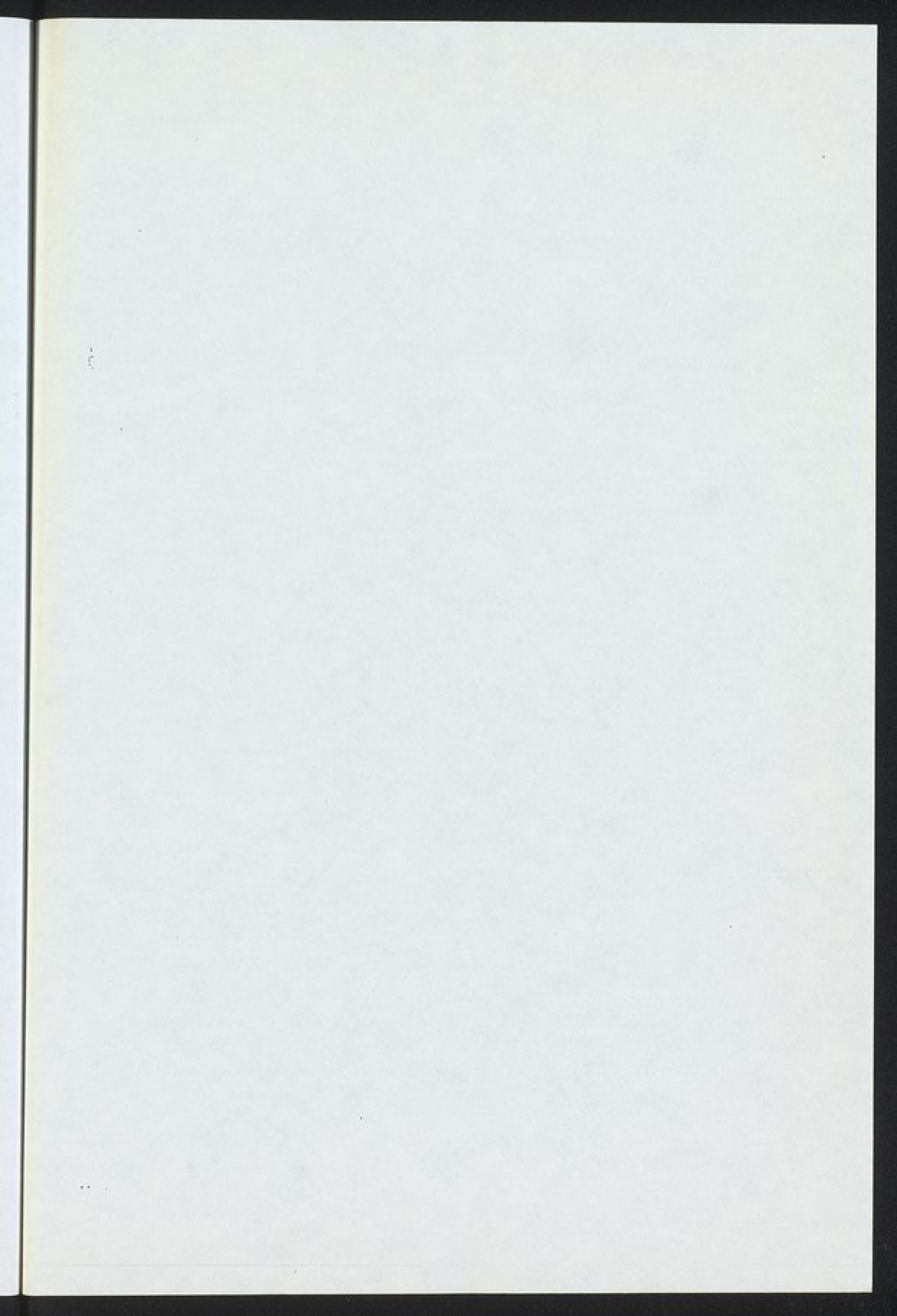
خشية الله وأحب في الله».

٧٣- وقال ﷺ: «العبادة الخالصة أن لايرجو الرجل إلا ربه ولايخاف إلا ذنبه».

تمت سورة النازعات والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد وآله الطاهرين







سورة عبس مكية وهي اثنتان واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ﴿١﴾ ان جاءه الاعمى ﴿٢﴾ وما يدريك لعله يزكى ﴿٣﴾ او يذكر فتنفعه الذكرى
﴿٤﴾ اما من استغنى ﴿٥﴾ فانت له تصدى ﴿٦﴾ وما عليك الا يزكى ﴿٧﴾ واما من جاءك يسعى ﴿٨﴾
وهو يخشى ﴿٩﴾ فانت عنه تلهى ﴿١٠﴾ كلا انها تذكرة ﴿١١﴾ فمن شاء ذكره ﴿١٢﴾ في صحف مكرمة ﴿١٣﴾
مرفوعة مطهرة ﴿١٤﴾ بايدي سفرة ﴿١٥﴾ كرام بررة ﴿١٦﴾ قتل الانسان ما اكفره ﴿١٧﴾ من اي شيء خلقه
﴿١٨﴾ من نطفة خلقه فقدره ﴿١٩﴾ ثم السبيل يسره ﴿٢٠﴾ ثم اماته فاقبره ﴿٢١﴾ ثم اذا شاء انشره
﴿٢٢﴾ كلا لما يقض ما امره ﴿٢٣﴾ فلينظر الانسان الى طعامه ﴿٢٤﴾ انا صببنا الماء صبا ﴿٢٥﴾ ثم شققنا
الارض شقا ﴿٢٦﴾ فانبتنا فيها حبا ﴿٢٧﴾ وعنبا وقضبا ﴿٢٨﴾ وزيتونا ونخلا ﴿٢٩﴾ وحدائق غلبا
﴿٣٠﴾ وفاكهة وابا ﴿٣١﴾ متاعا لكم ولانعامكم ﴿٣٢﴾ فاذا جاءت الصاخة ﴿٣٣﴾ يوم يفر المرء
من اخيه ﴿٣٤﴾ وامه وابيه ﴿٣٥﴾ وصاحبته وبنيه ﴿٣٦﴾ لكل امرئ منهم يومئذ شان
يغنيه ﴿٣٧﴾ وجوه يومئذ مسفرة ﴿٣٨﴾ ضاحكة مستبشرة ﴿٣٩﴾ ووجوه يومئذ عليها غبرة
﴿٤٠﴾ ترهقها قترة ﴿٤١﴾ اولئك هم الكفرة الفجرة ﴿٤٢﴾

﴿فضلها و خواصها﴾

روى الصدوق رضوان‌الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن معاوية بن وهب عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: من قرأ «عبس و تولى» و «إذا الشمس كوّرت» كان تحت جناح الله من الجنان، وفي ظل الله وكرامته وفي جنانه، ولم يعظم ذلك على الله إن شاء الله.

رواه الطبرسي في المجمع، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين، والمجلسي في البحار وغيرهم.

و ذلك من قرأ السورة متدبراً و تذكّر بما فيها من مآل الانسان يوم القيامة إما إلى الجنة و المتنعم بنعيمها، وإما إلى جهنم والعذاب بنارها، فآمن بالله جل وعلا ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم و كتابه و باليوم الآخر وعمل صالحاً واتقى واجتنب عن المعاصي، فهو يوم القيامة من الذين وجوههم يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة، وهو في الجنة في ظلال ونعيم ويدخله الله عزوجل مدخلاً كريماً . . .

قال الله تعالى: «إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم و ندخلكم مدخلاً كريماً ـ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلاً» النساء: ٣١ـ٥٧)

وقال: «إن أكرمكم عندالله أتقاكم» الحجرات: ١٣).

وقال: «وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود» الواقعة: ٢٧ـ٣٠).

وقال : «إلاّ المصلين الـذين هم على صلاتهم دائمون ـ اولئك فى جنات مكرمون» المعارج : ٢٢ـ٣٥) .

وقال : «ان المتقين فى ظلال و عيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون انا كذلك نجزى المحسنين» المرسلات : ٤١و٤٤) .

ولايخفى ان معاوية بن وهب أربعة نفر :

١ـ معاوية بن وهب البجلى أبوالحسن الكوفى ،وهو ثقة حسن الطريقة، وروايته صحيحة على ما فى الكتب الرجالية .

٢ـ معاوية بن وهب بن جبلة له كتاب . ٣ـ معاوية بن وهب بن فضال لـه كتاب أيضاً .

٤ـ معاوية بن وهب الميثمى (التميمى خ) وله أيضاً كتاب . وإنما المراد بمعاوية بن وهب فى المقام هوالاول .

وفى المجمع: عن ابى إبن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : «ومن قرأ سورة «عبس» جاء يوم القيامة ، ووجهه ضاحك مستبشر .

اقول : ان هذه الرواية غير صحيحة عندنا لمكان ابى ، ولكنها لاتنـافى الرواية الصحيحة المتقدمة .

وفى البرهان : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أكثر قرائتها خرج يوم القيامة، ووجهه ضاحك مستبشر ، ومن كتبها فى رق غزال وعلقها عليه لم يلق إلاّ خيـراً أينما توجه .

وفيه : وقال الصادق عليه السلام : إذا قرأ المسافر ـ سورة عبس ـ فى طريقه يكفى ما يليه فى طريقه فى ذلك السفر .

اقول : ومن غير بعيد أن يكون من خواص السـورة مافى الروايتين الاخيرتين، وذلك لاهل التقوى واليقين .

قال الله تعالى : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً و أن الذين لايؤمنون بالآخرة أعتدنالهم عذاباً أليماً ـ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لايؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً ـ وننزّل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلاّ خساراً» الاسراء : ٩ـ٨٢)



﴿الغرض﴾

غرض السورة تقرير لمهمة الدعوة من أنها إنما هي تذكير للناس لا إلزام فيه و لا إبرام فمن شاء الخير تذكر و انتفع ، و من لم يشأ فعليه وبال أمره و الاعراض عنه،مع تقرير الافضلية بين الناس لذوى النيات الحسنة والرغبات الصالحة فى الخير بقطع النظر عما يكونون عليه من فضل أو تأخر فى الدرجات الاجتماعية .

وان الخطاب وان كان متوجهاً إلى النبى الكريم ﷺ ظاهراً من غير أن يكون فيه شيء يناقض العصمة النبوية ، ولكن الغرض عتاب ربانى على من يقدم الاغنياء المترفين على الضعفاء من المؤمنين ، فيرفع أهل الدنيا ، ويضع أهل الاخرة ،وخاصة أصحاب الدعوات الاصلاحية والاجتماعية الدينية ، فعليهم أن يسيروا على ضوء الحق فى دعواتهم الناس إلى الله عزوجل والايمان وصالح الاعمال . . .

وفى السورة تلقينات ومبادىء أخلاقية وإجتماعية وسلوكية جليلة مستمرة المدى ، وإشادة بذوى النيات الحسنة من الناس الذين يسعون وراء الخير والمعرفة صادقى الرغبة فى الاستفادة والاستنارة ، وصالح الاعمال ، وايجاب الاهتمام لهم و العناية بهم وتشجيعهم ومساعدتهم مهما كانت طبقتهم وترجيحهم على الذين يترفعون عن كلمة الحق والدعوة إليه مهما علت مراكزهم وايجاب معاملة هؤلاء بالاهمال والاستهانة تأديباً لهم ولأمثالهم . . .

وفيها تنديد بالانسان وجحوده وتعداد نعم الله تعالى عليه وإنذار بالآخرة وأهوالها و مصائر الصالحين والمجرمين فيها .

﴿النزول﴾

سورة «عبس» مكية نزلت بعد سورة «النجم» وقبل سورة «القدر» وهي السورة الرابعة والعشرون نزولاً، والثمانون مصحفاً.

وتشتمل على ثنتين وأربعين آية، سبقت عليها ٣٩٧/ آية نزولاً و٥٧٥٨/ آية مصحفاً على التحقيق.

وهي مشتملة على ١٣٠/ كلمة، وقيل: ١٣٣/ كلمة، و٥٣٠/ حرفاً، و قيل: ٥٣٣/ حرفاً على ما في بعض التفاسير.

ولهذه السورة أربعة أسماء: ١- سورة عبس. ٢- سورة الاعمى. ٣- سورة السفرة. ٤- سورة الصاخة.

ولكل وجه ولكن المشهور هو الاول ثم الثاني.

في اسباب النزول للواحدي النيسابوري: قوله تعالى: «عبس وتولى أن جاءه الاعمى» وهو إبن ام مكتوم، وذلك انه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يناجي عتبة ابن ربيعة وأبا جهل بن هشام وعباس بن المطلب وابياً وامية إبني خلف ويدعوهم إلى الله تعالى ويرجو إسلامهم، فقام إبن ام مكتوم، وقال: يا رسول الله علّمني مما علمك الله وجعل يناديه ويكرّر النداء ولايدري انه مشتغل مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقطعه كلامه قال في نفسه:

يقول هؤلاء الصناديد: إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد، فعبس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعرض عنه، وأقبل على القوم الذين يكلمهم، فأنزل الله تعالى هذه

الايات ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك يكرمه ، و إذا رآه يقول : مرحبابمن عاتبني فيه ربي .

وفي أسباب النزول للسيوطي :أخرج الترمذى والحاكم عن عائشة قالت : أنزل «عبس وتولى» في إبن ام مكتوم الاعمى ،أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعل يقول يا رسول الله أرشدني ، وعند رسول الله رجل من عظماء المشركين ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ، فيقول له : أترى بما أقول بأساً ؟ فيقول: لا، فنزلت «عبس وتولى أن جاءه الاعمى» .

أقول : رواه الواحدى في أسباب النزول إلاّ انه ذكر «رجال» بدل «رجل» و«الاخرين» بدل «الاخر» ثم قال بعد «الاخرين» ففي هذا نزلت «عبس وتولى» . ولايخفى على القارىء الخبير ان هذه الرواية من الموضوعات ، فان عائشة بنت أبي بكر لم تولد عند نزول هذه السورة،فضلاً عن كونها زوجة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لأن هذه السورة نزلت في أوائل البعثة على ما اتفقت عليه الروايات . . .

وفي السيرة النبوية لابن هشام:ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورسول الله يكلمه وقد طمع في إسلامه ، فبينا هو في ذلك إذ مرّ به إبن ام مكتوم الاعمى ، فكلّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعل يستقرئه القرآن ، فشقّ ذلك منه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أضجره ، و ذلك انه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من إسلامه، فلما أكثر عليه إنصرف عنه عابساً وتركه ، فأنزل الله تعالى فيه :«عبس وتولى أن جاءه الاعمى - إلى قوله تعالى - في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة» أي إنما بعثتك بشيراً ونذيراً لم اخصّ بك أحداً دون أحد ، فلاتمنعه ممن ابتغاه ولاتتصدّينّ به لمن لايريده قال إبن هشام : إبن ام مكتوم أحد بني عامر بن لؤيّ وإسمه عبدالله ويقال : عمرو .

ويقال : عمر وبن ام مكتوم ، وإسم ام مكتوم عاتكة بنت عامر بن مخزوم، وعمرو هذا هو ابن قيس بن زائدة بن الاصم وهو ابن خال خديجة عليها السلام .

و فى الدر المنثور : عن إبن عباس فى قوله:«عبس و تولى ان جاءه الاعمى» قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يناجي عتبة بن ربيعة و أباجهل بن هشام والعباس بن عبدالمطلب ، و كان يتصدّى لهم كثيراً و يحرص عليهم أن يؤمنوا ، فأقبل إليه رجل أعمى يقال لـه عبدالله بن ام مكتوم يمشي وهو يناجيهم ، فجعل عبـدالله يستقرىء النبي صلى الله عليه وآله وسلم آية من القرآن ، وقال : يارسول الله علّمني مما علّمك الله فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و عبس فى وجهه و تولى و كره كلامـه ، و أقبل على الاخرين .

فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أخذ ينقلب إلى أهله أمسك الله بعض بصره ثم خفق برأسه ثم أنزل الله : «عبس و تولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى» فلما نزل فيه أكرمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و كلّمه وقال له: ماحاجتك ؟ هل تريد من شىء ؟ وإذا ذهب من عنده قال له : هل لك حاجة فى شىء؟ وذلك لما أنزل الله : «أما من استغنى فانت له تصدى وما عليك ألاّ يزكى» .

وفيه : عن عكرمة فى قوله تعالى : «قتل الانسان ما أكفره» قال : نزلت فى عتبة بن أبى لهب حين قال : كفرت برب النجم إذا هوى فدعا عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخذه الأسد بطريق الشام .

و فى الجامع لاحكام القرآن : و روى الضحاك عن إبن عباس قال : نزلت فى عتبة بن أبى لهب ، وكان قد آمن ، فلما نزلت « والنجم » إرتدّ وقال : آمنت بالقرآن إلا النجم ، فأنزل الله جل ثناؤه فيه : « قتل الانسان » أى لعن عتبة حيث كفر بالقرآن ، و دعـا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « اللهم سلّط عليه كلبك الغاضرة » فخرج من فوره بتجارة إلى الشام ، فلما إنتهى إلى الغاضرة تذكر دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجعل لمن معه ألف دينار إن هو أصبح حياً ، فجعلوه فى وسط الرفقة، وجعلوا المتاع حوله ، فبينما هم على ذلك أقبل الاسد، فلما دنا من الرحال وثب فاذا هو فوقه فمزقه ، وقد كان أبوه ندبه وبكى و قال : ما قال محمد شيئاً قط

إلا كان .

وفيه أقبل إبن ام‌مكتوم و النبى صلى الله عليه وآله وسلم مشتغل بمن حضره من وجوه قريش يدعوهم إلى الله تعالى ، و قد قوى طمعه فى إسلامهم وكان فى إسلامهم إسلام من وراءهم من قومهم فجاء إبن مكتوم وهو أعمى ، فقال : يا رسول الله علّمنى مما علّمك الله ، وجعل يناديه ويكثر النداء ولايدرى انه مشغول بغيره حتى ظهرت الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقطعه كلامه، وقال فى نفسه : يقول : هؤلاء: إنما أتباعه العميان و السفلة و العبيد ، فعبس و أعرض عنه فنزلت الاية .

وفى المجمع : قيل : نزلت الايات فى عبدالله بن ام‌مكتوم وهو عبدالله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهرى من بنى عامر بن لؤى، و ذلك انه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يناجى عتبة بن ربيعة وأباجهل بن هشام و العباس بن عبدالمطلب و ابياً و امية إبنى خلف يدعوهم إلى الله و يرجو إسلامهم ، فقال : يا رسول الله اقرئنى و علّمنى مما علّمك الله، فجعل يناديه ويكرر النداء ولايدرى انه مشتغل مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقطعه كلامه .

وقال فى نفسه : يقول هؤلاء الصناديد: إنما أتباعه العميان والعبيد فأعرض عنه ، وأقبل على القوم الذين يكلمهم ، فنزلت الايات و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك يكرمه وإذا رآه قال : مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويقول له : هل لك من حاجة ؟ و استخلفه على المدينة مرتين فى غزوتين وقال أنس بن مالك ، فرأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء .

وفيه : قال المرتضى علم الهدى قدس الله روحه : ليس فى ظاهر الاية دلالة على توجهها إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بل هو خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه ، و فيها ما يدل على أن المعنى بها غيره لان العبوس ليس من صفات النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع الاعداء المباينين فضلاً عن المؤمنين المسترشدين ثم الوصف بأنه يتصدى للأغنياء ويتلهى عن الفقراء لايشبه أخلاقه الكريمة، ويؤيد هذا القول قوله سبحانه فى وصفه صلى الله عليه وآله وسلم

: « وانك لعلى خلق عظيم » وقوله : « ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك » فالظاهر ان قوله : « عبس وتولى » المراد به غيره .

و قد روى عن الصادق عليه السلام : انها نزلت فى رجل من بنى امية كان عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم فجاء إبن ام مكتوم فلما رآه تقذرمنه وجمع نفسه وعبس و أعرض توجهه عنه ، فحكى الله سبحانه ذلك وأنكره عليه .

وفى تفسير القمى : قال على بن إبراهيم : قال : نزلت فى عثمان وابن ام مكتوم و كان إبن ام مكتوم مؤذناً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان أعمى ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و عنده أصحابه و عثمان عنده ، فقدمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عثمان ، فعبس عثمان وجهه و تولى عنه فأنزل الله : « عبس و تولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى » أى يكون طاهراً زكياً .

وفى المجمع : فان قيل: فلوصح الخبرالاول هل يكون العبوس ذنباً أم لا؟ فالجواب: ان العبوس والانبساط مع الاعمى سواء إذلايشق عليه ذلك فلايكون ذنباً ، فيجوزأن يكون عاتب الله سبحانه بذلك نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ليأخذه بأوفر محاسن الاخلاق وينبّهه بذلك على عظم حال المؤمن المسترشد ويعرفه أن تأليف المؤمن ليقيم على ايمانه أولى من تأليف المشرك طمعاً فى ايمانه .

وفيه : و قال الجبائى فى هذا دلالة على أن الفعل يكون معصية فيما بعد لمكان النهى فأما فى الماضى فلا يدلّ على أنه كان معصية قبل أن ينهى عنه والله سبحانه لم ينهه إلاّ فى هذا الوقت .

وقيل : ان ما فعله الاعمى نوعاً من سوء الأدب ، فحسن تأديبه بالاعراض عنه إلاّ انه كان يجوز أن يتوهم انه أعرض عنه لفقره ، وأقبل عليهم لرياستهم تعظيماً لهم فعاتبه الله سبحانه على ذلك .

وفيه . و روى عن الصادق عليه السلام انه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا رآى عبدالله بن ام مكتوم قال : مرحبا مرحبا لاوالله لا يعاتبنى الله فيك أبداً وكان

يصنع به من اللطف حتى كان يكف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما يفعل به أي كان إبن ام مكتوم يكف عن الحضور عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكثرة صنيعه صلى الله عليه وآله وسلم به إنفعالاً منه وخجلاً .

اقول : ان الله عزوجل عظم خلق رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بمواضع عديدة في كتابه منها قوله تعالى : « وانك لعلى خلق عظيم » القلم : ٤) وهي السورة الثالثة نزولاً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ما اتفقت عليه الروايات الواردة في ترتيب السور القرآنية نزولاً .

فكيف يعقل أن يعظم الله جل وعلا خلق نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في أول بعثته إطلاقاً ، ثم يعود فيعاتبه على بعض ما ظهر من أعماله الخلقية من العبوس والاعراض عن المؤمنين المسترشدين فيذمه صلى الله عليه وآله وسلم بمثل التصدي للاغنياء وإن كفروا، والتولي عن الفقراء وإن آمنوا واسترشدوا ؟

وقد أمر الله تعالى بالاعراض عن المكذب والمنهمك في شهوات الدنيا ومتاعها إذقال : « واهجرهم هجراً جميلاً وذرني والمكذبين اولي النعمة » المزمل : ١٠ و١١) وهي السورة الرابعة نزولاً عليه صلى الله عليه وآله وسلم

وقال : « فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا» النجم: ٢٩) وهي نزلت قبل سورة « عبس » نقلاً وإجماعاً .

وقد نهاه الله جل وعلا عن تنحي السائل فكيف المؤمن المسترشد إذقال : « وأما السائل فلاتنهر » الضحى : ١٠) وهي السورة الحادية عشر نزولاً .

وقد وبخ المشركين من قبل على الهاهم التكاثر إذقال: « ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلاسوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون » التكاثر: ١-٤) وهي السورة السادسة عشر نزولاً على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

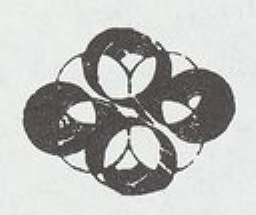
و قد أمره الله تعالى باعلان خطته بالنسبة إلى دينهم و عبادتهم و إظهاره ببرائته من دين المشركين ومعتقداتهم إذقال : « قل يا أيها الكافرون لاأعبد ما

تعبدون - لكم دينكم ولي دين » الكافرون : ١-٦) وهي السورة الثامنة عشر نزولاً على رسول الله ﷺ وغيرها من السور النازلة قبل هذه السورة فتدبر جيداً .

فخوطب النبي الكريم ﷺ بهذا العتاب الرباني تعليماً لأصحاب الدعوة والارشاد و الاصلاح ... وبما ذكرنا ظهر الجواب عما قيل : ان الله تعالى مانهى نبيه ﷺ عن هذا الفعل إلاّ في هذا الوقت ، فلايكون معصية منه إلاّ بعده وأما قبل النهي فلا .

وفي اسباب النزول للواحدي باسناده عن عائذ ابن شريح الكندي قال : سمعت أنس بن مالك قال : قالت عائشة للنبي ﷺ : أنحشر عراة ؟ قال : نعم ، قالت : واسوأتاه فأنزل الله تعالى: «لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه» .

أقول : ان الكلام في هذه الرواية الموضوعة هو الكلام في الرواية الموضوعة السابقة عن عائشة فراجع و تأمل و أغتنم جداً .



﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم «فتنفعه» بالنصب ، بناءاً على أنه جواب ا «لعل» لانه غيرموجب كقوله تعالى حكاية عن فرعون : «لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع» غافر : ٣٦-٣٧) وقرأ الباقون بالرفع عطفاً على «يزكى» .

وقرأ أبوجعفر ونافع وإبن كثير «تصّدّى» بتشديد الصاد بادغام تاء التفعل فى الصاد ، فالاصل : تتصدّى . والباقون بتخفيفها بناء على حذف تاء التفعل أو تاء الخطاب . وقد روى فى قراءة الامام أبى جعفر الباقر عليه السلام «تصدى» بضم التاء وفتح الصاد مبيناً للمفعول ، وكذلك الكلام فى «تلهى» .

وقرأ نافع «نشره» ثلاثياً ، والباقون «أنشره» بالالف من باب الافعال .

وقرأ عاصم وحمزة «أنا» بالفتح بدل إشتمال من الطعام لان هذه الاشياء مشتملة على كون الطعام وحدوثه كقوله تعالى : «يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه» فالمعنى إلى كون طعامه وحدوثه وهو موضع إعتبار . وقيل : على تقدير : إلى أنا أو باضمار هو أنا . فالجملة في حال رفعها مترجمة عن الطعام . وقيل : على تقدير : لانا صببنا وقرأ الباقون «إنا» بالكسر بناءاً على أن الجملة تفسير للنظر إلى طعامه . وقيل : على الاستيناف .

﴿الوقف والوصل﴾

« تولى لا » لتمام الكلام بالآية التالية ، و « الاعمى ط » لتمام الجملة ، و « يزكى لا » لترديد العطف الآتى والجواب ، و « الذكرى ط » لتمام الكلام ، وتفصيله ، و« استغنى لا » لمكان الجواب الآتى ، و« تصدى ط» لتمام الجملة ، و « يزكى ط » كالمتقدم، و« يسعى لا » للعطف ، و« يخشى لا» لمكان الجواب التالى، و« تلهى ج ى » لان « كلا» يحتمل أن يكون للردع فلايوقف ، أويكون بمعنى حقاً فيوقف و «ى» علامة العشر، توضع عند إنتهاء عشر آيات ، و« تذكرة ج » للشرط بعده مع الفاء .

« ذكره م » لان الظرف لايجوزأن يتعلق بما قبله بل خبرلمبتداءمحذوف أى هو ، و « مكرمة لا» لمكان الصفات الآتية ، و « مطهرة لا »لاتصال الصفات ،و « سفرة لا»لماتقدم و « بررة ط »لتمام الكلام ، و «أكفره ط»لتمام الاستفهام والاستفهام التالى و«خلقه ط» لتمام الاستفهام الثانى؛ و« نطفة ط »لتمام الجواب ههنا ،و«فقدّره لا» للعطف و « يسّره لا» و « فأقبره لا » لما تقدم و إتصال الكلام، و « أنشره ط» لتمام الكلام بناء على أن« كلا »بمعنى حقاً ؛ولايصلح للردع ، و « أمره ط»كالسابق « طعامه لا » إلا على قراءة«انا » بالفتح فلا وقف للبدل ، و « صبا لا » لمكان العطف . و « شقا لا »لماتقدم ، و «حبا لا»و«قضبا لا » و« نخلا لا» و«غلبا لا»كالسابق و« أبا لا»لمكان التعليل ، و «لانعامكم ط »لتمام الكلام ، و«الصاخة ز»فان الاوضح أن يكون « يوم » ظرفاً ا « جائت » ويجوزأن يكون مفعول اذكر محذوفاً على

تقدير العامل أى فاذا جائت الصاخة كان ماكان .

« أخيه لا » و « أبيه لا» للعطف، و « بنيه ط » لتمام الكلام ، و « يغنيه ط» لما تقدم ، و « مسفرة لا» للوصف التالى ،و « مستبشرة ج » فصلاً بين حالتى الفريقين مع اتفاق الجملتين ، و«غبرة لا» للوصف الآتى ، و « قترة ط »لا ستيناف التالى .



﴿ اللغة ﴾

٥- العبس والعبوس- ٩٧٠

عبس وجهه يعبسه عبساً وعبساً وعبوساً - من باب ضرب - : قبض وجهه وقطّبه ولوى بشرته وجمعها من ضيق الصدر لازم ومتعدّ .

قال الله تعالى : «ثم عبس وبسر» المدثر : ٢٢) .

اليوم العبوس: الشديد الكريه قال الله تعالى : «يوماً عبوساً» الانسان :١٠)

العبوس : الجمع الكثير .

العبس : العبد البوّال في فراشه إذا تعوّده وبان أثره على بدنه .

التعبّس : التجهّم .

العابس : الأسد . العباس : فعال للمبالغة . والأسد الذى تهرب منه الأسد وبه سمى الرجل عبّاساً .

في المفردات : العبوس : قطوب الوجه من ضيق الصدر .

وفي النهاية : في صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لاعابس ولامفنّد» العابس : الكريه الملقى .

وفي القاموس وشرحه : العبس - محركة - : ما تعلّق بأذناب الابل من أبوالها وأبعارها يجف عليها وعلى أفخاذها .

٨١- العمى- ١٠٤٦

عمى يعمى عمياً و عمياناً وعماية - من باب علم - : خفى

قال الله تعالى :«فعميت عليهم الانباء» القصص : ٦٦) أى خفيت .

يدور معنى المادة على الستر والتغطية ومن ذلك عمى الشيء : خفى وعماه: أخفاه .

والعمى : ذهاب البصر كله والعمى : ذهاب نظر القلب كذلك .

قال الله تعالى فيهما :«فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور» الحج : ٤٦) .

والصفة فيهما أعمى ثم يقال فى عمى القلب مع ذلك: عم .

وعمى عليه الامر : إلتبس وإشتبه . العماء بالفتح والمدّ : السحاب .

وقدورد منها المصدر والفعل للخفاء . وتجمع العمى على عمى وعميان و عمين .

قال تعالى : «انهم كانوا قوماً عمين» الاعراف : ٦٤) .

و كل ما ورد ذماً للعمى فهو ذم لعمى البصيرة .

عمّاه وأعماه أى صيّره أعمى .تعامى الرجل : أظهر من نفسه العمى .

إعتمى الشيء إعتماء : إختاره وقصده . العميّة بضم العين وفتحها :الغواية واللجاج . الأعماء جمع أعمى : الجهّال .

فى المفردات : العمى : يقال فى إفتقاد البصر والبصيرة . و يقال فى الاول أعمى و فى الثانى أعمى وعم وعلى الاول قوله : «ان جاءه الاعمى» وعلى الثانى ما ورد من ذم العمى فى القرآن نحو قوله : «صم بكم عمى» .

و قوله: «فعموا وصمّوا» بل لم يعدّ إفتقاد البصر فى جنب إفتقاد البصيرة عمى .

حتى قال : «فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور».

وفى اللسان : العماية والعماعة : السحابة الكثيفة المطبقة .

١٨ - الصدى والتصدية - ٨٤٨

صدى يصدى صدى - من باب علم - : إستقبل إليه بوجهه .

تصدّى له تصدياً : تعرّض وهو الذى يستشرفه ناظراً إليه . وتصدى للامر: دفع رأسه إليه .

قال الله تعالى :«فانت له تصدى»عبس: ٦) أى ترتفع إليه رأسك وتستقبلك ناظراً اليه . المصاداة : العناية بالشيء .

والتصدية مصدر صدّى الرجل :صفّق بيديه قال الله تعالى : ««وماكان صلاتهم عند البيت إلا مكاء و تصدية» الانفال : ٣٥) .

فى المفردات: الصدى: صوت يرجع إليك من كل مكان صقيل والتصدية : كل صوت يجرى مجرى الصدى فى ان لاغناء فيه .

وقوله :«وماكان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية» أى غناء مايوردونه غناء الصدى ومكاء الطير .

والتصدى أن يقابل الشيء مقابلة الصدى أى الصوت الراجع من الجبل .

وفى النهاية : الصدى : العطش والصوت الذى يسمعه المصوّت عقيب صياحه راجعاً إليه من الجبل والبناء المرتفع . الصدى : الهلاك والدماغ وموضع السمع .

وفى اللسان :الصدى :شدة العطش.رجل مصداء : كثير العطش . والصوادى: النخل التى لاتشرب الماء . صدين أى عطشن . الصدى : جسد الانسان بعدموته. الصدى : طائر يصيح فى هامه المقتول إذا لم يثأر به .

وفى القاموس وشرحه : الصدى له إثناعشر وجهاً :

الاول : الصدى : الرجل اللطيف الجسد .

الثانى : الصدى : الجسد من الآدمى بعد موته مما يبقى من الميت فى قبره وهو جثته .

الثالث : الصدى : حشوة الرأس يقال لها الهامة. وكانت العرب تقول :ان عظام الموتى تصير هامة فتطير وكانوا يسمون ذلك الطائر الذى يخرج من هامة الميت إذا بلى الصدى وجمعه : أصداء .

الرابع : الصدى : الدماغ نفسه .

الخامس : الصدى : طائر يصرّ بالليل ويقفز قفزانا ويطير و الناس يرونه الجندب وإنما هو الصدى فاما الجندب فهو أصغر من الصدى .

والسادس : الصدى : طائر يخرج من رأس المقتول إذا بلى .

فى اللسان : الصدى :الذكر من البوم وكانت العرب تقول : إذا قتل قتيل فلم يدرك به الثأر خرج من رأسه طائر كالبومة وهى الهامة فيصيح على قبره : اسقونى اسقونى فان قتل قاتله كفّ عن صياحه .

السابع: الصدى : هو فعل المتصدى وهو الذى رفع رأسه وصدره يتصدى للشىء ينظر إليه وقد تصدى له: إذا تعرّض .

الثامن : الصدى : العالم بمصلحة المال يقال : هو صدى مال : إذا كان رفيقا بسياسته وعالماً بمصلحته .

التاسع : الصدى : العطش الشديد .

العاشر : الصدى : ما يرجع عليك من صوت الجبل .

الحاديعشر : التصدية : التصفيق . وصدّى الرجل : صفّق بيديه .

الثانى عشر : الصدى : سمكة سوداء طويلة .

التصدى : التغافل والتلهى .

٢٩ ـ الخشية ـ ٤١٧

خشى يخشى خشياً وخشية ـ من باب علم ـ : خاف مع تعظيم المخوف أوالشعور بخطره .

قال الله تعالى : «سيذكر من يخشى» الاعلى : ١٠) .

والخشية من الله وخشية الله : الخوف من غضبه وعقابه .

قال الله تعالى : «يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة» المائدة : ٥٢) .

وقال : «إنما أنت منذر من يخشاها» النازعات : ٤٥) .

وتسند خشية الله إلى مالايعقل تصويراً لخضوعه .

قال الله تعالى : «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وان الحجارة لما يتفجّر منه الانهار وان منها لما يشّقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله» البقرة : ٧٤) .

وقال : «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله و تلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكّرون» الحشر : ٢١) .

فى المفردات: الخشية : خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ولذلك خصّ العلماء بها فى قوله تعالى : «إنما يخشى الله من عباده العلماء» .

وقال : «و أما من جاءك يسعى وهو يخشى» .

وفى النهاية : ـ قد يجىء ـ خشيت بمعنى رجوت ويقال : خاشيت فلانا أى تاركته .

وفى اللسان: «قوله عزوجل : «فخشينا أن يرهقهما طغيانا و كفراً» .

قال الفراء : معنى فخشينا أى فعلمنا وقيل : معناه كرهناه .

١٣ - الذكر - ٥١٨

ذكر يذكر ذكراً - من باب نصر - الذكر : حضور المعنى فى الذهن و قد يستعمل بمعنى القول لان من شأنه أن يذكر به المعنى .

والمذكر معان :

١ـ الذكر : النطق ذكر شيئاً أى نطق به قال الله تعالى : «وذكر اسم ربه فصلّى» الاعلى : ١٥) أى نطق به .

٢ـ الذكر : الحديث والخبر والقصة بخير أو بشر قال الله تعالى : «علم الله انكم ستذكرونهن» البقرة : ٢٣٥) أى تتحدثون عنهن حديث الخطبة .

وفى الحديث : «ان عليا عليه السلام يذكر فاطمة عليها السلام» أى يخطبها و يتعرض لخطبتها .

وقال : «ذكر رحمة ربك عبده زكريا» مريم : ٢) أى حديث رحمة ربك وقصتها . و قال : «حتى احدث لك منه ذكراً» الكهف : ٧٠) أى خبراً وقصة.

وقال : «قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم» الانبياء : ٦٠) أى يتحدث عنهم بالسوء ويعيبهم .

٣ـ الذكر : الاستحضار وذكر النعمة أى إستحضرها مع القيام بواجبها.

قال الله تعالى : «لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه» الزخرف : ١٣)أى تستحضروها مع القيام بواجب الشكر .

ذكر الله : إستحضره فى قلبه مع تدبّر صحبه ذكر اللسان أم لا .

قال الله تعالى : «وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على إدبارهم نفوراً» الاسراء : ٤٦) أى إستحضرته و نطقت به .

وقال : «وذكر الله كثيراً» الاحزاب : ٢١) أى استحضره مع تدبر .

٤ - الذكر : الكتب المنزلة ومنها القرآن لانها تذكر الناس بالله والدين

قال الله تعالى : « أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم » الاعراف : ٦٣) بمعنى الكتاب المنزل .

وقال : « ان الذين كفروا بالذكر » فصلت : ٤١) أى بالقرآن .

٥ ـ الذكر : النبى ﷺ الذى جاء بالذكر. قال الله تعالى : « قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولا » الطلاق : ١) فالذكر وصف له ﷺ .

٦ ـ الذكر : الشرف والصيت والفخر والثناء قال الله تعالى : « ص والقرآن ذى الذكر » ص : ١) أى ذى الشرف .

وقال : « و رفعنا لك ذكرك » الشرح : ٤) أى صيتك .

وقال : « وانه لذكر لك ولقومك » الزخرف: ٤٤) أى فخر وثناء لك ولقومك ومنه « له ذكر فى الناس » إى صيت .

٧ ـ الذكر: الدعاء والصلاة . فى الحديث : « كانت الانبياء عليهم السلام إذا حزبهم امر فزعوا إلى الذكر » أى إلى الصلاة يقومون فيصلون .

٨ ـ الذكر : الرجل القوى الشجاع الآبى .

٩ ـ الذكر : المطر الوابل الشديد .

١٠ ـ الذكر : القول الصلب المتين .

١١ ـ الذكر: الوجود قال الله تعالى : « لم يكن شيئا مذكوراً » الانسان: ١) أى موجوداً .

ذكر الشيء يذكر ذكراً وتذكاراً: حفظه فى ذهنه . الذكر: التلفظ بالشيء وإحضاره فى الذهن بحيث لايغيب عنه . والذكر : نقيض النسيان .

وهو متعد بنفسه و يتعدى إلى المفعول الثانى تارة باللام نحو قوله تعالى : « إن هو إلاّ ذكر للعالمين » ص ٨٧) و يقال : « ذكرته له » وبعلى تارة اخرى.

نحو قوله تعالى : « ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام » الحج : ٣٤) .

و بقى ثـالثة نحو قوله تعـالى : « و اذكر ربك فى نفسك تضرعاً و خيفة » الاعراف: ٢٠٥) .

الذكر : بفتح الذال والكاف : ضدالانثى وجمعه ذكور و ذكران .

قال الله تعالى : « انى لا اضيع عمل عـامل منكم من ذكر أو انثى » آل عمران : ١٩٥) .

وقال : « يهب لمن يشاء اناثاً ويهب لمن يشاء الذكور » الشورى : ٤٩) .

وقال : « أتأتون الذكران من العالمين » الشعراء : ١٦٥) .

ذاكره فى الامر مذاكرة : كالمه فيه وخاض معه فى حديثه .

تذاكروا فى الامر : تفاوضوا فيه .

الذاكرة : قوة فى الدماغ .

ذكّره إياه و اذكره إياه : جعله ذاكراً .

تذكّر : بمعنى ذكر .

الذكر - بضم الذال - : التذكر . و الذكرة : الحدّة يقال : ذهبت ذكرة الرجل و ذكرة السيف أى حدّتهما . و الذكرة : الصيت و قطعة من الفولاد فى رأس الفأس ونحوه .

الذكار : فعال للمبالغة بمعنى كثير الذكر .

فى المفردات : الذكر تـارة يقال : و يراد بـه هيئة للنفس بها يمكن للانسان أن يحفظ مايعتنيه من المعرفة وهو كالحفظ إلاّ ان الحفظ يقال إعتباراً باحرازه .

والذكر يقال إعتباراً باستحضاره وتارة يقال لحضور الشىء القلب أوالقول، و لذلك قيل : الذكر ذكران : ذكر بالقلب وذكر باللسان و كل واحد منهما ضربان : ذكر عن نسيان وذكر لاعن نسيان بل عن إدامة الحفظ و كل قول يقال له ذكر فمن الذكر باللسان قوله تعالى : « لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم » .

ومن الذكر عن النسيان قوله : «فانى نسيت الحوت وما أنسانيه إلاّ الشيطان أن أذكره» .

ومن الذكر بالقلب واللسان معاً قوله تعالى : «فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً» وقال : «وادّكر بعد امة» أى ذكر بعد نسيان .

والذكرى : كثرة الذكر وهو أبلغ من الذكر قال تعالى : «رحمة منا وذكرى لاولى الالباب» .

والتذكرة مما يتذكر به الشيء وهو أعم من الدلالة والامارة قال تعالى: «كلاانها تذكرة» .

وفى المجمع : الذكرى : العبرة قال تعالى : «ذكرى لاولى الالباب» المؤمن : ٥٤) وقال : «لنجعلها تذكرة» أى عبرة وموعظة والذكر : التوبة قال تعالى : «يتذكر الانسان» أى يتوب وانّى له التوبة .

الذكر : العضو المعروف ويعبرّ عنه بالقضيب وجمعه ذكرة والمذاكير ومنه الحديث : «وقطع مذاكيره» ومنه «غسل مذاكيره» .

وفى اللسان الاستذكار :الدراسة للحفظ . والتذكر : تذكر ماأنسيته والتذكير خلاف التأنيث والذكر خلاف الانثى . ويوم مذكّر : إذا وصف بالشدة والصعوبة وكثرة القتل .

٥٥ - النطفة - ١٥٣٠

نطف الماء ينطف نطفاً ونطافة - من باب ينصر ويضرب - : سال قليلاً قليلاً .

والنطفة :الماء الصافى قلّ أو كثر وسمى ماء الرجل وماء المرأة أى منيهما نطفة لقلته وهى المراد بالنطفة فى القرآن الكريم حيث وقع . وجمعها نطف ونطاف .

نطف الرجل نحو علم ونطف مجهولاً : اتهم بريبة و تلطّخ بعيب .

نطف الشيء : فسد . نطّفه : قذفه بالفجور .

النطفة : الماء القليل الذى يبقى فى دلو أوقربة .

فى المفردات : وليلة نطوف يجيىء فيها المطر حتى الصباح . والناطف: السائل من المائعات .

١١ - الطعام - ٩٢٨

طعم يطعم طعماً وطعاماً - من باب علم - : تناول وأكل .

قال الله تعالى : «فاذا طعمتم فانتشروا» الاحزاب : ٥٣) .

وقال : «لايطعمها إلاّ من نشاء» الانعام : ١٣٨) .

مدار المادة تناول الغذاء طعم الطعام : أكله أوذاقه .

ويسمى ما يتناول منه طعم وطعام .

قال الله تعالى : «فلينظر الانسان إلى طعامه - متاعاً لكم ولأنعامكم» عبس: ٢٤ - ٣٢) .

و يقال : طعم : بمعنى شبع ويقال : فلان قلّ طعمه : أى أكله .

والطعم والطعام : إسم جامع لكل ما يؤكل . وقيل : هو البرّ خاصة .

وجمع الطعام : أطعمة . الطعمة - بضم الطاء والسكون - : المأكلة و الرزق يقال : «جعلت ضيعتى طعمة لفلان» الطعومة :الشاة تحبس لتوكل ويستعمل معنوياً ، فيقال : انك مطعم مودتى أى مرزوقها . ويقال : هو ذو طعم : اى ذو عقل وحزم .

أطعمه الطعام أى آكله إياه قال الله تعالى : «ويطعمون الطعام على حبه» الانسان:٨) إستطعم: سئل أن يطعم قال تعالى : «إستطعما أهلها» الكهف : ٧٧).

وفى الحديث : «فاستطعمته الحديث» أى طلبت منه ان يحدّثنى وأن يذقنى

طعم حديثه .

و قال الامام على عليه‌السلام : « و إذا إستطعمكم الامام فاطعموه » أى إذا أرتج عليه فى قراءة الصلاة و استفتحكم فافتحوا عليه و لقّنوه .

وهو من باب التمثيل تشبيهاً بالطعام كأنهم يدخلون القراءة فيه كمايدخل الطعام فى فيه .

رجل مطعام : كثير الاضياف و القرى . رجل مطعم : كثير الطعم .

فى المفردات : الطعم : تناول الغذاء و يسمى مايتناول منه طعم وطعام.

و فى النهاية : الطعام : عام فى كل مايقتات من الحنطة و الشعير و التمر و غير ذلك .

وفى اللسان : الطعم : الشهوة و هو الذوق . ذاطعم أى ذاشهوة .

٣ - الصب - ٨٣٣

صبّ الماء يصبّه صبّاً - من باب نصر - : أراقه من أعلى . وصببت الماء : سكبته وصبصب الشيء : أمحق و ذهب .

قال الله تعالى : « انا صببنا الماء صباً » عبس : ٢٥) .

و ورد من هذه المادة « فصبّ عليهم ربك سوط عذاب » الفجر : ١٣) .

والعرب تقول : صبّ عليه السوط و غشاه وقنعه وعندهم ان الجلد بالسياط مثل لأليم العذاب .

وتصبّب الماء من الجبل : تحدّر . وصبّ إلى كذا صبابة : مالت نفسه نحو محبة له . ومنه حديث الصلاة : « لم يصبّ رأسه » أى لم يمله إلى أسفل .

و يشترك إسم الفاعل و المفعول منه بالصبّ ، فيقال : فلان صبّ بكذا أى صابّ و فلان صبّ أى مصبوب .

وفى وصف الامام على عليه‌السلام : « كنت على الكافرين عذاباً صبّاً » أى مصبوباً

فى المفردات : صبّ الماء : إراقته من أعلى . يقال : صبّه فانصبّ و صبيته فتصبّب . و الصبيب : المصبوب من المطر و من عصارة الشئ و من الدم . و الصبابة و الصبّة : البقيّة التى من شأنها أن تصبّ .

وفى اللسان : صبّ الرجل إذا عشق . الصبيب : فرس من خيل العرب . تصبصب مافى سقائك أى قلّ . صبصابه : مابقى منه أو ماصبّ منه .

و فى النهاية : الصبة : الجماعة ومنه حديث شقيق انه قال لابراهيم النخعى «ألم أنبّاء انكم صبّتان صبّتان» أى جماعتان جماعتان .

و فى حديث : «ألاهل عسى أحد منكم أن يتّخذ الصبّة من الغنم» أى جماعة منها تشبيهاً بجماعة الناس .

و فى القاموس و شرحه : صبصب : محق والتصبصب : ذهاب أكثر الليل . يقال : تصبصب الليل و كذا النهار تصبصبا ذهب إلاّ قليلاً . المتصبصب : الذاهب المحق . الصبصاب : مابقى من الشئ .

٤ - النبت و النبات - ١٤٧٩

نبت الزرع و الشجر ينبت نبتاً و نباتاً - من باب نصر - : برز و ظهر من الارض و أخذ فى سبيل النمو .

النبات يقع مصدراً فى موقع الانبات و يقع إسماً فى معنى مايخرج من الارض وينمو من زرع أو شجر . النبات : ماينبت من الارض أنبت الله الزرع أو الشجر : هيّاء له أن ينبت أو جعله ينبت قال الله تعالى: «ينبت لكم به الزرع و الزيتون و النخيل و الاعناب» النحل : ١١) .

يقال : أنبت الله ثدى الجارية أى جعله ينبت وينمو .

وقد يسند الانبات إلى غير الله تعالى على سبيل التوسع والمجاز فيسند إلى الارض والبذر وغيرهما قال الله تعالى : «كمثل حبة أنبت سبع سنابل» البقرة : ٢٦١) فاسند الانبات إلى الحبّة تجوّزاً .

و قال : « اهتزّت وربت و أنبتت من كل زوج بهيج » الحـج ، ٥) فاسند الانبات إلى الارض تجوزاً فان المنبت فى الحقيقة هوالله تعالى .

ويستعمل الانبات فى الانشاء والايجاد فيقال : أنبت الله الناس من الارض و أنبت الحيوان من الارض و أنبت الجواهر وغيرها و هذا أيضاً على سبيل التجوز قال الله تعالى : « والله أنبتكم من الارض نباتاً » نوح : ١٧) أى أنشأكم .

فالانسان نبات من حيث ان بدأه وأنشأه من التراب وانه ينمو نمو النبات و إن كان له وصف زائد على النبات .

وقال تعالى : « فأنبتنا فيها حباً » عبس : ٢٧) أى أنشأنا .

أنبت الغلام : راهق واستبان شعرعانته ونبت وهذا من أحد علائم البلوغ.

ويستعمل الانبات أيضاً فى التربية وتعهّد المربى بما يصلحه من غذاء وغيره قال الله تعالى : « فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً » آل عمران:٣٧) أى نشأها وربّاها . يقال : نبّت الصبى تنبيتاً : ربّيته .

علم النبات : علم يبحث فيه عن حقيقة النبات وأقسامه وخواصه ومنابته .

النباتي : نسبة إلى النبات والعارف به .

المنبات ـ بكسر الميم ـ : المكان الكثير النبات .

فى المفردات: النبت والنبات ما يخرج من الارض من الناميات سواء كان له ساق كالشجر أم لم يكن له ساق كالنجم لكن إختصّ فى التعارف بما لا ساق له بل قد اختصّ عند العامة بما يأكله الحيوان و على هذا قوله : « لنخرج به حباً ونباتاً »

ومتى اعتبرت الحقائق فانه يستعمل فى كل نام نباتاً كان أوحيواناً أو إنساناً والانبات يستعمل فى كل ذلك .

و فى القاموس و شرحه : التنبيت : الغرس يقال : نبت الناس الشجر إذا غرسوه ونبتوا الحب : حرثوه والتنبيت أيضاً إسم لما ينبت على الارض من النبات

من دق الشجر بكسر الدال أى صغاره و كباره . وأهل نبت أى شرف .

٨٢- العنب- ١٠٤٧

العنب : ثمر الكرم المعروف ويقال على الكرم نفسه وجمعه : أعناب .

وورد فى القرآن للثمر والشجر مفرداً وجمعاً .

قال الله تعالى : « وعنباً وقضباً » عبس : ٢٨)

وقال : « من نخيل وعنب » الاسراء : ٩١)

وقال : « حدائق وأعناباً » النبأ : ٣٢)

وقال : « ينبت لكم به الزرع والزيتون والاعناب » النحل : ١١)

عنّب الكرم : صار ذا عنب . رجل عنّاب : يبيع العنب وعانب : ذو عنب . ورجل معنّب : طويل .

والعناب - بالتخفيف - : الرجل العظيم الأنف .

وعنابة - بالتخفيف - قارة سوداء بين مكة والمدينة كان الامام زين العابدين عليه السلام يسكنها .

٤٣ - القضب - ١٢٣٥

قضب الشيء يقضبه قضباً - من باب ضرب - : قطعه .

القضب : ما يأكله الانسان من النبات غضّاً كالبقول .

القضب : كل شجرة طالت وبسطت أغصانها . والقضب : الفصفصة وهي البرسيم الحجازى .

قال الله تعالى : « و عنباً وقضباً » عبس : ٢٨) فسّر القضب فى الاية بأنه الفصفصة . و قيّدها الخليل بالرطبة أى البرسيم الحجازى الرطب سمى كذلك

لانه يقطع مرة بعد اخرى .

قضّبه : قطّعه . شدّد للمبالغة والتكثير . قضّب الكرم : قطع أغصانه أيام الربيع . قضّبت الشمس : إمتدّ شعاعها .

إقتضب : قطع . يقال : «كان فلان يحدّثنا فجاء زيد و اقتضب حديثه »أى إقتطعه وانتزعه .

القضبة - بالكسر - : القطعة من الابل ومن الغنم . القضّاب : فعّال للمبالغة والسيف القطّاع . رجل قضابة :قطّاع للامور مقتدر عليها رجل مقضاب : كثير القطع . القضيب : الذكر وهو آلة الرجوليّة المعروفة .

فى المفردات: قوله تعالى: « وعنباً وقضباً » أى رطبة . والمقاضيب:الارض التي تنبتها والقضيب نحو القضب لكن القضيب يستعمل فى فروع الشجر والقضب يستعمل فى البقل .

وروى ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم : «كان إذا رأى فى ثوب تصليبا قضبه » أى قطعه .

وفى المجمع : القضب : كل نبت إقتضب و أكل طرياً والقضبة: الرطبة والقضب : إسم يقع على ما قضب من أغصان يتخذ منه سهام أوقسى .

وفى النهاية : فى حديث الحسين بن على عليه السلام : « فجعل ابن زياد لعنة الله يقرع فمه بقضيب » أراد به السيف اللطيف الدقيق . وقيل : أراد العود .

و فى اللسان : القضب شجر سهيلى ينبت فى مجامع الشجر له ورق كورق الكمثرى إلاّ انه أرق وأنعم وشجره كشجره وترعى الابل ورقه و أطرافه فاذاشبع منه البعيرهجره حينا وذلك انه يضرّسه ويخشّن صدره ويورثه السعال .

وفى القاموس وشرحه : جمع القضيب : القضبان بضم القاف وكسرها .

٢٢ - النخل - ١٤٩٥

نخل الشيء ينخل نخلاً - من باب نصر - : صفّاه وإختاره . نخل الدقيق :

غربله وأزال نخالته . نخل السحاب الثلج والودق : صبّه . نخل الودّ والنصيحة لفلان : أخلصهما له . ناخل الصدر : الناصح . نصيحة ناخلة : مخلصة . النخالة ـ بالضم ـ ما نخل أى صفّى أوْغربل ومابقى فى المنخل. تنخّل الشيء : صفاه واختاره وأخذ أفضله .

وفى الحديث : « لايقبل الله إلاّ نخائل القلوب » أى النيات الخالصة .

النخل : شجر الرطب والتمر له ساق مستقيم طويل ذو عقد و عليها ليف كشعر الانسان .

واحدة النخل : نخلة قال الله تعالى ، « فأجائها المخاض إلى جذع النخلة» مريم : ٢٣) وجمع النخل : نخيل كعبد وعبيد .

والنخل يؤنث ويذكّر يقال : نخل باسق ونخل باسقة .

وجاء فى القرآن الكريم بكلا الوجهين : قال الله تعالى : « ومن النخل من طلعها قنوان دانية » الانعام : ٩٩) .

وقال : « تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر » القمر: ٢٠)

وأما النخيل فمؤنث عند الجميع قال الله تعالى : « أيود أحد كم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب » البقرة : ٢٦٦)

وقيل : النخيل إسم جمع لاجمع النخل .

فى المفردات : النخل معروف وقد يستعمل فى الواحد والجمع وجمعه نخيل .

والنخل : نخل الدقيق بالمنخل وانتخلت الشيء : إنتقيته فأخذت خياره .

و فى اللسان : كل ما صفّى ليعزل لبابه فقد إنتخل . تنخيلك الدقيق بالمنخل لتعزل نخالته عن لبابه .

انتخلت الشيء : إستقصيت أفضله و تنخّلته : تخيّرته .

وفى المجمع : بطن نخل : بين مكة والطائف .

١٦ ـ الحدق والحديقة ـ ٣٠٤

حدق القوم بشيء يحدقون حدقاً ـ من باب ضرب ـ : أطافوا به .

وأحدقوا به : أحاطوا به وحتفوا حوله .

وحدق فلان الشيء بعينه : نظر إليه . وحدّق إليه : شدّد النظر إليه وأدار الحدقة . الحدقة : سواد العين الاعظم وجمعها : حدق وحدقات وأحداق وحداق كرقبة ورقاب تحادقوا :أحدق بعضهم ببعض .أحدود قوا به أحد يداقا :أطافوا به

الحديقة : الروضة ذات الشجر . وقيل : كل بستان عليه حائط والجمع حدائق قال الله تعالى : « فأنبتنا به حدائق ذات بهجة » النمل : ٦٠)

فى المفردات : حدائق : ذات بهجة جمع حديقة وهى قطعة من الارض ذات ماء سميت تشبيهاً بحدقة العين فى الهيئة وحصول الماء فيها .

وفى النهاية : الحديقة : كل ما أحاط به البناء من البساتين و غيرها و يقال للقطعة من النخل : حديقة وإن لم يكن محاطاً بها .

والتحديق : شدة النظر و منه حديث الاحنف : « نزلوا فى مثل حدقة البعير » شبه بلادهم فى كثرة مائها وخصبها بالعين لانها توصف بكثرة الماء والنداوة .

و فى اللسان حدق به الشيء وأحدق : إستدار و كل شيء إستدار بشيء و أحاط به فقد أحدق به .

والحديقة من الرياض : كل أرض إستدارت و أحدق بها حاجزاً أو أرض مرتفعة البساتين والشجر الملتف .

٥٤ ـ الفاكهة والفواكه ـ ١١٧٣

فكه يفكه فكهاً وفكهاً وفكاهة ـ من باب علم ـ : أكل الفاكهة وتمتع بها ومزج وتعجب .

ومن إستطابة الفاكهة وإستطرافها قالوا : رجل فكه أى طيب النفس مزاح ضحوك أو يحدث اصحابه فيضحكهم .

فاكهه : ما زحه . تفاكه القوم : تمازحوا . الفاكهة : صاحب الفاكهة و قيل : ذو الفكاهة .

من الحسى الفاكهة : الثمار كلها وقد وردت مفردة وجمعاً .

قال الله تعالى :« وفاكهة وأباً »عبس:٣١) وقال : « فيها فواكه»المؤمنون: ١٩) الفاكهة : الثمار كلها مما يتفكه به الانسان أى يتنعم باكله رطباً كان أو يابساً كالزبيب والرطب والتين والبطيخ والرمان وما إليها من الثمار وقيل : هى الثمار ماعدا العنب والرمان .

تفكه : أكل الفاكهة وتمتع بشيء ومزح وتعجب . الفكاهة :إسم من التفكه والمزاح لانبساط النفس بها هو وفكه باعراض الناس : يتلذذ باغتيابهم وفي الحديث « أربع ليس غيبتهن بغيبة منهم المتفكهون بالامهات » هم الذين يشتمونهن مما زحين .

ومن الاستطراف الاعجاب فقالوا: أمر فكه : أى معجب .

قال الله تعالى : « فظللتم تفكهون » الواقعة : ٦٥) أصلها تتفكهون أى تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم . و قيل : تتعاطون الفكاهة . وقيل : تتناولون الفاكهة وقيل : تندمون من تفكه : تندم .

على أن من هذه الصيغة معنى ينتهى إلى التدبر والاعتبار وهو قولهم : تفكه بمعنى تندم .

في المفردات : الفاكهة قيل : هى الثمار كلها . وقيل : بل هى الثمار ما عدا العنب والرمان وقائل هذا كأنه نظر إلى إختصاصهما بالذكر وعطفهما على الفاكهة .

وفى اللسان : تفكّهت بالشيء : تمتّعت به .

وفى القاموس و شرحه: الفاكهة: النخلة المعجبة . ورجل فكه : يحدّث صحبه فيضحكهم .

١ - الأب - ١

أبّ للسير يئبّ ويؤبّ وأبّاً وأبيباً وأباباً وأبابة - من باب ضرب ونصر-: تهيأ له وتجهّز للذهاب .

أبّ إلى وطنه : إشتاق وقصده . أبّ يده إلى سيفه : حرّكها ليستلّه .

أبّب : صاح . تأبّب : تعجب إئتبّ : تهيّاه واشتاق .

الأبّ : العشب ترعاه الانعام او هو كل ما ينبت على وجه الارض .

قال الله تعالى : «وفاكهة وابّا متاعا لكم ولانعامكم» عبس : ٣١).

في المفردات: الأبّ : المرعى المتهيّىء للرعى والجزّ . وإبّان ذلك : فعلان منه وهو الزمان المتهيّأ لفعله ومجيئه .

وفى النهاية فى حديث أنس : إن عمر بن الخطاب قرأ قول الله تعالى : «« فاكهة و أبا» قال : فما الأبّ ؟ ثم قال : ما كلفنا أو ما أمرنا بهذا .

الأب : المرعى المتهيّء للرعى والقطع .

وفى القاموس وشرحه : الابّ : الكلاء وهو العشب رطبه ويابسه .

وفى المجمع : الأبّ فى كلام اللغويين : ما رعته الاغنام وهو للبهائم كالفاكهة للانسان .

٢ - المتاع - ١٤٠٠

متع يمتع متعاً ومتعاً ومتعة ومتوعاً - من باب منع - : طال وجاد ومتع النهار : إرتفع وبلغ غاية إرتفاعه قبل الزوال . ومتع السراب : إرتفع فى أول النهار . ومتع الحبل : إشتدّ . ومتع النبيذ : إشتدّ حمرته ويقال للجبل الطويل: ماتع .

متّعه : جعله ينعم وهيّأه له مايحبّ وما ينتفع به ويقال : متعه بكذامما يحبّ ومتعه الله : أطال حياته فى عافية وخير ومتع الله القوم : مدّ فى أعمارهم و لم يستأصلهم كما استأصل بعض الأمم .

قال الله تعالى : «بل متّعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين» الزخرف : ٢٩) أى مدّ لهم فى الحياة الدنيا مع إسباغ النعم وتجنيب النقم.

التمتيع : بمعنى الاعاشة فى عافية قال تعالى : «نمتّعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ» لقمان: ٢٤) .

تمتّع تمتعا : عاش فى رغد وسلامة من النعم ، وتمتع بالطيبات : إنتفع بها وإلتذّ .

وتمتّع المحرم بالعمرة : أحرم بالعمرة فى أشهر الحج فاذا أدّاها وتحلّل منها وإنتفع بما كان محرماً عليه من الطيب وما إليه .

قال الله تعالى : «فاذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج» البقرة : ١٩٦).

إستمتع به : إنتفع به وإلتذ .

قال الله تعالى : «فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة» النساء : ٢٣) أى إنتفعتم بوطئهن .

المتعة : العقد المنقطع . ونكاح المتعة هى النكاح بلفظ التمتع إلى وقت معين بصداق معلوم كأن يقول لامرأة : أتمتع بك كذا مدة بكذا من المال .

وقدكانت فى زمان الرسول صلى الله عليه و آله وسلم جائزاً ولم ينسخ حكمه فحكمه بعده صلى الله عليه و آله وسلم كحكمه فى زمانه صلى الله عليه و آله وسلم .

المتاع : ماينتفع به إنتفاعاً قليلاً أو كثيراً و لكنه غير باق .

قال الله تعالى : « إنما هذه الحياة الدنيا متاع » غافر : ٣٩) أى بلغة يتبلّغ بها من غير بقاء لها. وقيل : كل ماينتفع به من الحوائج كالطعام و البز واثاث البيت و الأدوات و السلع .

و قيل فى اللغة : كل ماينتفع به من عروض الدنيا كثيرها و قليلها سوى الفضة و الذهب و عرفاً : كل مايلبسه الناس و يبسطه .

فى المفردات : المتوع : الامتداد و الارتفاع يقال : مع النهار و متع النبات إذا إرتفع فى أول النبات .

و متعة النكاح : هى ان الرجل كان يشارط المرأة بمال معلوم يعطيها إلى أجل معلوم فاذا إنقضى الأجل فارقها من غير طلاق .

و متعة الحج : ضم العمرة إليه قال الله تعالى : «فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى » .

١١ ـ الصاخة ـ ٨٤١

صخّ الحديد بالحديد و العصا بشىء مصمت صخّاً ـ من باب ضرب ـ :ضربه به و صخّ الصوت الآذان : أصمّها يقال : صاح بهم صيحة تصخّ الآذان : تقرعها و تصمّها . و قد قلب عنه أصاخ يصيخ .

الصاخّ : الضرب بشىء صلب على شىء مصمت . الصخيخ : صوت الحجر إذا قرع و صوت الغراب إذا فزع .

الصاخة : شدة صوت ذى النطق لانها تصخّ الأسماع . الصاخة : صيحة تصمّ لشدّتها .

فی المفردات : «فاذاجائت الصاخة» وهی عبارة عن القيامة حسب المشار إليه بقوله : « يوم ينفخ فی الصور» .

و فی النهاية : الصاخة : الصيحة التی تصخّ الأسماع أی تقرعها وتصمّها .

وفی المجمع : يقال . رجل أصخ إذا كان لا يسمع .

و فی اللسان : « فاذاجائت الصاخة » فاما أن يكون إسم فاعل من صخّ يصخّ و إما أن يكون مصدر .

و فی القاموس و شرحه : الصاخة: الداهية الشديدة ومنه سميت القيامة.

و عن بعض : الصاخة : صوت ذو جرس عنيف نافذ يكاد يخرق صماخ الأذن وهو يشق الهواء شقاً حتى يصل إلی الأذن صاخاً ملحاً .

٢٢ ـ الفر والفرار ـ ١١٤١

فرّ يفرّ فرّاً وفراراً ـ مثلثة الفاء ـ و مفرّاً ـ من باب ضرب ـ : هرب من عدوه و ممايخاف منه .

تفارّ القوم : تهاربوا .

إفترّ المحبوب : تبسّم و ضحك ضحكاً حسناً . إفترّ البرق : تلألأ .

فی صفة النبی الكريم ﷺ : « و يفترّ عن مثل حبّ الغمـام » أی كان يتبسّم حتى تبدو أسنانه من غير قهقهة و أراد بحب الغمام : البرد فشبّه بيـاض أسنانه به .

أفررته : جعلته فارّاً .

الفر : مصدر قد يوضع موضع الفـاعل يقال : رجل فرّ أی فارّ فوصف بالمصدر يستوی فيه المذكر و المؤنث و المفرد و المثنى و الجمع .

وقديكون الفرّ جمع فارّ كراكب و ركب .

و من المادی الفرفرة : كسر الشیء و نقصه و شقّه و الضيـاع و من هذه

يجيىء ـ قرب ـ السرعة و الطيش و الخفة و كثرة الكلام و الكشف عن الشيء و بحثه .

و من هنا الفرار : أى الروغان و الهرب و الانكشاف في الحرب . و منه المفر للفرار نفسه أو لزمانه أو لمكانه و بهذه الثلاثة يمكن تفسيره فى «أين المفر» القيامة : ١٠) .

و ورد من هذا المعنى المصدر و الفعل و المفعل ـ المفر فى قوله تعالى : « لو ليت منهم فرارا » الكهف : ١٨) .

و قال : « ففروا الى الله » الذاريات : ٥٠) أى من معصية الله إلى طاعته الفرّة ـ بالضم ـ الاختلاط و الشدة .

فى المفردات : أصل الفر : الكشف عن سنّ الدابة يقال : فررت فراراً و منه فرّ الدهر جذعاً و منه الافترار و هو ظهور السن من الضحك و فرّ عن الحرب فراراً .

١٨ ـ المرء و امرء و امرأة و مرىء ـ ١٤١٦

مرء الطعام يمرؤه مراءة فهو مرىء ـ من باب منع ـ : طعم و سهل فى الحلق و حمدت عاقبته و خلا من التنغيص قال الله تعالى : « فكلوه هنيئاً مريئاً » النساء :٤) المرىء ـ كأمير ـ : مجرى الطعام و الشراب و هو رأس المعدة المتصل بالحلقوم و به يكون إستمراء الطعام .

مرء الرجل يمرء مرء ـ كعلم ـ : صار كالمرأة هيئة أو حديثاً أى كلاماً .

و مرء الرجل مروءة ـ ككرم ـ : صار ذا مرءة و إنسانية . رجل مرىء أى ذو مروءة . أرض مريئة أى حسنة الهواء .

المرء : الانسان الذكر قال الله تعالى : « يوم يفرّ المرء من أخيه » عبس : ٣٤) .

مثناه: مرآن وجمعه مرؤون . في الحديث: «أحسنوا املاء كم أيها المرؤون».

امرء : هو المرء يأتى منكر غير مقرون بال أو مضافاً و هذا في الأكثر فلا يكادون يقولون الامرء و تحرك الراء فيه بحركة الاعراب فيقال : هذا امرؤ و رايت امرء و نظرت إلى إمرئ.

قال الله تعالى: «لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم » النور : ١١) .

وقال : « و كل امرىء بما كسب رهين » الطور ٢١) .

وامرءة ومرأة : هى الانثى من بنات آدم و امرأة الرّجل : زوجته وأكثر ماتستعمل غير مقرونة بأل منكرة أو مضافة مثناها مرأتان .

قال الله تعالى : « انـا منجّوك و أهلك إلاّ إمرأتك كانت من الغابرين » العنكبوت : ٣٣) .

وقال : « ووجد من دونهم إمرأتين تذودان » البقرة : ١٠٢) .

المريئة : هى تصغير المرأة .

فى المفردات : المرؤة : كمال المرء كما أن الرجوليّة كمال الرجل و مرء الطعام و امرأ إذا تخصّص بالمرىء لموافقة الطبع قال : «فكلوه هنيئاً مريئاً».

وفى المجمع : مرء الطعام ـ مثلثة الراء ـ مراء فهو مرىء : صار لذيذاً ومنه فى حديث الدعاء : « اسقنا غيثاً مريئاً » .

و فى النهاية يقال : مرأنى الطعام وامرأنى إذا لم يثقل على المعدة وانحدر عنها طيّباً . المرىء : مجرى الطعام و الشراب من الحلق ضربه مثلا لضيق العيش و قلّة الطعام .

و فى حديث على عليه السلام لما تزوج فاطمة عليها السلام : « قال له يهودىّ أراد أن يبتاع منه ثياباً : لقد تزوّجت إمرأة » يريد إمرأة كاملة كما يقال : فلان رجل أى كامل فى الرجال .

١ - الغبر - ١٠٧٠

غبر يغبر غبراً وغبوراً - من باب نصر - : مكث و ذهب وبقي ومضى فيكون من الاضداد .

و ورد منه قوله تعالى : «وجوه يومئذ عليها غبرة» عبس : ٤٠) كناية عن تغيّر الوجه للنعم .

من الحسي الغبار : مايبقى من التراب المثار . والغبرة الغبار .

و الغبرة و الغبر - كقفل - : البقيّة من اللبن في الضرع و بقية كل شيء .

و إذا لحظ مضيّ الغبار عن الارض قيل للماضي : غابر و إذا لحظ تخلف الغبار عن الذى يعدو قيل للباقي : غابر فكان الغابر بمعنى الماضي وبمعنى الباقي فهو من الأضداد .

يقال : هو غابر بني فلان أي بقيتهم . غبّر الشيء : بقيّته جمعه غبّرات وغبر المرض : بقاياه .

قال الله تعالى: «إلاّ امرأته كانت من الغابرين» الاعراف : ٨٣) أي الماكثين الباقين وقد فسّر غبر بمعنى هلك أي الهالكين أي كانت من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا .

غبّر : اثار الغبار . و غبّر الشيء : لطّخه بالغبار . الغبار : التراب أو ما دقّ منه . غبر الناس : المتأخرون منهم في المرتبة و غبر الليل أي آخره و بقاياه .

و في حديث الهدى « نحر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثاً و ستين و نحر علي عليه السلام ماغبر » أي ما بقي من البدن . و في الحديث « انه اعتكف العشر الغوابر » أي البواقي أي الاواخر من شهر رمضان .

في المفردات : الغابر : الماكث بعد مضيّ ما هو معه قال : « إلاّ عجوزاً

فى الغابرين » يعنى فيمن طال أعمارهم و قيل : فيمن بقى و لم يسر مع لوط ، و قيل : فيمن بقى بعد فى العذاب .

وفى المجمع : الغبراء ـ بالمدّ ـ : الارض و المغبر : شىء فيه غبار .

و فى القاموس : الغبراء : انثى الحجل .

و فى النهاية : فى الحديث « ما أقلّت الغبراء ولا أظلّت الخضراء أصدق لهجة من أبى ذر » الغبراء : الارض و الخضراء : السماء للونهما أراد انه متناه فى الصدق إلى الغاية .

و جاء فى رواية «فى غبراء الناس » بالمد: أى فقرائهم ومنه قيل للمحاويج: بنو غبراء كأنهم نسبوا إلى الارض و التراب .

و فى اللسان : الغبراء و الغبيراء : نبات سهيلى . وقيل : الغبراء شجرته و الغبيراء ثمرته و هى فاكهة . و الغبراء و الغبرة : أرض كثير الشجرة .



﴿النحو﴾

١- (عبس وتولى)

«عبس» فعل ماض، وفاعله ضمير، مستتر فيه، راجع إلى العبوس، على حذف المفعول أي عبس وجهه أو بوجهه، والواو للعطف، و«تولى» فعل ماض من باب التفعل، عطف على «عبس» على حذف الجار والمجرور أي أعرض عنه.

٢- (أن جاءه الاعمى)

«أن» حرف مصدرية، و«جاء» فعل ماض، وضمير الوصل في موضع نصب، مفعول به، و«الاعمى» في موضع رفع، فاعل الفعل، على سبيل وصف الفاعل بأخص أوصافه وأعرفها، والجملة في موضع نصب لانه مفعول له على تقدير: لان جاءه الاعمى الذي لايبصر بعينيه، فحذف اللام فاتصل الفعل به، والجار والمجرور بعد الانسباك إلى المصدر متعلق بقوله: «عبس» على قول الكوفيين، وبقوله: «تولى» عند البصريين على إختلاف في باب تنازع الفعلين.

وقيل: في موضع جر باعمال حرف الجر مع الحذف لكثرة حذفها معها، وهي وحرف الجر في موضع نصب بالفعل الذي قبلها.

٣- (وما يدريك لعله يزكى)

الواو للاستئناف بناءاً على أن العابس غير النبي المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم و«ما» إستفهامية في موضع رفع على الابتداء بمعنى أي شيء، و«يدريك» الفعل للمضارع من باب الافعال، وفاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «ما» وكاف الخطاب

للنبي ﷺ في موضع نصب ، مفعول به ، والجملة في موضع رفع ، خبر للمبتداء.

وقيل : الواو للحال و « ما » نافية والجملة في موضع نصب ، حال من فاعل : « عبس وتولى » أى حال كون العابس لايدرى .

و في « لعل » وجوه : أحدها ـ التعليل . ثانيها ـ للتوقع والترجى فى المحبوب. ثالثها ـ للاستفهام . وعلى أى تقدير فالضمير فى موضع نصب ، إسم لحرف الترجى ، راجع إلى « الاعمى » و « يز كى » فعل مضارع من باب التفعل على إدغام التاء في الأصل فى الزاء ، فأصله : يتزكى ، والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف الترجى .

٤- (او يذكر فتنفعه الذكرى)

« أو » للترديد ، و « يذكر » فعل مضارع من باب التفعل ، على إدغام التاء فى الذال ، عطف على « يزكى » و « فتنفعه » الفاء للجواب ، و مدخولها فعل مضارع ، منصوب على جواب التمنى فى المعنى لان « لعل » غير موجب ، وتقديره: فأن تنفعه . وضمير المتصل فى موضع نصب ، مفعول به ، والضمير راجع إلى « الاعمى » و « الذكرى » فاعل لـ « تنفع » .

٥- (اما من استغنى)

« أما » حرف تفصيل ، و « من » موصولية ، فى موضع رفع على الابتداء ، و « استغنى » فعل ماض من الاستفعال ، صلة الموصول ، والعائد هو الضمير المستتر فيه ، والتقدير: إستغنى بالمال أو إستغنى عنك .

٦- (فانت له تصدى)

الفاء جواب لحرف « أما » و « أنت » مبتداء ، و « له » متعلق بـ « تصدى » وهو فعل مضارع من باب التفعل من الصدى وهو الصوت ، فحذفت إحدى التائين.

ويحتمل أن يكون من الصدد ، وهو الناحية والجانب ، فالألف المقصورة بدلاً من دال فأصله تتصدد . والجملة خبر للمبتداء .

٧- (وما عليك الا يزكى)

الواو للحال . و « ما » نافية ، و « عليك » متعلق بمحذوف ، خبر ا « ما » وخبره محذوف أى وليس عليك بأس فى أن لا يتزكى ذلك المستغنى ، و قيل : إستفهامية أى وأى وبال يعود عليك أو أى شيء يلزمك إن لم يتطهر فى الكفر والفجور ، وأصل « ألا » « أن لا » حرف مصدرو نفى و « يزكى » فعل مضارع ، منصوب المحل ، من باب التفعل بادغام التاء فى الزاء .

٨- (وأما من جاءك يسعى)

الواو للعطف ، و مدخولها عطف على « أما من استغنى » و « يسعى » فعل مضارع ، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « من » والجملة فى موضع رفع ، صفة ا « من » وقيل : فى موضع نصب ، حال من « من » .

٩- (وهو يخشى)

الواو للحال ، و « هو » مبتداء و « يخشى » خبره ، والجملة حال ا « من » .

١٠- (فانت له تلهى)

الفاء جواب ا « أما » و « أنت » مبتداء و « عنه » متعلق ب « تلهى » : فعل مضارع على حذف إحدى التائين ، وأصله : تتلهى ، والجملة خبر للمبتداء .

١١- (كلا انها تذكرة)

فى « كلا » وجهان : أحدهما - كلمة ردع و زجر . ثانيهما - أن تكون بمعنى حقاً .

و « انها » حرف تأكيد ، وضمير التأنيث فى موضع نصب ، إسمها ، راجع إلى هذه السورة أو إلى الآيات القرآنية ، أو إلى « الذكرى » والمراد بها القرآن الكريم . وتأنيثه باعتبار الخبر ، و هو « تذكرة » . و قيل : الضمير راجع إلى الموعظة .

١٢- (فمن شاء ذكره)

الفاء للتفريع ، و « من » شرطية ، و « شاء » فعل شرط ، و « ذكره » جزائه ،والضمير في موضع نصب ، مفعول به ، راجع إلى القرآن الكريم المستفاد من السياق . وقيل : راجع إلى الله تعالى . وقيل : راجع إلى الوعظ . وقيل :إلى ما يذكر به القرآن الكريم من المعارف والحكم .

١٣- (في صحف مكرمة)

« في صحف » جمع صحيفة ، و في موضعها وجوه : أحدها ـ في موضع النصب ، حال من ضمير المتصل في « ذكره » ثانيها ـ في موضع رفع ، خبر ثان لـ« انها » ثالثها ـ في موضع رفع ، نعت من « تذكرة » رابعها ـ في موضع رفع ، خبر لمحذوف، على تقدير : هو أو هي في صحف و « مكرمة » صفة لـ«صحف» و « مكرمة » إسم مفعول من باب التفعيل .

١٤- (مرفوعة مطهرة)

« مرفوعة » إسم مفعول ثلاثياً ، نعت ثان لـ« صحف » و « مطهرة » إسم مفعول من باب التفعيل ، صفة ثالثة من « صحف » .

١٥- (بأيدي سفرة)

في « بأيدى » مافي « صحف » من الوجوه ، و « أيدى » : جمع يد ، من جموع القلة ، أضيفت إلى « سفرة » : جمع سافر ، مثل كتبة و كاتب .

١٦- (كرام بررة)

« كرام» : جمع كريم ، نحو صغار : جمع صغير ، و كبار : جمع كبير ، و « كرام» صفة لـ« سفرة » باعتبار ذواتهم ، و « بررة » : جمع بار ، مثل كافر و كفرة ، وفاجر وفجرة : و «بررة» صفة لـ«سفرة » باعتبار عملهم و هو الاحسان في الاعمال...

١٧- (قتل الانسان ما أكفره)

« قتل » فعل ماض ، مبني للمفعول ، و « الانسان » ناب مناب الفاعل،وفي « ما » وجهان : أحدهما ـ أن تكون تعجبية ، و « أكفر » فعل تعجب.ومن عادة

العرب إذا تعجبوا من شيء قالوا : قاتله الله تعالى ما أحسنه وأخزاه . ثانيهما ـ أن تكون إستفهامية توبيخية أى أىّ شيء أكفره أوماحمله على الكفر ، و«أكفر» فعل ماض من باب الافعال ، وضمير الوصل فى موضع نصب ، مفعول به .

١٨ـ (من اى شيء خلقه) .

«أىّ» إستفهامية، مجرورة بحرف «من» اضيفت إلى «شيء» متعلقة بـ «خلقه» قدّمت لصدارة الاستفهام ، و فاعل الخلق هو الله تعالى ، وضمير المتصل فى موضع نصب ، مفعول به ، راجع إلى الانسان .

١٩ـ (من نطفة خلقه فقدره) .

«من نطفة» متعلق بمحذوف وهو الجواب على تقدير : خلق الله تعالى هذا الانسان من نطفة، وقيل : متعلق بـ «خلقه» التالى ، و «فقدره» الفاء للتفريع ، و مدخولها فعل ماض من باب التفعيل، وضمير المتصل فى موضع نصب ، مفعول به، على تقدير: قدّر الله تعالى خلق الانسان على الاستواء ، وحذف الجار و المجرور لقوله تعالى : «ثم سوّاك رجلا» الكهف : ٣٧) .

٢٠ـ (ثم السبيل يسره) .

«ثم» حرف تراخ ، و فى «السبيل» وجوه : أحدها ـ منصوب ، مفعول به لفعل محذوف اى ثم يسر السبيل للانسان .ثانيها ـ مفعول ثان ا «يسّره» أى يسّر الانسان السبيل أى هداه له كقوله تعالى : «إنا هديناه السبيل» ثالثها ـ منصوب على شريطة التفسير . و «يسّر» فعل ماض من باب التفعيل ، وضمير المتصل فى موضع نصب ، مفعول به .

٢١ـ (ثم أماته فاقبره)

«ثم» حرف عطف للتراخى ، و «أماته» فعل ماض من باب الافعال، وفاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى الله تعالى ، فانه المميت ، وضمير الوصل فى موضع نصب، مفعول به ، راجع إلى الانسان ، والفاء للعطف من غير فصل ، و مدخولها عطف على «أماته» .

۲۲- (ثم اذا شاء أنشره)

«إذا» شرطية للاستقبال ، و «شاء» فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى الله تعالى، و «أنشره» جزاء الشرط .

۲۳- (كلا لما يقض ماأمره)

« كلا» حرف ردع وزجر أى ليس الامر كما يقوله الكافر. و يحتمل أن يكون بمعنى حقاً أى حقاً لم يقض أى لم يعمل هذا الانسان الكافر بما أمره الله تعالى به ، فما فى «لما» عماد الكلام كقوله تعالى : «فبما رحمة من الله لنت لهم» وقوله : «عما قليل ليصبحن نادمين» و « لما» حرف جزم ، معناه النفى لما قرب من الحال : و « يقض » فعل مضارع منفى بـ «لما» مجزوم بحذف اللام ، أصله : يقضى ، و «ما» موصولة ، و «أمره» فعل ماض، فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى الله تعالى، وضمير المتصل فى موضع نصب ، مفعول به، و الجملة صلة الموصول على حذف العائد أى الذى أمره الله تعالى به كقوله تعالى : « فاصدع بماتؤمر » أى به .

۲۴- (فلينظر الانسان الى طعامه) .

الفاء تفريعية ، واللام للأمر الغائب ، والفعل للاستقبال ، مجزوم بلام الامر و «الانسان» فاعل الفعل ، و «إلى طعامه» متعلق بفعل النظر .

۲۵- (أناصببنا الماء صباً) .

«أنا» حرف تأكيد مع إسمها ، بدل إشتمال من «طعامه» أو على تقدير «لانا» و «صببنا» فعل ماض للتكلم مع الغير فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد، و «الماء» مفعول به ، و «صباً» منصوب على المصدر للنوع ، وقيل : العدد أى مرة بعد مرة .

۲۶- (ثم شققنا الارض شقاً) .

«ثم» حرف عطف للتراخى ، و «شققنا . . .» كـ «صببنا . . .» .

٢٧ـ (فانبتنا فيها حباً) .

الفاء تفريعية، ومدخولها فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال، و«فيها» متعلق بـ«أنبتنا» والضمير راجع إلى «الارض» و«حبا» مفعول به .

٢٨ـ (وعنبا وقضبا) .

معطوفان على «حباً» منصوبان على المفعولية .

٢٩ـ (وزيتونا ونخلاً) .

كالمتقدمين .

٣٠ـ (وحدائق غلباً) .

«حـدائق» : جمع حديقة ، عطف على «حباً» و«غلباً» : جمع غلباء ،صفة للحدائق ، ويحتمل الحال .

٣١ـ (وفاكهة وابا) .

عطفان كالسابقة .

٣٢ـ (متاعاً لكم ولأنعامكم).

«متاعاً» مفعول له لفعل الانبات : أى أنبتنا ما أنبتنا مما تطعمونه ليكون تمتيعاً لكم . وقيل : منصوب على المصدر المؤكد لان إنبات هذه الاشياء إمتاع لجميع الحيوانات ، و «لكم» متعلق بـ«متاعاً» و «لأنعامكم» عطف على «لكم» .

٣٣ـ (فاذا جاءت الصاخة) .

الفـاء تفريعية تفصيلية ، و «إذا» حرف شرط . و«جائت » فعل مـاض ، و «الصاخة» فاعل الفعل ، وفي عامل «إذا» وجهان : أحدهما ـ معنى قوله تعالى : «يوم يفرّ» ثانيهما ـ جوابها وهو قوله تعالى : «لكل امرىء منهم» على تقرير : إستقر «لكل امرىء منهم» .

٣٤ـ (يوم يفر المرء من أخيه)

«يوم» مفعول فيه ، و « يفرّ » فعل مضارع من باب المضاعف ، و «المرء»

فاعل الفعل ، و « من أخيه» متعلق بفعل الفرار .

٣٥- (وامه وأبيه)

معطوفان على «أخيه» .

٣٦- (وصاحبته وبنيه)

معطوفان كالمتقدمين .

٣٧- (لكل امرىء منهم يومئذ شان يغنيه)

«لكل» متعلق بمحذوف ، وهو جواب لـ «إذا» فالتقدير: إستقر أوثبت لكل و « كل» اضيف إلى «امرىء » ، و«منهم» متعلق بمحذوف، وهو وصف لـ«امرىء» و «يومئذ» مفعول فيه ، متعلق بالمحذوف أيضاً، و «شأن» فاعل للمحذوف الاول. و المعنى : فاذا جاءت الصاخة ثبت شأن لكل امرىء مستقرين يوم الصاخة . و « يغنيه» فعل مضارع من باب الافعال ، وضمير المتصل في موضع نصب، مفعول به ، والجملة صفة لـ «شأن» .

٣٨- (وجوه يومئذ مسفرة)

« وجوه» جمع وجه ، مبتداء ، و الابتداء بالنكرة لانها في حيّز التنويع و « يومئذ» متعلق بمحذوف ، أي وجوه كائنة يومئذ، وقيل : متعلق بـ «مسفرة» وهي خبر المتبداء وقيل : ان الجملة جواب لـ «إذا» أي فاذا جائت القيامة فأمر الناس فيها مختلف ، فهم فريقان .

٣٩- (ضاحكة مستبشرة)

« ضاحكة» : إسم فاعل ، نعت من «وجوه» و « مستبشرة » : إسم فاعل من باب الاستفعال صفة ثانية لـ «وجوه» .

٤٠- (و وجوه يومئذ عليها غبرة)

الواو للعطف، والجملة عطف على «وجوه مسفرة» و «عليها» متعلق بمحذوف وهو نعت لـ «غبرة» وقيل : متعلق بـ «غبرة» .

٤١- (ترهقها قترة)

الفعل للاستقبال ، وضمير التأنيث فى موضع نصب ، مفعول به، راجع إلى «وجوه» الاولى ، و «قترة» فاعل الفعل، والجملة صفة لـ «وجوه» .

٤٢- (اولئك هم الكفرة الفجرة)

« اولئك» مبتداء ، و«هم» ضمير الفصل ، وقيل : مبتداء ثان ، و «الكفرة»: جمع كافر خبر للاول على الاول، وللثانى على الثانى، و«الفجرة» :جمع فاجر، صفة لـ «الكفرة» .



﴿البيان﴾

١ - (عبس وتولى) .

إخبار عما وقع في مجلس النبي المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم ، و ان السياق ، و ان كان ظاهره موجهاً إلى النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بانه كان في موقف الجد فيما رآه الاولى . و مستغرقاً في دعوته و نشرها والنجاح فيها ، وليس في موقف الممتنع عن تعليم الاعمى و تنويره ، فليس في هذا شيء يناقض العصمة النبوية ، و في هذا الاخبار و اسلوبه و مفهومه و روحه تهذيب رباني عظيم المدى للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و في إعلان النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا يتجلى الصدق النبوي العميق الذي يملك النفس و القلب ، و يملاهما بالاعظام و الاجلال ، و لكن في هذا السياق تلقينات ومبادىء أخلاقية و إجتماعية و سلوكية جليلة مستمري المدى لدعاة الدين الاسلامي .

و فيه إشادة بذوي النيات الحسنة من الناس الذين يسعون و راء الخير و المعرفة ، صادق الرغبة في الاستفادة و الاستنارة و صالح الاعمال ، و ايجاب الاهتمام لهم والعناية بهم ، وتشجيعهم ومساعدتهم مهما كانت طبقتهم، وترجيحهم على الذين يترفعون عن كلمة الحق والدعوة إليه، ويظهرون الغرور والاستغناء مهما علت مراكزهم ، و ايجاب معاملة هؤلاء الزعماء الكفرة ، و البغاة السفلة بالاهمال و الاستهانة تأديبا لهم ولأضرابهم ...

و في هذا السياق تقرير الافضلية بين الناس لذوي النيات الحسنة والرغبات الصادقة في الخير بقطع النظر عما يكونون عليه من فضل أو تأخر في الدرجات

الاجتماعية ، و فيه تلقين جليل مستمرى المدى يجب على المسلمين فى كل وقت و مكان . و خاصة قادتهم و أصحاب الدعوات الاجتماعية و الاصلاحية و السياسية أن يسيروا على ضوئه فى صلاتهم بالناس .

و لو سلمنا بتوجيه السياق إلى النبى المعصوم ﷺ حقيقة ، ففى توجيهه إليه ﷺ بضمير الغائب تكريم له ﷺ و حماية لذاته الشريفة من أن يواجه بالعتاب ، و أن تلتفت إليه الانظار ، ولذلك لم يقل : عبست و توليت : وهو ﷺ فى تلك الحال التى يكون فيها بموضع العتاب، فالذى عبس غائب هنا عن محضر هذه المواجهة ، ويذكر النبى الكريم ﷺ من هذا العتاب الرفيق من ربه انه كان فى مواجهة جماعة من عتاة المشركين و زعمائهم، ومن قادة الحملة المسعورة عليه ، وعلى دعوته، وقد انتهزها رسول الله الاعظم ﷺ فرصة لاسماعهم كلمات الله جل و علا ، لعلّ شعاعات من نورها تصافح قلوبهم المظلمة ، فيستضيىء بنور الحق و تفيء إلى أمر الله عز وجل ، و تتقبل الهدى المهدى إليها .

فان ذلك لوحدث لانفتح هذا السد الذى يقف حائلاً بين الناس وبين الايمان بالله جل وعلا . و لدخل الناس فى دين الله أفواجاً .

فالتدبر فى واقع القصة يلهمنا: انه ليس فيها شائبة عتاب على النبى المعصوم ﷺ ، بل فيها توبيخ و إحتقار ، وإستهانة وتذليل للزعماء المشركين والفجار المترفين الذين كانوا عند رسول الله الاعظم ﷺ ، فكأنها تقول له : أعرض يا أيها النبى ﷺ عن هؤلاء الارجاس و اغلظ عليهم ، فانهم أحقر من أن ينصر الله جل وعلا بهم دينه ، وأقبل على هذا الاعمى الطيب المؤمن، سليم القلب، المستشعر بخوف الله تعالى الذى جاءك ساعياً للاستفادة و الاستنارة . . . و قيل : فى ايثار الماضى من غير ذكر الفاعل تنبيه على عدم تكرار الفعل منه فلاخوف على الاسلام، فان الله القادر المتعال سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون، و يذل أعدائه مهما بلغوا من الجاه و المال ، و من العدد و العدد . . .

٢- (ان جاءه الاعمى) .

ظاهر السياق يقرر ان النبي الكريم ﷺ كان في مجلسه هذا مع عتاة قومه، فورد عليه هذا الاعمى ، و لم يكن يعلم من أمر رسول الله ﷺ ماهو مشغول به . فجعل يسئل النبي ﷺ أن يقرأه شيئاً من آيات الله تعالى ، فلم يلتفت إليه النبي ﷺ لاستغراقه في دعوته و نشرها ، و هذا الاعمى يسئل و يسئل حتى كره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه فضاق به و ظهر ذلك على وجهه الشريف .

و في تعرض عنوان العمى إما لتمهيد عذره و إشعار به في الاقدام على قطع كلامه ﷺ حين تشاغله بالقوم لاسماعهم كلمات الله جل وعلا رجاء لاسلامهم، فلعل شعاعات من نورها تصافح قلوبهم الكدرة ، فتستضيء بنور الحق وتفيء إلى أمر الله جل وعلا ، و للايذان باستحقاقه بالرفق و الرأفة ، و إما لزيادة الانكار كأنه قيل : تولى لكونه أعمى . فيكون ذلك لذكر العلة التي اقتضت الاعراض عنه ، فيكون تعليلاً لما ذكر من العبوس بتقدير لازم التعليل .

و لا يخفى عليك مابين الاقبال و المجيء من الفرق : حيث ان الاقبال هو الاتيان من قبل الوجه ، و المجيء هو الاتيان من أيّ وجه كان . وما بين قولك: جئته و جئت إليه : حيث ان في قولك : جئت إليه معنى الغاية من أجل دخول « إلى » و جئته : قصدته بمجيء ، و إذا لم تعده لم يكن دلالة على القصد كقولك: جاء المطر .

٣- (و ما يدريك لعله يزكى) .

إنتقال من حال الغيبة إلى حال الحضور ، فكأن النبي المعصوم ﷺ فبعد أن كان ينظر إلى ذاته من داخل ، و كأنه مع ذات غير ذاته، فاذاً يرى ذاته ماثلة بين يدى ربه الرؤف الودود ، و كأنه هو الذى يحاسبها برفق و يراجعها برأفة، و كأنه هو الذى يخاطب نفسه ، و يقول لذاته : « وما يدريك » .

فتوجيه الخطاب من الله تعالى إلى النبي الكريم ﷺ أولاً بضمير الغائب

فكان فيه شائبة عقاب ، وخطابه له ﷺ ثانياً بضمير الحاضر ، إظهار رضى عنه ﷺ .

و لا يخفى ما بين العلم والدراية من الفرق : حيث ان الدراية بمعنى الفهم ، و هو لنفى السهوعما يرد على الانسان فيدريه أى فيفهمه . و ان الدراية علم يشتمل على المعلوم من جميع وجوهه ، وذلك ان الفعالة للاشتمال نحو العصابة والعمامة والقلادة، ولذلك جاء أكثر أسماء الصناعات على فعالة نحو القصارة والخياطة ومثل ذلك : العبارة لاشتمالها على ما فيها .

فالدراية تفيدمالايفيده العلم من هذاالوجه ، والفعالة أيضاً تكون للاستيلاء كالخلافةوالأمارة، فيجوزأن تكون بمعنى الاستيلاء ، فتفارق العلم من هذه الجهة.

وقوله تعالى : « لعله يزكى » مستأنف سيق لبيان ما يلوح به ماقبله .

وفى الاية الكريمة وما يليها ايماء إلى أن من تصدى لتزكيتهم وتذكيرهم من عتاة المشركين لايرجى منهم التزكى ولا التذكر .

٤- (أويذكر فتنفعه الذكرى)

فى الترديد ايماء إلى مراتب الاهتداء ، وفى المقام من الاعلى إلى الأدنى ، وفى التفريع مالايخفى على المتأمل الخبير .

٥- (أما من استغنى)

تفصيل لمجمل الحدث المتقدم الذى جائت من أجله شائبة العتاب،وزيادة تصريح لما تقدم .

٦- (فأنت له تصدى)

إشارة إلى ملاك ما ذكر من العبوس والتولى .

٧- (وما عليك ألايزكى)

تحريض على دعوة الناس إلى الهدى و إلى الخط المرسوم للنبى ﷺ والنبوة وقادة الناس ودعاتهم فى كل وقت ومكان .

٨- (واما من جاءك يسعى)

تقرير لما فيه شائبة العتاب ، و إشارة إلى الرغبة المنبعثة من صدر هذا الاعمى والتى تدفعه دفعاً إلى أن يحث الخطا ، وأن يسعى إلى النبى المعصوم ﷺ فى إنطلاق وشوق مع أنه فى قيد العمى والعجز .

٩- (وهو يخشى)

حال اخرى من أحوال هذا الاعمى إذ جاء ساعياً فى مشيه إلى النبى الكريم ﷺ خاشياً لله جل وعلا حاذراً الوقوع فى الغواية .

١٠- (فانت عنه تلهى)

إشارة إلى أن كان فيه النبى الكريم ﷺ من حديث ، جاداً فيه كل الجد، مقبلاً عليه كل الاقبال : مع هؤلاء المشركين المعاندين من قومه ، و انه حديث لامحصل له ولاثمرة من ورائه ، إذ كان القوم معرضين عنه متكرهين له . . .فكأنه انما يتلهى بهذا الجائى ساعياً ، خاشياً لله تعالى لاعراضه عنه .

وهذا ما يظهر بالنظر البدوى من سياق القصة من غير أن يكون فى هذا الظاهر شىء يناقض العصمة النبوية على ما زعمه بعض المتفسرين ، و لكن لب القصة تعليم لقادة الامة الاسلامية ، وتلقين جليل مستمر المدى يجب على المسلمين وخاصة أصحاب الدعوات الاصلاحية والاجتماعية والسياسية الحقة أن يسروا على ضوئه فى صلاتهم بالناس ، إشادة بذوى النيات الحسنة من الناس الذين يسعون وراء الخير والمعرفة ، صادقى الرغبة فى الاستفادة والاستنارة وصالح الاعمال ...

وايجاب الاهتمام لهم والعناية بهم وتشجيعهم ومساعدتهم مهما كانت طبقتهم . وترجيحهم على الذين يترفعون عن كلمة الحق والدعوة إليه ، ويظهرون الغرور والاستغناء مهما علت مراكزهم ، و ايجاب معاملة هؤلاء بالاهمال والاستهانة تأديباً لهم ولامثالهم ، وبالجملة فى هذه القصة تقرير الافضلية بين الناس لذوى النيات الحسنة والرغبات الصادقة فى الخير بقطع النظر عما يكونون عليه من فضل

أو تأخر في الدرجات الاجتماعية .

١١- (كلا انها تذكرة)

« كلا » كلمة ردع يقصد بها زجر المخاطب عن الامر الذي يعاتب عليه لئلا يعاوده ، وهنا هو التصدي للمستغني عما دعاه إليه من الايمان والطاعة ، و ما يوجبهما من القرآن الكريم مبالغاً في الاهتمام بأمره متهالكاً على إسلامه معرضاً بسبب ذلك عن إرشاد من يخشى ويستهدي ويسترشد .

وفي المجمع : وقوله : « كلا » قال : فيه دلالة على أنه ليس له أن يفعل ذلك في المستقبل وأما الماضي فكم يتقدم النهي عن ذلك فيه فلا يكون معصية .

وقوله تعالى : « انها تذكرة » تقرير لمهمة الرسالة وهي تذكير للناس لا إلزام فيه ولا إبرام ، مع كون الجملة بمنزلة التعليل للردع عما ذكر ببيان علو رتبة الوحي السماوي وتحقيق لشأنه أن يكون موعظة حقيقة بالاتعاظ بها ، فمن رغب فيها إتعظ بها كما نطق به قوله تعالى : « فمن شاء ذكره »

وفي التبيان : قال الشيخ الطائفة قدس سره في قوله تعالى : « كلا انها تذكرة » : « الفرق بين التذكرة والمعرفة : ان التذكرة ضد الغفلة والمعرفة تضاد الجهل والسهو ، فكلاهما يتعاقبان على حال الذكر دون السهو كتعاقب العلم وأضداده على حال الذكر دون السهو ، والذكر معظم لانه طريق إلى العلم بالحق من الباطل والصحيح من الفاسد ، قال تعالى : « فذكّر إن نفعت الذكرى » وقال : « فذكر إن الذكرى تنفع المؤمنين » .

١٢- (فمن شاء ذكره)

تقرير لمشيئة الانسان وإختياره في شئونه بعد بيان طريق الهدى والضلال والحق والباطل ، وتقرير مسئولية كل امرىء عن عمله ، فمن اهتدى فقد نجى نفسه ، و من ضلّ فقد أهلكها ، فمع كل إنسان فطرته التي من شأنها أن تدعوه إلى الحق والخير وتصرفه عن الباطل والشر ، وان رسالة الرسل ليست إلّا ايقاظاً

لهذا العقل إذا غفل ، وتذكيراً لهذه الفطرة إذا نسيت ، وانه ليكفى بهذا أن يؤذن مؤذن الحق فى الناس ، فمن شاء أجاب ومن شاء أعرض .

وقيل : ان الجملة معترضة لازمة ، وفى هذا التعبير تلويح إلى أن لا إكراه فى الدعوة إلى التذكر ، فلا نفع فيها يعود إلى الداعى ، و انما المنتفع بها هو المتذكر فليختر ما يختاره .

١٣- (فى صحف مكرمة)

كلمة « صحف » تعنى الفصول القرآنية التى كانت توحى إلى النبى الكريم ﷺ على تعبير مجازى لان الوحى السماوى لم يكن يحمل على رسول الله ﷺ شيئاً مكتوباً فى صحف ، وإنما كان يلقى ما يحمله من وحى ربانى عليه إلقاء ، و لعل فى التعبير تلقيناً بوجوب تدوين ما يلقيه الوحى فى الصحف أو إشارة إلى مصيره إلى ذلك . والمأثور المتواتر ان النبى الكريم ﷺ كان يأمر بتدوينه ما كان ينزل به الوحى من فصول القرآن المجيد فى صحف حين نزوله حيث يكون قد لمح ذلك التلقين وعمل به .

وان الاية الكريمة ومايليها من الآيات تبيين لماهية هذه التذكرة وتنوه بها بأنها صحف مكرمة . . . و فيها تلقين مستمر المدى بما يجب للمدونات القرآنية من التكريم والطهارة، وحرمة الشأن والرفعة . وإخبار عن جلالة هذه التذكرة .

وقيل : ان هذه الاية فى موضع الصفة ل« تذكرة » وما بينهما إعتراض جيىء به للترغيب فيها والحث على حفظها أى كائنة فى صحف منتسخة من اللوح ويحتمل الحال ، وأن يكون خبراً ثانياً لحرف التأكيد فى « انها » .

١٤- (مرفوعة مطهرة)

فى الصفات الثلاث للصحف بصيغ المفعول إشعار بأنها من لوازم ذاتها فتدبر واغتنم جداً .

١٥- (بأيدى سفرة)

فى ذكر اليد للملائكة الذين يبلغون وحى الله تعالى وقرآنه ما لايخفى على القارىء الخبير وان صيغة الجمع لكلمة «سفرة» وأوصاف السفرة و توصيفهم بوصف السفارة هى بقصد تعظيم شأن ملك الله تعالى جرياً على اسلوب التخاطب البشرى عامة والعربى خاصة، و ان إشتقاق السفرة من السفارة لان الملائكة سفرة بين الله عزوجل ورسوله ﷺ ولايخفى ما فى هذه الصفة من معنى الكشف أيضاً.

١٦- (كرام بررة)

توصيف ملائكة الوحى بالكرامة باعتبار ذواتهم، وتوصيفهم بالبر باعتبار عملهم وهو الاحسان فى العمل، وفى الوصفين ايماء إلى أنهم صادقون امناء، فهم رفيعة القدر يبلغها سفراء كرام على الله جل وعلا بررة صادقون امناء مخلصون لله تعالى فيما يقومون به من مهمة السفارة بينه وبين أنبيائه...

قيل: إذا اتصف الانسان بالبر جمع بالابرار، وإن اتصف به الملائكة جمع بالبررة ولعل وجهه ان الثانى أبلغ من الاول باعتبار إتصاف الملائكة به ذاتاً، و اتصاف الانسان به إكتساباً.

١٧- (قتل الانسان ما أكفره)

دعاء على الانسان الكافر، وهذا الدعاء من أشنع دعوات العرب إذ لا أفظع من القتل، ولانه قصارى شدائد الدنيا وفظائعها، وإنشاء على صورة الفعل الماضى على ما هو المعروف فى لسانهم، إذ يقولون إذا تعجبوا من إنسان: قاتله الله ما أحسنه وأخزاه الله ما أظلمه!

فالدعاء عليه بالقتل هنا هو جار على مألوف عادة العرب من دعائهم على من يكون على بدع من الامر، وذلك في الاستهجان أو الاستحسان على السواء، و ههنا بيان لقبح حال هذا الانسان، وانه بلغ حداً من العتو والطغيان، من الكفر

والضلال لايستحق معها أن يبقى حياً فموته خيرمن حياته مع لاخيرله فيحياته ولافي موته .

والمراد بالانسان هنا هو جنس هذا الانسان الضال العنيد في كل عصر و - مكان وإن كان نزول الاية الكريمة في كافرفان المورد لايكون مخصصاً - لا كل الانسان على إطلاقه .

وهذا قدورد على اسلوب كلام العرب ، و انه لا يمكن أن يحمل في حقه جل وعلا إلا على إرادة ايصال أليم العذاب وشديد العقاب ، وليكون لفظاً للمعتبرين المتعجبين المتأملين في مراتب حدوثهم التى أولها نطفة وآخرها جيفة . وهذا الاسلوب أغلظ اسلوب وأخشن متن وأدل دليل على سخط الله تعالى على الانسان الكافرفي كل وقت ومكان وليس كلام أبعد شوطاً في المذمة من هذه العبارة مع قصرمتنها ، وفيه تنبيه شديد على إستحقاقه أعظم أنواع العقاب ، كما في قوله تعالى : « ما أكفره » تنبيه شديدعلى أنه اتصف بأعظم أنواع القبائح والمنكرات...

فالمراد من الدعاء إظهارالسخط على الكافر ، وفيها كناية عن انه قد بلغ من القبح بسبب الكفروالعصيان مبلغاً لايستحق معه الحياة ، ومنشأ الشناعة نسيانه لما يتقلب فيه من النعم و ذهوله عن مسديها ، حتى إذا ذكّر بالحق أعرض عن الذكرى .

وقوله تعالى : « ما أكفره » في الجملة وجهان : أحدهما - تعجب من حال إفراط هذا الانسان في الكفران وتلقي نعم خالقه بالجحود والطغيان ، و تعجيب من مبالغته في الكفر بربوبية ربه مع إحسانه إليه وإفاضة نعمه عليه ، وفيها بيان لاستحقاقه للدعاء عليه .

ثانيهما - للتصيير أى أىّ شيء جعله كافراً ، وفيه ايماء بأن النعم ليست باعثة له على الكفروالطغيان ، بل هو يجعلها وسيلة لشقائه وخسرانه . كالسكين مثلاً ليس بنفسه سبب طغيان وقتل نفس بغيرحق ، بل قد يجعله الانسان وسيلة لقتل

مظلوم ، ثم يصلب بذلك العمل أو يقتل بهذا السكين .

وفي الاية الكريمة وما يليها من الايات إستطراد تنديدي بالانسان الذي يجحد الله تعالى ويتمرد على أوامره ولا يقوم بواجبه نحوه على ضالة شأنه في كون الله عزوجل ، وشمول تصرفه تعالى فيه إنشاء وإحياء وإماتة ونشراً بعد الموت ، مع إحتمال أن يكون التنديد بالكفار على مواقف المكابرة والعناد التي وقفوها ، فان اسلوب الآيات المطلق يجعلها في نفس الوقت تنديداً عاماً ذا تلقين مستمر المدى بكل إنسان يجحد الله تعالى ويتمرد عليه كما هو المتبادر .

١٨- (من اى شيء خلقه)

تفصيل لما تقدم من الاجمال ، وبيان لما أفاض الله عزوجل على هذا الانسان من النعم في مراتب ثلاث : المبدأ والوسط والمنتهى ، فأشار إلى الاولى بقوله تعالى : « من أي شيء خلقه » وفيه كشف عن شناعة ضلال هذا الضال و كفر بربه . . . انه من ضلاله البعيد وينسى ان له خالقاً خلقه من عدم أو ما يشبه العدم .

ففيه تقريع لافراطه في الكفر بتفصيل ما أفاض الله تعالى عليه من مبدأ فطرته إلى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالايمان والطاعة و صالح الاعمال ، فأخلّ بذلك ، ففي الاستفهام عن مبدأ خلقه مع بيانه بقوله عزوجل : « من نطفة . . . »

وفي الاستفهام زيادة تقريع في التحقير ، أي من شيء حقير ، فلا ينبغي له العتو والطغيان ، ولا التكبر والعصيان ، ولا التجبر والكفران . . . وان الاستفهام بداعي تأكيد ما في قوله جل وعلا : « ما أكفره » من العجب . والعجب إنما هو في الحوادث التي لا يظهر لها سبب ـ فافيد أولاً ان من العجب إفراد الانسان في كفره ، ثم سئل ثانياً في خلقته إذ خلقه الله عزوجل ما يوجب له الافراط في الكفر ، فاجيب بنفيه ، و أن لا حجة له يحتجّ بها ولا عذر يعتذر به فانه مخلوق من ماء مهين حقير لا يملك شيئاً من خلقته ، ولا من تدبير أمره في حياته ومماته و نشره .

وبالجملة : ان الاستفهام توطئة للجواب الذى فى قوله عزوجل : « من نطفة خلقه . . . »

و فى حذف الفاعل فى « خلقه » و مايليه من الافعال إشعار بظهوره فمن المعلوم بالفطرة ، وقد إعترف به المشركون - أن لاخالق إلاّ الله عز و جل ، و كذلك المقدر والتدبير الربوبى الذى أحاط به .

١٩- (من نطفة خلقه فقدره)

جواب عن السؤال المتقدم الذى كان من شأن الانسان أن يجيب عنه ، و لوأنه أجاب عنه جواباً صحيحاً لآمن بربه وأطاعه وشكرله . . . ولكنه لم يسئل نفسه هذا السؤال ، ولم يجب أولم يحسن الاجابة على هذا السؤال إذا سئل ،و إلاّ فليسمع الجواب الصحيح إن كان له اذنان يسمع بهما : «من نطفة خلقه فقدّره» فهذا هو الجواب ، وفيه تحقيرله وتجهيل فيه .

والمعنى : من أىّ شىء حقير مهين خلقه ؟ خلقه من نطفة مذرة ، مهينة حقيرة فلايحقّ له أن يطغى بكفره ، ويستكبر عن الطاعة ، وأصله هذا الاصل .

وفى تنكير « نطفة » تحقيرله .

٢٠- (ثم السبيل يسره)

فى كلمة « ثم » دلالة على الترتيب بين الخلق والتقدير ، وبين تيسير السبيل إطلاقاً ، وفى تعريف « السبيل » باللام دون الاضافة إشعار بعمومه . . .أى سبيل الحق والباطل ، سبيل الخير والشر ،سبيل الهدى والضلالة ، سبيل النجاة والهلاكة، سبيل الفلاح والخسران ، سبيل السعادة والشقاء ، وسبيل الجنة والنار . ..ومكّنه من السلوك فيهما باختياره .

وتتضمن الاية الكريمة تقرير كون الله عز و جل قد بيّن للناس الطريق القويم والصراط المستقيم : ويسّرلهم سلوكه ، وأوجد فيهم قابلية القدرة على هذا السلوك وفى هذا تؤكيد للتقريرات القرآنية السابقة فى هذا الصدد، وإشارة

إلى المرتبة الوسطى من المراتب الثلاث . . .

وان الاية الكريمة بصدد نفي العذر من الانسان الكافر في تجبّره وطغيانه، وفي استكباره و كفرانه أولاً ، وبصدد دفع شبهة ثانياً :

وذلك ان الله عزوجل لما قال في جواب السؤال السابق : « من نطفة خلقه فقدره » أمكن أن يتوهم سامع : ان الخلق والتقدير إذا كانا محيطين بالانسان من كل جهة كانت أفعال الانسان لذاته وصفاته مقدّرة مكتوبة ، ومتعلقة للمشيئة الربوبية التي لاتتخلف ، فتكون أفعال الانسان ضرورية الثبوت ، واجبة التحقق ، و يكون الانسان مجبراً عليها ، فاقداً للاختيار ، فلا صنع للانسان في عتوه إذا عتى ، في كفره إذا كفر ، في طغيانه إذا طغى ، في عصيانه إذا عصى ولا في فسقه إذا فسق . . .

فان ذلك كله بتقدير الله سبحانه وإرادته ، فلاذمّ ولالوم على الانسان، فلا تتعلق دعوة دينية بالانسان لان ذلك كله فرع للاختيار ولا إختيار له في ذلك .

فدفع الله عز و جل هذه الشبهة الواهية التي إعتلقت بها الأشاعرة المجبرة بقوله : « ثم السبيل يسّره » ومحصله : ان الخلق والتقدير لاينافيان كون الانسان مختاراً فيما امر به من الايمان وصالح الاعمال ، إذ له طريق مفتوح إلى السعادة و الكمال وإلى الصلاح والفلاح .. التي خلق لها، فكل ميسّر لما خلق له، وذلك ان التقدير واقع على الافعال الانسانية من طريق إختياره والارادة الربوبية متعلقة بأن يفعل الانسان بارادته واختياره كذا و كذا، فالفعل صادر عن الانسان باختياره، وهو بما أنه إختياريّ متعلق للتقدير ، فالانسان مختار في فعله ، مسؤول عنه ، وإن كان متعلقاً للقدر .

٢١ـ (ثم أماته فأقبره)

إشارة إلى المرتبة الأخيرة ، وفي « ثم » دلالة على التراخي بين تيسير السبيل والأماتة ، وفي الفاء دلالة على ترتب الاقبار على الاماتة هي : ايقاع الموت على الانسان ، والمراد بالاقبار دفنه في القبر وإخفاء جثته في بطن الارض ، وهذا

بالبناء على الغالب الذي جرى عليه ديدن الناس ، و بهذه المناسبة نسب إلى الله تعالى لانه جل وعلا هو الذى هداهم إلى ذلك ، وألهمهم إياه ، فللفعل نسبة إلى الله تعالى كما أن له نسبة إلى الناس .

٢٢- (ثم اذا شاء أنشره)

إشارة إلى غرض بيان تلك الانتقالات الناقلة فى الايات الثلاث المتقدمة بأنها دلالات واضحة على أنه جل وعلا إذا شاء أن ينشر الانسان ببعثه من قبره .

والمعنى : إذا شاء الله تعالى إنشاره أنشره . على حذف مفعول المشيئة . و فى تعليق الانشار بمشيئته جل وعلا ايذان بأن وقته غير متعين بل هو تابع لها وهو لا يعلمه إلا الله تعالى .

وفى قوله تعالى : « إذا شاء » إشعار بأن وقت الساعة لا يعلمه إلا هو جل و علا وحده ، فهو الذى إستأثر بعلمه وهو القادر على تقديمه وتأخيره .

٢٣- (كلا لما يقض ما أمره)

تأكيد لكفران هذا الانسان بالنعم الالهية ، ومعنى النفى فى كلمة الردع والزجر : « كلا » هو جواب عن معنى سؤال يرد عند عرض هذه الايات تتحدث عن قدرة الله سبحانه وعن آثارها فى هذا الانسان الذى كفر بربه ، بعد أن خلقه من خلقه ثم سوّاه رجلاً .

وان السؤال هو : هل آمن هذا الكافر الذى تتمثل فيه وجوه هؤلاء المشركين كلهم ، بعد أن عرضت عليه هذه الايات القرآنية ؟

فجاء الجواب : « كلا » ثم بيّن سبب الردع بقوله تعالى : «لما يقض ما أمره» الله تعالى ودعاه إليه من الايمان وصالح الاعمال... وفى نفى هذا الخبر عن الانسان بحرف النفى «لما» التى تفيد إمتداد النفى إلى الوقت الحاضر ، و ربما لا تجاوزه إلى المستقبل الذى لم يحكم عليه إلى الآن بالنفى ولا بالايجاب ؛ ففيه إشارة إلى أن هؤلاء المخاطبين من المشركين فى شخص هذا الانسان، وإن لم يؤمنوا

بالله تعالى بعد ، ولكنهم فى عرضة الايمان ، ولم ينقطع بهم الطريق إليه،فيرجى منهم أن يومنوا أو يؤمن معظمهم ، وقد آمنوا بعد و دخلوا فى دين الله أفواجاً وخاصة بعد الفتح .

والمراد بالامر فى قوله جل وعلا : «ما أمره» هو الامر التكليفى لا الامر الخلقى التقديرى .. إذ لو كان أمراً تقديرياً لكان نافذاً لايرد ، ولما كان للمأمور أن يخرج عن هذا الامر .

ولايخفى على القارىء الخبير : ان مساق الايات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم الالهى .

٢٤- (فلينظر الانسان الى طعامه)

شروع فى تعداد النعم الالهية المتعلقة ببقاء الانسان بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه، فالاية الكريمة متفرعة على ماتقدم تفرّع التفصيل على الاجمال.

و هذا مشهد آخر من مشاهد قدرة الله تعالى ، و فى هذا المشهد دلائل آفاقية عليها كما كان فى المشهد السابق دلائل أنفسية عليها ، إذ عرضت على الانسان ذاته الانسانية، وما لله تعالى فيها من عجيب الخلق وبديع الصنع ، وفى هذا المشهد يرى الانسان دلائل قدرة الله جل و علا فيما هو خارج عن ذاته الانسانية ، إذ قد يرى الانسان ماهو خارج عن ذاته ، دون أن يرى هذه الذات ولاما بداخلها .

فعلى هذا الانسان الجاحد المتمرد على الدعوة إلى الله تعالى و على كل إنسان فى كل وقت وزمان أن ينظر و يفكر فيما يتمتع به مما يسّره الله تعالى له من أسباب الغذاء المتنوع له ولانعامه ليرعوى هذا الجاحد عن موقفه،وليشكر لله تعالى غيره لانه سوف يرى ان كل هذا إنما يتم له بتيسير الله تعالى ورعايته، فعليه أن ينظر إلى هذا الطعام الذى يأكله من أين جاء ؟ و كيف وجد ؟ و من جاء به ؟ وما كان سببه ؟ وماكان تدبيره و تهيئته ؟ حتى يكون غذاء صالحاً تقوم به بنيته ، و يجد فى تناوله لذة تدفعه إليه ليحفظ بذلك قوته مدى الحياة التى

قدرت له ، و كيف هيّأله أسباب المعاش ليستعدبها للمعاد ؟

٢٥- (انا صببنا الماء صباً)

مستأنف بياني لكيفية إحداث الطعام على سبيل بدل إشتمال من طعامه لأن الماء سبب لحدوث الطعام ، فهو مشتمل عليه ، وان الاية الكريمة و تاليها بيان تفصيلي على حدّ مرحلة إبتدائية من التفصيل لتدبير الله جل وعلا طعام الانسان ، و أما البيان المستوفى لخصوصيات النظام الذى هيّأله هذه الامور و النظام الوسيع الجارى فى كل من تلك الامور والروابط الكونية التى بين كل واحد منها ، وبين الانسان فمما لايسعه نطاق البيان عادة .

٢٦- (ثم شققنا الارض شقاً)

فى العطف بحرف التراخى : «ثم» دلالة على الترتيب بين الامطار و الشق بالنبات على التراخى المعهود .

٢٧- (فانبتنا فيها حباً)

شروع ببيان أنواع النبات الثمانية ، فمنها الحب الذى يشمل الحنطة و الشعير والارز وسائر مايحصد ويدّخر مما يقتات بهالانسان ، و قدّم ذكره على غيره من أنواع النبات لانه الاصل فى الغذاء ، و أصل المأكولات كلها ، ولانه أول مانبت على وجه الارض ومن اوليات ضرورات الحياة و أشملها ، ولانه غذاء الانسان وهو أشرف خلقه ، فقدمه لتعظيمه وتكريمه .

وفى الفاء دلالة على الترتيب بين الشق المذكور و إنبات الحب بلامهلة فاحشة ، إذا كان المراد بالنبات ، مانبت من الارض إلى أن يتكامل النمو و ينعقد الحب .

٢٨- (وعنباً وقضباً)

إشارة إلى نوعين آخرين من أنواع النبات . وهما : العنب ، وخصّه بالذكر لكثرة منافعه و لانه غذاء من وجه و فاكهة من وجه آخر ، والاخر هوالقضب

كالخس والبصل والخضراوات .. . تتخذمنه المخلات ، أو العلف بعينه تعلّف به الدواب أو القت يقطع بعد ظهوره مرة بعد مرة ، أوالرطب أو الثمارالغضة التى يتكرر قطف أشجارها أوما يو كل من النبات غضاًطرياً من البقول وما إليها ، و غيرها من الاقوال الواردة فى معنى القضب . . .

٢٩- (وزيتونا ونخلاً)

الزيتون : ما يتخذ منه الزيت ، والنخل ما يؤخذ منه التمر ، و من تلك الانواع الخمسة تنتصب مائدةكاملة بين يدى الانسان : فيها الطعام والادام ، وما يتخلل به أثناء طعامه ، وما يتفكه به بعد الطعام .

٣٠- (وحدائق غلباً)

وصفت الحدائق بالغلب ، والغلب : جمع غلباء وهى فى الأصـل : الرقبة الغليظة .

يقال : رجل أغلب : بيّن الغلب إذا كان غليظ الرقبة . و أسد أغلب لانه مصمت العنق لايلتفت إلاّ جمعاً . ثم استعير للحدائق أنفسها لتكاثف أشجارها و لا شجارها لعظمها وغلظها . وفى ذكر الحدائق بهذا الوصف ايماء إلى أن النعمة فى الاشجار بجملتها و ليست فى ثمرها خاصة ، فمن خشبها يتخذ أرقى أنواع الاثاث وأدوات العمل وآلاته لمختلف الحرف والصناعات ، و كذا الوقود لتدبير الطعام والخبز على ضروب شتى ، وتستعمل فى صهر الحديد وأنواع المعادن المختلفة ...

ففى هذه الحدائق كثيرة الاشجارذات الظلال والفواكه متعة العين وبهجة النفس و مسرة القلب يجيىء إليها الانسان لينعم وبهناً بالاستظلال بظلها بعد أن يستوفى حاجته من الطعام فتتم بذلك النعمة ويكمل النعيم .

٣١- (وفاكهة وأبا)

فى تنكير أنواع النبات الثمانية دلالة على التكثير والتنويع ، وفى إفراد بعض وجمع بعض آخر مالايخفى على القارىء الخبير .

وما يتبادران ما عددته الآيات من نعم الله جل وعلا على الانسان من أنواع الغذاء لم يكن على سبيل الحصر ، و إن كان يتضمن التنويه بما فيه قوام حياة الانسان والانعام تقوية للتذكير وإحكاماً للتنديد . كذلك فان الايات الكريمة ليست بسبيل بيان نواميس الطبيعة ، وانما هي بسبيل الوعظ والتذكير بما هو مائل للناس و واقع تحت مشاهدتهم و حاصل بمما دستهم ، و فيه متاع متنوع الاشكال والصور لهم ، وقد استهدفت ايقاظ الضمير الانساني ، وحمله على الاعتراف بفضل الله تعالى وحقه وربوبيته ، وهذا وذاك مما يلحظ في جميع الفصول القرآنية المماثلة .

و قيل : أجمل « فاكهة » ليعم الكل ، و أجمل العطف بقوله : « أباً » للعموم وهو مرعى الدواب . . . وقوله : « أباً » يدل على أنه ليس برزق لابن آدم وانه مما تختص به البهائم . . .

٣٢- (متاعاً لكم ولانعامكم)

إشارة إلى الحكمة في خلق تلك الانواع الثمانية ، كما أن في الالتفات عن الغيبة إلى الخطاب تأكيد للامتنان بالتدبير الربوبي أو بانعام النعم على الانسان إطلاقاً ، ولأنعامه المختصة به أو إطلاقاً . وهذا المقطع ضرب مثل ضربه الله عز وجل لبعث الموتى من قبورهم كنبات الزرع بعد دثوره كما أنه يتضمن إمتناناً عليهم بما أنعم به .

وقيل : « متاعاً لكم » بيان لقوله تعالى : « فاكهة » وقوله : « ولانعامكم » لقوله : « أبا » .

٣٣- (فاذا جائت الصاخة)

شروع ببيان أحوال المعاد إثر بيان مبدإ الخلق والمعاش ليتزود الانسان لأمر معاده بالايمان وصالح الاعمال وبالانفاق مما امتن به عليه . وفي الاية الكريمة إشارة إلى ما ينتهي إليه التدبير العام الربوبي للانسان بما أن فيه أمراً ربوبياً

إلهياً بالعبودية ، إمتثل به الانسان أم لم يمتثل ، وهو يجزى يوم القيامة بما عمل به فى الدنيا إن كان خيراً فخيراً وإن شراً فشراً .

و فى الفاء دلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب إضمحلالها . والصاخة : الصاكة للآذان من شدة الصوت ، والكلمة كناية عن يوم القيامة ، وتتضمن الاشارة إلى هولها ، وتتضمن الاية إنذاراً بيوم القيامة ، ووصفاً لهوله الذى يذهل المرء عن أقرب الناس إليه .

وقيل : الصاخة : النفخة الأخيرة ، فوصف النفخة بالصاخة مجازلان الناس يصخون لها أى يستمعون . و قيل : الصاخة : الاحداث المزلزلة التى تقع يوم القيامة ، وسميت صاخة لانها تصخ الآذان أى تقرعها قرعاً شديداً عاتياً بما يكون من صراخ وعويل وصريرأسنان فى هذا اليوم العظيم .

٣٤ـ (يوم يفر المرء من أخيه)

تفصيل لبعض أهوال يوم القيامة وشدته ، و تصنيف الناس يومئذ ، هول نفسى يفزع النفس ويفصلها عن محيطها وعنها أيضاً .

٣٥ـ (وامه وابيه)

قدّم الاخ على الابوين لانهما أقرب منه ، والفرار إنما يقع من الأبعد ثم من الاقرب، وأخّر الصاحبة لانها زوجة وصاحبة معاً إلى آخر الحياة وذات صفات خاصة ، ثم ذكر البنين لانهم الأقرب والأحب . فكأنه قيل : يفرّ من أخيه أولاً بل من امه ، بل من أبيه ، بل من صاحبته التى يأنس بها فى الحياة الدنيا ، بل من بنيه وهم قرة عينه وبضعة فؤاده . . .

قيل : وعلى هذا القول يستلزم أن تكون الصاحبة أقرب وأحب من الابوين وهذا خلاف العقل والشرع . فالأصوب أن يقال : أراد أن يذكر بعض من هو مطيف بالمرء فى الدنيا من أقاربه فى طرفى الصعود والنزول ، فبدا بطرف الصعود

لان تقديم الاصل أولى من تقديم الفرع ، وذكر أولاً فى كل من الطرفين من هو معه فى درجة واحدة ، وهو الأخ فى الاول والصاحبة فى الثانى على أن وجود البنين موقوف على وجود الصاحبة ، فكانت بالتقديم أولى .

والاظهر ان الفرار المعنىّ : هو قلة الاهتمام بشأن هؤلاء بدليل قوله تعالى : « لكل امرىء يومئذ شأن يغنيه » .

٣٦ـ (وصاحبته وبنيه)

« صاحبته » كناية عن زوجته مع تضمنها التوافق بينهما . و فى الايات الثلاث تصوير لشدة يوم البعث وأهواله بأن الذين عدّوا من أقرباء الانسان و أخصّائه هم الذين كان يأوى الانسان إليهم ، ويأنس بهم ويتخذهم أعضاداً و أنصاراً فلوذبهم فى الحياة الدنيا ، وهو فى الدار الاخرة يفرّ منهم لما أن الشدة يومئذ إذا أحاطت به لاتدعه يشتغل بغيره ، و يعتنى بما سواه كائناً من كان ، فان البلية إذا عظمت واشتدت وأحاطت على الانسان جذبته إلى نفسه وصرفته عن كل شيء .

٣٧ـ (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه)

مستأنف بيانى سيق لبيان سبب الفرار بأن لكل واحد من المذكورين شغلا يشغله و خطباً هائلا يكفيه فى الاهتمام به ، فليس لاحد يومئذ فرصة ليشغل بغيره .

٣٨ـ (وجوه يومئذ مسفرة)

شروع بتقسيم الناس يوم القيامة على فريقين ـ بعد ذكر وقوع الاشقياء فى داهية دهياء ـ : فريق كاملون تلوح على وجوههم أنوار الكمال من أسفر الصبح إذا أضاء فهم فرحون مغتبطون ، وجوههم مشرقة مضيئة قد علمت مالها من الفوز والنعيم ، وهذه علامة الفرح والطمأنينة .

والوصف قوى من شأنه إثارة الطمأنينة فى هؤلاء السعداء و على الثبات فيماهم فيه .

وفى الاية الكريمة وتاليها إشارة إلى أن هؤلاء المؤمنين الصالحين يعرفون بسيماهم ، فان الوجه مرآة القلب في سروره و مسائته ، و فيهما توصيف و بيان حال لهم .

٣٩- (ضاحكة مستبشرة)

وصفان آخران لهؤلاء المؤمنين الصالحين يوم القيامة ، فهم يستبشرون بأنواع المسار ويضحكون بدل ماكانوا يبكون في الدنيا خوفاً من عقاب الله تعالى .

٤٠- (ووجوه يومئذ عليها غبرة)

إشارة إلى أحوال فريق آخرين ، يوم القيامة وهم : الكفرة الفجرة وهم يعرفون يومئذ بسيماهم لما يظهر من وجوههم من الوسخ والاسوداد والهم والغم والذل والهوان والغبار والكدورة من شدة البلاء والهول الذي يصيبهم فى الاخرة . والوصف قوى من شأنه إثارة الفزع والرعب فـى هؤلاء الاشقياء المعاندين ، و حملهم على الارعواء وتلافى المعاقبة الوخيمة الرهيبة وهم فى متسع من الوقت .

٤١- (ترهقها قترة)

وصف آخر لوجوه الكفرة الفجرة الكدرة المحاطة بالسواد والظلمة ، و فى ذكر الوجوه خاصة دون ذكر أصحابها لما في الوجوه من قدرة التعبير عما فـى النفوس من مشاعر وعواطف حيث ينطبع عليها كل ما يقع على الانسان مما يسوء أو يسر ، ومما يضحك أو يبكي . . .

والغرض من الاية الكريمة وما قبلها بيان لشدة ما يلحق بوجوه الكفـار الفجار من إربداد وسواد وسوء حالهم يوم القيامة إنذاراً لهم بذلك ليرعوا عما هم فيه من الكفر والفجور ، ومن التجبر والضلال . . .

٤٢- (اولئك هم الكفرة الفجرة)

إشارة إلى أصحاب تلك الوجوه الخبيثة المنكدرة المظلمة المسودة مع الاشعار باستحقاقهم ذلك بسبب الكفر والفجور ، ومعنى البعد فى الاشارة و ضمير

الفعل ایذان ببعد درجتهم فی سوء الحال وفصلهم عن دائرة الانسانیة والکمال الانسانی .

وقد عرّف الله جل وعلا الطائفة الثانیة ـ وهم أهل الشقاء ـ و لم یعرّف الطائفة الاولی ـ وهم أهل السعادة ـ لان الکلام مسوق للانذار علی أهل الشقاء ، وللاعتناء بشأن الانذار . ولم یعطف الفجرة علی الکفرة تنبیهاً إلی أنهم جمعوا بین الکفر والفجور .



﴿الاعجاز﴾

واعلم ان من عجائب النظم القرآني وضع كل كلمة من كلماته بموضعها الذى هي له . . . بحيث لو قدمت أواخرت لذهب شيء كثير مما كان لها في إقامة المعنى على الوجه الذى أخرجه القرآن الكريم عليه من الكمال والدقة والروعة . . .

وفى كلامنا ـ معاشر الانس ـ يقع النظم على صور وأشكال وتراكيب شتى في المعنى الواحد ، من غير أن يلحظ بين صور النظم تفاوت كبير مع تبدل الكلمات وتغير أوضاعها . . . وذلك لان الكلام الذى يتعامل به الناس هو مجرد أدوات للتفاهم ونقل الخواطر والافكار وتصويرها في أية صورة ملائمة لها تعين على نقلها إلى عقول الناس . . .

وذلك أشبه شيء بأدوات النقل التي تحمل رسائلهم أو تحملهم هم من مكان إلى مكان . . . فالطائرة ، والقطار ، والباخرة ، والحيوان ، والمشى . . . كلها وسائل لا يتأثر كثيراً بها الشيء الحاملة له . . . مادامت قادرة على حمله، والوصول به سليماً إلى غايته ، ولكن الشأن غير هذا مع كلام الله جل وعلا . . .

كل كلمة لها وجودها الذاتي وهي قادرة بهذه الحيوية التي فيها على أن تصل إلى الغاية التي تتجه إليها مادامت في صورتها التي نظمت بها مع كلمات الله عز وجل . . . فاذا بدل وضعها أو زايلت مكانها أحس النظم كله بفقدها و شعر بحاجته إليها هي دون غيرها . . حتى ينتظم أمره وتعود إليه سلامته التي كان

عليها . . .

و انما الجمل القرآنية و كلماتها و آيها و سورها أشبه شيء بالانسان و أجزائه . . . و كل كلمة ، و كل حرف عضو في هذا الجسد . . . يؤدي وظيفته حينما يكون في موضعه . . . فاذا اخذ موضعاً غير موضعه أو ترك هذا الوضع - فانظر أي حال يكون عليه ذلك الجسد ؟ . . .

ان النظم القرآني هو بهذا التدبير الذي صنعه العليم الخبير ، فما وضعت كلمة أو حرف فيه إلاّ بحكمة وحساب و تقدير ، وان هذا الكتاب السماوي كله شاهد لهذا . . .

و منها ما جاء في هذه السورة الكريمة ، فاستمع إلى قوله تعالى في عرض مشهد من مشاهد يوم القيامة ، وما يكون الناس عليه من فزع و كرب ، و هول وفرّ . . . !

« يوم يفرّ المرء من أخيه وامه و أبيه و صاحبته و بنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » عبس : ٣٤ - ٣٧)

أجل! إنما المرء يفرّ من كل هؤلاء الذين كانوا هم في الحياة الدنيا ملاذه وأعوانه ، مأمنه وأنصاره . . . طالباً النجاة لنفسه من هذا الهول ، من هذا الفزع، ومن هذه الروعة التي لاتدع فرصة لاحد أن ينظر إلى غير نفسه : « لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » فكل كافر عاص ، و كل فاجر باغ ، و كل فاسق ضال . . في هذا اليوم همه الذي يشغله ، ويستغرق كل ذرة في كيانه ، فلا يبقى عنده فضل لغيره ، ولو كان أحب الناس إليه وآثرهم عندهم .

وهذه هي صورة يطلع عليك منها أشتات من صور الهول والفزع، والكرب والهلع التي يشهد الناس يوم القيامة ، حيث ترى الانسانية كلها ، و قد تدافعت مناكبها ، وانقطعت علائق المودة والقرابة بينها ، فلا أحد ينظر إلى أحد ولا تعطفه عليه عاطفة إلاّ أن تكون بينهما علقة الايمان والتقوى وصالح الاعمال . . . « فلا

أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون » المؤمنون : ١٠١) « لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه» عبس: ٣٧) و « الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلاّ المتقين» الزخرف : ٦٧) فأنت ترى ان هذا الانسان الطاغي الكافر ، والباغي الفاجر ، والعاصي الخاسر . . . يدور في مجال نفسه يبحث عن طريق الخلاص من هذا البلاء المطبق الذي يأخذ بالنواصي والاقدام في هذا اليوم العظيم .

فهناك يفرّ هذا الانسان من كل من كانت تعطف عليه عاطفة ، بل و كل من كان يقطع له قطعة من نفسه : من ولد و والد وزوج وأهل . . . ! ! !

ومن الاعجاز النفسي للقرآن الكريم في هذه الايات الشريفة انه غاص في أعماق النفس الانسانية ، و أقام مشاعرها على ميزان دقيق محكم ، فجاء هذا الترتيب لموقف الانسان ممن يفرّ منهم في زحمة هذا البلاء حسب درجة شعوره بهم ، و وزنه لكل منهم . . . انه يفرّ أولاً من الناس جميعاً . . . جملة واحدة ، لاينظر إلى أحد ثم هو يجد نفسه مع أشخاص قد إرتبط بهم إرتباط الجسد بأعضائه، هم أهله الذي هو فرع من شجرة جمعتهم وإياه . . . أخوه و امه و أبوه وزوجه وبنوه !

ثم هو من جهة اخرى محمول بالاكراه - تحت قسوة الموقف - أن يفرّ منهم جميعاً ، ومع أن زحمة الاحداث ، وشدة البلاء - لاتدع له فرصة للاختيار، إلاّ أنه في لحظة خاطفة من أجزاء الزمن أشبه بالذرات - يفرّ منهم على صورة تأخذ هذا الترتيب التصاعدي : القريب فالاقرب ، فمن هو أشد قرباً . . . فيفرّ أولاً من أخيه، ثم من امه وأبيه ثم من زوجته، ثم يكون آخر من ينفصل عنه أبناؤه الذين هم بضعة منه ، والذين لايبقى بعدهم من ينفصل منه إلاّ أجزاء جسمه هو ! !

وليس هناك - كما ذكر - زمن يقع فيه هذا الفرار على آنات متتابعة ، و إنما هي وحدة شعورية بالفرار ، إنقسمت في داخلها كما تنقسم الذرة .

ويلاحظ ان الزوجة ، لم تأخذ مكانها من هذا الترتيب ، ولم تفضل الابوين

إلاّ وهي زوجة ذات صفات خاصة ، وهي انها صاحبة وزوج معاً ، والزوجة حين تكون بهذه الصفة هي أقرب مخلوق إلى نفس الانسان وآثره بعد الأبناء !

هذه هي حركة النفس المدسوسة الفاجرة ، و تلك معطيات شعورها في حال الفرار من الخطر وإلتماس سبيل النجاة .... فاذا كان الانسان الفاجر واقعاً ليد الخطر فعلا ، وقد أحاط به من كل جانب ، و علقت به النار من رأسه إلى أخمص قدمه ـ فما الحركة الشعورية للنفس في دفع هذا الخطر و إطفاء تلك النار المشتعلة فيه ؟

نجد الجواب عن هذا في قوله تعالى : « يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه و صاحبته و أخيه و فصيلته التي تؤويه و من في الارض جميعاً ثم ينجيه كلا انها لظى » المعارج : ١١ـ ١٥)

ان الحركة الشعورية لهذا الانسان هنا تأخذ إتجاهاً عكس الاتجاه الاول الذي أخذته في موقف الفرار ، ففي موقف الفرار ، هناك شيء من السعة ، يتيح للانسان أن يتحرك فيه نحو الجهة التي يتوهم أن له سبيلا إليها وإن لم يكن ثمة سبيل .. أما في موقفه وقد أحاط به البلاء ، واشتملت عليه النار ، فانه ليس ثمة إلاّ أن يمدّ يده إلى أقرب شيء يمكن أن يصل إليه ، ليقيم منه ستاراً على جسده الذي تأكله النار ، و قد يكون هذا الشيء بعض أعضاء جسده هو كيده التي يدفع بها النار عن وجهه مثلا !!

واقرب شيء إلى الانسان بعض أعضائه ... هم بنوه ، ثم صاحبته (زوجه) ثم ... ثم اسرته من أعمام وأبناء أعمام . . ثم أهل الارض جميعاً ... كل هؤلاء يتخذ منهم دروعاً واقية له ، يرى بهم في وجه البلاء واحداً بعد واحد ، ولكن هيهات أن يجد من أيّ وقاية من هذا البلاء انه مجرد أمل يراوده لو أمكنته الفرصة من تحقيقه ولكن ليس إلى ذلك من سبيل .. !

فهذا وجه من وجوه الاعجاز القرآني الذي يستولي ببيانه على حقائق

الاشياء وينفذ إلى أعماقها وخفاياها ، فاذا هي في وجه صبح مشرق مبين !!

وعد إلى الايات الكريمة وانظر فيها نظراً مجدداً... كل آية على حدة ... تجد عجائب وأسراراً تطلع عليك من كل حرف ومن كل كلمة . . . ! « يوم يفر المرء من أخيه وامّه و أبيه و صاحبته و بنيه » .

فهذا مشهد ترى الانسان فيه ، وقد أخذ يلقى بكل ما في يديه من علائق المودة والقربى . . . و يقطع حبالها حبلاً حبلاً ... وهو في هذا إنما يقطع أوصاله و ينفصل عن بعض أعضائه . . .

و ان الانسان الطاغي في مثل هذا الموقف الذى يستدعى تضحية منه بماهو عزيز عليه يبدأ بها بدءاً تصاعدياً ، و ينزل عن أقلها درجة عنده ثم التي فوقها ... و هكذا يتخلى عنها واحدة واحدة العزيز فالأعز ... حتى لايبقى معه شيء يمكنه أن ينخلع عنه لينجو بنفسه ... فهو يفرّ أولاً من الناس جميعاً ، ولم يذكر القرآن الكريم هذا ولم يشر إليه ، لان ذلك هو الواقع الذى لايحتاج إلى بيان في هذا اليوم الذى لايلتفت فيه إنسان إلى إنسان .

أما هؤلاء الاقارب الذين يخيّل إلى المرء انه لاينفصل عنهم أبداً لانهم بعض نفسه فانه في هذا اليوم سيرمى بهم من حالق .:. غير مبق مع أحد منهم : « يفرّ من أخيه ثم امه و أبيه ثم صاحبته و بنيه » .

ان هؤلاء جميعاً و إن كانوا بعض نفسه ، فانهم على درجات عنده كما أن أعضاء جسده درجات عنده أيضاً ، فليست الاصبع كالعين مثلا ولا القدم كاللسان..! فهو يضحي بأعضاء اسرته على هذا التقدير ، انه يبدأ بالأخ وهو عزيز على النفس.. ولكنه دون الاب والام . . .

ثم يحمله الامر أن يضحي مرة اخرى ، فيضحي بالام والأب ... وهما عزيزان على نفسه كذلك ولكنهما دون الزوج والابن اللذين لايزال في النفس أمل في النجاة بهما أو على الاقل في ألاّ يوردا موارد الجحيم بيده هو الذى من شأنه أن يفديهما

بنفسه ، ولكن لازال الامر محتاجاً إلى تضحيات ، فيضحى بالزوج ثم بالابن . . . وهو آخر مايملكه المرء دون نفسه ، و أعز شيء يحرص عليه بعدذاته ! .

أرأيت إذن إلى هذا النظم ، و إلى سرّ هذا الترتيب فى مواقع الكلمات ؟ ثم أرايت كيف قدّم الام للتضحية بها قبل الأب . . . لأن الرجل عادة يؤثر أباه على امه بخلاف المرأة، فانها تؤثر عادة امها على أبيها . . . والخطاب هنا للرجل و الزوجة عند الرجل أقرب إلى نفسه من أبيه و امه . . . وليس ذلك الشأن فى كل زوجة، ولكنها الزوجة الموافقة التى تعلق بها قلب زوجها، ولهذا لم يجعلها القرآن الكريم مجرد زوجة بل سماها «صاحبة» . . ! فهى زوج وصديق معاً، و بهذا نزلت تلك المنزلة من نفس الرجل .

ولايخفى عليك نحن ننظر ـ بعد هذا ـ فى الايات الاخرى إذ قال جل وعلا: « يبصّرونهم يودّ المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه و صاحبته و أخيه و فصيلته التى تؤويه ومن فى الارض جميعاً ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى» المعارج: ١١ ـ ١٦) .

وقد جاء ترتيب هؤلاء الأقارب على عكس ماوقع فى الايات السابقة أى انهم رتبوا فى هذه الآيات ترتيباً تنازلياً : الأعز فـالعزيز . . . فمن دون ذلك ، فهو هنا يضحى أول مايضحى بأعز الناس عنده ، و أمكنهم مكانة من قلبه ، أبناؤه أولاً ثم صاحبته وهى فى المنزلة الثانية بعد الابناء . . . ثم بأخيه ، وهو بعد زوجه ثم فصيلته ... الأهل والأقارب الذى يأوى إليهم ويستظل بهم ثم الناس جميعاً، و كل شىء تمتد إليه يده أو تقع عليه عينه ! .

ماسرّ هذا ؟ و كيف تنقلب طبيعة الانسان هنـا من النقيض إلى النقيض ؟ وكيف للعاقل أن ينخلع اول ما ينخلع عن فلذات أكباده ولا يتّقيهم أولا بمن هم دونهم منزلة وأبعدهم منه قرابة ؟ ان وراء هذا التدبير سراً لاريب فيه، ولكن ليس فيه إنقلاب فى الطبيعة الانسانية ... وماحدث أو يحدث فى هذا المشهد الرهيب

هوواقع مع الطبيعةالانسانية، ومع ماتقضى به الفطرة فى مثل هذه المواقف المزلزلة المفزعة . فهذا إنسان أحاطت به خطيئته ، فكان مصيره إلى عذاب السعير، وها هوذا يساق سوقاً إلى هذاالعذاب . تدعه زبانية جهنم دعاً إليها، فبأى شيء يدفع هذا العذاب و يتقيه ؟.

ان أول مايتقى به الانسان الأذى الواقع من لفحة نار أو صفعة يد ... مثلا.. هو يده .. يدفع بها شراً عن وجهه أو عينيه ! وهو فى مواجهة هذا العذاب الرهيب الشديد يفدّى بعض جوارحه ببعض ، فهو يدفع لهيب جهنم -إن كان ذلك ممكناً- بكلتى يديه عن وجهه الذى هو أعزّ عليه من يديه ! .

ان جهنم تمدّ إليه يدها لتخطفه و تحويه فى كيانهـا . . . وهو يتراجع إلى الوراء فى حركة داخلية يتضاءل بها شخصه ، وتنكمش بها ذاته دون أن يجد مجالاً ليتزحزح بقدميه إلى الوراء قيد أنملة ! ... وهو يمدّ إلى جهنم يداً واهية لاتصبر على لفحة من لفحاتها ! ثم هو يمد بصره إلى من كانوا بعض أعضائه،فيتناول أقرب شيء إليه يتقى له العذاب ... بنيه ... و صاحبته وأخيه . .. و فصيلته التى تؤويه ومن فى الارض جميعاً .

فالموقفان مختلفان متباينان :

فهناك فى الحالة الاولى حركة فرار: فرار من خطر داهم .

وفى مثل هذه الحال يريد المرء أن يأخذ معه كل ماملك و ما جمع . .. فاذا لم تكن الفرصة مواتية تخفّف ، ثم تخفّف ، وهو فى كل مرة يترك عزيزاً ليأخذ معه الأعز ... حتى لقد يصل به الامر إلى أن يخرج عرياناً ، ليس معه إلاّ نفسه ! هذا هو موقف الناس يوم القيامة فى مواجهة الساعة و زلزلتها ، وفزعها وهولها إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم من فزع يومئذ آمنون .

فيوم القيامة تفزع فيه النفس المدسوسة الفاجرة إلى الفرار مـن هذا الهول ... وفى مواقف الفرار لايلقى المرء من يده أول مايلقى إلاّ مايشتد حرصه

عليه ، ثم ما أشتد حرصه عليه ثم ما كان أشد شيء حرصاً عليه ... وهكذا. أما حين تتحدد مواقف الناس ، ويساق المجرمون إلى جهنم ، فقد وقعت الواقعة ولا سبيل إلى الفرار ...

و في مواجهة هذا الهول يواجه الانسان ـ المجرم ـ بأقوى صارخ في كيانه ، و بأعز مدّخر عنده كان يدخره ليومه الأسود ... رجل مفلس يريد أن يفلت من قبضة غريمه، وقد أمسك برقبته و كتم أنفاسه ، و كادت تزهق روحه..! انه يقدم لهذا الغريم ما يظنه منقذاً له من بين يديه . . و ما يحسبه عدلاً لرقبته التي علق بها الدين .. انهم أبناؤه .. فهم الكفلاء عن أبيهم ، و أولى الناس ان يتعلق بهم غريمة من بعده ...

ولا تتراخى قبضة الغريم عنه بما قدم من فداء بل تزداد شدة و يزداد هو بلاء وضيقاً وإختناقاً ... فيدفع مع أبنائه من يجد من أهل وأقارب ليشدوا ظهرهم في الكفالة عنه .. ومع هذا فقبضة الغريم تأخذ بحلاقيمه وتكظم أنفاسه... فيدعو الناس جميعاً .. ويهيب بمن في الارض كلهم أن يعينوه ..

وهيهات هيهات !

ان النار قد علقت به ، فهو يعالجها بيديه و بكل ذاته أولاً ، ثم يدعو لها بنيه .. ثم زوجه ثم من كان في جيرته من إخوة وعشيرة .. ثم يستصرخ لها الناس جميعاً .. من أيّ وجه كانوا ليفلت من هذا العذاب: « كلا انها لظى نزاعة للشوى»

﴿التكرار﴾

ونحن نشير فى المقام إلى صيغ عشرين لغة ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء فى بحث اللغة ـ التى جائت فى هذه السورة و فى غيرها من السور القرآنية :

١ـ جائت كلمة (العبس) على صيغها فىالقرآن الكريم نحو: ثلاث مرات:

١ـ سورة عبس : ١) ٢ـ سورة المدثر: ٢٢) ٣ـ سورة الانسان : ١٠) .

٢ـ » » (العمى) » » » : ٣٣ مرة :

٣ـ » » (الصدى) » » » : مرتين :

إحداهما ـ سورة عبس : ٦) ثانيهما ـ سورة الانفال : ٣٥)

٤ـ » » (الخشية) » » » : ٤٨ مرة :

٥ـ » » (الذكر) » » » : ٢٩٢ مرة :

٦ـ » » (النطفة) » » » : ١٢ مرة :

٧ـ » » (الطعام) » » » : ٤٨ مرة :

٨ـ » » (الصبّ) » » » : خمس مرات :

١ـ سورة الفجر : ١٣) ٢و٣ـ سورة عبس : ٢٥) ٤ـ سورة الدخان : ٤٨) ٥ـ سورة الحج : ١٩) .

٩ـ » » (النبت) » » » : ٢٦ مرة :

١٠ـ » » (العنب) » » » : ١١ مرة :

١١- « (القضب) « « « « : مرة واحدة :

وهى فى سورة عبس : ٢٨)

١٢- « (النخل) « « « « : ٢٠ مرة :

١٣- « (الحدائق) « « « « : ثلاث مرات :

١- سورة عبس : ٣٠) ٢- سورة النباء : ٣٢) ٣- سورة النمل : ٦)

١٤- « (الفاكهة) « « « « : ١٩ مرة :

١٥- « (الأبّ) « « « « : مرة واحدة :

وهى فى سورة عبس : ٣١)

١٦- « (المتاع) « « « « : ٧٠ مرة :

١٧- « (الصاخة) « « « « : مرة واحدة :

وهى فى سورة عبس : ٣٣)

١٨- « (الفرّ) « « « « : ١١ مرة .

١٩- « (المرء) « « « « : ٣٨ مرة :

٢٠- « (الغبر) « « « « : ثمان مرات :

١- سورة عبس : ٤٠) ٢- سورة الصافات : ١٣٥) ٣و٤- سورة العنكبوت: ٣٢ و ٣٣) ٥- سوره النمل : ٥٧) ٦- سورة الشعراء ١٧١) ٧- سورة الحجر : ٦٠)٨ - سورة الاعراف : ٨٣)

﴿التناسب﴾

واعلم أن البحث فى المقام على جهات ثلاث :

احدها- التناسب بين هذه السورة وماقبلها نزولاً .

ثانيها- التناسب بين هذه السورة وماقبلها مصحفاً .

ثالثها- التناسب بين آيات هذه السورة نفسها :

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة «النجم» فالتد برفى غرضهما واستهدا فهما يلهمنا على مابينهما من التناسب، فتأمل جيداً واغتنم جداً .

وأما الثانية : فان المناسبة بينهما فباموور :

احدها- إن الله تعالى لما ختم سورة «النازعات» بذكر مهمة الرسالة المحمدية ﷺ فى قوله عزوجل: «إنما أنت منذر من يخشيها» : ٤٥) من كونه ﷺ منذراً لمن يخشى القيامة وأهوالها . . . وفى ذلك إشارة إلى المقام الذى كان رسول الله ﷺ يأخذه من قومه الذين لجّ بهم الضلال والعناد، وجعلواهمهم المماحكة والمجادلة ، ولقاء النبى الكريم ﷺ بالأسئلة التى لامحصل لهاولا ثمرة منها . . . انهم لم يؤمنوا بوقوع يوم القيامة ، وسئوالهم عن موعد شئى لا-يؤمنون به ولايصدقون بوجوده ، إنما هوضلال من ضلالهم . . .

أخذالله عزوجل فى سورة «عبس» بذكر من يخشى القيامة وتنفعه الذكرى، مع الاشارة إلى الموقف الذى كان بين رسول الله الاعظم ﷺ وبين جماعة من المعاندين الضالين الذين كان النبى ﷺ يرجو إسلامهم و هدايتهم ، فصرف

إليهم وجهه : فصرّف الله جل وعلا وجهه ﷺ عنهم بأن هؤلاء الضالين المعاندين لا يخشون الله تعالى ولا يؤمنون باليوم الاخرولن يؤمنوا أبداً مهما طال وقوفك معهم .

ثانيها ـ ان الله عزوجل لما أشارفي السورة السابقة إلى مافي قلوب الكفرة الفجرة المكذبين بالبعث من الخوف والرهبة والقلق والاضطراب ومافي أبصارهم من الذلة ، أشار في هذه السورة إلى مايعلو وجوههم من غبار الذل والكرب ، و سواد الغم والحزن وظلمة الكفر والفجور . . .

ثالثها ـ ان الله تعالى لما أشار في السورة السابقة إلى أهوال يوم القيامة و أقام الادلة الآفاقية على وقوعها بقوله : « يوم ترجف الراجفة ـ » أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها ـ يوم يتذكر الانسان ماسعى » : ٦ـ٣٥) أشارفي هذه السورة إلى أحوال المكذبين بهفيه ، وأقام الأدلة الانفسية على وقوعه بقوله عزوجل : « من أيّ شئ خلقه ـ يوم يفرّ المرء من أخيه ـ ترهقها قترة » عبس : ١٨ـ ٤١) مع أن في هاتين السورتين تفصيلاً لما اجمل في الاخرى فتأمل واغتنم .

وأما الثالثة : فان الله تعالى لماحكى العبوس والتولى عند مجيىء الاعمى، وعاتب عليه بقوله : « عبس وتولى ـ فتنفعه الذكرى » : ١ـ٤)

أشار إلى تفصيل القول في ملاك ماذكر من العبوس و التولى والعتاب عليه بقوله : « أمامن استغنى ـ فأنت عنه تلهّى » : ٥ـ ١٠)

ثم أخذ بالردع عما عوتب عليه مع التلويح إلى أن لا إكراه في الدعوة إلى التذكر ، فلانفع فيها يعود إلى الداعى ، وإنما المنتفع بها هو المتذكر ، فله الخيار فيها مع وصف مايتذكر به الانسان ، ووصف ملائكة الوحى بقوله : « كلا انها تذكرة ـ كرام بررة » : ١١ ـ١٦) فالهداية التى يسوقها الله جل وعلا إلى الانسان على ألسنة رسله، ليست من الامور التى يحتال لتقريرها في النفوس وتثبيتها في القلوب ، وإنما هى تذكرة يقصد بها تنبيه الغافل إلى ماجبل الخلق عليه من

معرفة توحيده،فمن أعرض عن ذلك ، فانه معاند يقاوم مايدعوه إليه حسه،وتنازعه إليه نفسه .

ثم أخذ بالدعاء على من لم يتذكر مع ما أنعم الله تعالى عليه من النعم إجمالاً والتعجيب من مبالغته في الكفر، والاشارة إلى أمره حدوثاً وبقاء ومآلاً بقوله تعالى : « قتل الانسان ـ كلا لما يقض ما أمره » : ١٧ـ٢٣)

ثم فرّع على ماتقدّم تفرّع التفصيل على الاجمال ، فوجّه نظر الانسان إلى طعامه الذي يقتات به، ويستمد منه في حياته وهو واحد مما لا يحصى مما هيأه التدبير الربوبي لرفع حوائجه في الحياة الدنيا حتى يتأمله ، فيشاهد سعة التدبير التي تدهش لبّه وتحيّر عقله وتعلق العناية الالهية۔ على دقتها وإحاطتها۔ بصلاح حاله وإستقامة أمره من قوله جل وعلا: « فلينظر الانسان إلى طعامه ـ متاعاً لكم ولانعامكم » : ٢٤ـ٣٢)

وفي الايات الكريمة إشارة إلى ثمانية أنواع من النبات ، وفيها بيان دلائل آفاقية بعد ذكر دلائل أنفسية للتوحيد .

فلما فرغ من دلائل أنفسية أخذ بذكر دلائل آفاقية، ولما ذكر تعالى خلق إبن آدم أشار إلى رزقه ليعتبر .

ولما ذكر أمر المعاش أخذ بذكر أمر المعاد ليتزود الانسان لنفسه بالايمان وصالح الاعمال ... بقوله تعالى:« فاذا جائت الصاخة ـ يومئذ شأن يغنيه»:٣٣ـ٣٧)

ولما انقسم الناس سابقاً إلى فريقين: فريق أهل السعادة والكمال والهداية، هم يسترشدون ويستهدون. وفريق أهل الشقاء والانحطاط والضلالة هم يستكبرون ويفجرون مع ما أحاطتهم من نعمة الله تعالى في الحياة الدنيا، أخذ بذكر أحوالهم يوم القيامة ، وان كل واحد من الفريقين يعرفون يومئذ بسيماهم بقوله: «وجوه يومئذ مسفرة ـ اولئك في الكفرة الفجرة » : ٣٨ـ ٤٢)

فالاولون باسفرار الوجوه و إشراقها و إستبشارها ، و الآخرون بانكدار الوجوه وغمها وسوادها وظلمتها .

«الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه»

قيل : إن قوله تعالى: « فمن شاء ذكره »عبس:١٢) منسوخ بقول جل وعلا: «إلاّ أن يشاء الله»الانسان : ٣٠)

أقول : ان الاية الاولى بصدد بيان نفي الاكراه في الدين عقيدة وإخلاصاً بعد وضوح الحق ، ويقول جل وعلا : «ثم السبيل يسّره» عبس:٢٠) بأن الله تعالى إنما خلق العباد ليعبدوه وليختار واطاعته على معصيته، ورضاه على غضبه، ومن ثم أقدرهم على كلا الامرين ، ويسّرهم طرق الامتثال لتكون إطاعتهم عن إختيار وعبادتهم عن رغبة وإرادة ، و هكذا كانت منحة الاختيار لحكمة التكليف والاختيار إلاّ أن من العباد من يستغل هذه المحنة الالهية في أغراض مخالفة، فيستعمل من قدرته وقواه ، في اتجاه معاكس لغرضه تعالى .

وأما آية الانسان فبصدد الاخبار عن عدم ايمانهم، وهذا لايصلح ناسخاً، و المعنى : انكم باختياركم لاتؤمنون ألبتة، لاإذا أكرهناكم على الايمان جبراً، الامر الذي يتنافى في الاختيار في الايمان .

وقد رآى بعض المفسرين قوله تعالى : « أبّا» عبس : ٣١) من المتشابهات تقليداً عن عمر بن الخطاب، حيث سئل عن معنى الكلمة ، ولم يعلم معناها .

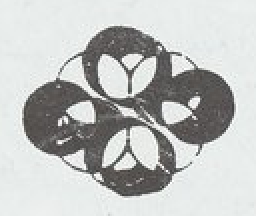
وقال: « ان الاولى به أن يدعها جميعها وأن يجعل هذه الكلمات من كتاب الله من المتشابه الذي لايعلم تأويله إلاّ الله » .

أقول : ان جهل عمر بن الخطاب وأذنابه ليس سبباً لكون الايات القرآنية

أو كلماتها متشابهة،وقد كان هو جاهلاً بكثير من معاني الايات الكريمة،والمعارف الاسلامية والاحكام الدينية ، وليست هذه الكلمة أول ما كان عمر بن الخطاب جاهلاً بمعناها ، وقد اورد ناجهالاته في خلال البحث المناسب في هذا التفسير ، فراجع إلى باب جهالات الخلفاء . .

ومن الاعجب إتباع جماعة من الناس من هؤ لاء الجهلة السفلة ، و تركهم أهل بيت الوحي والراسخين في العلم ومن عنده علم الكتاب عليهم السلام .

قال الله تعالى : « يوم ندعوا كل اناس بامامهم - فمن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً » الاسراء : ٧١ -٧٢)



﴿ تحقيق فى الاقوال ﴾

١- (عبس وتولى)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- عن إبن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك و إبن زيد : أى عبس رسول الله ﷺ وأعرض بوجهه عن عبدالله بن ام مكتوم.

وذلك بينما كان رسول الله ﷺ يدعو صناديد قريش وهم : عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وأبوجهل بن هشام والعباس عبد المطلب ، و امية بن خلف و أخوه ابى ، والوليد بن المغيرة ، رجاءاً ان يسلموا ، وكان ﷺ يذكّرهم بأيام الله تعالى ويحذّرهم بطشه وجبروته ويعدهم أحسن المثوبة إن أسلموا ، إذ كان فى إسلامهم إسلام من وراءهم من قومهم فان بيدهم مقادة العرب ، وحينئذ جاء عبدالله بن ام مكتوم ، وهو يقول : يارسول الله إقرأنى ، و علّمنى مما علّمك الله ، فجعل يناديه ، ويكرر النداء ، ولايدرى ان النبى الكريم ﷺ مشتغل مقبل على غيره طمعاً منه ﷺ باسلامهم وإسلام الكثير من قومهم تبعاً لهم ، فثقل ذلك على رسول الله ﷺ حتى ظهرت الكراهة فى وجهه ﷺ لقطعه كلامه معهم.

وقال ﷺ فى نفسه : يقول هؤلاء الصناديد: إنما أتباعه العميان والعبيد، فاعرض عنه و أقبل على القوم الذين كان يكلمهم ، لانه رآى ان ابن ام مكتوم إن لم يتعلم الآن يتعلم فى وقت آخر ، إذ كان فى كل وقت أو أكثره فى خدمة الرسول ﷺ وهؤلاء العتاة إذا خرجوا من عند الرسول ﷺ ولم يسلموا فقد أفلتوا ، وليس باستطاعة الرسول الاجتماع بهم ثانية ، و هذه فرصة سانحة يجب

انتهازها : ولما رأى من ابن ام مكتوم إصراره على تعليمه قطّب فى وجهه طلباً للأهم فى نظره وهو إسلام هؤلاء العتاة وصناديد قريش حتى نزلت الاية الكريمة و تاليها . . .

فكان نظر النبى الكريم ﷺ على أمر كلى وهو رجاء إسلام قريش ، وانه فى الظاهر أهم من إجابة رجل أعمى عجول على الفور ، إلاّ أن الله جل وعلا عدّ هذا الجزئى كلياً من جهة اخرى وهى تطييب قلوب الفقراء والضعفاء ، و إهمال جانب الغنى والثراء فان هذا أدخل فى الاخلاص وابتغاء رضوان الله جل وعلا ، وذلك مظنة التهمة والرياء ، مع أن فائدة الارشاد والتعليم بالنسبة إلى هذا الاعمى أمر معلوم ، لانه جاء طالباً مسترشداً ، وأما بالنسبة إلى هؤلاء العتاة فغير معلوم لانهم جاؤا مستهزئين معاندين وإلى هذا أشار تعالى بقوله : « و ما يدريك لعله يزكى . . . »

وأما العبوس -وهو تقلص عضلات الوجه أو الناصية والحاجبين عند ألم أو حزن أو غضب- فى وجه الاعمى فلايكون هنا ذنباً لان العبوس والانبساط مع الاعمى سواء لانه لايحسّ بهما فلايشق عليه ذلك ؛ فلايكون ذنباً ، ولكن جاء الكلام بهذا السياق ليأخذ الله عز وجل نبيه ﷺ بأوفر محاسن الاخلاق وينبهه بذلك على عظم حال المؤمن المسترشد، وليعرّفه ان تأليف المؤمن ليقيم على ايمانه أولى من تأليف زعماء الشرك طمعاً فى ايمانهم ، و انه لاداعى منك إلى هذا الرجاء الأكيد والاصرار الشديد على إسلامهم ، فقد وافتهم الحجة البالغة ، و إن عليك إلاّ البلاغ ، وماعليك من حسابهم من شىء ، وماأنت عليهم بحفيظ ، فاذا أعرضوا فلاعن تقصير منك ، وإن دخلوا فيما دعوتهم إليه فبحزم أُخذوا فدعهم وشأنهم ، و احتفظ بمن معك من المؤمنين .

ولايخفى ان ما فعله إبن ام مكتوم كان نوعاً من سوء الأدب وجفاء منه . فحسن تأديبه بالاعراض فكان فيه نوعاً من المصلحة . و قيل : إنما قصد النبى

ﷺ تأليف الرجل ثقة بما كان في قلب إبن ام مكتوم من الايمان كما قال: «اني لاعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه مخافة أن يكبه الله في النار على وجهه» ومع هذا أنزل الله تعالى في حقه على نبيه ﷺ: «عبس وتولى» بلفظ الاخبار عن الغائب تعظيماً له ﷺ ولم يقل: عبست وتوليت.

فليست في الاية الكريمة شائبة عتاب أو لوم على النبي الكريم ﷺ على مازعم بعض المفسرين، بل فيها توبيخ وإحتقار لزعماء المشركين الذين كانوا عند النبي المعصوم ﷺ وتقول له:

أعرض عن هؤلاء الطغاة السفلة والكفار الفجرة، وأغلظ لهم، انهم أحقر من أن ينصر الله بهم دينه الحق، و أقبل على هذا الاعمى الطيب المـؤمن، ولا خوف على الاسلام، فان الله تعالى سيظهره على الدين كله، و يذلّ أعدائه مهما بلغوا من الجاه والمال. وفي إعلان النبي الكريم ﷺ ذلك يتجلى الصدق النبوي العميق الذي يملك النفس والقلب ويملأهما بالاعظام والاجلال. و عن إبن زيد: لو أن رسول الله ﷺ كتم عن الوحي شيئاً لكتم هذا عن نفسه.

٢ ـ قيل: ليس في الآية الكريمة دلالة على توجهها إلى النبي المعصوم ﷺ بل هو خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه، وفيها ما يدل على أن المعني بها غيره لان العبوس ليس من صفات النبي ﷺ مع الاعداء المباينين فضلاً عن المؤمنين المسترشدين المستهدين.

٣ـ قيل: كان رجل من بني امية عند النبي الكريم ﷺ فجاء إبن ام مكتوم، فلما رآه تقذر منه وجمع نفسه وعبس وأعرض عنه بوجهه عنه، فحكى الله تعالى ذلك وأنكره عليه.

٤ـ قيل: أي عبس عثمان بن عفان وبسر من ضيق الصدر، وأعرض عن إبن ام مكتوم وذلك ان إبن ام مكتوم كان مؤذناً لرسول الله ﷺ بعد بلال، و كان أعمى، فجاء إلى رسول الله ﷺ وعنده أصحابه و عثمان عنده، فقدّم رسول الله

ﷺ الاعمى على عثمان ، فعبس عثمان في وجهه وتولى عنه سخطاً على عماه و فقره ورداً على حكم الله تعالى ورسوله ﷺ .

اقول : و على الاول جمهور المفسرين .

٣ (وما يدريك لعله يزكى) .

في الضمير الخطاب «يدريك» قولان : أحدهما ـ قيل : خطاب للنبي الكريم ﷺ والمعنى : أي شيء يعرّفك يامحمد ﷺ حال هذا الاعمى ؟ ثانيهما ـ خطاب لعثمان بن عفان لانه كان عبوساً في مجلس النبي ﷺ إذ جائه عبدالله بن امّ مكتوم . و المعنى : مايدريك ايها الاعمى القلب العبوس لعل هذا الاعمى العين يتزكى أكثر مما تتزكى بمايستقرئه و يستعلمه النبي الكريم ﷺ .

اقول : و على الاول جمهور المفسرين .

و في ضمير « لعله » قولان أيضاً : أحدهما ـ قيل : راجع إلى عبدالله بن ام مكتوم .

ثانيهما ـ قيل : راجع إلى الكافر و المعنى : أيّ شيء إدراكك بحال كل من هؤلاء الكفرة الفجرة حتى طمعت في تطهرهم من الاوزار و إنتفاعهم بالاذكار .

اقول : و على الاول جمهور المفسرين .

٥-٦ (أما من استغنى فانت له تصدى) .

في الاستغناء أقوال : ١ ـ قيل : أي إستغنى بالمال و الثروة . والمستغني هو العباس فان الاية نزلت فيه . قاله سفيان . وعن مجاهد : انها نزلت في عتبة بن ربيعة و شيبة بن ربيعة . ٢ ـ عن عطاء : أي استغنى عن الايمان . ٣ ـ عن الكلبي أي استغنى عن الله تعالى .

اقول : ولكل وجه ولكن الا وجه هو الاول لانهم كانوا أغنياء ، وماتوجه الخطاب إلاّ من هذه الجهة ، و ان كان اسلامهم موهوماً . و أما الأنسب بظاهر

الاطلاق هو التعميم فتأمل جيداً .

٧- (وما عليك أن لايزكى) .

في «ما» أقوال : ١ ـ قيل : نافية ، و المعنى : وليس عليك أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأس في أن لايتزكى ذلك المستغنى المستكبر حتى يبعثك الطمع في إسلامه إلى الاعراض عمن أسلم واسترشدمنك. ٢ـ قيل: انها إستفهامية إنكارية، والمعنى: و أي شيء ألزمك بذلك ، و إن لم يتطهر من الكفر و الفجور ، و أيّ و بال يعود عليك إن لم يؤمن بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و ماجاءه به ، و انما أنت رسول ، وما على الرسول إلاّ البلاغ . ٣ ـ قيل : أي ولاتبال بعدم تطهّره من دنس الكفر و رجس الفجور .

أقول : وعلى الاول جمهور المفسرين .

٩- (و هو يخشى) .

في خشية هذا الاعمى أقوال : ١ ـ قيل : أي هو يخشى الله تعالى و يخافه . ٢ ـ قيل : أي هو يخاف الكفار وأذاهم في إتيانه . ٣ ـ قيل: أي وهو يخشى الكبوة والوقوع على الارض لانه أعمى، و كان يسرع في مشيه ، وما كان له قائد .

أقول : والاول هو الانسب بظاهر السياق .

١١- (كلا انها تذكرة)

في ضمير «انها» أقوال : ١ـ عن الكلبي و الاخفش : انه راجع إلى هذه السورة والمعنى : ان هذه السورة تذكرة لمن تذكر، وموعظة لمن اتعظ، وتبصرة لمن استبصر بها وتذكرة لمن ألقى السمع وهو شهيد .

٢ ـ قيل : إن الضمير راجع إلى القرآن الكريم ، و جيء مؤنثاً لتأنيث الخبر أو باعتبار إشتماله الدعوة الحقة والهداية والموعظة . و المعنى : ان هذا القرآن الكريم تذكرة للناس أجمعين ودعوة لهم إلى الحق والنور و العلم وإلى العزة والسعادة والكمال ... فعليك أيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن تدعوهم به، ودعوتك هذه

تذكير للناس من غير الزام فيه ولا إبرام، فليس لك أن تذهب إلى أبعد من هذا . . .

فمع كل إنسان عقله الذى يهديه، ومع كل إنسان فطرته التى من شأنها أن تدعوه إلى الخير والحق، و تصرفه عن الشر والباطل، وان رسالة الرسل ليست إلاّ ايقاظاً لهذا العقل إذا غفل، و تذكيراً لهذه الفطرة إذا نسيت ... وانه ليكفى لهذا أن يؤذّن مؤذّن الحق فى الناس.

٣ ـ عن مقاتل: انه راجع إلى الآيات القرآنية أى ان الايات القرآنية عظة للخلق كلهم. ٤ ـ قيل: انه راجع إلى الدعوة النبوية تذكرة للغافلين و تنبيه للجاهلين.

وقيل: اريد بالتذكرة هنا ان الله جل وعلا لاينصر الحق بمن يقول: أنا أكثر عدة و عدداً، بل بالمؤمنين المخلصين الذين تزدريهم الطغاة العتاة. ٥ ـ قيل: أى ان هذه العظة تذكرة للمتقين.

اقول: و الثانى هو الانسب بظاهر السياق و خاصة قوله تعالى: «فمن شاء ذكره» كما قال فى موضع آخر: «كلا انه تذكرة» المدثر: ٥٤).

١٢- (فمن شاء ذكره).

فى الاية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أى فمن شاء من الناس إتعظ بهذا القرآن وكان حافظاً له غير ناس. و قيل: أى فمن شاء ذكر القرآن أو ذكر مايذكّر به القرآن وهو الانتقال إلى ماتهدى إليه الفطرة البشرية مما تحفظه فى لوحها من الاعتقاد الحق و صالح العمل. ٢ ـ عن إبن عباس: أى من شاء الله تبارك وتعالى ألهمه. ٣ ـ قيل: أى فمن شاء ذكر ربه بهذه التذكرة التى جاءته من آيات الله تعالى التى يتلوها عليه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

اقول: و الاول هو الانسب بظاهر السياق.

١٣- (فى صحف مكرمة).

فی «صحف» أقوال : ١ ـ عن إبن عباس : أی هذا القرآن او هذه التذكرة فی كتب معظمة عندالله تعالی وهی اللوح المحفوظ . ٢ ـ قيل: أی ان هذا القرآن فی كتب الانبياء المنزلة عليهم عليهم السلام كقوله تعالی : « ان هذا لفی الصحف الاولی » والمعنی : ان هذا القرآن الذی بيناه لك يامحمد ﷺ ولكل الناس مسجل فی الكتب السماوية النازلة علی الانبياء الماضية عليهم السلام .

٣ ـ قيل : أی الفصول القرآنية وآيها التی كانت توحی الی النبی الكريم ﷺ هی مكتوبة فی صحف متعددة بايدی ملائكة الوحی . و الصحف : جمع الصحيفة ، و العرب تسمی كل مكتوب فيه صحيفة كما تسميه كتاباً .

أقول : و الثالث هو الانسب لانه متسق مع ظروف نزول الايات الكريمة ولكن التعبير بالصحف تعبير مجازی لان الوحی السماوی لم يكن يحمل إلی النبی الكريم ﷺ شيئاً مكتوباً فی صحف، وإنما كان يلقی مايحمله من وحی ربانی عليه إلقاءاً، ولعل فی التعبير تلقيناً بوجوب تدوين مايلقيه الوحی فی الصحف، أو إشارة إلی مصيره إلی ذلك ، والمأثور المتواتر ان النبی ﷺ كان يأمر بتدوين ماكان ينزل عليه الوحی من فصول القرآن الكريم فی صحف حين نزوله، حيث يكون قد لمح ذلك التلقين وعمل به . وليس بين هذا القول والقول الاول تناف فتأمل جيداً .

و فی قوله تعالی : « مكرمة » أقوال : ١ ـ قيل: أی مكرّمة فی الدين لما فيها من العلوم و المعارف و الحكم الربانية . . . ٢ ـ قيل : مكرمة لانها نزل بها كرام الحفظة أو لانها نازلة من اللوح المحفوظ . ٣ ـ قيل : مكرمة عندالله جل وعلا لانها نزلت من عند كريم ، فكرامته من كرامة صاحبه .

أقول : و لكل وجه، ولكن الاوجه هو التعميم من غير تناف بين الاقوال...

١٢- **(مرفوعة مطهرة)** .

فی « مرفوعة » أقوال : ١ ـ عن يحيی بن سلام : أی مرفوعة فی السماء

السابعة ، مرفوعة عن وحى الارض ، فانها وحى السماء ، مترفعة عن تدخل الارض و تحريفها ، مرفوعة عن أن تنالها أيدى الدس و التعريف و النسخ و التزييف ، و مرفوعة عن الشبهة و التناقض و الشك . ٢- قيل : أى ترتفع أحكامها على كل حكم . ٣ - عن الحسن : أى رفيعة القدر و مرفوعة الذكر عندالله جل و علا . ٤ - قيل : أى عالية القدر بتعاليمها النافعة .

اقول : و التعميم هوالانسب بظاهر الاطلاق .

و فى «مطهرة» أقوال : ١ - عن الحسن : أى مطهرة من كل دنس و عيب ونقص ، و مطهرة من قذارة الباطل و لغو القول و الريبة و التناقض ... و مطهرة من الجهالات و الضلالات ... ٢ - عن السدى و الجبائى : أى مصونة عن أن ينالها الكفار والمشركون، ولاأيديهم الأنجاس ... فلايمسها إلاّ المطهرون لأنها فى أيدى الملائكة فى أعزّ مكان . ٣ - عن الحسن أيضاً : أى مطهرة من أن تنزل على المشركين، ومطهرة من كل دنس فنزّهها عن ذلك، ومنزّهة عن مسّ الشياطين، و مطهرة عن أهل الخبائث لايمسّها إلاّ المطهرون من تلك الملائكة ، ومن إليهم من أصحاب الطهارة .

اقول : و التعميم هوالانسب بظاهر الاطلاق كالسابق .

١٥- (بايدى سفرة) .

فى «سفرة» أقوال: ١ - عن إبن عباس ومجاهد و قتادة ومقاتل : السفرة هم كتبة الوحى من الملائكة الذين ينسخونها من اللوح المحفوظ . قيل : هم سفراء الوحى من الملائكة الذين كانوا يتصدّون لحمل الصحف وايحاء مافيها من القرآن على رسول الله ﷺ وقيل : هم الملائكة الذين يبلغون وحى الله، جعلهم الله تعالى سفراء بينه وبين رسله، والمعنى : ان التذكرة محمولة من اللوح المحفوظ إلى رسل الله بأيدى ملائكة يسفرون بها بين الله سبحانه وبين رسله فهم سفراء الله تعالى إلى الرسل عليهم السلام .

٣ ـ عن الفراء : السفرة هم الذين يسعون بين الناس لاصلاح ذات البين . من أسفر الصبح إذا كشف و أضاء . و سفرت المرأة إذا كشفت النقاب عن وجهها

٤ـ عن مجاهد أيضاً : هم الملائكة الكرام الكاتبون لاعمال العباد في الأسفار التي هي الكتب . ٥ـ عن إبن زيد : السفرة هم الذين يحصون الاعمال . . .

٦ـ عن قتادة أيضاً : السفرة هنا هم القرّاء لانهم يقرؤن الاسفار و يكتبونها .

٧ـ عن وهب بن منبه : هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

اقول : والثاني هو الانسب بظاهر السياق و يؤيده طرفا هذه وهما سورتا النجم والقدر .

١٦ـ (كرام بررة)

في الاية الكريمة أقوال : ١ـ عن إبن عباس وعطاء : أي يتكرمون أن يكونوا مع إبن آدم إذا خلا بزوجته أو تبرز لغائطه . ٢ـ قيل : بررة جمع بار، وهنا بمعنى الصادق الأمين .

٣ـ عن الكلبي : أي كرام على ربهم . ٤ـ قيل : أي كريم خلقهم ، بررة أفعالهم ، طاهرة كاملة . ٥ـ قيل : أي هم يؤثرون منافع غيرهم على منافع أنفسهم.

٦ـ عن الحسن : أي كرام عن المعاصي ، يرفعون أنفسهم عنها ، صالحين في أعمالهم . ٧ـ قيل : أي كرام على ربهم بطهارة ذواتهم ، بررة عند الله تعالى بحسن أعمالهم ، فيطيعون الله جل وعلا ما امروا به ولا يعصونه .

اقول : وعلى الاخير أكثر المفسرين .

١٧ـ (قتل الانسان ما أكفره)

في « قتل الانسان » أقوال : ١ـ عن مجاهد : أي لعن الانسان . والمراد من الانسان كل كافر . فالانسان ههنا هو جنس الانسان الضال الكافر العنيد ، لا كل الانسان على إطلاقه .

٢ـ عن الضحاك : أي ضل الانسان . والمراد من هذا الانسان هو امية بن

خلف . ٣ـ قيل : أي قتل الله تعالى هذا الانسان ، والمراد من الانسان هو عثمان بن عفان . وهذا إخبار بأنه مقتول هواه و غبائه ، قتلته نفسه الامارة بالسوء ، قتلت روحه وضميره وقلبه ، فالجملة ليست دعاء بل إخبار .

٤ـ عن إبن عباس : أي خسر الانسان وعذّب . وهو عتبة بن أبي لهب. فان الاية نزلت في عتبة والمعنى : عذب عتبة حيث كفر بالقرآن وقال : كفرت برب النجم إذا هوى ودعا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

اقول : والاول هو الانسب بظاهر الاطلاق ، وأما المورد فليس بمخصص إذا لم يكن خاصاً .

وفي قوله تعالى : « ما أكفره » أقوال : ١ـ عن إبن جريج : أي ما أشد كفره وأبين ضلاله . وهذا على سبيل التعجب كأنه قد قال : تعجبوا منه ومن كفره مع كثرة الشواهد على التوحيد والايمان . على أن « ما أكفره » تعليل للدعاء على هذا الانسان الضال العنيد بالقتل والعذاب والخزي والخسران .

٢ـ عن مجاهد : أي أي شيء جعله كافراً ، وماذا دعاه إلى الكفر. هذا على وجه التوبيخ والتقريع بالاستفهام . ٣ـ عن مقاتل والكلبي : ما أكفره بالله ونعمه مع إحسان الله تعالى إليه وأياديه عنده . وهذا على سبيل التعجب من حال إفراطه في الكفران وتلقي نعم خالقه بالجحود والطغيان . فكأنه قال : ليس ههنا شيء يوجب الكفر و يدعو إليه ، فما الذي دعاه إليه من كثرة نعم الله تعالى عليه . فالمعنى : ما أجحده لنعم الله تعالى مع ظهورها . والمراد بالكفر كفران النعمة.

اقول : ولكل وجه ولكن الاوجه هو الثاني .

١٩ـ (من نطفة خلقه فقدره)

في « فقدره » أقوال : ١ـ قيل : أي فهيّأه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء والاشكال . . . ٢ـ عن إبن عباس : أي فقدّر في بطن امه يديه و رجليه و عينيه و سائر آرابه ، وقدّره حسناً أو دميماً ، وقصيراً أو طويلاً ، وشقياً ، أو سعيداً .

٣ - قيل : أى فقدّره أطواراً من نطفة ثم علقة - إلى - أن تمّ خلقه و على حدّ معلوم من طوله وقصره وسمعه وبصره وحواسه و أعضائه ، و مدّ عمره ورزقه وجميع أحواله . . . ٤- قيل : أى فسوّاه لقوله تعالى : « الذى خلقك فسواك » .

اقول : والتعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق .

٢٠- (ثم السبيل يسره)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- عن إبن عباس وعطاء والسدى وقتادة ومقاتل : أى يسّره للخروج من بطن امه إذ كان رأسه إلى رأس امه و رجلاه إلى رجليها ، فقلبه الله تعالى عند الولادة ، فسهّل خروجه منها . والمعنى : ثم طريق خروج الانسان من بطن امه يسّره . وقيل : إن نفس خروج الولد حياً من ذلك المنفذ الضيق من أعجب العجائب . وان الاية بصدد الامتنان على الانسان فى خلقه كقوله تعالى : « والله أخرجكم من بطون امهاتكم » النحل : ٧٨)

وقوله : « ونقرّ فى الارحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً » الحج:٥)

وقوله : « هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً » غافر : ٦٧)

٢- عن مجاهد والحسن : أى بيناله طريق الحق والباطل وأعلمناه وسهّلنا له العمل به ، ويسّر له سبيل الخير والشر والسعادة والشقاء . ٣- عن إبن زيد :أى يسّر له سبيل الاسلام ، و أعلمه به ، وسهلنا له السبيل إلى الخير والسعادة ، و جعلناه مختاراً فى فعله يسهل به سلوكه سبيل السعادة ، وطاعة الله تعالى وإمتثال أوامره وترك نواهيه ، ووصوله إلى الكمال الذى خلق لأجله .

٤- قيل : أى يسّر على كل أحد ما خلقه له وقدره عليه ، فكأنه قيل: إعملوا فكل ميسر لما خلق له . ٥- قيل : أى فهداه هداية تكوينية و هداية تشريعية فسهّل له طريق الحق والباطل ، طريق الايمان والكفر ، طريق الخير والشر ، وسبيل الجنة والنار .

اقول : وعلى الثالث جمهور المفسرين ، وفى معناه بعض الاقوال الاخر ، وإن كان الاول غير بعيد عن سياق الامتنان .

٢١- (ثم اماته فاقبره)

فى الاماتة أقوال : ١-قيل : الاماتة هى : خلق الموت فى الانسان. والمعنى: خلق الموت فى الانسان . ٢- قيل : « أماته » : أوقع الموت على الانسان . ٣- قيل : أى أزال عنه حياته . ٤- قيل : أى قبض روحه .

اقول : والثانى هو المؤيد بما ورد فى خلق الموت والحياة أوردناه فى تفسير سورة الملك فراجع .

وفى قوله تعالى : « فأقبره » أقوال :١- عن أبى مسلم : أى صيّره بحيث يقبر، وجعله ذاقبر يوارى فيه تكرمة له . والمعنى : جعله فى قبر يستره ، فلم يجعله مطروحاً على وجه الارض للطير والسباع كالحيوان وذلك بالالهام .

٢- عن أبى عبيدة : أى فأمر الله تعالى بدفن الانسان إكراماً له لتتوارى جيفته ، فلايتأذى بها الناس ولايتنفّروا عن جثته . والمعنى : جعل له قبراً وأمر أن يقبر . ٣- عن الفراء : أى جعله مقبوراً و لم يجعله ممن يلقى إلى الجوارح والكواسر والطير والعوافى . . .

اقول : ولكل وجه من غير تناف بينها فتأمل جيداً .

٢٣- (كلا لما يقض ما امره)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- عن مجاهد وقتادة : أى حقاً لم يقض أحد من الانسان من الكافر والمسلم - إطلاقاً - بعد من لدن آدم إلى هذه الغاية مع طول المدى وإمتداده ما أمره الله تعالى به بأسره ، فان أحداً لم يعبد الله عزوجل حق عبادته ، و لم يؤدّ حقه جل وعلا عليه مع كثرة نعمه ، فلايخلو أحد عن تقصير ما .

٢- عن إبن عباس : أى لم يف الانسان بالميثاق الذى اخذ عليه فى صلب آدم عليه السلام .

٣ ـ قيل : أى كلا ليس الامر كما يدّعى هذا الانسان الكافر من أنه قد أدّى حق الله تعالى عليه فى نفسه وماله، بل لم يقض ما أمره به، ولم يؤد ما فرض عليه من فرائض ربه . ٤ ـ قيل : ردع للانسان الكافر عن كفره بالله تعالى ورسوله ﷺ وكتابه وعن إنكاره المعاد . والمعنى : كلا ان الانسان الكافر لم يقض بعد ما أمره الله تعالى من التأمل فى دلائل التوحيد والبعث . وان الامر تشريعى ليس بتكوينى ، وإلاّ لكان نافذاً لا يرد .

٥ ـ قيل : « كلا » ردع و زجر ، أى ليس الأمر كما يقول الكافر ، فان الكافر إذا اخبر بالنشور قال : « ولئن رجعت إلى ربى ان لى عنده للحسنى » و ربما يقول : قد قضيت ما امرت به ، فقال تعالى رداً علته : كلا لم يقض شيئاً ، بل هو كافر بى و برسولى .

٦ـ عن الحسن: أى حقاً لم يعمل الانسان بما أمره الله تعالى به فى نفسه وماله.

٧ ـ عن إبن فورك : أى كلا لما يقض الله تعالى لهذا الانسان الكافر ما أمره به من الايمان و الطاعة و ترك الترفع و التكبر ، بل أمره بما لم يحكم له إتماماً للحجة . فالقضاء بمعنى الحكم . و الفاعل هو الله تعالى . وقيل : إن الله تعالى أمر هذا الانسان بالخير و نهاه عن الشر ، فأبى أكثر الناس إلاّ الشهوات و الاهواء ، و هنا يكمن شقاء الانسانية وبلاؤها . وقيل : « كلا» ردع للانسان عما هو عليه.

اقول : و الرابع هو الانسب بظاهر السياق ، لان ما فى الآيات الكريمة من الذم واللوم انما هو للانسان بما فى طبعه من الافراط فى الكفر عناداً ولجاجاً.

٢٤ـ (فلينظر الانسان الى طعامه) .

فى « الانسان » قولان : أحدهما ـ عن مجاهد : الانسان ههنا هو الكافر الذى اشير إليه فى قوله تعالى: «قتل الانسان ما أكفره» فالمراد به خصوص الانسان المبالغ فى الكفر . و المعنى : فلينظر الانسان الكافر المنكر لتوحيد الله تعالى إلى طعامه و شرابه كيف دبّره . ثانيهما ـ قيل: الانسان ههنا هو عام شامل لكل

إنسان ، و لذلك ظهر ، ولم يضمر .

أقول : وما يظهر من سياق الخطاب في قوله تعالى : « متاعاً لكم ولأنعامكم » يؤيد الثاني ، وعليه جمهور المفسرين .

وفي قوله تعالى : « طعامه » قولان : أحدهما ـ قيل : أي فلينظر الانسان كيف خلق الله تعالى طعامه الذي هو قوام حياته ؟ و كيف هيّأ له أسباب المعاش ؟ فالآيات بصدد بيان نواميس الطبيعة وسعة التدبير الربوبي التي تدهش اللب ، و تحيّر العقل وتعلق العناية الالهية ـ على دقتها وإحاطتها ـ بصلاح حال الانسان و إستقامة أمره . فليسئل كل انسان عقله : من الذي يسّر هذا الطعام ؟ الطبيعة و قوانينها ! والطبيعة من طبّعها ؟ أم الله جل وعلا ؟

ثانيهما ـ عن الحسن و مجاهد : أي فلينظر الانسان إلى مدخل طعامه و إلى مخرجه لما ورد : ان الملك يأتيه في الخلاء فيقول له عندئذ : انظر ما بخلت به إلى ما صار . فالاية بصدد الوعظ والتذكير بماهو مائل للناس و واقع تحت مشاهدتهم و حاصل بممارستهم .

وعن الضحاك بن سفيان الكلابي قال : قال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «ياضحاك ما طعامك ؟ قلت : يا رسول الله ! اللحم واللبن ، قال : ثم يصير إلى ماذا ؟ قلت: إلى ما قد علمته ، قال : فان الله ضرب ما يخرج من إبن آدم مثلاً للدنيا» .

أقول : والاول هو الظاهر لان الاية الكريمة و مايليها بصدد توجيه نظر الانسان إلى طعامه الذي يقتات به ، ويستمدّ منه لبقائه وهو واحد مما لا يحصى مما هيّأه التدبير الربوبي لرفع حوائجه في الحياة الدنيا حتى يتأمل فيه .

٢٨- (وعنباً وقضباً)

في « قضباً » أقوال : ١ـ عن إبن عباس والحسن : القضب : القتّ والعلف سمي بذلك لانه يقطع بعد ظهوره مرة بعد اخرى . والقضب : الثمار الغضة التي يتكرر قطف أشجارها . وأهل مكة يسمون القت قضباً . والقضب : إسم يقع على

ما يقضب من أغصان الشجرة ليتخذ منها سهام أوقسي. ويقال : قضباً يعنى جميع مايقضب مثل القت والكراث وسائرالبقول التى تقطع فينبت أصلها .

٢- عن إبن عباس أيضاً : القضب : الفصفصة و هو القت الرطب . ٣- قيل : القضب : الفصفصة الرطبة ، فاذايبست فهوقت .

اقول : والتعميم غيربعيد عن معناه اللغوى ، فيشمل لما يأكله الانسان من البقول والخضراوات ، فتقطع مرة بعد اخرى لانباتها كذالك ، و ما تأكله الانعام من العلف . . .

٣٠- (وحدائق غلباً)

فى « غلباً » أقوال : عن إبن عباس و مجاهد : أى عظاماً شجرها . يقال : شجرة غلباء : ملتفة مجتمعة طيبة . و يقال للأسد : الاغلب لانه مصمت العنق لا يلتفت إلاّ جمعاً . و رجل أغلب : بيّن الغلب إذا كان غليظ الرقبة . ٢- عن إبن عباس أيضاً : « غلباً » جمع أغلب ، وغلباء هى الغلاظ والطوال .

٣ - عن إبن زيد وقتادة : الغلب : النخل الكرام . عن إبن زيد أيضاً و عكرمة : الغلب : عظام الاوساط والجذوع .

اقول : ولكل وجه من غيرتناف بينها .

٣١- (وفاكهة وابا)

فى « فاكهة » أقوال : ١- عن الحسن و مجاهد وقتادة وإبن زيد : أى كل ما يأكله الانسان من ثمار الاشجار . فتطلق الفاكهة على الثمار كلها فذكر ما يدخل فى الفاكهة أولاً كالعنب والزيتون والنخل للاعتناء بشانه .

٢ - عن إبن عباس وإبن أبى طلحة : الفاكهة الثمار الرطب . ٣ - قيل : الفاكهة : ماعدا العنب والرمان .

اقول : وعلى الاول أكثرالمفسرين .

وفى قوله تعالى : « أبا » أقوال : ١- عن الحسن و مجاهد و قتادة و إبن

زيد : الاب : ما تأكله الانعام من الكلاء والمرعى والعشب ، و ما ترعاه البهائم من النبات .

وقيل : الاب : هوالمرعى والكلأ الذى لم يزرعه الناس مماتأكله الانعام .

وقيل : الأب للأنعام كالفاكهة للناس . و عن إبن عباس : الاب : ما أنبتت الارض من الكلاء والمرعى وهما مالايأكله الانسان وتأكلهما الانعام .ومايأكله الانسان هوالحصيد . وقال . عدّ سبعاً جعل رزقه فى سبعة و جعله من سبعة .

٢- عن إبن عباس أيضاً : الأب الثمارالرطبة . وقيل : سمى أباً لانه يؤمّ و ينتجع . والأب والام أخوان . ٣- عن الضحاك : الأب التين خاصة . وعنه أيضاً : الاب كل شيء ينبت على وجه الارض . ٤- عن الكلبى : الاب : هو كل نبات سوى الفاكهة . وعن أبى رزين : الاب : النبات . ٥- عن إبن عباس أيضاً و إبن أبى طلحة : الفاكهة رطب الثمار ، والاب يابسها وهو المعدّ للبقاء .

٦- عن عمر بن الخطاب : الأب مالانعلم معناه . و فى تفسيرالجامع لاحكام القرآن للقرطبى :وقال أنس : سمعت عمر بن الخطاب قرأهذه الاية ثم قال: كل هذا قد عرفنا فما الاب ؟ ثم رفع عصاً كانت بيده - أى كسرها غضباً على نفسه و لوماً لها - وقال : هذا لعمرالله التكلف ، وما عليك يابن ام عمر ألاتدرى ما الاب ثم قال: اتبعوا ما بيّن لكم من هذا الكتاب ومالافدعوه .

٧- قيل : الاب : الذى يمسك بالارض ، ويلتصق بها و يتأبىّ - مع صغره وضعف سوقه - على الرياح والعواصف أن تنتزعه من مكانه .

اقول : والاول هوالمروى عن طريق أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين .

٣٣- (فاذا جائت الصاخة)

فى « الصاخة » أقوال : ١- عن إبن عباس : هى الصيحة التى تكون عنها القيامة ، وهى النفخة الثانية ، تصيخ الأسماع أى تصمها فلا تسمع إلّا ما يدعى به

للاحياء . سميت بذلك لانها تصخ الآذان أى تبالغ فى أسماعها حتى تكادتصمها .

٢- عن إبن العربى : الصاخة هى التى تورث الصمم ، وانها لمسمعة تصمّ عن الدنيا وتسمع امور الآخرة .

٣- قيل : الصاخة هى التى تصيخ لها الاسماع من قولك : أصاخ إلى كذا أى إستمع إليه . ومنه الحديث : « ما من دابة إلاّ وهى مصيخة يوم الجمعة شفقاً من الساعة إلاّ الجن والانس » وسميت بالصاخة لانها يستمع لها الخلق .من صاخ فلان لصوت فلان إذا استمع له .

٤- عن إبن عباس أيضاً : الصاخة هى إسم من أسماء القيامة تقع فيها تلك الاحداث المزلزلة . والصاخة هى القارعة وهى طامة الكبرى .

٥ - عن الخليل : الصاخة هى صيحة تصخ الآذان صخاً أى تصمّها بشدة وقعها . وأصل الكلمة فى اللغة : الصديد الشديد . وقيل : هى مأخوذة من صخه بالحجر إذاصكه . وتقول العرب : صختهم الصاخة ، وباتتهم البائتة وهي الداهية .

اقول : وعلى الاول جمهور المحققين من المفسرين .

٣٤- (يوم يفرالمرء من أخيه)

فى الآية الكريمة أقوال : ١- قيل : أى يهرب المرء يوم القيامة من موالاة أخيه ومكالمته لانه لايتفرّغ لذلك لاشتغاله بنفسه . ٢ - قيل : أى يهرب المرء من ذويه الاقربين والأنسبين حذراً من مطالبتهم إياه لما بينهم من التبعات والمظالم . . .

ألماذا يفرّ المرء منهم إلاّ لأن كلاً ظالم بحقوقهم ، فيفرّ كيلا يطالبوه بظلمهم ، وإن لم يكن ظالماً ، فلماذايفرّ ، وليست الدارالاخرة إلاّ دارقرار : « و ان الاخرة هى دارالقرار » غافر :٣٩)؟

ألمخافة أن يطالبوه بشفاعة ، و انه من أهلها؟ وليسوا إلاّ قلةقليلة؟أم لانهم لا ينفعونه شيئاً ؟ « لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم » الممتحنة : ٣) و هذا لا

يستوجب الفرار أولانهم لا يعرفونهم : « فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » المؤمنون : ١٠١) ؟ أولمخافة أن يتعلقوا به لماذاقصرت تجاهنا ؟ وليست الامور كذلك إذاً فلما ذايفر؟ إلآن كلاً ظالم بحقوقهم فيفر لكيلا يطالبوه بظلمهم .

٣- قيل: يفر لئلايروا ماهوفيه من الشدة والفضاحة ، وما ينزل به من العذاب بما عمل في الحياة الدنيا . ٤- قيل : يفرمنهم لعلمه بانهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيئاً كما قال تعالى : « يوم لايغني مولى عن مولى شيئاً » .

٥- قيل : يفر المرء من أقربائه لما تبين له من عجزهم وقلة حيلتهم إلى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه ، ولو ظهر له ذلك في الدنيا لما اعتمد شيئاً سوى الله تعالى . ٦- قيل : يهرب فيه منهم لكونه مؤمناً وأقربائه من أهل النار؛ فيعاديهم ولايلتفت إليهم ، فيفر منهم لئلايرى ماتنزل بهم من الهوان. وقيل: اريد بالفرار قلة الاهتمام بشأن هؤلاء .

أقول : والتعميم غير بعيد إذ سبب الفرار كثير جداً فتدبر واغتنم .

٤٢- (اولئك هم الكفرة الفجرة)

في « الكفرة الفجرة » أقوال : ١- قيل : الكفرة في أديانهم والفجرة في أفعالهم ، فهم جامعون بين الكفر إعتقاداً ، والفجور وهو المعصية الشنيعة عملاً . ٢- قيل : أي الكافرون بالله تعالى ورسوله ﷺ وبما جاء به ، والفاجرون بنعمه جل وعلا ، والجاحدون بها . ٣- قيل : أي الكافرون بالله وأنعمه ، والخارجون عن حدود الله جل وعلا .

أقول : والتعميم غير بعيد .

﴿التفسير و التأويل﴾

١- (عبس و تولى) .

قبض النبي الكريم ﷺ وجهه ولوى بشرته وجمعها، وأعرض عن عبدالله بن مكتوم لتكريره النداء بالنبي المعصوم ﷺ و هو مشتغل بدعوة صناديد قريش طمعاً في إسلامهم ، و خوفاً من إضاعة الفرصة ، وقدكان على النبي ﷺ البلاغ و إن كانوا هم لايؤمنون .

و ان الاية الكريمة في معنى قوله تعالى : « و إن تدعوهم إلى الهدى لايسمعوا و تراهم ينظرون إليك وهم لايبصرون» الاعراف : ١٩٨) .

وقوله تعالى : « وما اكثرالناس ولو حرصت بمؤمنين» يوسف: ١٠٣) .

وقوله:«إن تحرص على هداهم فان الله لايهدى من يضل و مالهم من ناصرين» النحل : ٣٧) .

وقوله : « إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » القصص ٥٦).

٢- (أن جاءه الاعمى) .

لأجل أن جاء إلى النبي المعصوم ﷺ الاعمى الذى لايبصر بعينيه ، وهو عبدالله بن مكتوم ، وهو لم يكن عالماً بأمر النبي الكريم ﷺ ماهو مشغول به، فجعل يسئل رسول الله ﷺ أن يقرأه شيئاً مما أوحى الله تعالى إليه ﷺ فيناديه: علّمني يا رسول الله مما علّمك الله .

فقطعه عما هو ﷺ مشغول به ممن كان النبي الكريم ﷺ يرجو اسلامهم

من زعماء قريش الذين هو ﷺ حريص على إستجابتهم و هداهم ، فمضى ﷺ في حديثه مع هؤلاء الزعماء منصرفاً عن هذا الاعمى فانه ﷺ كان فى موقف براه الاولى ، من غير أن يكون فى موقف الممتنع عن تعليم الاعمى و تنويره ، أو طرده و الاعراض عنه بتاً .

و ليس فى هذا شيء ينافى خلقه ﷺ العظيم ، أو يناقض العصمة النبوية كما زعم بعض القشريين من المفسّرين ، و لا فيه من ترفيع أهل الدنيا و أصحاب الرئاسة وضعة أهل الاخرة وأصحاب التقوى و الهداية على مازعم بعض الآخرين .

٣- (وما يدريك لعله يزكى) .

و أى شيء يعلمك يا أيها النبى الكريم ﷺ باستحقاق هذا الاعمى العبوس والتولى عنه لعل هذا الاعمى الجائى يتطهر من دنس الجهل بما يسمع منك، و يتلقاه عنك ، فتزول عنه أو ضار الآثام ، و يزكى عما لا ينبغى ، و يستفيد بما يتعلّمه منك من القرآن الكريم : و يتطهر بما يلقى من الشرائع ، و يزداد علماً و صفاء روح ، فيعمل عملاً صالحاً .

ونظير الاية الكريمة فى العتاب ظاهراً، وليس بعتاب واقعاً قوله تعالى: «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداوة و العشى يريدون وجهه ماعليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين» الانعام:٥٢)

وقوله: « و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداوة و العشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا و لا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه وكان أمره فرطاً » الكهف : ٢٨) .

وقوله : « لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » الطلاق :١) .

و قوله : « فلعلك تارك بعض مايوحى إليك و ضائق به صدرك أن يقولوا لولا انزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير » هود : ١٢) .

و قوله : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً » الكهف : ٦) وغيرها من الآيات القرآنية يظهر منها العتاب، وليس فيها شائبة عتاب واقعاً ، وإنما فيها تلقينات و مبادىء أخلاقية وإجتماعية و سلوكية جليلة مستمرة المدى يجب على المسلمين ، وخاصة أصحاب الدعوات الاصلاحية والاجتماعية بأن يسيروا على ضوئه فى صلاتهم بالناس وخاصة بالمؤمنين .

٤- (أو يذكر فتنفعه الذكرى)

أو يتعظ هذا الاعمى بمواعظ القرآن الكريم وما تقول فيعتبر ، و يتخذ منها منهجاً لصالح الاعمال ، و دليلا فى سلوكه فى حياته . فيفعل ماينبغى ويترك مالاينبغى ، فتنفعه الذكرى فى دينه و دنياه . فمهمتك هى التذكير و الدعوة والارشاد لمن استرشد .

قال الله عزوجل : «فذكّر بالقرآن من يخاف وعيد» ق : ٤٥)

وقال : « وذكّر فان الذكرى تنفع المؤمنين» الذاريات : ٥٥)

وقال : «فذكّر إنما أنت مذكر» الغاشية : ٢١)

وقال : «سيذكر من يخشى» الاعلى: ١٠)

٥و٦- (اما من استغنى فانت له تصدى)

أما من استغنى من الاغنياء و ذوى الثراة والتقدم والرئاسة و العظمة فى أعين الناس ، والاستكبار عن إتباع الحق واستماع الوحى السماوى،عن الايمان و الهداية ، عن التزكية و دعوة الله جل وعلا وعما نزل عليك من الكتاب الذى يشتمل على المعارف والحكم الالهية ، فأنت لهذا المستكبر تتعرض بالاقبال عليه بوجهك والاهتمام بأمره طمعاً فى إسلامه ، ومزيد الرغبة فى ايمانه .

أفتطمع فى هؤلاء الطغاة الكفرة ، و القساة الفجرة أن يسمعوا منك أو يعقلوا قولك و يؤمنوا بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و باليوم الآخر، و إن هم إلاّ كالانعام بل هم أضلّ سبيلا ، فلهم قلوب لايعقلون بها ولهم أعين لايبصرون بها،

ولهم آذان لايسمعون بها، وهم أموات لاتسمع الدعاه .

قال الله تعالى :«لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون» الاعراف: ١٧٩)

وقال : «انك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين و ما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلاّ من يؤمن بآياتنافهم مسلمون » النمل : ٨٠ـ٨١)

٧ـ (وما عليك الا يزكى)

ولابأس عليك أيها النبى المعصوم ﷺ فى أن لايتزكى بالايمان وصالح الاعمال ... من ركب الجهل والضلال ، والكفر والطغيان : ولايهتدى بهدى الله عزوجل، إنما أنت الرسول ، وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين .

قال الله تعالى: «فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلاالبلاغ» الشورى : ٤٨)

وقال : « فهل على الرسول إلاّ البلاغ المبين» النحل : ٣٥)

٨ـ (وأما من جاءك يسعى)

وأما من جاءك ياأيها الرسول ﷺ ـ والجائى هو عبدالله بن امم‌كتوم ـ وهو يسرع إلى النبى المعصوم ﷺ فى إنطلاق وسوق فى الايمان وطلب الهداية و القرب منه ، و فى الاسترشاد إلى الخير وطلب العلم و معارف الدين و صالح الاعمال ... مع أنه فى قيد العمى و العجز .

٩ـ (وهو يخشى)

وحالكون هذا الاعمى العاجز يخشى الله تعالى ويخافه ويتقيه ، لانه كان متذكراً بالقرآن الكريم حيث ان الخشية آية التذكر به .

قال الله تعالى : «إنماتنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب» يس:١١)

وقال : « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلاّ تذكرة لمن يخشى» طه:٢و٣)

وقال : «فذكر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى» الاعلى : ٩ـ١٠)

و قال : « إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى ـ انما أنت منذر من يخشيها » النازعات : ٢٦ـ٤٥)

ولايخفى على القارىء الخبير مابين الخوف و الخشية و الشفقة و الاتقاء من الفروق :

و ذلك ان الخوف يتعلق بالمكروه و بتركه ، تقول : خفت زيداً كقوله تعالى: «يخافون ربهم من فوقهم» النحل: ٥٠) وتقول: خفت المرض كقوله تعالى «ويخافون سوء الحساب» الرعد : ٢١) و أما الخشية فتتعلق بمنزل المكروه فلا يسمى الخوف من نفس المكروه خشية،ولهذا قال تعالى : «يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب» الرعد : ٢١) .

ان تسئل : أليس الله سبحانه يقول حكاية عن هارون لأخيه موسى عليه السلام «إنى خشيت أن تقول فرّقت بين بنى إسرائيل» طه : ٩٤) ؟

تجيب : ان هارون خشى القول المؤدى إلى الفرقة والمؤدى إلى الشىء بمنزلة من يفعله .

وقال بعض الظرفاء : يقال : خشيت زيداً ، ولايقال : خشيت ذهاب زيد . فان قيل ذلك فليس على الاصل ، بل على وضع الخشية مكان الخوف ، و قد يوضع الشىء مكان الشىء إذا قرب منه .

وأما الشفقة فهى ضرب من الرقة وضعف القلب ينال الانسان ، ومن ثم يقال للام : إنها تشفق على و لدها أى ترق له ، وليست هى من الخشية و الخوف فى شىء لقوله تعالى : « ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون » المؤمنون : ٥٧) و لو كانت الخشية هى الشفقة لما حسن أن يقول ذلك كما لايحسن أن يقول : يخشون من خشية ربهم ، و من هذا الاصل قولهم : ثوب شفق إذا كان رقيقاً ، و شبهت به البداة لانها حمرة ليست بالمحكمة ، فقولك : أشفقت من كذا معناه ضعف قلبى عن إحتماله .

وأماالاتقاء ففيه معنى الاحتراس مما يخاف ، وليس ذلك في الخشية .

١٠- (فانت عنه تلهى)

فأنت تعرض وجهك عن هذا الاعمى ، وتتغافل عن إجابته إلى مطلبه ، و تشتغل بغيره من زعماء المشركين طمعاً فيإسلامهم ، ورجاه في هدايتهم بأنهم لو آمنوا واهتدوا وأصلحوا لآمنت مردتهم كلهم وأصلحت أذنابهم أجمعون ، و لكن هؤلاء الطغاة الكفرة والبغاة الفجرة من ذوى الثراة والرئاسة لا يخشون ربهم ولايخافون الاخرة ، فأقبل على من فتح للهدى قلبه ، وللاسلام صدره .

والله عزوجل ينصردينه بالقلة الهداة على الكثرة الطغاة وقد قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه‌السلام : « إن هذاالامر- يريد الاسلام- لم يكن نصره ولاخذ لانه بكثرة ولابقلة وهودين الله الذىأظهره وجنده الذى أعده وأمده حتى بلغ ما بلغ » .

١١- (كلا انها تذكرة)

ليس الامر كما فعلت مع الفريقين من الاقبال على الطغاة ذوى الثراة والرئاسة طمعاً في إسلامهم ، والاعراض عن المؤمن الاعمى ، ان هذا القرآن الكريم المشتمل للمعارف والحكم والمواعظ تذكرة للناس أجمعين ، و إنما أنت مذكرلهم بهذا الوحى السماوى من غيرإكراه ولا إلزام فيالدين ،ولاإجبار فيالقبول على التذكر .

قال الله تعالى : « وما أكثرالناس ولو حرصت بمؤمنين و ما تسئلهم عليه من أجرإن هوإلا ذكر للعالمين » يوسف : ١٠٣ و١٠٤)

وقال : « كلا انه تذكرة » المدثر : ٥٤)

وقال : « فذكر إنما أنت مذكرلست عليهم بمصيطر » الغاشية : ٢١ و٢٢)

وقال : « ولقد يسّرنا القرآن للذكرفهل من مذكر » القمر : ١٧)

و في المجمع : فيقوله تعالى : « كلا» قال : فيه دلالة على أنه ليس له

أن يفعل ذلك في المستقبل وأما الماضي فلم يتقدم النهي عن ذلك فيه فلا يكون معصية ، إنتهى كلامه ورفع مقامه .

وهذا التعميم لاينافي كون القرآن الكريم مذكراً للمتقين و من يخاف وعيد الله تعالى ، ومن جاء بقلب منيب . . . باعتبار تذكرهم بهذا الكتاب الكريم في قوله تعالى : « وانه لتذكرة للمتقين » الحاقة : ٤٧)

وقال : « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » ق : ٤٥)

وقال : « كتاب انزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به و ذكرى للمؤمنين » الاعراف : ٢)

وقال : « وما يتذكر إلاّ من ينيب » غافر : ١٣)

١٢- (فمن شاء ذكره)

فمن شاء أن يتذكر بهذا القرآن الكريم تذكّر به ، وحفظ بما فيه من المعارف والحكم والمواعظ ، و من الاوامر والنواهي ، والترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، و ما تهدي إليه الفطرة البشرية من الاعتقاد الحق ،و صالح الاعمال . . . فانتفع واتخذ إلى ربه سبيلاً ومن لم يشأفعليه وبال أمره .

والاية الكريمة في معنى قوله تعالى : « إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذإلى ربه سبيلاً » المزمل : ١٩)

و قوله : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها » الكهف : ٢٩)

١٣- (في صحف مكرمة)

ما ذكرناه من أن هذاالقرآن الكريم تذكرة متنسخ من اللوح المحفوظ، و مكتوب في الفصول المتعددة والسور القرآنية وآيها . . . هي معظّمة مبجلة عندالله جل وعلا ، مكرمة لانها نزل بها كرام الحفظة ، ومكرمة في الدين لمافيها من العلوم والمعارف الالهية والحكم الربانية ، ولما تهدي المجتمع البشري إلى

مافيه كماله وسعادته وعزته وسيادته . . . في الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى : « إنا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم » الزخرف : ٣و٤)

وقال: «بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ» البروج: ٢١ ـ ٢٢)

وقال : « رسول من الله يتلوا صحفاً مطهرة فيها كتب قيّمة » البينة:٢-٣)

١٤- (مرفوعة مطهرة)

رفيعة القدر عند الله جل وعلا ، وعالية المنزلة بتعاليمها النافعة ، مطهرة عن قذارة الباطل ، و لغو القول والهزل ، مطهرة من الشكوك والشبهات ، من الاختلاف والضلالات ، و من التناقض والجهالات ، و مطهرة من مسّ غير المتطهرين . . .

قال الله تعالى : « تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين » السجدة:٢)

وقال : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً» النساء : ٨٢)

وقال : « ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين » البقرة : ٢)

و قال : « انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لايمسّه إلاّ المطهرون » الواقعة : ٧٧ ـ ٧٩)

وقال : « انه لقول فصل وماهو بالهزل » الطارق : ١٤)

وقال : « وانه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد » فصلت : ٤١ ـ ٤٢)

وقال : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » الحجر : ٩)

١٥- (بايدي سفرة)

السفرة هم السفراء الربانيون الذين أرسلهم الله تعالى للبلاغ من جبرئيل أمين الوحي وأعوانه من الملائكة الذين كانوا ينزلون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

والمعنى : ان هذا القرآن الكريم تذكرة مكتوبة في صحف متعددة، رفيعة

القدر ، مطهرة من كل عيب و نقص ، أنزلها الله تعالى بأيدى سفراءه من أمين الوحى وملائكته على محمد رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم فهم الذين كانوا يتصدون لحمل الصحف وايحاء مافيها من المعارف والحكم على النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بأمر الله عز وجل.

قال الله تعالى : « الله يصطفى من الملائكة رسلاً » الحج : ٧٥)

وقال : « جاعل الملائكة رسلاً » فاطر : ١)

وقال : « تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر » القدر :٤)

ولايخفى على القارىء الخبير : ان نسبة إلقاء الوحى إلى الملائكة وهم أعوان جبرئيل عليه السلام لاتنافى نسبته إلى جبرئيل عليه السلام نفسه فى مثل قوله تعالى « قل من كان عدواً لجبريل فانه نزّله على قلبك باذن الله » البقرة : ٩٧)

قيل لهم : سفرة إمالانهم يبيّنون ما امروا به ويكشفونه من أسفر الصبح إذا أضاء ، وسفرت المرأة إذا كشفت النقاب عن وجهها ، وإما لانهم كانوا يظهرون بعد ماكانوا يخفون عن الاعين ، فيبلغون وحى الله تعالى وقرآنه .

١٦- (كرام بررة)

كرام عندالله عز وجل بطهارة ذواتهم ، أطهار لم يتدنسوا بمعصية ولم يقارفوا ذنباً ، بررة امناء عندالله تعالى بحسن أعمالهم ، مخلصون له عز وجل فيما يقومون من مهمة السفارة بينه سبحانه وبين رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، مطيعون له تعالى ،صادقون فى أعمالهم . . .

قال الله تعالى فيهم : « لايستكبرون عن عبادته و لا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لايفترون - بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» الانبياء : ١٩ _ ٢٧)

وما ورد فى المقام فمن باب التأويل وهو اللب فتأمل واغتنم جداً .

١٧- (قتل الانسان ما أكفره)

قتل الله تعالى كل إنسان كافر ضال عنيد لجوج . . . ما أبين كفره وضلاله ،

وما الذى دعاه إلى العناد واللجاج . . . فخالف فطرته ، وبالغ فى الكفر بربوبية ربه مع كثرة الشواهد والدلائل على التوحيد ؟ وما أشد كفرانه وجحده بنعمة الله عزوجل وقد أحاطته ! « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » ابراهيم : ٣٤)

فالمراد بالكفر مطلق ستر الحق ، فينطبق على إنكار الربوبية وترك العبادة وكفران النعمة والعصيان .

فحلّ محلّ من يدعى عليه بالقتل بسبب كفره و كفرانه ، فيخرج الكلام مخرج الدعاء عليه فدعا الله تعالى عليه بالقتل على سبيل التعجيب أى اعجبوا من كفر الانسان و كفرانه مع ما شاهده من دلائل توحيد ربوبية ربه وبحار رحمته! أو المعنى : قتله الله تعالى ما الذى دعاه إلى الكفر و ما حمله على الكفران على سبيل التوبيخ والتقريع .

ونظير المقام فى الدعاء قوله تعالى : « قتل الخرّاصون الذين هم فى غمرة ساهون » الذاريات : ١٠ ـ ١١)

وقوله : « هم العدوّ فاحذرهم قاتلهم الله أنى يوفكون » المنافقون :٤)

وقوله: «ذرنى ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالاً ممدوداً وبنين و شهوداً ومهدت له تمهيداً ثم يطمع ان أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيداً سارهقه صعوداً انه فكّر وقدّر فقتل كيف قدّر» المدثر : ١١ ـ ١٩)

١٨- (من اى شىء خلقه)

من أىّ شىء حقير لاقوام له ، ومهين لاقيمة له ، وضعيف لا يعبأ به ، خلق الله عزوجل هذا الانسان الكافر الضال العنيد اللجوج ؟ فمن كان هذا أصله فلا ينبغى له التجبر والتعظم والتكبر والتمرد عن الاقرار بتوحيد خالقه ، وعن طاعة ربه ، وليس له أن يعاند الحق ، ويحاول القفز وراء الحدود والمقاييس ، فلم لا ينظر هذا الانسان إلى أصل خلقته ومادته من أىّ شىء خلقه ليدله على وحدانية خالقه؟

قال الله تعالى : « أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل و لم يك شيئاً »

مريم : ٦٧)

وقال : « فلينظر الانسان مم خلق » الطارق : ٥)

١٩- (من نطفة خلقه فقدره)

من ماء عفن يسير ، من ماء نتن حقير ، من ماء قذر مهين ، ومن مني يمنى خلق الله تعالى هذا الانسان ، فهيأه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء والاشكال... ومن القوى الظاهرة والباطنة ، فقدّر الله جل و علا خلق هذا الانسان و حدّد صورته وشكّل ذاته وحياته من تلك النطفة القذرة ؛ ومن هذا الماء الرجس على الوجه الذى إقتضته إرادة الخالق عزوجل فيه . . . و قدّر كل عضو فى الكيفية والكمية على التقدير اللائق بمصلحته ، وقدّره أن يكون ذكراً أوانثى ، جميلاً أوقبيحاً ، سواداً أوبياضاً ، ذكياً أوغبياً ، غنياً أوفقيراً ، وإلى غير ذلك مما يتصل بالانسان ذاتاً وحياتاً وصفات . . .

فليس له أن يتعدى الطور الذى قدّر الله الخالق متعال له ، ولا أن يتجاوز الحد الذى عيّن له ، فقد أحاط به التدبير الربوبى من كل جانب ، إذ دبّر خلقه على ناموس محسوب قديم ، فليس له أن يستقلّ بنيل مالم يقدّر له ، فمن كان هذا أصله فكيف أن يطغى أن رآه استغنى ؟ و من خرج من مخرج البول مرتين فكيف يتعدى عن حدود الله تعالى ؟ و كيف يستكبر عن العبودية لله الخالق المتعال ؟ ؟ ؟

قال الله تعالى : « ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوّى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى » القيامة : ٣٧ ـ ٣٩)

وقال : « ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين إلى قدر معلوم » المرسلات : ٢٠ ـ ٢٢)

وقال : « خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » الطارق : ٦ـ٧)

وقال : « أولم ير الانسان إنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين » يس : ٧٧)

وقال : « الله يعلم ماتحمل كل انثى وماتغيض الارحام وما تزداد و كل شيء عنده بمقدار » الرعد : ٨)

وقال : « وخلق كل شيء فقدّره تقديراً » الفرقان : ٢)

وقال : « انا كل شيء خلقناه بقدر » القمر : ٤٩)

وقال : « ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً » الطلاق : ٣)

٢٠- (ثم السبيل يسره)

ثم سبيل الكمال سهّله لهذا الانسان بطريقي العقل والشرع ويسّر له سلوكه إذ أوجد فيه قابلية القدرة على هذا السبيل ، فجعله متمكنا من سلوك سبيلي الخير والشر ، سبيلي الهدى والضلالة ، سبيلي الحق والباطل ، طريقي الايمان والكفر ، طريقي السعادة والشقاء و طريقي الجنة والنار ، وأودع فيه ما يعرف به خالقه و آتاه قدرة العمل ، ووهبه العقل الذى يميز به بين الاعمال : حسنها وقبيحها ، صالحها وفاسدها . . . فسهّل لهسبيل الكمال ويسّر له سلوكه في باطنه ، وبيّن له هذا الطريق القويم بلسان رسوله . . .

إذبعث إليه الرسل مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب المشتملة على الحكم والمواعظ والدعوة إلى أنواع البر وصالح الاعمال ، وعرّفوه عاقبة كل عمل ونتيجته ، وحذّروه من الشر والهاوية . . .

فزوّد الله عزوجل هذاالانسان بهاتين الهدايتين للسعادة والكمال لاللشقاء والانحطاط ، للبناء والعمران لاللهدم والخراب ، لاصلاح نفسه والمجتمع البشرى لا للافساد في الحرث والنسل والخسران .

قال الله تعالى : « إناهديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » الانسان:٣)

وقال : « الذى خلق فسوّى والذى قدّرفهدى » الاعلى : ٢و٣)

وقال : « وهديناه النجدين » البلد : ١٠)

وقال : « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لاتبديل

لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون » الروم : ٣٠)

وقال : « قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » يوسف: ١٠٨)

٢١- (ثم أماته فاقبره)

ثم أمات الله تعالى هذا الانسان بايقاع الموت المخلوق عليه ، فيـزيل به عنه حياته بعد أن انتهى أجله المقدر له في الحياة الدنيا ، و جعل له الارض بعد الموت قبراً يدفن ، و يوارى جسده فيه إذ علّمه فى بداية أمره كيف يوارى سوأة ميته تحت التراب كرامة له ورعاية ، ولم يجعل جثته أن تترك على وجه الارض للجوارح والسباع ، فلاتظهر الاحوال التى تعرض له بعد الموت من تعفن وتفسخ وتحلل ، والتى من شأنها أن تثير الاشمئزاز والهوان للكائن الانسانى كله، فكان هذا الدفن وإخفاء الجسد في القبر مواراة لهذه السوءات تكرمة له ، ولهذا قيل : « من تكريم الميت التعجيل بدفنه » .

قال الله تعالى : « وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا » الانعام : ٦١)

وقال : « الذى خلق الموت والحياة » الملك : ٢)

وقال : « ألم نجعل الارض كفاتاً أحياء وأمواتاً » المرسلات : ٢٥ و٢٦)

و قال : « فبعث الله غراباً يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فاوارى سوأة أخى »المائدة :٣١)

٢٢- (ثم اذا شاء أنشره)

ثم إذا شاء الله تعالى أن يحيى هذا الانسان المقبور أحياه وبعثه من قبره بقدرته التى لايعجزها شىء ، للحساب والجزاء من غير أن يعلم أحد وقته .

قال الله تعالى : « وانه يحيى الموتى وانه على كل شىء قدير وان الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور » الحج : ٦و٧)

وقال : « وإذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدّمت وأخّرت » الانفطار: ٤-٥)

وقال: « يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لايجلّيها لوقتها إلاّ هو ثقلت في السموات والارض لاتأتيكم بغتة يسئلونك كأنك حفيّ عنها قل إنما علمها عندالله ولكن أكثر الناس لايعلمون» الاعراف : ١٨٧)

وقال : «وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير» النحل : ٧٧)

٢٣- (كلالما يقض ماامره)

ليس الامر كما ينبغي أن يكون هذا الانسان الكافر العنيد من أن يتأمل في دلائل التوحيد: الآفاقية والأنفسية، وفي قدرة الله جل وعلا على كل شيء ،وفيما أنعم الله تعالى عليه ، فيخضع للربوبية ، ويشكره على ما أنعم عليه من النعم...

بل لم يقض بعد ما أمره الله عزوجل من التأمل في دلائل التوحيد ومشاهد القدرة المطلقة الالهية في نواميس الكون، ولافي النعم الالهية التي افيضت عليه، فتلبس بالكفر و الطغيان ، وأفرط في الفسق و العصيان ، و انهمك في الشهوات واتبع الشيطان عناداً ولجاجاً .

و نظير الاية الكريمة قوله تعالى : «ذرني ومن خلقت و حيداً وجعلت له مالاً ممدوداً وبنين و شهوداً ومهّدت له تمهيداً ثم يطمع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيداً » المدثر: ١١-١٦)

وقوله : « كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى» العلق : ٦-٧)

وقوله : « كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة» القيامة : ٢٠)

٢٤- (فلينظر الانسان الى طعامه)

فلينظر كل إنسان : من مسلم وكافر، من ذكر أو انثى ، ومن أسود وأبيض ... نظر تأمل وإستدلال ، ونظر تدبر و إعتبار إلى طعامه الذي يأكله و يتقوّته من الاطعمة الشهية اللذيذة ...

فعلى الانسان أن يتدبر كيف خلق الله عزوجل طعامه الذي هو قوام حياته وهيأه

لرزق عباده ؟ أن يتأمل كيف هيّأ الله تعالى للانسان أسباب المعاش ليستعد بها للمعاد ؟ أن يتفكر كيف مكّنه من الانتفاع بذلك كله ؟ و أن ينظر إلى الحبوب و أنواعها و إلى الثمار و طعومها و الى النبات و ألوانها، وفيما يتمتع به ممايسّره الله جل وعلا من أسباب الغذاء المتنوع لـه و لانعامه ؟ فليعلم أن لايتم هذا إلاّ بتيسير الله و رعايته و تدبيره و تقديره ، و تفضل منه جل وعلا فليس من طريق الصدفة .

قال الله تعالى : « قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والارض وهو يطعم ولايطعم ـ وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنابه نبات كل شيء فأخرجنامنه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب و الزيتون و الرمان مشتبهاً وغيرمتشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » الانعام : ١٤ ـ ٩٩) .

وقال: «ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » النحل : ١١) .

وقال: «أولم يروا إلى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ان فى ذلك لآية وماكان أكثرهم مؤمنين » الشعراء : ٧ ـ ٨) .

٢٥- (أناصببنا الماء صباً) .

انا صببنا الماء من السحاب الثقال صباً و أنزلنا الغيث إنزالاً على الارض لاحياء الارض بعد موتها ، و إنبات النبات و نشر رحمته و لتطهير كم به .

والصب : إراقة الماء من العلو ، فشمول الصب لاجراء العيون والانهار بعيد جداً لما فى معنى الصب من السكب و العلو .

قال الله تعالى : « و هو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته حتى إذا قلّت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون» الاعراف : ٥٧)

وقال : « وهو الذى ارسل الرياح بشراً بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهوراً لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً » الفرقان: ٤٨ ـ ٤٩)

وقال : « ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون » الواقعة : ٦٩)

وقال : « ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلّف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزّل من السماء من جبال فيها من برد » النور : ٤٣)

وقال : « هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب و منه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » النحل : ١٠ ـ ١١)

وقال : « وينزّل عليكم من السماء ماء ليطهركم به » الانفال : ١١)

٢٦- (ثم شققنا الارض شقاً)

ثم شققنا الارض بالنبات شقاً بديعاً ، وفتقناها فتقاً شاهداً مرئياً لمن نظر إليها بعد أن كانت متماسكة الاجزاء، فتقاً لائقاً بما يشقها من النبات صغراً وكبراً وشكلاً وهيئة .

قال الله تعالى : « وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء إهتزّت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » الحج : ٥)

٢٧- (فانبتنا فيها حباً)

فأنبتنا فى الارض حباً كثيراً متنوعاً من حنطة وارز وشعير وذرة وسائر ما يحصد ويدّخر ويتغذى به الانسان .

قال الله تعالى : « وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون » يس : ٣٣)

وقال : « وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً لنخرج به حباً ونباتاً » النباء : ١٤ ـ ١٥)

وقال : « و نزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد » ق : ٩)

وقال : « ان الله خالق الحب والنوى ـ و هو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكماً ـ ان فى ذلكم لايات لقوم يؤمنون » الانعام : ٩٥ ـ ٩٩)

٢٨- (وعنباً وقضباً)

وأنبتنا عنباً ـ شجر الكرم ـ وقضباً و هو القت الرطب الذى تأكله الانعام من النبات ، و ما يأكله الانسان من الخضراوات والبقول وما إليها غضاً طريا و سمى قضباً لانه يقطع مرة بعد مرة اخرى ، أوالمراد من « قضباً » هوالثمار الغضة التى يتكرر قطف أشجارها .

قال الله تعالى : « فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون » المؤمنون : ١٩)

و قال : « ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب و من كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » النحل : ١١)

٢٩- (وزيتونا ونخلاً)

وأنبتنا شجرة الزيتون الذى يعصر عنه الزيت ليكون إداماً ، وأنبتنا نخيلاً تثمر تمراً .

قال الله تعالى : « والتين والزيتون وطور سنين » التين : ١ ـ ٢)

و قال : « و شجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين » المؤمنون : ٢٠)

وقال : « وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية و جنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً و غير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر و

ينعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » الانعام : ٩٩)

وقال : « ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراً و رزقاً حسناً إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون » النحل : ٦٧)

٣٠- (وحدائق غلباً)

الحدائق : جمع حديقة وهى البستان ، والغلب جمع غلباء ، وهـى شجرة عظيمة غليظة مثمرة .

والمعنى : وأنبتنا بساتين كثيرة الاشجار العظيمة ، ملتفة الأغصان، مختلفة الثمار ، ذات حوائط تحيط بها ، وذات الظلال والفواكه تمتع بها العين الناظرة وتبتهج منها النفس الانسانية، ويسرّ فيها القلب الجائى إليها لينعم ويهنأ بالاستظلال بظلها بعد أن يستوفى حاجته من طعامها . . .

قال الله تعالى : « أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها ء إله مع الله بل هم قوم يعدلون » النمل : ٦٠)

٣١- (وفاكهة وابا)

وفاكهة يتفكه بها الانسان من ثمار الاشجار كالتين والتفاح والخوخ وسفرجل وغيرها من سائر ألوان الفواكه وأنواعها . . . وعشباً و كلأ ومرعى ومإليها مما تأكله الانعام . . .

قال الله تعالى : « والارض وضعها للأنام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان » الرحمن : ١٠ ـ ١٢)

وقال : « فأنشأنا لكم به جنات من نخيل و أعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون » المؤمنون : ١٩)

٣٢- (متاعاً لكم ولانعامكم)

أنبتنا ما ذكرناه سابقاً لتمتعوابه أيها الناس تمتيعاً لأنفسكم ، ولانعامكم

التى خصصناها بكم .

قال الله تعالى : « أولم يروا انا خلقنالهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون» يس : ٧١)

وقال: «أخرج منها ماءها ومرعاها-متاعاً لكم ولانعامكم» النازعات: ٣١-٣٣)

وقال:«الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوها منها ومنهاتأكلون»غافر:٧٩)

وقال : «فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم » السجدة : ٢٧)

٣٣- (فاذا جائت الصاخة)

الصاخة فى الأصل : الصاكة للآذان من شدة الصوت بضرب الحديد على الحديد أو بالعصا الصلبة على شىء مصمت ، فيسمع إذ ذاك صوت شديد .

و المراد بها هنا الصيحة الشديدة التى تصخ لها الخلائق لشدة صيحتها التى تصم الاسماع من شدتها وذلك عند تخريب الكون ووقع بعض أجرامه على بعض ، وتمزق عندئذ الروابط التى لاتنفصم فى الحياة الدنيا .

والمعنى : فاذا جائت الصيحة التى تقع عندها القيامة بالنفخة الثانية التى تصم الاسماع ، فلاتسمع إلا مايدعى به للاحياء .

قال الله تعالى : « و استمع يوم يناد المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج» ق : ٤١-٤٢)

و قال : «إن كانت إلاصيحة واحدة فاذاهم خامدون ـ و نفخ فى الصور فاذاهم من الاجداث إلى ربهم ينسلون قالوا يا و يلتنا من بعثنا من مرقدنا هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون إن كانت إلاصيحة واحدة فاذاهم جميع لدينا محضرون» يس : ٢٩-٥٣)

٣٤- (يوم يفر المرء من أخيه)

تجيىء الصاخة فى يوم يهرب فيه المرء من أخيه لاشتغاله بنفسه عن غيره من شدة مايرى من الاهوال العظام ، فان البلية إذا عظمت واشتدت على الانسان جذبته إلى نفسها وصرفته عن كل شىء ، فيفر ممن يتوهم انه يتعلق به ، ويطلب

معونته على ما هو فيه لان الهول هناك هول نفسي يفزع النفس و يفصلها عن محيطها وعنها أيضاً .

قال الله تعالى: «فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ أين المفر» القيامة : ٧-١٠)

و قال : «يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد» الحج: ٣)

و قال : « فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » المؤمنون : ١٠١)

وقال : «الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين» الزخرف: ٦٧)

٣٥- (وامه وأبيه)

بل يفرّ المرء يوم القيامة من امه وأبيه و أنهما أقرب منه و قد كان في الحياة الدنيا يأوى إليهما

٣٦- (وصاحبته وبنيه)

بل يفرّ يومئذ من زوجته التي هي ألصق الناس به ، وهو أونس بها ، وقد كان في الحياة الدنيا يبذل النفس والنفيس في الدفاع عنها ، بل يفرّ من بنيه الذين كانوا له أعضاداً وأنصاراً يلوذ بهم، وهم فلذات كبده . وقد كان في الحياة الدنيا يفديهم بماله وروحه، وهم ريحانة دنياه ونور الحياة أمام عينه،ولكنه يومئذ لشدة أهوال هذا اليوم و إشتغال المرء بنفسه عن غيره بحيث لايلتفت إليها ولا إلى هؤلاء طالباً النجاة لنفسه من تلك الاهوال التي لاتدع فرصة لغير المؤمنين أن ينظروا إلى غير أنفسهم ، وأما المؤمنون فهم من فزع يومئذ آمنون .

قال الله تعالى : « ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات و من في الارض إلاّ من شاء الله و كل أتوه داخرين - من جاء بالحسنة فله خيرمنها وهم من فزع يومئذ آمنون» النمل : ٨٧-٧٩)

و قال: «ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ـ لايحزنهم الفزع الاكبر و تتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون» الانبياء: ١٠١ ـ١٠٣)

٣٧- (لكل امرىء منهم يومئذ شان يغنيه)

لكل امرىء من هؤلاء الكفرة الباغية، من هؤلاء الفجرة الطاغية، من هؤلاء السفلة العاصية، و من هؤلاء الجهلة الفاسقة يوم القيامة أمر عظيم هائل يشغله عن أمر غيره، فيشتغل كل واحد منهم بنفسه عن غيره إذ لكل امرىء من هؤلاء الببغاة من الرهب ومايرهب من الاهوال والشدائد، ومايخشى من مناقشة الحساب ... شأناً يغنيه، ويصده عن ذوى قرابته، فليس لديه فضل فكر ولاقوة يمدّ بها غيره أويركبه الهم النفسى حتى ملأصدره، فلم يبق فيه متسع لهم آخر

قال الله تعالى: «ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين يوم لايغنى مولى عن مولى شيئاً ولاهم ينصرون إلاّ من رحم الله» الدخان: ٤٠ـ٤٢)

٣٨- (وجوه يومئذ مسفرة)

وجوه يوم القيامة مضيئة مشرقة بالبهجة والمسرة، منبسطة الأسارير، و تظهر منها علامة الفرح و الطمأنينة لما علم أصحابها مالهم من الفوز و النعيم المقيم، وهم المؤمنون الصالحون السعداء وأهل الكمال والفلاح ...

قال الله تعالى: «يوم تبيضّ وجوه ـ و أما الذين ابيضّت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون» آل عمران: ١٠٦ـ١٠٧)

وقال: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» القيامة: ٢٢ـ٢٣)

و قال: «وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية فى جنة عالية لاتسمع فيها لاغية» الغاشية: ٨ـ١١)

وقال: «تعرف فى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون» المطففين: ٢٤ـ٢٦)

٣٩- (ضاحكة مستبشرة)

ضاحكة من السرور بما أعطاها الله عزوجل من النعيم والكرامة ،وماتجد من برد اليقين بأنها ستوفّى ماوعدت به من جزاء ايمانها ، وما قدمت من صالح الاعمال و من شكر نعم ربها و ايثارها ما أمرها به على ماتهواه ، مستبشرة لما كانت ترجو من الزيادة وماهبّ عليها من أنسام الرضوان والجنان ، ومن مشاهدة مافيه البشرى من الزيادة .

قال الله تعالى : «يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم بشرا كم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم» الحديد: ١٢)

وقال: «وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون»الانبياء:١٠٣)

وقال : «ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولاأنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون» الزخرف : ٦٨-٧٠)

وقال : «فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية» القارعة: ٦-٧)

و قال : «ياأيتها النفس المطمئنة إرجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتّى» الفجر: ٢٧-٣٠)

٤٠- (و وجوه يومئذ عليها غبرة)

و وجوه يوم القيامة يعلوها غبار الحزن و الأسى ، غبار الحسرة و الهوان غبار الغم والذل ، وغبار الفجور وسواد الفسق . .

قيل : الغبرة ماانحطت من السماء إلى الارض ، والقترة ماارتفعت من الارض إلى السماء .

قال الله تعالى: « فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون» آل‌عمران : ١٠٦)

وقال : « و وجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة» القيامة: ٢٤-٢٥)

وقال : «وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية» الغاشية:٢-٤)

٢١- (ترهقها قترة)

تغشى تلك الوجوه ظلمة الكفر والشرك و سواد البغى و العصيان ، ظلمة الاستكبار والعتو،وسواد الجرم والطغيان،وظلمةالعناد واللجاج ، وسواد الفجور و الكفران . . . فأصحابها يعرفون بها يوم القيامة ، كما أن المؤمنين الصالحين يعرفون بسيماهم .

قال الله تعالى : «والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من اللهمن عاصم كأنما اغشيت وجوههمقطعاً من الليل مظلماًاولئكأصحاب النارهم فيها خالدون» يونس:٢٧)

وقال : «وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزى الله كل نفس ما كسبت» إبراهيم : ٥٠-٥١)

و قال : «يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليسفى جهنم مثوى للمتكبرين» الزمر: ٦٠)

وقال : «يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام» الرحمن: ٤١) .

وقال: «يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهمفى وجوههم من أثرالسجود» الفتح : ٢٩)

٢٢- (اولئك هم الكفرة الفجرة)

هؤلاء الذين هذه أحوالهم يوم القيامة ، هم الكافرون بالله تعالىورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وباليوم الآخر، الجاحدون بنعم الله عزوجل ، فهم الجامعون بينالكفرو الفجور ، الذين مالوا عن الايمان إلى الكفر ، عن الهدى إلى الضلالة ، عنالحق إلى الباطل ، عن الطاعة إلى المعصية ، عن الصدق إلى الكذب ، عن الامانة إلى الخيانة ، عن الصلاح إلى الفساد، عن العدل إلى الظلم، عن الكمال إلىالانحطاط عن السعادة إلى الشقاء ، وعن الفلاح إلى الخسران ...

فهم المستهترون المتوغلون فى الغواية والفواحش . كفروا بالله وأنعمه ، وفجروا حرمات الله عزوجل وماداعوها ، خرجوا عن حدودالله وانتهكوا الحرماته، إفتروا على الله الكذب واقترحوا المعاصى ، فلم يأتمروا بما امروا به ، ولم ينتهوا عما نهوا عنه ، ولايبالون ماأتوا بهمن شنيع الاعمال وسوء الاقوال ، ومعاصى الله تعالى ومحارمه ، فجزاهم الله بسوء اعتقادهم ، وقبح أقوالهم وفساد أعمالهم، وهم فى الاخرة لفى جحيم .

قال الله تعالى : «ليجزى الذين أساؤا بما عملوا» النجم: ٣١)

وقال : «بلى من كسب سيئة و أحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النارهم فيها خالدون » البقرة : ٨١)

وقال : « وإن الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين وماهم عنهابغائبين » الانفطار: ١٤ـ١٦)



﴿ جملة المعانى ﴾

٥٧٥٩- (عبس وتولى)

قبض النبى المعصوم ﷺ وجهه ولوّى بشرته و أعرض عن عبدالله بن مكتوم .

٥٧٦٠- (ان جاءه الاعمى)

لأجل أن جاء إلى رسول الله الاعظم ﷺ الاعمى من غير أن يعلم بأمر النبى ﷺ ماهو مشغول به .

٥٧٦١- (ومايدريك لعله يزكى)

وأىّ شيء يعلمك ياأيها الرسول ﷺ باستحقاق هذا الاعمى العبوس و التولى عنه لعل هذا الاعمى الجائى يتطهر من دنس الجهل بما يسمع منك .

٥٧٦٢- (او يذكر فتنفعه الذكرى)

أويتعظ هذا الاعمى بمواعظ القرآن الكريم ، فتنفعه فى دينه ودنياه .

٥٧٦٣- (أما من استغنى)

أما من استغنى من الاغنياء وذوات الثراة والتقدم والرئاسة و العظمة فى أعين الناس .

٥٧٦٤- (فأنت له تصدى)

فأنت أيها النبى ﷺ لهذا المستكبر تتعرض بالاقبال عليه بوجهك و الاهتمام بأمره طمعاً فى إسلامه .

٥٧٦٥- (وما عليك الا يزكى)

ولابأس عليك أيها النبى المعصوم ﷺ فى أن لايتزكى بالايمان وصالح الاعمال ..

٥٧٦٦- (واما من جاءك يسعى)

و أما من جاءك ياأيها النبى ﷺ حالكونه يسرع إليك فى الاسترشاد إلى الخير .

٥٧٦٧- (وهو يخشى)

وحالكون هذا الاعمى يخشى الله جل وعلا ويخافه .

٥٧٦٨- (فانت عنه تلهى)

فأنت تعرض وجهك عن هذا الاعمى لاشتغالك بغيره من زعماء المشركين طمعاً فى إسلامهم .

٥٧٦٩- (كلا انها تذكرة)

ليس الامر كما فعلت مع الفريقين من الاقبال على الطغاة طمعاً فى إسلامهم ان هذا القرآن الكريم تذكرة للناس أجمعين .

٥٧٧٠- (فمن شاء ذكره)

فمن شاء أن يتذكر بهذا القرآن تذكّر به .

٥٧٧١- (فى صحف مكرمة)

ماذكرنا من أن هذا القرآن الكريم تذكرة متنسخ من اللوح المحفوظ، ومكتوب فى الفصول المتعددة ، مكرمة عندالله تعالى وملائكته ورسوله ﷺ وأهل التقوى واليقين .

٥٧٧٢- (مرفوعة مطهرة)

رفيعة القدر عندالله تعالى ، مطهرة عن قذارة الباطل، والتناقض .

٥٧٧٣- (بايدى سفرة)

أنزلها الله تعالى بأيدى سفراء من أمين الوحى على محمد رسول الله ﷺ

٥٧٧٤- (كرام بررة)

كرام عندالله جل و علا بطهارة ذواتهم ، بررة امناء عندالله تعالى بحسن أعمالهم ...

٥٧٧٥- (قتل الانسان ماأكفره)

قتل الله تعالى كل إنسان كافر ضال عنيد مادعاه إلى الكفر والعناد .

٥٧٧٦- (من اى شيء خلقه)

من أىّ شيء حقير مهين خلق الله تعالى هذا الانسان الكافر العنيد .

٥٧٧٧- (من نطفة خلقه فقدره)

من ماء عفن يسير، من ماء نتن حقير خلق الله تعالى هذا الانسان ، فقدّر الله جل وعلا خلق الانسان وهيأه لما يصلح له .

٥٧٧٨- (ثم السبيل يسره)

ثم سبيل الكمال سهّله لهذا الانسان بطريقى العقل و الشرع و يسّرله سلوكه .

٥٧٧٩- (ثم أماته فاقبره)

ثم أمات الله جل وعلا هذا الانسان بايقاع الموت المخلوق عليه، فأزال به عنه حياته ، فجعل له الارض بعد الموت قبراً يدفن فيه .

٥٧٨٠- (ثم اذا شاء أنشره)

ثم إذا شاء الله تعالى أن يحيى هذا الانسان المقبور أحياه وبعثه من قبره.

٥٧٨١- (كلالما يقض ماأمره)

ليس الامر كما ينبغى أن يكون هذا الانسان الكافر من أن يتأمل فى دلائل التوحيد ، بل لم يقض بعدما أمره الله تعالى من التأمل فى الدلائل . .

٥٧٨٢- (فلينظر الانسان الى طعامه)

فلينظر كل إنسان نظر تأمل وإعتبار إلى طعامه الذى يأكله .

٥٧٨٣- (اناصبينا الماء صبا)

أناصببنا الماء من السحاب الثقال صباً .

٥٧٨٤- (ثم شققنا الارض شقا)

ثم شققنا الارض بالنبات شقاً بديعاً .

٥٧٨٥- (فانبتنا فيها حبا)

فأنبتنا فى الارض حباً كثيراً متنوعاً من بر وارز وشعير وذرة و مايتغذى به الانسان والحيوان . .

٥٧٨٦- (وعنبا وقضبا)

وأنبتنا فى الارض عنباً ، وقضباً وهو القت الرطب الذى يأكله الانسان من الخضر اوات وما إليها ، وماتأكله الانعام من النبات ...

٥٧٨٧- (وزيتونا و نخلا)

وأنبتنا شجرة الزيتون الذى يعصر عنه الزيت ، وأنبقنا نخيلاً تثمر تمراً.

٥٧٨٨- (وحدائق غلبا)

وأنبتنا بساتين كثيرة الاشجار، ملتفة الأغصان ، مختلفة الثمار ...

٥٧٨٩- (وفاكهة وابا)

وفاكهة يتفكه بها الانسان من ثمار الاشجار ... وعشباً و كلأ ومرعى وما إليها مما تأكله الانعام .

٥٧٩٠- (متاعا لكم ولانعامكم)

أنبتنا ماذكرناه سابقاً لتمتعوا به أيها الناس تمتيعاً لانفسكم ولانعامكم .

٥٧٩١- (فاذا جائت الصاخة)

فاذا جائت الصيحة العظيمة التى تصك الآذان من شدة صوتها .

٥٧٩٢- (يوم يفر المرء من اخيه)

يوم يفرّ فيه المرء من أخيه الذى هو عضده فى الحياة الدنيا .

٥٧٩٣- (وامه وأبيه)

بل ويفرّ المرء يومئذ من امه وأبيه اللذين كان يأوى إليهما فى الحياة الدنيا

٥٧٩٤- (وصاحبته وبنيه)

بل ويفرّ يومئذ من زوجته التى هى ألصق الناس به ، وهو أونس بها، ومن بنيه الذين كانوا هم فلذات كبده فى الحياة الدنيا .

٥٧٩٥- (لكل امرىء منهم يومئذ شان يغنيه)

لكل امرىء من الكفرة الفجرة يوم القيامة أمر عظيم هائل يشغله عن أمر غيره.

٥٧٩٦- (وجوه يومئذ مسفرة)

وجوه يوم القيامة مضيئة مشرقة بالبهجة والمسرة ، و أصحابها المؤمنون الصالحون .

٥٧٩٧- (ضاحكة مستبشرة)

ضاحكة من السرور بما أعطاها الله تعالى من النعيم والكرامة، مستبشرة بمشاهدة ما كانت ترجو من الزيادة .

٥٧٩٨- (و وجوه يومئذ عليها غبرة)

و وجوه يوم القيامة يعلو عليها غبار الذل والهوان .

٥٧٩٩- (ترهقها قترة)

تغشى تلك الوجوه ظلمة الكفر وسواد الفجور .

٥٨٠٠- (اولئك هم الكفرة الفجرة)

هؤلاء الذين هذه أحوالهم يوم القيامة ، هم الكافرون بالله جل و علا ، الخارجون عن حدوده ...

﴿ بحث روائی ﴾

فی تفسیر القمی : فی قوله تعالی : « کلا انها تذکرة » قال : القرآن ، و فی قوله : « فی صحف مکرمة مرفوعة » قال : عند الله مطهرة بأیدی سفرة قال : بأیدی الأئمة علیهم‌السلام کرام بررة .

وفی المجمع : و روی فضیل بن یسار عن الصادق علیه‌السلام قال : الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الکرام البررة .

وفی البرهان : بالاسناد عن أبی‌أیوب الحذاء عن أبی‌عبدالله علیه‌السلام فی قوله تعالی : « بأیدی سفرة کرام بررة » قال : هم الائمة علیهم‌السلام .

وفیه : بالاسناد عن برید بن معاویة العجلی قال : سئلت أبا جعفر علیه‌السلام عن قول الله عزوجل: « فی صحف مطهرة فیها کتب قیمة » قال : هو حدیثنا فی صحف مطهرة من الکذب .

وفی تفسیر القمی : فی قوله تعالی : « قتل الانسان ما أکفره » قال: قال أمیرالمؤمنین علیه‌السلام : « ما أکفره » أی ماذا فعل وأذنب حتی قتلوه .

وفی الاحتجاج : عن الامام أمیرالمؤمنین علی علیه‌السلام - فی حدیث طویل - « قتل الانسان ما أکفره » أی لعن الانسان .

وفی تفسیر القمی : فی قوله تعالی: « من أی شیء خلقه من نطفة خلقه فقدّره ثم السبیل یسّره » قال : یسّر له طریق الخیر « ثم أماته فأقبره ثم إذاشاء أنشره » قال : فی الرجعة « کلا لما یقض ما أمره » أی لم یقض أمیرالمؤمنین ما

قد أمره وسيرجع حتى يقضى ما أمره .

وفيه : باسناده عن أبى اسامة (أبى سلمة خ) عن أبى جعفر عليه السلام قال : سئلته عن قول الله : « قتل الانسان ما أكفره » قال : نعم نزلت فى أمير المؤمنين عليه السلام ما أكفره يعنى بقتلكم إياه ثم نسب أمير المؤمنين عليه السلام فنسب خلقه ، و ما أكرمه الله به ، فقال : « من أى شىء خلقه » من طينة الانبياء خلقه « فقدره » للخير « ثم السبيل يسره » يعنى سبيل الهدى ، ثم أماته ميتة الانبياء « ثم إذاشاء أنشره » قلت : ما قوله : « إذاشاء أنشره » قال : يمكث بعد قتله فى الرجعة فيقضى ما أمره .

وفى رواية : قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام : « كيف يفخر الانسان وقدا خرج من موضع البول مرتين » .

وفى الاختصاص : باسناده عن زيد الشحام عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله تعالى : « فلينظر الانسان إلى طعامه » قال : علمه الذى يأخذه عن من يأخذه .

رواه الكلينى قدس سره فى الكافى .

أقول : ان الروايات من قبيل حمل الظواهر على البطن ، و هو من باب التأويل ، ولاغروفان للقرآن بطناً و للبطن بطوناً ، ولكل بطن سبعين بطناً ، و هكذا . . .

وفى الدر المنثور : عن إبراهيم التيمى قال : سئل أبوبكر - عن قوله « وأباً » فقال : أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إذا قلت فى كتاب الله مالا أعلم.

وفيه : أخرج سعيد بن منصوروابن جريروإبن سعد وعبدبن حميد و إبن المنذر وإبن مردويه والبيهقى فى شعب الايمان والخطيب والحاكم وصححه عن أنس أن عمر قرأ على المنبر « فأنبتنا فيها حباً وعنباً و قضباً - إلى قوله - و أبا » قال : كل هذا قد عرفناه فما الأب ؟ ثم رفض عصاً كانت فى يده ، فقال : هذالعمر الله هو التكلف فما عليك أن لاتدرى ما الأب ؟ إتبعوا مابين لكم هداه من الكتاب.

فاعملوا به ومالم تعرفوه فكلوه إلى ربه .

وفيه : أخرج عبد بن حميد عن عبدالرحمان بن يزيد ان رجلاً سئل عمر عن قوله : « وأباً » فلما رآهم يقولون أقبل عليهم بالدّرة .

اقول : ان قصة « الأبّ » مشهورة متضافرة عن أبي بكر وعمر ،وقدوردت بطرق عديدة عن طريق حملة أعلام العامة في أسفارهم نشيرإلى بعضهم :

١ـ محمود الزمخشري في تفسير (الكشاف)

٢ـ القرطبي في تفسير (الجامع لاحكام القرآن)

٣ـ إبن تيمية في (مقدمة اصول التفسير)

٤ـ ابن كثيرالدمشقي في تفسيره

٥ـ البيهقي في (إعلام الموقعين) وصححه .

٦ـ الخازن البغدادي في تفسيره (لباب التأويل)

٧ـ عبدالله النسفي في تفسيره (مدارك التنزيل)

٨ـ إبن حجرفي (فتح الباري)

٩ـ الكلبي في تفسيره

و قد قرأ عمربن الخطاب على المنبر : « فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً و فاكهة وأباً » قال : كل هذا عرفناه فما الأب ؟ ثم رفع عصا كانت في يده فقال : هذا لعمرالله هوالتكلف ، فما عليك أن لاتدري ما الأب ، اتبعوا مابين لكم هداه من الكتاب ، فاعملوا به ومالم تعرفوه فكلوه إلى ربه »

أخرجه سعيد بن منصورفي سننه و أبونعيم في المستخرج ، وابن سعد و عبدبن حميد وإبن الانباري وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان وابن جريرفي تفسيره والحاكم في المستدرك وصححه هو وأقرّه الذهبي في تلخيصه ، والخطيب في تاريخه والزمخشري في الكشاف ومحب الدين الطبري في الرياض النضرة ، والشاطبي في الموافقات ، وابن الجوزي في تفسيره والسيوطي

فى الدر المنثور ، وابن سعد فى طبقاته ، والبيهقى فى شعب الايمان ، وأبو السعود العمادى فى ارشاد عقل سليم والقسطلانى فى إرشاد السارى ، والعينى فى عمدة القارى وابن حجر فى فتح البارى ولا يخفى على القارىء الخبير ان ذلك كله مبنى على منعهم من البحث عن المعارف الاسلامية والحكم القرآنية حتى عن تفسير ألفاظ القرآن الكريم .

وفى ارشاد المفيد قدس سره : وروى ان أبابكر سئل عن قول الله تعالى: « و فاكهة وأباً » فلم يعرف معنى الأبّ من القرآن ، فقال : أىّ سماء تظلنى أم أى أرض تقلّنى أم كيف أصنع إن قلت فى كتاب الله مالا أعلم ؟ أما الفاكهة فنعرفها، وأما الابّ فالله أعلم .

فبلغ أمير المؤمنين عليه السلام مقاله فى ذلك ، فقال : سبحان الله أما علم ان الأبّ هو الكلاء والمرعى ؟ وان قوله تعالى : « وفاكهة وأبا » إعتداد من الله بانعامه على خلقه فيما غذّاهم به وخلقه لهم ولانعامهم مما تحيى به أنفسهم و تقوم به أجسادهم .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « وقضباً » قال : القضب القتّ ، و « و فاكهة وأباً » قال : الابّ الحشيش للبهائم .

و فى أحكام القرآن : وروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « خلقتم من سبع ورزقتم من سبع ، فاسجدوا على سبع » وإنما أراد صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : « خلقتم من سبع » يعنى « من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة » الاية ، والرزق من سبع و هو قوله تعالى : « فأنبتنا فيها حباً وعنباً - إلى قوله - وفاكهة » ثم قال : « وأبّاً » وهو يدل على أنه ليس برزق لابن آدم وانه مما تختص به البهائم .

وفى الكافى : باسناده عن مسعدة بن زياد عن أبى عبدالله عليه السلام قال: الفاكهة مأة وعشرون لوناً سيّدها الرمان .

وفى التوحيد : عن الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على عليه السلام - فى

حديث طويل ـ قال عن أهل المحشر : ثم يجتمعون في مواطن اخر فيستنطقون فيفرّ بعضهم من بعض فذلك قوله عزوجل : « يوم يفرّ المرء من أخيه وامه و أبيه وصاحبته وبنيه » .

وفي الخصال : باسناده عن سيد الشهداء الحسين بن علي عليه‌السلام قال : كان علي بن أبي طالب عليه‌السلام بالكوفة في الجامع إذقام إليه رجل من أهل الشام فسئله عن مسائل ـ وكان فيما سئله أن قال له : أخبرني عن قول الله تعالى: «يوم يفرّ المرء من أخيه و امه و أبيه و صاحبته و بنيه » فقال : هابيل يفرّ من قابيل والذي يفرّ من امه موسى ، والذي يفرّ من أبيه إبراهيم ، والذي يفرّ من صاحبته لوط ، والذي يفرّ من إبنه نوح من إبنه كنعان .

رواه في عيون الاخبار ـ في باب ما جاء عن الامام علي بن موسى الرضا عليه‌السلام من خبر الشامي إلاّ ان فيه « يعني الاب المربي لاالوالد » بعد قوله :«والذي يفرّ من أبيه ابراهيم » .

وفي المجمع : و روى عن عطاء بن يسار عن سودة زوج النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قالت : قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : يبعث الناس حفاة عراة غرلاً يلجمهم العرق،ويبلغ شحمة الاذن قالت : قلت : يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض إذا جاء ؟ قال : شغل الناس عن ذلك و تلا رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : « لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » .

قوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : « غرلاً » الغرل ـ بالغين المعجمة ـ جمع أغرل وهو الاقلف غير المختون .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه» قال : شغل يشغله عن غيره .

و في بستان الواعظين : عن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم انه قال له بعض أهله : يا رسول الله هل يذكر الرجل يوم القيامة حميمه ؟ فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : ثلاثة مواطن لا

يذكر أحد أحداً : عند الميزان حتى ينظر أيثقل ميزانه أم يخفف ؟ وعند الصراط حتى ينظر أيجوزه أم لا ؟ وعند المصحف حتى ينظر بيمينه يأخذ المصحف أم بشماله؟ فهذه ثلاثة مواطن لايذكر فيها أحد حميمه ولاحبيبه ولاقريبه ولاصديقه ولابنيه ولا والديه ، وذلك قول الله تعالى : « لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه» مشغول بنفسه عن غيره من شدة ما يرى من الاهوال العظام نسئل الله تعالى أن يسهلها لنا برحمته ويهونها علينا برأفته ولطفه .

وفي تفسير القمي : قال : ثم ذكر عزوجل الذين توالوا أمير المؤمنين عليه‌السلام وتبرؤا من أعدائه فقال : « وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة » ثم ذكر أعداء آل الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : « ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة » أي فقراء من الخير والثواب .

وفيه : عن إبن عباس في قوله : « متاعاً لكم ولانعامكم » يريد منافع لكم ولانعامكم ، وقوله عزوجل : « وجوه يومئذ عليها غبرة » يريد مسودة . « ترهقها قترة » يريد غبار جهنم « اولئك هم الكفرة الفجرة » أي الكافر الجاحد .

وفي محاسن البرقي : باسناده عن السكوني عن جعفر عن أبيه عن علي عليه‌السلام قال : ومن وقر مسجداً لقي الله يوم يلقاه ضاحكاً مستبشراً وأعطاه كتابه بيمينه.

وفي شواهد التنزيل : للحاكم الحسكاني الحنفي ـ وهو من أعلام العامة باسناده عن أنس بن مالك قال : سئلت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم عن قوله : « وجوه يومئذ مسفرة » ؟ قال : يا أنس هي وجوهنا بني عبد المطلب : أنا وعلي و حمزة و جعفر والحسن والحسين وفاطمة نخرج من قبورنا ، ونور وجوهنا كالشمس الضاحية يوم القيامة ، قال الله تعالى : « وجوه يومئذ مسفرة » يعني مشرقة بالنور في أرض القيامة « ضاحكة مستبشرة » بثواب الله الذي وعدنا .

﴿ بحث فقهي ﴾

في المجمع : فان قيل : « فلوصح الخبر الاول ـ بأن الايات نزلت في عبدالله بن ام مكتوم ، وكان العابس هوالنبي المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم ـ هل يكون العبوس ذنباً ؟ أم لا ؟ فالجواب : ان العبوس والانبساط مع الاعمى سواء إذ لايشق عليه ذلك ، فلا يكون ذنباً فيجوزأن يكون عاتب الله سبحانه بذلك نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ليأخذه بأوفرمحاسن الاخلاق وينبّهه بذلك على عظم حال المؤمن المسترشد و يعرفه ان تأليف المؤمن ليقيم على ايمانه أولى من تأليف المشرك طمعاً في ايمانه .

وقال الجبائي: في هذا دلالة على أن الفعل يكون معصية فيما بعد لمكان النهي ، فأما في الماضي ، فلا يدل على أنه كان معصية قبل أن ينهى عنه ، والله سبحانه لم ينهه إلاّ في هذا الوقت .

وقيل : ان ما فعله الاعمى نوعاً من سوء الأدب ، فحسن تأديبه بالاعراض عنه إلاّ انه كان يجوز أن يتوهم انه اعرض عنه لفقره ، و أقبل عليهم لرياستهم تعظيماً لهم ، فعاتبه الله سبحانه على ذلك .

و روي عن الصادق عليه السلام انه قال :كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا رآى عبدالله بن ام مكتوم قال : مرحبا مرحبا لاوالله لايعاتبني الله فيك أبداً ، وكان يصنع به من اللطف حتى كان يكفّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما يفعل به » إنتهى كلامه رفع مقامه.

وقد استدل بعض فقهاء الشيعة الامامية الاثنى عشرية بقوله تعالى: «فأقبره» عبس : ٢١) على وجوب تعجيل دفن الميت لمكان الفاء التي تفيد ذلك .

﴿بحث مذهبي﴾

يستدل بقوله عز وجل: «فمن شاء ذكره - ثم السبيل يسّره» عبس: ١٢ و٢٠) على إبطال العقيدة السخيفة للأشاعرة المجبرة: ان القدرة مع الفعل، وان المؤمن لاقدرة له على الكفر، ولايقدرالكافر على الايمان.

وأما الابطال فان الله تعالى صرّح بأن الانسان إذا شاء أن يذكره ذكره، وهوقادر على ذلك مخيرفيه من غير إجبارولا إكراه، وان الله تعالى جعل هذا الانسان مختاراً فيفعله يسهل به سلوكه سبيل السعادة والنجاة، ووصوله إلى الكمال الذى خلق لأجله، فلا عذرلأحد من الانسان في كفره وطغيانه.

مع أن الاية الثانية في معنىدفع الدخل، فان الله جل وعلا لما قال:«من نطفة خلقه فقدّره»: ١٩)

أمكن أن يتوهم متوهم أن الخلق والتقدير إذاكانا محيطين بالانسان من كل جهة، كانت أفعال الانسان لذاته وصفاته مقدّرة مكتوبة، ومتعلقة للمشيئة الربوبية التى لاتتخلف، فتكون أفعالالانسان ضرورية الثبوت، واجبة التحقق، والانسان مجبراً عليها من غيرأن يكون فيها مختاراً، فلا صنع للانسانفى كفره إذاكفر، ولا فيفجوره إذا فجر، ولافي طغيانه إذا طغى، ولم يقض ما أمرهالله سبحانه به، وإنما ذلك بتقديرالله سبحانه وإرادته، فلا ذم ولا لائمة على الانسان ولا دعوة دينية تتعلق به لان ذلك كله فرع للاختيار، ولا إختيار.

فدفع الله عزوجل هذا التوهم الممكن بقوله : « ثم السبيل يسّره » ومحصله أن الخلق والتقدير لاينافيان كون الانسان مختاراً فيما امر به من الايمان والطاعة له طريق إلى السعادة والكمال، وإلى السيادة والفلاح التى خلق لها ، فكلّ ميسّر لما خلق له :

وذلك ان التقدير واقع على الأفعال الانسانية من طريق إختياره، والارادة الربوبية متعلقة بأن يفعل الانسان بارادته و إختياره كذا و كذا ؛ فالفعل صادر عن الانسان باختياره وهو بما أنه إختيارى متعلق للتقدير ، فالانسان مختار فى فعله مسئول عنه ، وإن كان متعلقاً للقدر .

ويستدل بقوله تعالى : « ثم إذا شاء أنشره » عبس : ٢٢)

على أن وقت البعث والنشور غير معلوم لاحد ، وإنما هو موكول إلى مشيّة الله جل وعلا ، فمتى شاء ذلك يفعل لقوله تعالى : « يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى » الاعراف : ١٨٧)

وقوله تعالى : « حتى إذا جائتهم الساعة بغتة » الانعام : ٣١)

ففى الايات الكريمة ردّ على الذين وقّتوا وقوع البعث بمضى آلاف السنين من أول يوم خلقت الارض من غير علم لهم بذلك : «وما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنون » الجاثية : ٢٤)

فمنهم : من زعم وقوعه بمضى عشرة آلاف سنة .

ومنهم : من زعم وقوعه بمضى مأة ألف سنة .

ومنهم : من زعم وقوعه بمضى ميليون ألف سنة

وغيرها من الأقاويل والتقولات التى لادليل لها ،وليست إلاّ خرصاً وتخميناً.

و فى المجمع : فى قوله تعالى : « وجوه يومئذ مسفرة - اولئك هم الكفرة الفجرة » عبس : ٣٨ - ٤٢)

قال : واستدلت الخوارج بذلك على أن من ليس بمؤمن لابد أن يكون كافراً.

فان الله سبحانه قسّم الوجوه هذين القسمين ، ولا تعلق لهم به لانه سبحانه ذكرهنا قسمين من الوجوه متقابلين : وجوه المؤمنين ووجوه الكفار ، ولم يذكر وجوه الفساق من أهل الصلاة ، فيجوز أن يكون لها صفة اخرى بأن يكون عليها غبرة لاتغشاها قترة أويكون عليها صفرة أولون آخر .



«القرآن الكريم و النبات»

قال الله تعالى . « فلينظر الانسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً ثم شققنا الارض شقاً فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً و حدائق غلباً وفاكهة و أباً متاعاً لكم و لانعامكم » : عبس : ٢٤ ـ ٣٢) .

ان الله جل وعلا قد حث الانسان بمواضع عديدة في كتابه المجيد على التفكر والنظر إلى نبات الارض ، و على التدبر و التعقل في ما يأكله مع الاشارة إلى ماله دخل في نمو طعامه و مغذاه من الماء والارض لما في ذلك من مشاهد كمال العلم و الحكمة البالغة و القدرة المطلقة و التدبير الربوبي في نواميس الوجود و نظام الكون . . .

وقال : « وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً من النخل من طلعها قنوان دانية و جنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون » الانعام : ٩٩) .

وقال: «هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع و الزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لاية لقوم يتفكرون » النحل : ١٠ ـ ١١) .

وقال : « وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا و

ادعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لاولى النهى » طه : ٥٣ ـ ٥٤) .

وقال : « أولم يروا إلى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم إن في ذلك لآية و ماكان أكثرهم مؤمنين » الشعراء : ٧ ـ ٨) .

وقال : « أمن خلق السموات والارض و أنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها ءاله مع الله بل هم قوم يعدلون » النمل : ٦٠) .

وقال : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها و زيّنّاها ومالها من فروج والارض مددناها و ألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب و نزّلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد » ق : ٦ : ١١) .

وقد سبق منا الكلام حول الماء فراجع، وأما الارض فمن البديهي انها أحد المؤثرات الطبيعية المهمة لانها الحاملة للنباتات ، و لان البروز تنبت فيها، و النباتات تكتسب منها معظم المواد المغذية التي تعين على نموها التدريجي، فعلينا النظر و التأمل :

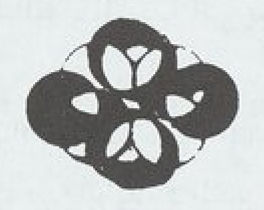
النظر في أنواع النباتات و حبوباتها ، التأمل في ثمار النباتات و طعومها ، التفكر في أزهار النباتات و روائحها ، و التدبر في الاشجار و ألوانها . . . نظر إعتبار لتحصل لنا المعرفة بالله جل وعلا وعلمه وقدرته وحكمته وتدبيره في نظام الوجود ، وإحسانه وفضله و رحمته علينا . . .

وهو يقول : « وما ذرأ لكم في الارض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لاية لقوم يذكرون » النحل : ١٣) .

ويقول : « أولم يروا انا نسوق الماء إلى الارض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم و أنفسهم أفلا تبصرون » السجدة : ٢٧) .

و يقول : « و في‌الارض قطع متجاورات و جنات من‌أعناب و زرع و نخيل صنوان و غيرصنوان يسقى بماء واحد و نفضّل بعضها على‌بعض في‌الاكل إن في ذلك لايات لقوم يعقلون » الرعد : ۴) .

و غيرها من الايات القرآنية النازلة في النباتات . . . لابد لكل إنسان التأمل فيها .



﴿علم النبات﴾

واعلم أن النبات إسم شامل لكل ماتنبته الارض .

و علم النبات فرع من التاريخ الطبيعي غايته دراسة النبات دراسة علمية وتتبع أدوار تكونه ونموه وما يصلحه وما يفسده .

النباتات كائنات حيّة تولد وتنمو وتتناسل وتموت ولكنها لاتحسّ ولاتتحرك بارادتها .

ان هذا العلم من أجل العلوم وأدعودها باليمن والبركة على الناس و قد عني به العالم قديماً وحديثاً واسست له المدارس الخاصة به وتهافت الناس على التخرج فيه وخصوصاً في هذا العصر الذي تحقق فيه أجهل الخلق ان للعالم وسائل أرقى من وسائل العادات المتبعة .

ونحن لسنا بصدد بسط الكلام في المقام ولكن لاينبغي الترك بالتمام :

أعضاء النبات :

إذا نظرنا إلى نبات من النباتات العالية رأينا انه مكـون من عدّة أجزاء متخالفة وهي الجذر والساق والاغصان والاوراق والثمار . . .

ورأينا ان كلاًّ من هذه الاجزاء تتألف من قطع خاصة مختلفة .

فالجذر يكون عادة مدفوناً في الارض و وظيفته إمتصاص السوائل المعدة والعناصر الضرورية لتغذية الانسجة من الارض لنموّ النبات ويحصل هذا الامتصاص باطراف فروعها الانتهائية بقوة عظيمة .

وعلى العموم توجد شروط الامتصاص جميعها فى الخلايا ولاتمتص الجذور سوى المواد التى على حالة الذوبان و كلماكان المحلول أكثر سيلولة كان الامتصاص أسرع ويكون الجذور متفرعاً إلى فروع مختلفة الحجوم .

والساق تشبه العمود تتكون فى جملة طبقات وتتفرع عن الساق أغصان كثيرة وللاغصان اوراق يتزين به النبات .

مما يتركب النبات ؟

كل نبات يتألف من مجموع خلايا وألياف دقيقة وبعضها يكون مؤلفاً من خلايا فقط .

هذه الخلايا لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ولابد لذلك من الاستعانة بالمنظار المعظم فأول ما يوجد من النبات خلية صغيرة وهى عبارة عن حويصلة صغيرة من غشاء داخلها سائل لزج يسمى (البروتوبلاسما) سابحاً فى وسطه نواة.

هذه الخلية فى حالة الحياة تكون ممتعة بقوة إمتصاص و نمو فاذا وضعت فى بيئة رطبة إمتصت مما حولها من السوائل التى تناسبها فازدادت حجماً ثم إنقسمت إلى خليتين متلاصقتين وهما بالامتصاص يكبر حجماً هما و ينقسمان و هلم جراً . . .

فيتألف من مجموع هذه الخلايا جسم النبات وأجساد الحيوانات تتكون من هذه الخلايا المتناهية فى الصغر ولايدرى أحد إلى الآن سر هذه الوحدة فى الاصل ولايزال علماء الحياة يدأبون وراء إستكناه هذا السر وسواه .

وان الخلية هى العنصر الاصلى للنبات وجنينها يتكون من حويصلة صغيرة فيتكاثر تلك الخلية .

وفيها آيات بينات وقف أمامها علماء الطبيعة باهتين ولايستطيعون تعليلها إلا بنسبة الفعل للخالق القدير .

فلابد لكل إنسان عاقل من التأمل فى أعضاء النبات : منها أوراقها كيف

جعلها الله تعالى زينة للنبات ودثاراً لثمارها ووقاية لحبوبها ونورها وزهرهامن الحر والبرد المفرطين ومن الرياح العواصف والغبار وشدة وهج الشمس.

و كيف جعلها ظلالاً للانسان والحيوان و كنّاً لها و ستراً ووطاءاً وغذاءاً ومادة لاجسادها و كيف جعلها أدوية وفيها منافع كثيرة وذلك تقدير العزيز العليم.

ولابد من التأمل فى أشكال الاوراق من التثليث والتربيع والاستدارة الطويل والقصير والعريض وما إليها..

وفى غلظة الاوراق وخشونتها ودقتها و شفافتها ولينتها وفى طيب رائحتها ونتنها وفى مرّ طعمها وحلو طعمها.

وفى ألوان الاوراق من خضرويتها وصفرويتها كل ذلك لعلل وأسباب ذلك تقدير العزيز العليم.

ولابد له من التأمل فى ثمار النبات وحبوبها و بذورها ولحائها وعروقها و اصولها ولبّها وقضبانها وفروعها كل واحدة من هذه الانواع ذات منافع كثيرة لم يعرف الانسان بعد إلاّ القليل منها.

ومن التأمل فى قشر الثمار والحبوب من الرقة والدقة والغلظة والخشونة و فى أشكال نواتها من الاستدارة والاستطالة والمخروطة وما إليها..

ومن التأمل فى ألوان الثمار من الاسود والابيض والاحمر والاصفر والاغبر ومن التأمل فى أشكال الثمار من الاستدارة والاستطالة وفى طعوم الثمار من الحلو والمر والحمض.

و من التأمل فى التناسب بين الاشجار وأوراقها والتناسب بين الاوراق والثمار من جهة الصورة والشكل تارة و من ناحية اللون والطعم والرائحة تارة اخرى و من جهة اللين والخشونة والصلابة والرخاوة ثالثة و من جهة الكبر والصغر والسعة والضيق والثخن والرقة والشفافة والكمد والازدواج والانفراد

رابعة .

كل ذلك لعلل واسباب لابد من التأمل فيها و كل ذلك تقدير العزيز العليم و فى ذلك عبرة لاولى الابصار الذين يتفكرون فى خلق السموات والارض .

أوليس هذا بصنع صانع حكيم ولاقصد قاصد خبير عليم ؟



﴿ النباتات وأقسامها ﴾

وقد ذكر المحققون فى علم النباتات انها على ستة أقسام :

أحدها - النباتات الغذائية ، وهى التى تزرع لقصد حبوبها ، وهى نباتات الفصيلةالنجيلية التى يصنع من دقيق حبوبهاالخبزغذاء للانسان وأنواعهاالرئيسة سبعة : الحنطة ، والشعير ، والارز ، والذرة ، والشيلم ، والشوفان ، والدخن ، ولكل واحد منها أنواع . . .

أماالحنطة : فهى من أجود المحصولات الارضية لاحتوائها على موادمغذية أكثرمن غيرها ، ويوجدمنها الآن أكثرمن مأة نوع على بسيط الارض،والحنطة أحد النبات المغذبة التى تعودت على معظم الأقاليم ، ولهذا تزرع فى جميع الأيالات التى إستوطن فيها الانسان .

و اما الشعير : فهومن الفصيلةالنجيلية ،وإستعمالاته عديدة مهمة،ويتحصل من دقيقة خبزخشن الملمس ، قليل الجودة لكنه مغذ مرىء ، ويستعمله الفقراء غذاء فى بلاد النمسا ويستعمل غذاء للخيل ، وأنواعه كثيرة . . .

وأماالارز : فهومن الفصيلة النجيلية،ويظهران أصله من بلاد الهندوالصين، وان أهمية هذا النبات كثير المحصول معلومة فى العالم ، وهو كثير الاستعمال فى آسيا وإفريقا وآمريكا ، وقدوجدوا فيه بالتحليل الكيمياوى مقدراً عظيماً من النشاأيبلغ ٩٦ جزءاً من المأة ، و لهذا السبب أدرج فى ضمن الحبوب المغذية التنفسية وهذا النبات على أصناف كثيرة إنتهت إلى نحومأة نوع ، أجودممايزرع

بما زندران في ايران .

واماالذرة : فهى من الفصيلة النجيلية ، و تستعمل حبوبها غذاء للانسان والحيوان على أصناف كثيرة وأشكال مختلفة . . .

وأما الشيلم : فهومن الفصيلة النجيلية وهومن أهم النباتات الحبوبية بعد الحنطة لتغذية الانسان فى البلاد المعتدلة ، وينبت فى الأراضى القحلة المحتوية على قليل من المواد المغذية ، و يقاوم الاعشاب الرديئة ، فيغلب عليها بسهولة ، وخبزه يبقى طرياً زمناً طويلاً ، ويستعمله الناس غذاء فى كثيرمن بلاد اروبا ، و أساس الخبز الذى يعطى للخيل في بلاد كثيرة، و يستعمل حب الشيلم لتغذية الدواب والطيورالاهلية ، وحبوبه أصغرمن حبوب الحنطة .

و أما الشوفان : فهومن الفصيلة النجيلية، وحبوبه قليلة الأستعمال لتغذية الانسان لاحتوائهاعلى قليل من الدقيق ، والخبز المتحصل منها يكون أسودثقيلاً مرأ كريه الطعم ، وسوقه الخضراء يتحصل منها علف وافرمرىء لجميع الحيوانات، وحبوبه نافعة جداً لتغذية الحيوانات التى تتمم الاشغال الشاقة ، فالخيل التى يراد إكتسابها قوة، والضأن الذى يسمن ، والنعاج المرضعات التى يراد إزديادمقدار ألبانها ، والطيورالأهلية التى يراد إسراع بيضها تغذى بحبوب هذا النبات ، و أصنافه كثيرة . . .

وأما الدخن : فهومن الفصيلة النجيلية ، وحبوب هذا النبات يصنع منها خبزوتؤ كل كالارز ، و تستعمل لتغذية الحيوانات الاهلية التى تأكل أوراقه الرطبة بشراهة وسوقه الجافة تستعمل وقوداً ، ويزرع كثيراً فى بلاد السودان .

و أما النباتات البقولية : فهى التى تستعمل بزورها غذاء للانسان والحيوان عديدة ، وأ كثرها إستعمالاً : الفول . واللوبيا ، والبسلة ، والعدس ، والحمص ، والفول يؤ كل وهوأهم النباتات البقولة لكثرة إستعماله غذاء ، و حبوبه الطرية تو كل نيئة و مطبوخة ، والجافة تستعمل غذاء للمواشى بعد خلطها مع الشعير والتبن ، و هوجيد النفع لتغذية الخيل ، وان اللوبياء على أنواع ، والبسلة غذاء

للانسان والحيوانات الاهلية ، و يؤكل بزرها أخضر ويابساً بكيفيات مختلفة و يستعمل نباتها علفاً للمواشى . . . والنباتات البقولية تحتوى حبوبها على مادة دقيقة .

ثانيها ـ نباتات العلف ، و هى التى تطلق على العلف اليابس المعروف بالدريس ، وعلى الخضراء التى تتخذ من المروج ، وعلى الجذورالتى تزرع غذاء للمواشى ، وعلى تبن النباتات الحبوبية والبقولية وحبوبها وعلى أوراقها،وفروع جملة أشجار تتخذ غذاء لها أيضاً ، وهى على أنواع كثيرة . . . و لكل خاصيّة خاصة غيرمافى غيرها .

ثالثها ـ نباتات الخضراوات والسلاطات وما إليها مما يؤكل رطباً على أنواعها . . .

رابعها ـ النباتات التى تستعمل فى الصنائع والفنون والأدوية . . . و من هذه النباتات ما يحتوى سكراً ، ومنها ما يحتوى زيتاً ثابتاً ، و منها ما يحتوى على الألياف أو وبر تصنع منها الاقمشة كالقطن والكتان والابريسيم وما إليها ، و منها ما يستعمل تدخيناً ، و منها ما يحتوى على مادة ملونة ، و منها ما يستعمل فى الصنائع والدبغ ، ومنها سموم ، و منها حلو ، و منها مرّ وما إليها من الانواع التى تزيد على ألف نوع .

خامسها ـ الاشجار ، وهى تنقسم بالنظر لطبيعة متحصلاتها إلى ثلاثة أقسام:

الاول : أشجار الغابات ، وهى التى تزرع للانتفاع بأخشابها .

الثانى : أشجار الفاكهة وهى التى تستعمل ثمارها غذاء .

الثالث : أشجار تستعمل فى التحريير الاهلى كالزيتون والجوز والبندق واللوز وما إليها من الاشجار ذات الثمار الزيتيه .

سادسها ـ النباتات التى تتخذ زينة للبساتين والدور كالأزهار على أنواعها...

الحكمة و انواع النباتات

حسب الضرورة فى الفصول

ان النباتات كائنات متوسطة بين الحيوان والجماد بمعنى أنها إرتفعت عن الجماد ولم تصل إلى رتبة الحيوان لتجردها عن الحسّ والحركة بالارادة والنباتات هى الواسطة فى تغذية الانسان والحيوان لانها تمتص الموادالغذائية وتحيلها إلى حالة صالحة للتغذية .

وان النباتات بلغت أنواعها ٣٢٠/ ألف نوع و لكل منها منافع ومناظر و خواص وطبايع وعجائب كل واحد منها تخالف الاخر .

و ان الانسان الذى هو أرقى المخلوقات على وجه الارض له فى كل نبات منافع فمنه الدواء ومنه الغذاء ومنه الروائح العطرية ومنه خشب السقف ومنه شبابيك المنزل ومنه بعض السفن فى البحر وغيرها . . .

و إختلاف النباتات فى القدر و اللون و الطعم و المنافع ناش من إختلاف الاغذية وإختلافها ناش من تعاطى النبات نفسه بحيث ان كل نوع منه يجتذب من الارض ماراق له وكان هذا باجتذاب النبات لما يناسبه ذلك هو النظام الجارى فى جميع النباتات لايمتص إلاّ ماهو لازم له .

قال الله تعالى : « ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها » فاطر : ٢٧) .

مختلف ألوانها و هيئتها و أشكالها ، مختلف فى الصغر و الكبر والطعوم و

الروائح والخواص والتراكيب والنظم من مدور واسطواني وهرمي ومخروطي و غذاء ودواء وحلوة وزيتية وعطرية ومرة ومائية وحمضية .

ولو انك لاحظت لون واحد من الالوان كالخضرة وتصفحت أنواع النبات : نباتاً نباتاً لما وجدت نباتين يتفقان في لون الخضرة قف بالحقول وفتش على ما فيها من زرع وشجر غرسه الانسان أو أنبته الله تعالى .

و انظر هل تجد خضرة مماثلة لخضرة كلا ثم كلا وقس على ذلك الاشكال والروائح والطعوم . . .

وذلك ان الله تعالى خلق كل شيء لحكم كثيرة لانعرف إلا قليلا منها ومن خلقه النبات مختلف الالوان والطعوم والروائح والهيئات خلقه الله تعالى لمنافع كثيرة منها ان النبات غذاء للحيوان والحيوان إطلاقا مختلف الطباع فقد جعل كل نوع من النبات غذاء لنوع من الحيوان واكثر وجعل لكل نوع منه دواء لداء يعرض للحيوان فقدّر النبات بقدر طبائع الحيوان وما يحتاج إليه الانسان .

وان علماء النبات اقسموا النبات على العدد المتقدم إلى ستة أقسام باعتبار اخر :

١ ـ النباتات المستعملة غذاء للانسان والحيوان وهي الغلال والحبوب والبقول والفواكه والخضراوات وكل واحد منها على أنواع كثيرة . . .

٢ـ النباتات المستعملة شراباً للانسان وهي البن والتمر الهندي والقرفة والسحلب والمغاث على أنواعها . . .

٣ـ النباتات المتخذة للانسجة لباساً للانسان في القطن والكتان والنيل و ما إليها مما يتخذ لذلك .

٤ـ النباتات المستعملة في العمارات والوقود كخشب البلوط وخشب الصنوبر وهما كثير المقاومة و ما إليهما من الاخشاب المستعملة فيهما على أنواعها . . .

٥ـ النباتات التي تكون زينة للبساتين مع منافع اخرى وهي الازهار على ألوانها المبتهجة فتكسى البساتين نضارة وجمالاً ويبتهج بها الانسان .

٦- النباتات الطبية فهي نباتات تستعمل لمعالجة الامراض وهي كثيرة جداً ...ان في خلق النباتات اكبر شاهد على وحدانية الله تعالى و كمال قدرته و غاية حكمته وتدبيره وينفي الشرك عن ساحة قدسه جل وعلا .

ونعم ما قال شاعر :

تأمل في رياض الارض وانظر　　إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات　　بأحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات　　بان الله ليس له شريك

يبذر واحد منا بذرة ضئيلة ثم يتعهدها بالسقي والتربية حيناً ، فلا يلبث حتى يراها شجرة ملتفة الاغصان مورقة الافنان . . .

فسبحان الله الكريم المنان ثم ينتفع من ثمارها إن كانت من ذوات الثمار ويبتهج من أزهارها إن كانت من ذوات الازهار ويستخرج الروائح الطيبة والمواد العطرية التي تكسب النفس سروراً وإنشراحاً .

ويجد منها الادوية المفيدة لكثير من الامراض . . .وهكذا . . .

وان الاشجار تنقي الهواء ويستظل بها الانسان ويتغذى بورقها الحيوان و يأوى إليها الطيور وننتفع باحراقها في كثير من الاحوال و غير ذلك من المنافع لايسع المقام ذكرها .

ان أكثر النبات ينبت في الربيع لاعتدال الزمان وطيب الهواء و كثرة المطر السابق وما نزل منه في الشتاء .

وما ينبت في غير الربيع من الفصول الثلاثة فقليل .

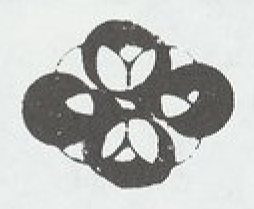
وان النبات يختلف حسب الامكنة فمنها برّى ومنها بحرى ومنها لاينبت إلاّ في مناطق حارة ، ومنها لاينبت إلاّ في مناطق باردة وبعضها لاينبت الافي السهل وبعضها لاينبت إلاّ في الجبل وبعض في أرض سبخة وبعض في أرض صلبة ، وبعض في أرض رمال وبعض في أرض طيبة .

و من الاشجار البرية : شجرة تصطاد بعض الحشرات بمادة خاصة فيها و ذكر علماء الفن أنواعها نحو ٤٠ نوعاً ، ويقولون: إن فيها إحساساً والقدماء منهم يقولون : ان فيها شعوراً قليلاً ويذكرون لذلك براهين :

منها - ان عروقها تترك المحال اليابسة وتأتي المواضع الندية .

ومنها - ان فروعها إذا كانت في مكان مظلم ، وفيه نور قد أتى من سقفه توجهت نحو ذلك السقف الذى جاء منه النور .

ومن الاشجار البحرية : شجرة نابتة تحت الماء على أعماق مختلفة شجرة سورتها الزئبقى نابتة فى قاع البحر وهى شجرة عجيبة يسمونها (بنت البحر) بهيئة غريبة بحيث تميل أغصانها إلى الجوانب وتظهر للناظر كأنها طبق بيضاوى الشكل وهكذا من النباتات العجيبة النابتة فى قاع البحر وفوقها ألف قامة - إلى ثلاث آلاف وهكذا كل تلك ماء فوقها وهى خضراء بديعة قوية متينة تبلغ آلاف القامات تنتفع بها الحيوانات البحرية .



﴿النباتات و درس التوحيد﴾

ان الله تعالى يقول : « وأنزلنا من المعصرات ماءاً ثجاجا لنخرج به حباً و نباتاً وجنات الفافا » النباء : ١٤ _ ١٦)

قال جون وليام كلوتس ـ وهو استاذ علم الأحياء والفسيولوجيا بكلية المعلمين بكونكورديا منذ سنة ١٩٤٥ ـ عضو جمعية الدراسات الوراثية متخصص في الوراثة وعلم البيئة .

: « ان هذا العالم الذى نعيش فيه قد بلغ من الاتقان والتعقيد إلى درجة تجعل من المحال ان يكون قد نشاه بمحض المصادفة أو لم يكن له غاية ، انه ملىء بالروائع والامور المعقدة التى تحتاج إلى مدبّر قادر عليم والتى لا يمكن نسبتها إلى قدر أعمى ولاشك ان العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المعقدة وهى بذلك تزيد من معرفتنا بالله ومن ايماننا بوجوده .

ومن التعقيدات الطريفة فى هذا الكون ما نشاهده من العلاقات التوافقية الاضطرارية بين الاشياء أحياناً ومن أمثلتها العلاقة الموجودة بين فراشة اليوكا ونبات اليوكا ـ هو أحد النباتات الزئبقية اليوكا تتدلى إلى أسفل و يكون عضو التأنيث فيها أكثر إنخفاضاً عن عضو التذكير أو السداة أما الميسم وهو الجزء من الزهرة التى يتلقى حبوب اللقاح ـ فانه يكون على شكل الكأس ـ وهو موضوع بطريقة يستحيل معها أن تسقط فيه حبوب اللقاح ، ولابد أن تنتقل هذه الحبوب بوساطة فراشة اليوكا : التى تبدأ عملها بعد مغيب الشمس بقليل فتجمع كمية من

حبوب اللقاح من الازهار التي تزورها وتحفظها في فمها الذى بني بطريقة خاصة لأداء هذا العمل .

ثم تطير الفراشة إلى نبات آخر من نفس النوع وتثقب مبيضها بجهاز خاص في مؤخر جسمها ينتهي بطرف مدبب يشبه الابرة وينزل منه البيض - و تصنع الفراشة بيضة أو أكثر - ثم تزحف إلى أسفل الزهرة حتى تصل إلى القلم و هناك تترك ما جمعته من حبوب اللقاح على صورة كرة فوق ميسم الزهرة -وينتج النبات عدداً كبيراً من الحبوب - يستخدم بعضها طعاماً لأولاد الفراشة وينضج بعضها لكي يواصل دورة الحياة .

وهناك أيضاً علاقة مشابهة بين نبات التين ومجموعة من الزنابير الصغيرة و كذلك بين الزهرة المساة « جاك في المقصورة » و ذبابة دقيقة تدخل إلى المقصورة .

وهنا لك كثير من الأزهار التي تسجن الحشرات داخلها .

أفلا تدل كل هذه الشواهد على وجود الله ؟ ! انه من العصب على عقولنا أن نتصور : ان كل هذا التوافق العجيب قد تم بمحض المصادفة انه لابد أن يكون نتيجة توجيه محكم إحتاج إلى قدرة وتدبير ! . . »

و قال سيل هامان- هو عالم بيولوجي واستاذ في جامعة كنتا كي وجامعة سانت لويز سابقا استاذ في كلية آسبورى اخصائي في تقسيم الطفيليات الحيوانية :

« أينما اتجهت ببصرى في دنيا العلوم رأيت الأدلة على التصميم والإبداع على القانون والنظام - على وجود الخالق الاعلى سر في طريق مشمس وتأمل بدائع تركيب الأزهار واستمع إلى تغريد الطيور وانظر إلى عجائب الأعشاش فهل كان محض المصادفة أن تنتج الازهار ذلك الرحيق الحلو الذى يجتذب الحشرات فتلقح الازهار وتؤدى إلى زيادة المحصول في العالم التالي ؟ !

و هل هو محض مصادفة إذ تهبط حبوب اللقاح الرقيقة على ميسم الزهرة

فتثبت وتسير في القلم حتى تصل إلى المبيض فيتمّ التلقيح وتتكون البذور ؟!

أفليس من المنطق : أن نعتقد بأن يد الله التي لا نراها هي التي رتبت ونظمت هذه الاشياء تبعاً لقوانين : مازلنا في بداية الطريق نحو معرفتها والكشف عنها ؟!

وهل من الممكن أن يغرد الطير ـ لالان له أليفا فحسب ـ بل لان الله يحب تغريده ويعلم اننا نطرب بتغريده ؟ »

قال الله تعالى : « ومن الارض قطع متجاورات و جنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » الرعد : ٤)

في الاية دلالة واضحة على كمال قدرة الله تعالى وحكمته و انه هو المدبر للأشياء كلها . . .

و ذلك ان الشجر تخرج أغصانها وثمارها في وقت معلوم لايتأخر عنه ولا يتقدم ويتصعد الماء في ذلك الوقت علواً علواً ، وليس من طبعه إلاّ التسفل ثم يتفرق ذلك الماء في الورق والاغصان والثمر كل بقسطه و بقدرما فيه صلاحه .

ثم تختلف طعوم الثمار والماء واحد والشجرة جنس واحدة .

أفلا يدل ذلك على مدبر دبّره وحكيم أحكمه لايشبه المخلوقات . . .

نعم ما قال الراجز :

والارض فيها عبرة للمعتبر	تخبر عن صنع مليك مقتدر
تسقى بماء واحد أشجارها	و بقعة واحدة قرارها
والشمس والهواء ليس يختلف	و اكلها مختلف لا يأتلف
لو أنّ ذا من عمل الطبائع	أو انه صنعة غير صانع
لم يختلف وكان شيئا واحداً	هل يشبه الاولاد إلاّ الوالدا
الشمس والهواء يا معاند	والماء والتراب شيء واحد
فما الذى أوجب ذا التفاضل	إلاّ حكيم لم يرده باطلا

وقال الله تعالى : « الذى جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناءً و أنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » البقرة : ٢٢)

ان الله تعالى مهّد لكم الارض وجعلها فراشاً ورفع فوقكم السماء بغير عمد ترونها وأنزل من السماء ماء فأنبت به من الثمرات رزقا لكم .

ان علم النبات وعلم الفلاحة والزراعة أوعمارة الارض علم واسع النطاق منتشر فى جميع الآفاق طويل المدى لايحصيه عدٌ ولا ينكر فضله أحد .

وان النبات من جملة بدائع القدرة الالهية فى المخلوقات من حيث ايجاد الاشجار والثمار والحبوب والازهار . . .

والتأمل فى كيفية تكوينها و جميل صنعها مما يقوى فى الانسان عقيدة الايمان برب السموات والارض وجميع الكائنات .



النخل وتوجيه الانسان

الى توحيد الربوبية وسعة الرحمة

ان الله تعالى ذكر النخل في القرآن الكريم ووصفها بمواضع منه منها ما في هذه السورة التي نحن فيها التوجيه الانسان إلى التوحيد وسعة رحمته إذ قال: « فلينظر الانسان إلى طعامه ـ إلى قوله ـ وزيتوناً ونخلاً » عبس : ٢٤ ـ ٢٩)

ومنها ما قال : « و نزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا بـه جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد » ق : ٩ ـ ١١)

ومنها ما قال : « والارض للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام» الرحمن: ١٠ ـ ١١)

ومنها ما قال : « ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد و نفضّل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » الرعد : ٣).

فلنا البحث على ما يقتضيه المقام ثم التعقل :

في البحار في رواية طويلة ـ سئل رجل من شباب اليهود علي بن ابيطالب عليه السلام عن أول شجرة نبتت على وجه الارض فقال عليه السلام : ان اليهود تـزعم انها الزيتون و كذبوا! وإنما هي النخلة التي هبط بها آدم عليه السلام معه من الجنة فغرسها وأصل النخل كله منها .

ان النخل شجر معروف وهو لايثمر إلا في الاقطار المعتدلة الحرارة شتاءاً والشديدة صيفاً شجرة النخيل كثيرة العروق دقيقتها بطيئة النشوء طويلة العمر

تعيش قروناً منتصبة الارتفاع مستديرة الاصل مسدّسة مخارج الشعف مستطيلة الاوراق مزدوجة مقابل دخوالجرم .

قيل : إن سبب كثرة العروق لها لكيما تجذب بها القوة الطبيعية الجاذبة للمواد الكثيرة وذلك لشدة حاجة هذا الجنس من النبات إلى مواد الكثيرة و لكيما تحفظها من الآفات العارضة من البرد والحر المفرطين و من الرياح والعواصف وما إليها . . .

وتخلف بعدها خلفة تنمو بجانبها .

وان النخل منذ زرع من قديم الزمان وهوذوقيمة لدى سكان البلادالتى نجحت زراعته فيها ، ومن طبع هذا النبات وعادته أن ينبت فى البلاد القليلة المطر الشديدة الحرفى الصيف وقدكان منذ دهوروولايزال أهم نبات مغذ لاهل الصحارى الكبرى فانه هوالقوت الغالب للبدو ، و للناس المتقاعدين فى هذه البلاد و مع أن هذا الشجرمن أقدم ما زرعه الانسان للانتفاع بثمره ، فانه لم ينتشرأكثرمماكان منذألوف من السنين وفيماعدا المناطق الحارة القاحلة فى الجنوب الغربى من آسيا وفى شمال آفريقا لايكثرثمر النخل وهو ذوقيمةزهيدة من حيث انه مورد للقوت .

و زراعة النخل مقصورة على الجهات القاحلة والشبيهة بها وهو يقاوم التغيرات العجيبة لدرجات الحرارةومع أنه ينمونمواً عظيماً فى المناطق القاحلة والتى تليها فانه ليس نباتاً صحراوياً بمعنى الكلمة .

بل يحتاج فى أول أمره إلى رى كثيردائم فى جذوره مع أنه ينجح نجاحاً عظيماً فى الأقاليم الجافة الشديدة الحرارة .

وأهم الشروط الضرورية لنمو النخل وإثماره هوالحرالشديد ومع قدرته على تحمل البرد الشديد فى الشتاء نضج ثمره جيداً يحتاج إلى جوّ حارجداً .

« الفواكه وأنواعها »

قال الله تعالى في مقام توجيه الانسان إلى توحيد الربوبية وسعة رحمته بما هيّأه له من الأطعمة والأغذية منها الفاكهة: « وفاكهة وأبّاً متاعاً لكم ولانعامكم » عبس : ٣١ ـ ٣٢)

وقال : « فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون » المؤمنون : ١٩)

في تفسير البرهان : بالاسناد عن مسعدة بن زياد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الفاكهة مأة وعشرون لوناً سيّدها الرمان .

وفي الخصال : باسناده عن إبن أبي عمير عمن ذكره عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لمّا أهبط الله عزوجل آدم عليه السلام من الجنة أهبط معه عشرين ومأة قضيب منها أربعون ما يؤكل داخلها وخارجها وأربعون منها ما يؤكل داخلها ويرمى بخارجها و أربعون منها ما يؤكل خارجها ويرمى بداخلها و غرارة فيها بزر كل شيء .

قوله عليه السلام « غرارة » بالكسر : جواليق ؛ « بزر » كل حبّ يبذر للنبات.

وفي البحار : عن إبن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أكل الفاكهة وبدأ ببسم الله لم تضرّه وقال صلى الله عليه وآله وسلم : لما أخرج آدم عليه السلام من الجنة زوّده الله تعالى من ثمار الجنة وعلّمه صنعة كل شيء فثمار كم من ثمار الجنة غير ان هذه تغيّر وتلك لا تتغير .

وفي الكافي : باسناده عن أحمد بن يحيى الطحّان عمن حدّثه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : خمس من فواكه الجنة في الدنيا : الرمان الأمليسي والتفاح الشعشعاني والسفرجل والعنب الرازقي والرطب المشان .

أقول : قيل :في «الامليسي» الملس -بالتحريك - هوما لاعجم له «الشعشعاني» يعني الشامي .

وفي أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن وهب بن وهب عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأى الفاكهة الجديدة قبلها ووضعها على عينيه وفمه ثم قال : اللهم كما أريتنا أولها في عافية فارنا آخرها في عافية .

ان الفواكه من الاغذية اللطيفة ذات الخصائص الجليلة على البنية وهي تحتوي على جميع الاصول المغذية التي تحتاج إليها البنية .

وقد قسم علماء النبات الفواكه إلى سبع رتب وهي :

١ـ الفواكه الحمضية كالبرتقال والليمون والتمر الهندي والاناناس والرمان.

٢ـ الفواكه المزة كالشليك والتوت الشوكي والخوخ .

٣ـ الفواكه السكرية أي التي تغلب فيها المواد السكرية كالبرقوق والعنب والبلح والتين والقراصيا وما إليها .

٤ـ الفواكه الزيتية أي التي تحتوي على مواد دهنية كثيرة وهي مثل الزيتون والجوز واللوز وجوز الكوكو وما إليها .

٥ ـ الفواكه المائية كالشمام والبطيخ .

٦ـ الفواكه العطرية كالمانجو والخوخ .

٧ـ الفواكه النشوية والفواكه القابضة كالزعرور والسفرجل والغبيراء .

ثم قالوا : إن جميع الفواكه يصنع منها أغذية غاية في اللذة يحسن بكل إنسان أن يتناولها ولكن لايجوز الافراط فيها .

وقال الآخر : ان الفواكه من أصح الأغذية لأنها تطهر أنما الدم ولها خواص جليلة اخرى وهى أصح ما تكون ان تنوولت نيئة .

وقد يجهل الكثيرون ان الفواكه تطفىء العطش و تبرد الدم المتهيج و تهدىء إنفعالات الاعصاب و تنشط حركة التبرز الكسلانية و يجهل الاكثرون أيضاً أن الفواكه مغذية للاطفال .

ان الفواكه ترخى المريض بخفة وجميع الذين يعتبرون أنفسهم أصحاء فى الظاهر يحملون فى أجسادهم مواد مرضية والفواكه تذيب هذه المواد المرضية و تخرجها من أجسادهم فهى أفضل الأغذية للانسان فننصح الناس أجمعين بتعاطيها.

الأفضل أن تؤكل الفواكه نيئة لان الطبخ يضيع روائحها الشذية ومع ذلك فان المرضى يستفيدون منها وهى مطبوخة مالا يستفيدونه وهى نيئة وجاء فى كتاب (الطب الطبيعى) ما ملخصه : «يجب العناية الشديدة بتعاطى الفواكه لطرد الامراض الجسدية فهى تنشط الوظائف الطبيعية للجسم وتشفى أمراضه»

وقد عرف الاقدمون خصائص الفواكه وخواصها فى شفاء الامراض وصحة الاجساد ، فأشاروا بتعاطيها فى العلل المختلفة .

وقد اعترف الكيماويون الفزيولوجيون وأصحاب نظرية الازوت بان العلاج بالفواكه نافع جداً لتنشيط الوظائف الحيوية للانسان فهى كافية كل الكفاية لبنائها وتكميلها وقد حصلنا على الدليل العملى على ذلك لاعلى الدليل النظرى وحده من مشاهدة حالة أكلة الفواكه وان زراعة الفواكه أحسن أنواع الزراعات بعد الحبوب تجب العناية بهذا الفن .

وعلى أصحاب الدعوات الاصلاحية والاجتماعية الدينية تنشيط الناس على إستغلال هذا النوع من خيرات الارض .

وقد قسّم الاخرون منهم الفواكه ـ على إختلاف ألوانها وأنواعها وآثارها على سبعة أقسام على الترتيب التالى :

أحدها ـ الاشجار التى ثمارها ذات بروز صغيرة كأشجار الكمثرى و التفاح و السفرجل و البرتقان و ايجل و الرمان و الجوافا .

ثانيها ـ الاشجار التى ثمارها ذات عجم كأشجار الخوخ والبرقوق والكرز والمشمش والامبه واللوز والعناب والنبق والمخيط والفستق والاهليلج .

ثالثها ـ الاشجار ذات الثمار اللحمية المحتوية على النوى كالنخيل والدوم.

رابعها ـ الاشجار ذات الثمار العنبية و اللحمية كأشجار العنب و التوت الشوكى والتين البرشومى والجمير والتين الشوكى والپاپاز والموز .

خامسها ـ الاشجار ذات الثمار الجوزية كأشجار الجوز والبندق .

سادسها ـ الاشجار ذات الثمار المحتوية على بروز صغيرة غلفها صلبة كالاشجار المشملة والجمبوزا والقشطة والتبلدى .

سابعها ـ الاشجار ذات الثمار القرينة كأشجار الخرنوب والتمر الهندى .

و ان العنب هو كمعظم النباتات المغذية النافعة و ينبت شجر العنب فى جميع البلاد التى حرارتها معتدلة .

و ان شجر الزيتون يستخرج منه الزيت، وقد ثبت بالتجارب ان هذا الشجر إذا زرع على حدود الصحراء فى أرض مرتفعة نجح أكثر مما إذا زرع فى الأراضى المنخفضة ، و أشجارها توجد كثيراً إلى الآن فى الصحراء المغربية .

عمر بن الخطاب

و جهله بمعنى الأب

وقد أخرج كثير من أعلام العامة روايات فى جهل عمر بن الخطاب بمعنى الأب نشير إلى مايسعه المقام :

١ ـ الحاكم فى (المستدرك ج٢ ص ٥١٤) و صححه هو وأقره الذهبى فى تلخيصه .

٢ ـ الخطيب فى (تاريخه ج١١ ص ٤٦٧) .

٣ ـ محب الدين الطبرى فى (الرياض النضرة ج٢ص٤٩) نقلا عن البخارى و البغوى و الملخص الذهبى .

٤ ـ الشاطبى فى (الموافقات ج١ ص٢١ ـ ٢٥) .

٥ ـ إبن جوزى فى (سيرة عمر ص١٢٠) .

٦ ـ إبن الأثير فى (النهاية ج١ ص١٠) .

٧ ـ إبن تيمية فى (مقدمة اصول التفسير ص٣٠) .

٨ ـ إبن جرير الطبرى فى (تفسيره ج٣٠ ص٣٨) .

٩ ـ الزمخشرى فى (الكشاف ج٣ ص٢٥٣).

١٠ ـ إبن كثير فى(تفسيره ج٤ ص٤٧٣) و صححه .

١١ ـ الخازن البغدادى فى تفسيره (لباب التأويل ج٤ ص٣٧٤) .

١٢ ـ السيوطى فى (الدر المنثور ج٦ ص ٣١٨) عن جمع من الحفاظ

المذكورين .

۱۳ ـ أبوالسعود العمادی فی (إرشاد عقل سليم) .

و غيرهم .

عن أنس بن مالك قال : ان عمر قرأ على المنبر : « فأنبتنا فيها حبّاً و عنباً وقضباً و زيتوناً و نخلاً و حدائق غلباً و فاكهة و أبّاً » .

قال : كل هذا عرفناه فما الأب ؟ ثم رفض عصاً كانت في يده فقال: هذا لعمر الله هو التكليف فما عليك أن لاتدری ما الاب ؟ اتبعوا ما بيّن لكم هداه من الكتاب فاعملوا به و ما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه .

و في رواية .

قال أنس : بينا عمر جالس في أصحابه إذ تلا هذه الاية : « فانبتنا فيها حباً و عنباً وقضباً و زيتوناً و نخلاً و حدائق غلباً وفاكهة وأبّاً » ثم قال : هذا كله عرفناه فما الأب ؟ قال : و في يده عصيّة يضرب بها الارض فقال : هذا لعمر الله التكلف فخذوا أيها الناس بما بيّن لكم فاعملوا به وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه .

و عن إبن عباس قال : كنت عند عمر و عنده أصحابه فسئلهم فقال : أرأيتم قول رسول الله ﷺ في ليلة القدر : إلتمسوها في العشر الاواخر وتراً أیّ ليلة ترونها ؟ فقال بعضهم ليلة إحدى ، وقال بعضهم : ليلة ثلاث ، وقال بعضهم : ليلة خمس ، وقال بعضهم ليلة سبع .

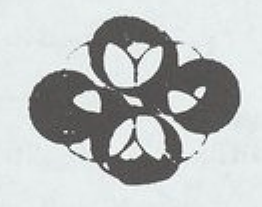
فقالوا : وانا ساکت فقال : مالك لاتتكلم؟فقلت : إنك أمرتنی أن لاأتكلّم حتى يتكلموا فقال : ما أرسلت إليك الا تتكلم فقلت : انی سمعت الله يذكر السبع فذكر سبع سموات ومن الارض مثلهن وخلق الانسان من سبع ونبت الارض سبع فقال عمر :

هذا اخبرتنی ما أعلم أرايت مالم أعلم قولك (نبت الارض سبع) قال : قال الله عزوجل: «إنا شققنا الارض شقاً فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً و

نخلاً و حدائق غلباً » .

قال : فالحدائق الغلب الحيطان من النخل والشجر « وفاكهة وأباً » قال: فالاب ما أنبت الارض مما تأكله الدواب و الانعام ولا يأكله الناس قال : فقال عمر لاصحابه : أعجز تم أن تقولوا كما قال هذا الغلام الذى لم تجتمع شئون رأسه والله انى لأرى القول كما قلت .

ولايخفى على القارىء الخبير : ان الخليفة عجز أيضاً عن معرفة ما قاله الغلام الذى لم تجتمع شئون رأسه والاب ذلك الذى أعيى الخليفة و رأى علمه تكلفاً .



﴿حياة عمر بن الخطاب وأساتذته﴾

ونحن نشير على طريق الاختصار إلى ماورد في المقام عن طريق العامة ليقض القارىء المنصف سليم القلب على ما هو الواقع :

كان عمر بن الخطاب ردحاً من الزمن يرعى الابل في وادي ضجنان ـ جبل بناحية مكة ـ يرعب ويتعب إذا عمل ، ويضرب إذا قصر .

كما في الاستيعاب (ج ٢ ص ٤٢٨) والرياض النضرة (ج٢ ص ٥٠) وتاريخ أبي الفدا (ج١ ص ١٦٥) و (الخلفاء ص ١١٣) للنجار .

وآونة كان عمر يحتطب ويحمل فوق رأسه حزمة من الحطب مع أبيه الخطاب، وما منهما إلاّ في نمرة ـ بردة من صوف تلبسها الاعراب والاماء فيها تخطيط ـ لا تبلغ رسغيه . الرسخ : مفصل ما بين الساعد والكتف والساق والقدم .

كما في (العقد الفريد ج ١ ص ٩١) وشرح (إبن أبي الحديد ج١ ص٥٨) و(فائق الزمخشري ج ٢ ص٢٨) .

وكان عمر بن الخطاب مدة يقف في سوق عكاظ ، وبيده عصا ترع الصبيان به، و كان يوم ذلك يسمى عميراً .

كمافي الاستيعاب في هامش (الاصابة ج٤ ص٢٩١) و(الاصابة ج٤ ص ٢٩) و(الفتوحات الاسلامية ج٢ ص٤٢٣) .

وكان برهة من أيام إسلامه يمتهن بالبرطشة ،وكان مبرطشاً يلهيه عن أخذ الكتاب والسنة الصفق بالأسواق ، وكان دهراً يبيع الخيط والقرظة بالبقيع .

وأما علمه فأخذه عن اناس من الصحابة حيث كان يفقد ماعندهم من الفقه وفيهم من لم يعرف بالعلم وهم :

١- عبدالرحمن بن عوف
٢- معاذبن جبل .
٣- عبدالله بن العباس
٤- زيدبن ثابت .
٥- عمار بن ياسر
٦- أبوعبيدة الجراح .
٧- عبدالله بن مسعود
٨- مغيرة بن شعبة .
٩- محمد بن مسلمة
١٠- أبوموسى الاشعرى .
١١- أبوسعيد الخدرى
١٢- ابى بن كعب .
١٣- صهيب أبويحيى
١٤- الضحاك بن سفيان
١٥- حمل بن نابغة
١٦- عبدالله بن عمرو بن العاص
١٧- أبو واقد الليثى
١٨- إمرأة من قريش
١٩- شاب من فتيان الانصار
٢٠- رجل لايعرف
٢١- عبدأسود
٢٢- عجوز مدنية
٢٣- شيخ من هذيل
٢٤- رجل من بنى مدلج
٢٥- رجل شامى

وقدكان عمر بن الخطاب يستفيد من كعب الاحبار، ووهب بن منبه، ويحرض الناس على الاستفادة منهما .

وفى تفسير إبن كثير الدمشقى (ج٤ ص ١٧) مالفظه :

فانه - كعب الاحبار - لماأسلم فى الدولة العمرية جعل يحدث عمر عن كتبه قديماً فربما إستمع لهعمر ، فترخص الناس فى إستماع ماعنده ونقلوا ما عنده عنه غثها وسمينها .

﴿ عمر بن الخطاب و جهالاته ﴾

لايسع المقام بذكر جميع ماورد عن طريق العامة من جهالات عمر بن الخطاب في شتى النواحي ، ولكن لانتركها تماماً ، إتماماً للحجة على المردة :

١ ـ أخرج مسلم في صحيحه في باب التيمم بأربعه طرق عن عبدالرحمن بن أبزى : إن رجلاً أتى عمر فقال : اني أجنبت فلم أجد ماءاً ؟ فقال عمر: لاتصلّ ، فقال عمار : أما تذكر يا أميرالمؤمنين ! إذ أنا وأنت في سريّة فاجنبنا فلم نجد ماء فأما انت فلم تصلّ ،وأما أنا فتمعّكت في التراب وصلّيت، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إنماكان يكفيك أن تضرب بيديك الارض ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك و كفيك؟ فقال عمر : اتق الله يا عمار ! قال : إن شئت لم احدّث به ؟ .

رواه جماعة من أعلام العامة في أسفارهم مع إختلاف يسير :

كأبي داود في سننه ، و إبن ماجة في سننه ، و أحمد في مسنده ، و النسائي في سننه ، والبيهقي في سننه ، والبخاري في صحيحه ، والبغوي في المصابيح ، و الذهبي في تذكرته وغيرهم من حملة أسفار العامة .

اقول : وقد كان عمر بن الخطاب يترك الصلاة يوم أجنب في السرية بعد ماجاء الاسلام بالطهورين ، و كان جاهلاً عن آية التيمم و حكم القرآن الكريم ، أو كان يغضّ بصره عن تعليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عماراً بكيفية التيمم ، ويجتهد في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كيف فتح باب الاجتهاد بمصراعيه على الامة مع وجود نبيهم بين ظهرانيهم ؟ .

٢ ـ أخرج أحمد الحنبل فى (مسنده ج١ ص١٩٢) باسناده عن مكحول : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إذا صلّى أحدكم فشكّ فى صلاته ، فان شك فى الواحدة والثنتين فليجعلها واحدة وإن شك فى الثنتين والثلاث فليجعلها ثنتين ، وإن شك فى الثلاث والاربع فليجعلها ثلاثاً حتى يكون الوهم فى الزيادة ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم ثم يسلّم . قال محمد بن إسحق : وقال لى حسين بن عبدالله : هل أسنده لك ؟ فقلت : لافقال : لكنه حدثنى ان كريباً مولى إبن عباس حدّثه عن إبن عباس قال : جلست إلى عمر بن الخطاب ، فقال : يابن عباس ! إذا اشتبه على الرجل فى صلاته فلم يدر أزاد أم نقص ؟ قلت : ياأمير المؤمنين ! ماأدرى ماسمعت فى ذلك شيئاً فقال عمر : والله ماأدرى .

اقول : أولاتعجب من سيدٌ عى الخلافة للامة الاسلامية وهو لايعلم حكم شكوك الصلاة وهو مبتلى بها فى اليوم والليلة خمساً ؟ ولم يهتمّ بأمرها حتى يسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنها إلى أن يؤل أمره إلى السؤال عن غلام لايعلمها أيضاً ، فينبأه بها عبدالرحمن بن عوف ، أنالا أدرى كيف كان يفعل ، و هو بتلك الحال لو شك فى صلاة يأم فيها مردته ؟ .

٣ ـ أخرج إبن أبى حاتم و البيهقى عن الدئلى : ان عمر بن الخطاب رفعت إليه إمرأة ولدت لستة فهمّ برجمها ، فبلغ ذلك علياً فقال : ليس عليها رجم ، فبلغ ذلك عمر ، فأرسل إليه فسئله ، فقال : قال الله تعالى: «والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين» وقال: «وحمله وفصاله ثلاثون شهراً» . فستة أشهر حمله و حولين فذلك ثلاثون شهراً فخلى عنها .

وفى لفظ النيسابورى و الحافظ الكنجى : فصدّقه عمر ، وقال : لولا على لهلك عمر .

وفى لفظ سبط إبن الجوزى : فخلّى وقال : اللهم لاتبقنى لمعضلة ليس لها إبن أبى طالب .

وأخرج عبدالرزاق وعبدبن حميد وإبن المنذر باسنادهم عن الدئلي قال : رفع إلى عمر إمرأة ولدت لستة أشهر فأراد عمر أن يرجمها ، فجائت اختها إلى علي بن أبيطالب، فقالت: إن عمر يرجم اختي، فانشدك الله إن كنت تعلم أن لها عذراً لما أخبرتني به فقال علي عليه السلام :إن لها عذراً فكبّرت تكبيرة سمعها عمر و من عنده ، فانطلقت إلى عمر فقالت : إن علياً زعم أن لاختي عذراً ، فأرسل عمر إلى عليّ ما عذرها ؟ قال : إن الله يقول : والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين . فقال وحمله وفصاله ثلاثون شهراً . وقال : وفصاله في عامين ، و كان الحمل هنا ستة أشهر ، فتركها عمر، قال: ثم بلغنا انها ولدت آخر لستة أشهر .

وأخرج العقيلي وإبن السمان عن أبي حزم بن الأسود: ان عمر أراد رجم المرأة التي ولدت لستة أشهر فقال له علي عليه السلام إن الله تعالى يقول: وحمله وفصاله ثلاثون شهراً . وقال تعالى وفصاله في عامين . فالحمل ستة أشهر والفصال في عامين. فترك عمر رجمها وقال : لولا عليّ لهلك عمر .

روى هذه القضية جماعة من أعلام العامة باختلاف يسير :

كالبيهقي في (السنن الكبرى ج ٧ ص ٤٤٢) والطبري في (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٤) وفي (ذخائر العقبى ص ٨٢) و الرازي في (تفسيره ج ٧ ص ٤٨٤) وفي (الأربعين ص ٤٦٦) والنيسابوري (في تفسير سورة الاحقاف) والگنجي في (الكفاية ص١٠٥) والخوارزمي في (المناقب ص٥٧) والسبط في (التذكرة ص٨٧) والسيوطي في(الدرالمنثور ج ١ ص ٢٨٨) و(ج ٦ ص ٤٠) وأبي عمر في (مختصر جامع الاصول ص ١٥٠) وغيرهم .

و في شرح إبن أبي الحديد (ج ١٢ ص ٢٠٢ دار الاحياء الكتب العربية) انه - عمر - أمر برجم حامل حتى نبّهه معاذ و قال : إن يكن لك عليها. سبيل، فلاسبيل لك على مابطنها ، فرجع عن حكمه ، وقال : لولامعاذ لهلك عمر . من يجهل هذاالقدر لايجوز أن يكون إماماً لانه يجري مجرى اصول الشرع

، بل العقل يدل عليه لان الرجم عقوبة ، ولا يجوز أن يعاقب من لا يستحق .

وفيه: أيضاً ما لفظه : الطعن الثالث :

«خبر المجنونة التي أمر برجمها، فنبّهه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: ان القلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق فقال : لولا عليّ لهلك عمر »

وهذا يدل على أنه لم يكن يعرف الظاهر من الشريعة .

وأخرج عبدالرزّاق وإبن المنذر عن نافع بن جبير : ان إبن عباس أخبره قال: لصاحب إمرأة التي اتى بها عمر وضعت لستة أشهر ، فأنكر الناس ذلك فقلت لعمر : لا تظلم ، قال : كيف؟ قلت : إقرأ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً .والوالدت يرضعن أولادهن حولين كاملين ، كم الحول ؟ قال : سنة قلت : كم السنة ؟ قال : إثناعشر شهراً ، قلت: فأربعة وعشرون شهراً حولان كاملان، ويؤخّر الله من الحمل ماشاء ويقدّم ، قال : فاستراح عمر إلى قولي .

وفي الغدير : عن طريق العامة: عن أبي ظبيان قال: شهدت عمر بن الخطاب اتى بامرأة قد زنت ، فأمر برجمها فذهبوا بها ليرجموها فلقاهم عليّ فقال لهم:ما بال هذه؟ قالوا : زنت فأمر برجمها،فانتزعها عليّ من أيديهم فردّهم إلى عمر فقالوا : ردّنا عليّ ، قال : مافعل هذا إلاّ لشيء ، فأرسل إليه فجاءه، فقال : مالك رددت هذه؟ قال : أما سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ،وعن الصغير حتى يكبر، وعن المبتلى حتى يعقل؟ قال : بلى فهذه مبتلاة بني فلان فلعله أتاها و هو بها ، قال له عمر : لا أدري قال: وأنا لا أدري فترك رجمها .

وأبو ظبيان هو الحصين بن جندب الجنبي ـ بفتح الجيم ـ الكو في المتوفى ٩٠ يروي القصة عن إبن عباس .

اقول : ومن العار على المسلمين جداً أن يشغل فراغ النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من كان هذا شأنه في القضاء ، وهذا مبلغه من العلم ، و أن يسلّط على الانفس و

الأعراض والاموال والدماءوأن تفوّض النواميس الاسلامية وطقوس الامة وربقة المسلمين إلى يدمن كان هذه سيرته . . .

وهناك من عنده علم الكتاب ، والراسخ في العلم وبابه ، من هو بيان لاحكام الشرع و مقياس للشريعة الاسلامية ، وميزان لحدود الدين ، من كان علماً بين الامة المسلمة تجسّم فيه العلم والتقوى و الفضيلة كلها و هو مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام .

أوليس من الجهالة أوالعصبية أوالحماقة أن لايفرّق إنسان بين العالم و الجاهل ، بين النور والظلمة ، بين الأعمى والبصير ، بين الاحياء والاموات ، بين من يقول : كل الناس أفقه منى ، و من يقول: إنى أعلم بطرق السموات والارض بين من تكون خلافته فلتة باعترافه ، ومن يكون خيرة الله جل وعلا ومنصوبا من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبين من كان حائزاً لجميع الشئون الكريمة والفضائل و العصمة إلاّ النبوة ومايلازم تلك المرتبة السامية ، ومن يخلو من ذلك كله ؟ ؟ ؟

قال الله عزوجل :«وما يستوى الاعمى والبصير ولاالظلمات ولاالنور ولاالظل ولاالحرور ومايستوى الاحياء ولاالاموات » فاطر : ۱۹ ـ ۲۲)

وقال : « قل هل يستوى الذين يعلمون و الذين لايعلمون إنما يتذكر اولو الالباب » الزمر : ۹)

وقال : « هل يستوى هو و من يأمر بالعدل و هو على صراط مستقيم » النحل : ۷٦)

وقال : « قل هل يستوى الاعمى والبصير أفلا تتفكرون » الانعام : ۵۰)

ولايعترى ريب على من كان له عقل سليم و تحقيق: ان علياً عليه السلام كان هو أهل الذكر و عالماً دون النبى صلى الله عليه وآله وسلم فوق الخلق كله ، و كان هو عليه السلام جرثومة الفضل الذى يسئل عنه فى المعاضل ، ولايسئل هو عن غير النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، و كان هو الصراط المستقيم والنجم اللائح والقوام بأمر الله الذى إصطفاه بعلمه و

ارتضاه لغيبه واختاره لسرّه واجتباه بقدرته أعزّه بهداه وخصّه ببرهانه ، إنتجبه لنوره ، وأيّده بروحه و رضيه خليفة في أرضه ، وجلّله بكرامته غشاه برحمته ، وربّاه بنعمته غذاه بحكمته وألبسه بنوره و كرامته ، ورفعه في ملكوته ، حفظه بملائكته ، وعصمه بقدرته . . .

«الحمدلله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله»



كل الناس أفقه

من عمر بن الخطاب

وقد وقفت في المقام إلى الآن نحو خمسين كتاباً من الكتب المعتبرة عند العامة بأسانيد عديدة نشير إلى نبذة منها :

١ ـ أخرج أبو يعلى في مسنده الكبير عن مسروق بن الأجدع قال : ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله (ص) ثم قال : أيها الناس ما إكثاركم في صداق النساء ؟ و قد كان رسول الله (ص) وأصحابه والصدقات فيما بينهم أربعماة درهم فما دون ذلك ، ولو كان الاكثار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوهم إليها، فلأعرفنّ مازاد رجل في صداق إمرأة على أربعماة درهم .

قال : ثم نزل فأعترضته إمرأة من قريش ، فقالت : يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعماة درهم ؟ قال : نعم . فقالت : أما سمعت ماأنزل الله في القرآن ؟ قال : وأيّ ذلك ؟ فقالت : أما سمعت الله يقول : «و آتيتم إحداهنّ قنطاراً » ؟ قال : فقال : اللهم غفراً ، كل الناس أفقه من عمر، ثم رجع فركب المنبر فقال : أيها الناس ! إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعماة درهم ، فمن شاء أن يعطي من ماله ـ أو ـ فمن طابت نفسه فليفعل .

رواه جماعة من أعلام العامة وحملة أسفارهم :

١ ـ ابن كثير الدمشقي في (تفسيره ج١ ص٤٦٧) عن أبي يعلى وقال: إسناده جيّد قوي .

٢ ـ السيوطي في (الدرالمنثور ج٢ ص١٣٣) .

٣ ـ الشوكاني في تفسير (فتح القدير ج١ ص٤٠٧) .

٤ ـ سعيد بن منصور في (سننه) .

٥ ـ المحاملي في (أماليه) .

٦ ـ إبن الجوزي في (سيرة عمر ص١٢٩) .

٧ ـ الهيثمي في (مجمع الزوائد ج٤ ص٢٨٤) .

٨ ـ العجلوني في (كشف الخفاء ج١ ص٢٦٩) نقلاً عن أبي يعلى وقال : سنده جيد .

٩ ـ إبن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص١٦٧) وقال: حديث كل أحد أعلم أو أفقه من عمر . قاله عمر لما نهى عن المغالاة في الصداق ، وقالت إمرأة : قال الله : « وآتيتم إحداهن قنطاراً » رواه أبو يعلى وسنده جيد .

١٠ ـ السيوطي في (جمع الجوامع) كما في ترتيبه (ج٨ ص٢٩٨) وفي (الدرر المنتثرة ص ٢٤٣) نقلاً عن سبعة من الحفاظ ومنهم أحمد وإبن حبان والطبراني .

٢ ـ روى القرطبي في تفسيره (الجامع لاحكام القرآن ج١ص٤٦٧) :

عن عبدالله بن مصعب قال : قال عمر بن الخطاب : لاتزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية ، وان كان بنت ذي الفضة (يعني يزيد بن الحصين الحارثي) فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال ، فقامت إمرأة من صف النساء طويلة في أنفها فطس ، فقالت : ماذاك لك ؟ قال : و لم ؟ قالت : ان الله تعالى يقول : « وآتيتم إحداهن قنطاراً » الاية فقال عمر : إمرأة أصابت ورجل أخطأ .

رواه جماعة من حملة أسفار العامة :

١ ـ الزبير بن بكار في (الموفقيات) .

٢ ـ إبن عبدالبر في (جامع العلم) كمافي مختصره (ص٦٦).

٣ ـ إبن الجوزي في (سيرة عمر ص١٢٩) وفي كتابه : (الاذكياء ص١٦٢) .

٤- ابن كثير الدمشقى فى (تفسيره ج ١ص ٤٦٧).

٥- السيوطى فى (الدر المنثور ج٢ ص ١٣٣) وفى (جمع الجوامع) كما فى ترتيبه (الكنز ج ٨ ص ٢٩٨) عن إبن بكار و إبن عبدالبر

٦- السندى فى حاشية (سنن إبن ماجه ج ١ ص ٥٨٤)

٧- العجلونى فى (كشف الخفاء ج١ ص ٢٧٠) وفى (ج٢ ص١١٨)

٣- أخرج البيهقى فى (سننه الكبرى ج ٧ ص ٢٣٣) :

عن الشعبى قال : خطب عمر بن الخطاب الناس فحمدالله و أثنى عليه . و قال : ألالاتغالوا فى صداق النساء فانه لايبلغنى عن أحد ساق أكثر من شىء ساقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوسبق إليه إلاّ جعلت فضل ذلك فى بيت المال ثم نزل ، عرضت له إمرأة من قريش فقال : يا أمير المؤمنين ! أكتاب الله تعالى أحق أن يتبع أو قولك ؟ قال : بل كتاب الله تعالى ، فماذاك ؟ قالت : نهيت الناس آنفاً أن لايغالوا فى صداق النساء والله تعالى يقول فى كتابه :« وآتيتم إحداهن قنطاراً فلاتأخذوا منه شيئاً » فقال عمر : كل أحد أفقه من عمر مرتين أوثلاثاً . الحديث .

رواه جماعة من أعلامهم :

١- السيوطى فى (جمع الجوامع) كما فى (الكنز ج ٨ ص ٢٩٨) نقلاً عن سنن سعيد بن منصور والبيهقى .

٢- السندى فى حاشية (السنن لابن ماجه ج ١ ص ٥٨٣)

٣- العجلونى فى (كشف الخفاء ج ١ ص٢٦٩) و(ج ٢ ص١٨)

٤- روى الزمخشرى فى تفسير (الكشاف ج ١ ص ٣٥٧) :

قام عمر خطيباً فقال : أيها الناس لاتغالوا بصداق النساء فلو كانت مكرمة فى الدنيا أوتقوى عندالله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أصدق إمرأة من نسائه أكثر من إثنى عشر أوقية ، فقامت إليه إمرأة فقالت له: ياأمير المؤمنين! لم تمنعنا حقاً جعله الله لنا ؟ والله يقول : « وآتيتم إحداهن قنطاراً » فقال عمر كل

أحد أعلم من عمر ، ثم قال لأصحابه : تسمعو ننى أقول مثل القول ، فلا تنكرننى علىّ حتى تردعلىّ امرأة ليست من أعلم النساء .

رواه القسطلانى فى شرح (صحيح البخارى ج ٨ ص ٥٧)

٥- أخرج عبدالرزاق وابن المنذر بالاسناد عن عبدالرحمن السلمى قال : قال عمر بن الخطاب : لاتغالوا فـى مهور النساء ، فقالت إمرأة : ليس ذلك لك يا عمر ! إن الله يقول : « وآتيتم إحداهن قنطاراً من ذهب - قال: وكذلك هى فى قراءة عبدالله بن مسعود - فلايحل لكم أن تأخذوا منه شيئاً » فقال عمر: إن إمرأة خاصمت عمر فخصمته .

رواه إبن كثير فى (تفسيره ج ١ ص ٤٦٧) والقسطلانى فى (إرشادالسارى ج٨ ص ٥٧) والسندى فى حاشية (سنن إبن ماجه ج١ ص ٥٨٣) و العجلونى فـى (كشف الخفاء ج ١ ص ٢٦٩) و (ج٢ ص ١١٨) .

٦- روى العجلونى فى (كشف الخفاء ج ١ ص ٤٨٨) مالفظه :

قال عمر على المنبر : لاتغالوا بصدقات النساء ، فقالت إمرأة : أنتبع قولك؟ أم قول الله : « و آتيتم إحداهن قنطاراً » ؟ فقال عمر : كل أحد أعلم من عمر ، تزوجوا على ماشئتم .

رواه عبدالله النسفى فى تفسيره (مدارك التنزيل فى هامش (تفسير الخازن ج١ ص٣٥٣) .

٧- روى القرطبى فى تفسيره (الجامع لاحكام القرآن ج٥ ص٩٩) مالفظه:

إن عمر قال على المنبر: ألالاتغالوا فى مهور نساءكم ، فقامت إمرأة فقالت: يابن الخطاب ! أالله يعطينا وأنت تمنعنا ؟ وتلت الآية فقال : كل الناس أفقه منك ياعمر .

رواه النيسابورى فى تفسيره (غرائب القرآن ج ١ فى سورة النساء)والخازن البغدادى فى تفسيره (لباب التأويل ج ١ ص ٣٥٣) . وفى (الفتوحات الاسلامية ج

٢ ص ٤٧٧) وزاد فيه: حتى النساء .

٨- روى إبن أبى الحديد فى (شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٦١) و(ج ٣ ص ٩٦) مالفظه : قال عمر مرّة : لايبلغنى ان إمرأة تجاوز صداقها صداق نساء النبى إلاّ إرتجعت ذلك منها ، فقالت له إمرأة : ماجعل الله لك ذلك ، إنه تعالى قال : « و آتيتم إحداهن قنطاراً . . . » الآية فقال : كل الناس أفقه من عمر حتى ربّات الحجال ألاتعجبون من إمام أخطأ وإمرأة أصابت؟ فاضلت إمامكم ففضلته (فنضلته) .

وفى لفظ الخازن : إمرأة أصابت وأمير أخطأ . وفى لفظ القرطبى :أصابت إمرأة وأخطأ عمر . وفى لفظ الرازى فى (الاربعين ص ٤٦٧) : كل الناس أفقه من عمر حتى المخدرات فى البيوت . و فى لفظ الباقلانى فى (التمهيد ص ١٩٩) : إمرأة أصابت ورجل أخطأ وأمير ناضل فنضل ، كل الناس أفقه منك ياعمر !

٩- روى الشهاب الابشيهى فى (المستطرف ج ١ ص ٧٠) عن المنتظم لابن الجوزى مالفظه :

صعد عمر المنبر فقال : أيها الناس لاتزيدوا فى مهور النساء على أربعمأة درهم ، فمن زاد ألقيت زيادته فى بيت مال المسلمين ، فهاب الناس أن يكلّموه فقامت إمرأة فى يدها طول، فقالت له: كيف يحلّ لك هذا ؟ والله يقول :«وآتيتم إحداهن قنطاراً فلاتأخذوا منه شيئاً » فقال عمر : إمرأة أصابت ورجل أخطأ .

وقد جمع الحاكم النيسابورى طرق هذه الخطبة لعمر بن الخطاب فى جزء كبير كماقاله فى (المستدرك ج ٢ ص ١٧٧) وقال : تواترت الأسانيد الصحيحة بصحة خطبة عمر بن الخطاب بذلك وأقرّه الذهبى فى تلخيص المستدرك، وأخرجها الخطيب البغدادى فى (تاريخه ج٣ ص ٢٥٧) بعدة طرق وصحّحها غير أنه لم يذكر تمام الحديث بل يذكر الخطبة فحسب ثم يقول : الحديث بطوله ...

ولعل عمر بن الخطاب أخذ برأى إمرأة أصابت وتزوّج بام كلثوم وجعل مهرها أربعين ألفاً كمافى (تاريخ إبن كثير ج ٧ ص ٨١ و١٣٩) وفى (الفتوحات الاسلامية لاحمد زينى دحلان ج ٢ ص ٤٧٢) وفى (الاصابة للعسقلانى ج ٤ ص ٤٩٢)

۱۰ـ روى إبن أبى الحديد فى (شرح نهج البلاغة ج ۱ ص ۶۱) مالفظه :
مرّ عمر يوماً بشاب من فتيان الأنصار و هو ظمآن ، فاستقاه فجدح له ماء بعسل فلم يشربه ، وقال : إنّ الله تعالى يقول: «أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا» فقال له الفتى : يا أمير المؤمنين ! إنها ليست لك ولا لاحد من أهل القبلة إقرأ ماقبلها : «ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها» فقال : كل الناس أفقه من عمر .

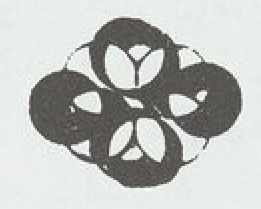
۱۱ـ روى محب الدين الطبرى فى (الرياض النضرة ج ۲ ص ۵۷) مالفظه :
لما رجع عمر بن الخطاب من الشام إلى المدينة إنفرد عن الناس ليعرف أخبارهم فمرّ بعجوز فى خبائها ، فقصدها فقالت : ياهذا مافعل عمر ؟ قال : هوذا قد أقبل من الشام قالت : لاجزاه الله عنى خيراً ، قال : ويحك ولم ؟ قالت : لانه والله مانالنى من عطائه منذ ولّى إلى يومنا هذا دينار ولادرهم ، فقال : و يحك و ما يدرى عمر حالك وأنت فى هذا الموضع ؟ فقالت: سبحان الله ماظننت أن أحداً يلى على الناس ولايدرى مابين مشرقها ومغربها، قال: فأقبل عمر، وهو يبكى ويقول واعمراه واخصوماه كل واحد أفقه منك ياعمر . الحديث
وفى لفظ : كل واحد أفقه منك حتى العجائز ياعمر !.
رواه أحمد زينى دحلان فى (الفتوحات الاسلامية ج۲ ص ۴۰۸) والشبلنجى فى (نور الابصار ص ۶۵)

وفى هذه القصة درس للقارىء الخبير المتدبر المنصف : ان فكرة إحاطة علم الامام بالأشياء كلها أوجلّها فضلاً عن الشرائع و الاحكام فكرة بسيطة عامة يشترك فى لزومها الرجال والنساء ، فهى غريزة لاتعزب عن أىّ ابن انثى ، وقد فقدها عمر بن الخطاب الذى ادّعى الخلافة ، واعترف بأن كل واحد أفقه منه .

۱۲ـ أخرج إبن أبى شيبه وعبد بن حميد وإبن المنذر عن ابراهيم التميمى قال: قال رجل عند عمر : اللهم اجعلنى من القليل ، فقال عمر : ماهذا الدعاء ؟ فقال

الرجل : انى سمعت الله يقول . « وقليل من عبادى الشكور » فأنا أدعوه أن يجعلنى من ذلك القليل ، فقال عمر : كل الناس أفقه من عمر .

وفى لفظ القرطبى : كل الناس أعلم منك ياعمر ، وفى لفظ الزمخشرى : كل الناس أعلم من عمر .



﴿جهل عمر بن الخطاب بكتاب الله المجيد﴾

واعلم ان الروايات الواردة عن طريق العامة في جهل عمر بن الخطاب بالقرآن الكريم وأحكامه مالايسعه المقام بذكره، فنشير إلى نبذة منها لعل الله تعالى يهدى إلى صراط مستقيم من يهتدى ويترك العصبية الجهلاء ...

قال الله عز و جل : «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين» العنكبوت :٦٩)

١ـ أخرج الحاكم فى (المستدرك ج ١ ص ٤٥٧) عن أبى سعيد الخدرى قال : حججنامع عمر بن الخطاب ، فلما دخل الطواف إستقبل الحجر فقال : إنى أعلم أنك حجر لاتضرّ ولاتنفع ، ولولا إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبلك ما قبّلتك فقبّله ، فقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : بل ياعمر ! يضرّ و ينفع و لوعلمت ذلك من تأويل كتاب الله لعلمت أنه كماأقول قال الله تعالى :

«وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم... » الاية . فلما أقرّوا أنه الرب عزوجل وأنهم العبيد كتب ميثاقهم في رقّ و ألقمه فى هذا الحجر ، وأنه يبعث يوم القيامة وله عينان ولسان وشفتان يشهد لمن وافى بالموافاة فهو أمين الله فى هذا الكتاب ، فقال له عمر : لاأبقانى الله بأرض لست فيها ياأباالحسن ! .

وفى لفظ : أعوذ بالله أن أعيش فى قوم لست فيهم ياأباالحسن ! .

رواه جماعة من أعلام العامة :

١ـ إبن الجوزى فى (سيرة عمر ص ١٠٦)
٢ـ الأزرقى فى (تاريخ مكة) كما فى (العمدة)
٣ـ القسطلانى فى (إرشادى السارى ج ٣ ص ١٩٥)
٤ـ العينى فى (عمدة القارى ج ٤ ص ٦٠٦) بلفظيه .
٥ـ السيوطى فى (الجامع الكبيرـ كما فى ترتيبه ـ ج٣ ص ٣٥) نقلا عن الجندى فى فضائل مكة .
٦ـ إبن أبى الحديد فى (شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٢٢)
٧ـ أحمد زينى دحلان فى (الفتوحات الاسلامية ج ٢ ص ٤٨٦)

٢ـ روى إبن القيم الجوزية فى (الطرق الحكمية ص ٤٦) مالفظه :

ان عمر بن الخطاب سئل رجلا كيف أنت ؟ فقال : ممن يحبّ الفتنة ، و يكره الحق ويشهد على مالم يره ، فأمر به إلى السجن ، فأمر عليّ برده فقال : صدق ، فقال : كيف صدّقته ؟ قال : يحبّ المال والولد وقد قال الله تعالى: «إنما أموالكم و أولادكم فتنة» ويكره الموت وهو الحق ، ويشهد أن محمداً رسول الله ولم يره فأمر عمر باطلاقه ، وقال : الله يعلم حيث يجعل رسالته .

٣ـ روى الگنجى فى (الكفاية ص ٩٦) عن حذيفة بن اليمان انه لقى عمر بن الخطاب ، فقال له عمر: كيف أصبحت يابن اليمان ؟ فقال : كيف تريدنى أصبح؟ أصبحت والله أكره الحق واحب الفتنة ، وأشهد بمالم أره ، وأحفظ غير المخلوق، وأصلّى على غير وضوء ولى فى الارض ماليس لله فى السماء ، فغضب عمر لقوله وانصرف من فوره وقد أعجله أمر ، وعزم على أذى حذيفة لقوله ذلك، فبينا هو فى الطريق إذ مرّ بعلى بن أبى طالب ، فرآى الغضب فى وجهه ، فقال: ماأغضبك ياعمر؟ فقال :

لقيت حذيفة بن اليمان ، فسئلته كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت أكره الحق ، فقال : صدق يكره الموت وهو حق ، فقال : يقول : واحبّ الفتنة، قال:

صدق يحبّ المال والولد وقد قال الله تعالى : « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » فقال : ياعلي يقول : وأشهد بما لم أره فقال ، صدق يشهد لله بالوحدانية والموت والبعث والقيامة والجنة والنار والصراط ، ولم يرذلك كله ، فقال : ياعلي، وقد قال : إنني احفظ غير المخلوق قال : صدق يحفظ كتاب الله تعالى القرآن،وهو غيرمخلوق ، قال : ويقول : اصلي على غير وضوء فقال :

صدق يصلّي على إبن عميّ رسول‌الله على غير وضوء والصلاة عليه جائزة ، فقال : يا أباالحسن ! قد قال أكبر من ذلك ، فقال : وما هو ؟ قال : قال : إن لي في الارض ما ليس لله في السماء ، قال : صدق له زوجة و ولد ، و تعالى الله عن الزوجة والولد ، فقال عمر : كاديهلك إبن الخطاب لولا علي بن‌أبي‌طالب .

رواه إبن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة ص ١٨)

اقول : لعل هذه الفقرة : « و هو غير مخلوق» خرافة دسّت في الحديث إختلقها أنصار المذهب الباطل في خلق القرآن .

٤ـ روى الشبلنخي في (نور الابصار ص ٧٩) مالفظه : روى ان رجلا اتي به إلى عمربن الخطاب وكان‌صدر منه انه قال لجماعة من الناس وقدسئلوه كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت احب الفتنة ، واكره الحق ، واصدق اليهود و النصارى، واومن بما لم أره و اقرّ بما لم يخلق ، فارسل عمر إلى عليّ رضى الله عنه فلما جاءه أخبره بمقالة الرجل قال: صدقت يحب‌الفتنة قال الله تعالى : «إنماأموالكم و أولادكم فتنة» ويكره الحق يعني الموت و قال الله تعالى : « و جاءت سكرة الموت بالحق» ويصدّق اليهود والنصارى قال الله تعالى : « و قالت اليهود ليست النصارى على شيء و قالت النصارى ليست اليهود على شيء » و يؤمن بمالم يره يؤمن بالله عزوجل ، ويقرّه بما لم يخلق يعني الساعة ، فقال عمر: أعوذ بالله من معضلة لاعليّ بها .

٥ـ جاءت إمرأة إلى عمر فقالت: ياأمير المؤمنين ! إن زوجي يصوم‌النهار

و يقوم الليل فقال : نعم الرجل زوجك ، و كان فى مجلسه رجل يسمّى كعباً فقال : ياأمير المؤمنين ! إن هذه المرأة تشكو زوجها فى أمر مباعدته إياها عن فراشه : فقال له : كما فهمت كلامها أحكم بينهما ، فقال كعب : علىّ بزوجها فأحضر فقال له : ان هذه المرأة تشكوك ، قال : أفى أمر طعام أم شراب ؟ قال : بل فى أمر مباعدتك إياها عن فراشك .

فأنشأت المرأة تقول :

يا أيها القاضى الحكيم أنشده | ألهى خليلى عن فراشى مسجده
نهاره و ليله لايرقده | فلست فى أمر النساء أحمده

فأنشأ الزوج يقول :

زهّدنى فى فرشها وفى الحلل | إنى امرؤ أذ هلنى ما قد نزل
فى سورة النمل وفى سبع الطول | و فى كتاب الله تخويف يجل

فقال له القاضى :

إن لها عليك حقاً لم يزل | فى أربع نصيبها لمن عقل

فعاطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال : إن الله تعالى أحلّ لك من النساء مثنى وثلاث ورباع،فلك ثلاثة أيام بلياليهن ولها يوم وليلة ، فقال عمر: لا أدرى من أيّكم أعجب ؟ أمن كلامها أم من حكمك بينهما ؟ إذهب فقد ولّيتك البصرة .

رواه جماعة من أعلام العامة باختلاف يسير :

١- الدو لابى فى (الكنى والألقاب ج ١ ص ١٩٢)
٢- ابن عبدالبر فى (الاستيعاب) فى ترجمة كعب بن سوار وجمع ألفاظه .
٣- العسقلانى فى (الاصابة ج ٣ ص ٣١٥)
٤- إبن الجوزى فى (الأذ كياء ص ٤٩ و ١٤٢)
٥- الشهاب الابشيهى فى (المستطرف ج ١ ص ٧٠)

٦- إبن أبى الحديد فى (شرح النهج ج ٣ ص ١٠٥)
٧- السيوطى فى (تاريخ الخلفاء ص ٩٦)

وغيرهم على صور مختلفة :

منها : عن قتادة والشعبى قالا : جاءت عمر إمرأة فقالت : زوجى يقوم الليل ويصوم النهار ، فقال عمر: لقد أحسنت الثناء على زوجك فقال كعب بن سوار: لقد شكت ، فقال عمر : كيف ؟ قال : تزعم انه ليس لها من زوجها نصيب قال : فاذا قد فهمت ذلك فاقض بينهما ، فقال : يا أمير المؤمنين ! أحلّ الله له من النساء أربعاً ، فلها من كل أربعة أيام يوم ومن كل اربعة ليال ليلة .

وفى لفظ أبى عمر فى (الاستيعاب): إن إمرأة شكت زوجها إلى عمر فقالت: ان زوجى يقوم الليل ويصوم النهار ، وأنا اكره أن أشكوه إليك فهو يعمل بطاعة الله ، فكان عمر لم يفهم عنها . الحديث .

وفى لفظ آخر له : قال عمر لكعب بن سوار : عزمت عليك لتقضينّ بينهما فانك فهمت من أمرها مالم أفهم . الخ . قال أبو عمر: هو مشهور .

وعن الشعبى : إن إمرأة جائت إلى عمر فقالت . يا أمير المؤمنين ! أعدنى على زوجى يقوم الليل ويصوم النهار قال : فما تأمرينى أتأمرينى أن أمنع رجلا من عبادة ربه ؟ .

٦- روى إبن القيم الجوزية فى (الطرق الحكمية ص ٥٣) مالفظه :

إن عمر بن الخطاب اتى بامرأة زنت فأقرّت فأمر برجمها ، فقال على رضى الله عنه : لعل بها عذراً ثم قال لها : ما حملك على الزنا ؟ قالت : كان لى خليط و فى إبله ماء و لبن ولم يكن فى إبلى ماء ولا لبن ، فظمئت فاستسقيته فأبى أن يسقينى حتى اعطيه نفسى، فأبيت عليه ثلاثاً فلما ظمئت وظننت أن نفسى ستخرج أعطيته الذى أراد فسقانى ، فقال علىّ : الله أكبر : «فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم»

روى في (كنز العمال ج ٣ ص ٩٦) نقلا عن البغوى .

وروى البيهقي في (سننه ج ٨ ص ٢٣٦) مالفظه :

عن عبدالرحمن السلمى قال : اتى عمر بامرأة أجهد العطش ، فمرّت على راع ، فاستسقته فأبى أن يسقيها إلاّ أن تمكّنه من نفسها ففعلت ، فشاور الناس في رجمها ، فقال على عليه السلام : هذه مضطرة أرى أن يخلّى سبيلها ففعل .

رواه محب الدين الطبرى في (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٦)وفي (ذخائر العقبى ص ٨١)

وإبن الجوزى في (الطرق الحكمية ص ٥٣)

٧ـ روى محب الدين الطبرى في (الرياض النضرة ج ٢ ص ٤٦) مالفظه :

عن عمر بن الخطاب انه كان يعسّ ليلة فمرّ بدار سمع فيها صوتاً فارتاب و تسوّر فرآى رجلاً عند إمرأة وزقّ خمر فقال : ياعدوّ الله أظننت أن الله يسترك و أنت على معصيته ؟ فقال : لاتعجل يا أمير المؤمنين ! إن كنت أخطأت في واحدة فقد أخطأت في ثلاث : قال الله تعالى : « ولاتجسّسوا » وقد تجسست .

وقال : « واتوا البيوت من أبوابها » و قد تسوّرت . و قال : « إذا دخلتم بيوتاً فسلّموا » وما سلّمت ، فقال : هل عندك من خير إن عفوك عنك ؟ قال:نعم والله لاأعود فقال : إذهب فقد عفوت عنك .

رواه إبن أبى الحديد في (شرح النهج ج ١ ص ٦١) و(ج ٣ ص ٩٦) والسيوطى في (الدرالمنثور ج ٦ ص ٩٣) وأحمد زيني دحلان في (الفتوحات الاسلامية ج ٢ ص ٤٧٧)

٨ـ روى البيهقي في (سننه الكبرى ج ٨ ص ٢٧٤) مالفظه :

عن عبدالرحمن بن عائذ قال : اتى عمر بن الخطاب برجل أقطع اليد والرجل قد سرق ، فأمر به عمر أن يقطع رجله فقال على رضى الله عنه : إنما قال الله عزوجل : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتلوا

أو يصلّبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف . . . » الاية فقد قطعت يد هذا و رجله فلا ينبغي أن تقطع رجله فتدعه ليس له قائمة يمشى عليها ، إما أن تعزّره وإما أن تستودعه السجن قال : فاستودعه السجن .

روى فى (كنز العمال ج ٣ ص ١١٨)

٩- أخرج أبو داود فى (سننه ج ٢ ص ١٢٨) مالفظه :

عن عمر بن الخطاب قال : لما نزل تحريم الخمر قال عمر : اللهم بيّن لنا فى الخمر بياناً شافياً ، فنزلت الآية التى في البقرة : « يسئلونك عن الخمر والميسر» قال : فدعى عمر فقرأت عليه فقال : اللهم بيّن لنا فى الخمر بياناً شافياً ، فنزلت الآية التى فى النساء : « يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى» فكان منادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا اقيمت الصلاة ينادى : ألا لايقربنّ الصلاة سكران ، فدعى عمر فقرات عليه فقال : اللهم بيّن لنا بياناً شافياً ، فنزلت : « إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله و عن الصلاة فهل أنتم منتهون » قال عمر : إنتهينا إنتهينا .

رواه جماعة من أعلام العامة فى أسفارهم :

١- أحمد الحنبل فى (المسند ج ١ ص ٥٣)

٢- النسائى فى (السنن ج ٨ ص ٢٨٧)

٣- الطبرى فى (تاريخه ج ٧ ص ٢٢)

٤- البيهقى فى (سننه ج ٨ ص ٢٨٥)

٥- الجصّاص فى (أحكام القرآن ج ٢ ص ٢٤٥)

٦- الحاكم فى (المستدرك ج ٢ ص ٢٧٨) وصححه وأقرّه الذهبى فى تلخيصه.

٧- القرطبى فى تفسيره (الجامع لاحكام القرآن ج ٥ ص ٢٠٠)

٨- إبن كثير الدمشقى فى (تفسيره ج ١ ص ٢٥٥ و ٥٠٠) و (ج ٢ ص ٩٢) نقلاً عن أحمد وأبى داود والترمذى والنسائى وإبن أبى حاتم وإبن مردويه، وعلى بن المدينى . وقال : قال على بن المدينى : إسناد صالح صحيح و ذكر تصحيح

الترمذى وقرّره .

٩- السيوطى فى (الدرالمنثور ج ١ ص ٢٥٢) نقلاً عن إبن أبى شيبة و أحمد وعبدبن حميد وأبى داود والترمذى والنسائى وأبى يعلى وإبن جرير و إبن المنذر و ابن أبى حاتم ، والنحّاس فى ناسخه و أبى الشيخ و إبـن مردويه والحاكم والبيهقى والضياء المقدسى فى المختارة .

١٠ الخازن البغدادى فى (لباب التأويل ج١ ص٥١٣)وغيرهم تركناهم للاختصار

و أخرج الحاكم فـى (المستدرك ج ٤ ص ١٤٣) عن حارثة بن مضرب قال : قال عمر : اللهم بيّن لنا فى الخمر فنزلت : « يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ... الآية» فدعا النبى صلى الله عليه وآله وسلم عمر فتلاها عليه فكأنها لم توافق من عمر الذى أرادفقال : اللهم بيّن لنافى الخمر،فنزلت: « ويسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس الآية »فدعاالنبى صلى الله عليه وآله وسلم عمر فتلاها عليه فكأنها لم توافق من عمر الذى أراد فقال : اللهم بيّن لنا فى الخمر فنزلت : «ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب و الازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه - حتى إنتهى إلى قوله - فهل أنتم منتهون»فدعا النبى صلى الله عليه وآله وسلم عمر فتلاها عليه فقال عمر : إنتهينا يارب .

ثم صحّحه الحاكم هو و الذهبى فى تلخيصه ، والترمذى فى (صحيحه ج ٢ ص ١٧٦)من طريق عمر بن شر حبيل ، و ذكره الآلوسى فى (روح المعانى ج ٧ ص ١٥ ط المنيرية)

١١- عن سليمان بن يسار : إن رجلاً يقال له : صبيغ قدم المدينة ، فجعل يسئل عن متشابه القرآن ، فأرسل إليه عمرو قد أعدّ له عراجين النخل ، فقال:من أنت؟ قال: أناعبدالله صبيغ، فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين ، فضربه،وقال: أناعبدالله عمر، فجعل له ضرباً حتى دمى رأسه فقال: ياأمير المؤمنين ! حسبك قد ذهب الذى كنت أجدفي رأسي .

وعن نافع مولى عبدالله: إن صبيغ العراقى جعل يسئل عن أشياء من القرآن فى أجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال: أين الرجل؟ فقال: فى الرحل. قال عمر: أبصر أن يكون ذهب، فتصيبك منى العقوبة الموجعة، فأتاه به فقال عمر: تسئل محدثة؟ فأرسل عمر إلى رطائب من جريد، فضربه بها حتى ترك ظهره دبرة ثم تركه حتى برأثم عادله ثم تركه حتى برأ فدعا به ليعود له قال صبيغ: إن كنت تريد قتلى؟

فاقتلنى قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد أن تداوينى؟ فقد والله برئت، فأذن له إلى أرضه و كتب إلى أبى موسى الأشعرى: أن لايجالسه أحد من المسلمين، فاشتدّ ذلك على الرجل، فكتب أبو موسى إلى عمر: أن قد حسنت توبته، فكتب عمر: أن يأذن الناس بمجالسته.

وعن السائب بن يزيد قال: أتى عمر بن الخطاب فقيل: ياأمير المؤمنين! إنّا لقينا رجلاً يسئل عن تأويل مشكل القرآن، فقال عمر: اللهم مكنّى منه، فبينما عمر ذات يوم جالساً يغدى الناس إذ جاء الرجل، وعليه ثياب وعمامة صفدى حتى إذا فرغ قال: ياأمير المؤمنين! « والذاريات ذرواً فالحاملات وقراً »؟ فقال عمر: أنت هو؟ فقام إليه، وحسر عن ذراعيه، فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته فقال: والذى نفس عمر بيده لووجدتك محلوقاً لضربت رأسك ألبسوه ثياباً، و احملوه على قتب وأخرجوه حتى تقدّموا به بلاده ثم ليقم خطيب ثم يقول: إن صبيغاً ابتغى العلم، فأخطأه فلم يزل وضيعاً فى قومه حتى هلك وكان سيد قومه.

وعن أنس: إن عمر بن خطاب جلد صبيغا الكوفى فى مسئلة عن حرف من القرآن حتى إضطربت الدماء فى ظهره.

وعن الزهرى: إن عمر جلد صبيغاً لكثرة مسئلته عن حروف القرآن حتى إضطربت الدماء فـى ظهره.

رواه جماعة من حملة أسفار العامة :

١- الدارمي في (سننه ج ١ ص ٥٤ و ٥٥)

٢- إبن عساكر في(تاريخه ج ۶ ص ٣٨٤)

٣- إبن الجوزى في(سيرة عمر ص ١٠٩)

٤- إبن كثير الدمشقي في(تفسيره ج ۴ ص ٢٣٢)

٥- السيوطى في(الاتقان ج ٢ ص ٥)

۶- السيوطى في(الدر المنثور ج ۶ ص١١١)

٧- أحمد زيني دحلان في(الفتوحات الاسلامية ج ٢ ص ۴۴٥)

٨- إبن حجر العسقلاني في(فتح البارى ج ٨ ص ١٧)

وغيرهم .

وقال الغزالي في (الاحياء ج ١ ص٣٠) : وعمر هو الذى سدّ باب الكلام و الجدل وضرب صبيغاً بالدرة لماأورد عليه سؤالاً في تعارض آيتين في كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره .

وصبيغ هذا هو صبيغ بن عسل ، ويقال: إبن عسيل . ويقال: صبيغ بن شريك من بني عسيل .

١٢- روى السيوطى في (الدر المنثور ج ۶ ص ٣٢١) :

عن أبي العديس قال : كنا عند عمر بن الخطاب فأتاه رجل ، فقال : ياأمير-المؤمنين ! ما الجوار الكنس ؟ فطعن عمر بمخصرة معه في عمامة الرجل ، فألقاه عن رأسه، فقال عمر : أحروري ؟ والذى نفس عمر بن الخطاب بيده لو وجدتك محلوقاً لأنحيت القمل عن رأسك .

روى في(كنز العمال ج ١ ص ٢٢٩) نقلاً عن(الكنى) للحاكم

١٣- روى إبن حجر العسقلاني في(فتح البارى ج ١٣ص ٢٣) :

عن عبدالرحمن بن يزيد : إن رجلاً سئل عمر عن «فاكهة وأباً » فلما رآهم

يقولون أقبل عليهم بالدرة .

رواه السيوطي في تفسير (الدر المنثور ج ٦ ص ٣١٧)

اقول : ولم يكن ذلك إلاّ إستبداداً منه حيث جعل مقول العراجين ولسان المخصرة ومنطق الدرة جواباً فاصلاً عن كل مالايعلمه الانسان ، وإليه يوعز قول مدعي الخلافة الاسلامية : نهينا عن التكلف في الجواب عن أبسط سؤال يعلمه كل عربي صميم ، ألاوهو معنى «أباً » فسّر في نفس الكتاب المبين .

ونحن لاندري ان السائلين بماذا استحقوا الضرب والادماء ، والطرد والاـ يجاع بمحض السؤال عمالايعلمونه من مشكل القرآن الكريم ؟ أوماغاب عنهم من لغته ؟؟؟ وليس في ذلك شيء ممايوجب التكفير والالحاد ... لكن القصص جرت على ماترى ، ثم ماذنب المجيبين بعلم عن السؤال عن الأب ؟ و لماذا أقبل عليهم الخليفة بالدرة ؟ و هل تبقى قائمة لاصول التعليم والتعلم والحالة هذه؟ ولعلّ الامة قدحرمت ببركة تلك الدرة عن التقدم والرقي في العلم بعد أن آل أمرها إلى أن هاب مثل إبن عباس أن يسئل الخليفة عن قوله جل وعلا : « وإن تظاهرا عليه » وقال: مكثت سنتين اريد أن أسئل عمربن الخطاب عن حديث مامنعني منه إلاّ هيبته ، وقال : مكثت سنة و أنااريد أن أسئل عمربن الخطاب عن آية فلاأستطيع أن أسئله هيبة، كمافي (مجمع الزوائد ج ٥ ص ٨) للهيتمي ، و (كتاب العلم ص ٥٦) لأبي عمر، و (سيرة عمربن الخطاب ص ١١٨) لابن الجوزي .

﴿ رأي عمر فيمن قال: اني مؤمن ﴾

أخرج البيهقي في (شعب الايمان) وابن أبي شيبة في (الايمان) كما في (كنز العمال ج ١ ص ١٠٣) عن سعيد بن يسار قال: بلغ عمر بن الخطاب ان رجلاً بالشام يزعم انه مؤمن، فكتب إلى أميره: أن ابعثه إليّ، فلما قدم قال: أنت الذي تزعم أنك مؤمن؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: ويحك ومم ذاك؟ قال: أو لم تكونوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله أصنافاً: مشرك، ومنافق، ومؤمن؟ فمن أيهم كنت؟ فمدّ عمر يده إليه معرفة لما قال حتى أخذ بيده.

وفي (كنز العمال ج ١ ص ١٠٣) عن قتادة قال عمر بن الخطاب: من قال: إني عالم، فهو جاهل، ومن قال: اني مؤمن فهو كافر.

أقول: كأن عمر بن الخطاب لا يرى أحداً مؤمناً إلا ولابد أن يرى عمر أميراً على نفسه، ويرى أمارته معيار الايمان المؤمنين.

وقال الاميني رضوان الله تعالى عليه صاحب (الغدير ج ٦ ص ٢٤٠):

أنا لا أدري ما هذه المشكلة التي من جرّائها جلب الرجل من الشام، وحوله آلاف من المؤمنين يقولون بمقالته، وهو يحسب أنه أميرهم، ولم يسئلهم عما سئل الشامي عنه؟ ثم كيف إنحلّت تلك المشكلة بأبسط جواب؟ أولم يكن الخليفة يعلم ذلك من أن الانسان إذا لم يكن مشركاً أو منافقاً فهو مؤمن لا محالة؟ أم انه حسب أن المؤمن الواثق بايمانه ـ أولم يعترف بأمارته ـ لا يجوز له أن يقول: أنا مؤمن لان ذلك القول كفر كما في حديث قتادة؟ و ذلك تعبّداً بقول

عمر. لكن الله سبحانه مدح أقواماً في الذكر بأن قالوا آمنا مثل قوله تعالى :

« قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله » آل عمران : ٥٢)

وقوله تعالى حكاية عن المؤمنين : « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول» آل عمران : ٥٣)

وقوله جل وعلا حكاية عن المؤمنين : « ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا » آل عمران : ١٩٣)

وقوله : « يقولون آمنا واشهد بأننا مسلمون » المائدة : ١١١)

وقوله : « يقولون ربنا آمنا » المائدة : ٨٣)

وقوله : « قالوا آمنا برب العالمين » الاعراف : ١٢١)

والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، ومنهم من قال : بلى إذا خوطب بقول العلى العظيم : أولم تؤمن ، ومنهم من قال : « سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين » الاعراف : ١٤٣)

ومن جليّة الواضحات عدم الفرق بين قول القائل : آمنا بكذا أو نحن مؤمنون أو أنا مؤمن بكذا إذا وثق من نفسه بايمان ، و من فرّق بينها فهو مجازى لامحالة .

ولعل الخليفة كان ناظراً إلى حراجة الموقف في الايمان ، و عزّة خلوصه من خفيات صفات الشرك والنفاق حتى كأن يسئل حذيفة عن نفسه ، قال الغزالى في (إحياء العلوم ج ١ ص ١٢٩)

: الأخبار والآثار تعرّفك خطر الامر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفى ، وأنه لايؤمن منه ، حتى كان عمر بن الخطاب يسئل حذيفة عن نفسه ، وانه هل ذكر في المنافقين ؟ وهل هو منهم ؟ وهل عدّه رسول الله ﷺ فيهم .

وكان حذيفة صاحب السر المكنون في تمييز المنافقين ، ولذلك كان عمر لايصلى على ميت حتى يصلّى عليه حذيفة يخشى أن يكون من المنافقين . كذا قاله إبن العماد الحنبلى في (شذرات الذهب ج ١ ص ٤٤)

﴿ جهل عمر بن الخطاب بالاحكام الشرعية ﴾

لا يسع المقام بذكر طائفة مماكان عمر بن الخطاب جاهلاً به من السنة النبوية والاحكام الشرعية فضلاً عن جميعها ، فنشير إلى نبذة ماورد عن طريق العامة:

١- روى محب الدين الطبرى فى (الرياض النضرة ج ٢ ص ٥٠ و١٩٤)و (ذخائر العقبى ص ٨٢) : عن محمد بن الزبير قال : دخلت مسجد دمشق ، فاذا أنا بشيخ قد إلتوت ترقوتاه من الكبر ، فقلت : يا شيخ من أدركت ، قال : عمر قلت : فما غزوت ؟ قال : اليرموك ، قلت : فحدّثنى بشىء سمعته ، قال خرجنا مع فتية حجاجاً فأصبنا بيض نعام وقد أحرمنا ، فلما قضينا نسكنا ذكرنا ذلك لأمير المؤمنين عمر فأدبر وقال : اتبعونى حتى إنتهى إلى حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضرب حجرة منها ، فأجابته إمرأة فقال :

أثم أبو الحسن ؟ قالت : لا فمرّ فى المقتاة ، فأدبر وقال : اتبعونى حتى إنتهى إليه ، وهو يسوّى التراب بيده فقال : مرحباً يا أمير المؤمنين ! فقال : ان هؤلاء أصابوا بيض نعام ، و هم محرمون ، قال : ألا أرسلت إلىّ ؟ قال : أنا أحق باتيانك ، قال : يضربون الفحل قلائص أبكاراً بعدد البيض ، فماتنتج منها أهدوه قال عمر : فان الابل تخدج، قال على : والبيض يمرض ، فلما أدبر قال عمر:اللهم لاتنزل بى شديدة إلاّ وأبو حسن إلى جنبى .

٢- روى إبن حجر العسقلانى فى (فتح البارى ج ٣ ص ٦٩) : عن عبد الرحمن بن حنظلة بن الراهب : ان عمر بن الخطاب صلّى المغرب ، فلم يقرأ

فى الركعة الاولى، فلما كانت الثانية قرأ بفاتحة الكتاب مرتين، فلما فرغ وسلّم سجد سجدتى السهو .

ثم قال إبن حجر : رجاله ثقات و كأنه مذهب لعمر .

٣ـ أخرج البيهقى فى (السنن الكبرى ج ٢ ص ٣٨٢) مالفظه :

صلّى بنا عمر بن الخطاب، فلم يقرأ فى الركعة الاولى شيئاً فلما قام فى الركعة الثانية قرأ بفاتحة الكتاب وسورة ثم عاد فقرأ بفاتحة الكتاب وسورة ثم مضى فلما فرغ من صلاته سجد سجدتين بعدما سلّم . وفى لفظ: سجد سجدتين ثم سلّم .

رواه السيوطى فى (جمع الجوامع) كمافى (كنز العمال ج ٤ ص ٢١٣) نقلاً عن جمع من الحفاظ باللفظ الثانى .

٤ـ أخرج البيهقى فى (السنن ج ٢ ص ٣٤٧ و ٣٨١) عن أبى سلمة بن عبد الرحمن: إن عمر بن الخطاب كان يصلّى بالناس المغرب، فلم يقرأ فيها، فلما انصرف قيل له : ماقرأت ، قال : فكيف كان الركوع و السجود ؟ قالوا : حسناً ، قال : فلابأس إذن .

رواه السيوطى عن مالك وعبدالرزاق والنسائى فى (جمع الجوامع) كمافى (ترتيبه ج ٤ ص ٢١٣) و قال البيهقى : قال : الشافعى : و كان أبوسلمة يحدّثه بالمدينة وعند آل عمر لاينكره أحد . والاسناد صحيح ، رجاله كلهم ثقات .

٥ـ روى البيهقى فى (السنن الكبرى ج ٢ ص ٣٨٢) عن إبراهيم النخعى : إن عمر بن الخطاب صلّى بالناس صلاة المغرب ،فلم يقرأ شيئاً حتى سلّم فرغ قيل له : إنك لم تقرأ شيئاً ، فقال : إنى جهّزت عيراً إلى الشام ، فجعلت انزلها منقلة منقلة حتى قدمت الشام ، فبعتها وأقتابها و أحلاسها و أحمالها فأعاد عمر و أعادوا .

وعن الشعبى: ان أباموسى الاشعرى قال لعمر بن الخطاب: ياأمير المؤمنين ! أقرأت فى نفسك ؟ قال : لافأمر المؤذّنين فأذّنوا وأقاموا وأعاد الصلاة بهم .

روى فـى (كنز العمال ج ۴ ص ۲۱۳) .

وما يظهر من هذه الموارد وتكرّر القصة فيها ان عمر بن الخطاب لم يستند فى صلواته هاتيك إلى أصل مسلم ، فمرّة لم يقرأ فى الركعة الاولى ، فيقضيها فى الثانية، ويسجد سجدتى السهو قبل السلام أو بعده ، واخرى إكتفى بحسن الركوع والسجود عن الاعادة ، وسجدتى السهو ، و طوراً نراه يحتاط بالاعادة أوانه يرى ما اتى به باطلاً فيعيد ويعيدون : فهل هذه إجتهادات وقتية ؟ أوأنه لم يعرف للمسئلة ملا كاً يرجع إليه ؟

ومن العجب ان إبن حجر كان يعدّ الشذوذ عن الطريقة المثلى مذهباً ، و يسع كل شاذ أن يتترّس بمثل هذا المذهب ، فيستر عواره ، وفى هذه الأحاديث إعراب عن مبلغ خضوع الخليفة وخشوعه فى صلواته .

۶- روى البيهقى فى(سننه ج ۶ ص ۲۵۵) بعدة طرق : عن مسعود الثقفى قال:شهدت عمر بن الخطاب أشرك الاخوة من الأب والام و مع الاخوة من الام فى الثلث ، فقال له رجل : قضيت فى هذا عام أول بغير هذا؟ قال: كيف قضيت ؟ قال : جعلته للاخوة من الام ولم تجعل للاخوة من الاب والام شيئاً ، قال : تلك على ما قضينا وهذا على ماقضينا .

وفى لفظ : تلك على ما قضينا يومئذ، وهذه على ماقضينا اليوم .

رواه الدارمى فى (سننه ج ۱ ص ۱۵۴) مختصراً ، وأبو عمر فى (العلم ص ۱۳۹) .

كأن أحكام القضايا تدور مدار ماصدر عن رأى الخليفة سواء أصاب الشريعة أم أخطأ ،و كأن الخيلفة له أن يحكم بماشاء وأراد ، وليس هناك حكم يتّبع و قانون مطّرد فى الاسلام ، و لعلّ هذا أفظع من التصويب المدحوض بالبرهنة القاطعة .

۷- أخرج الدارمى فى(سننه ج ۲ ص ۳۵۴) عن الشعبى انه قال : أول جدّ

ورث في الاسلام عمر ، فأخذ ماله : فأتاه عليّ وزيد فقالا : ليس لك ذلك إنما كنت كأحد الاخوين .

وروى البيهقي في (السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٤٧) مالفظه : إن أول جدّ ورث في الاسلام عمر بن الخطاب مات إبن فلان بن عمر، فأراد عمر أن يأخذ المال دون اخوته ، فقال له علي وزيد رضي الله عنهما : ليس لك ذلك ، فقال عمر : لولا أن رأيكما إجتمع لم أر أن يكون إبني ولا أكون أباه

٨- روى محب الدين الطبري في (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٦) و(ذخائر العقبى ص ٨٠) مالفظه : أتي عمر بن الخطاب بامرأة حامل قد اعترفت بالفجور فأمر برجمها فتلقاها عليّ فقال : مابال هذه ؟ فقالوا : أمر عمر برجمها فردّها عليّ ، وقال : هذا سلطانك عليها فما سلطانك على مافي بطنها ، ولعلك إنتهرتها أو أخفتها ؟ قال : قد كان ذلك ، قال: أوما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لاحدّ على معترف بعد بلاء انه من قيد أو حبس أو تهدّد فلا إقرار له، فخلاّ سبيلها ثم قال: عجزت النساء أن تلدن مثل علي بن أبيطالب ، لولا عليّ لهلك عمر .

رواه الخوارزمي في (المناقب ص ٤٨) والرازي في (الاربعين ص ٤٦٦) وغيرهم .

٩- روى البيهقي في (السنن الكبرى ج ٧ ص ٤٤١ و٤٤٢) مالفظه : اتي عمر بن الخطاب بامرأة تزوّجت في عدّتها ، فأخذ مهرها فجعله في بيت المال و فرّق بينهما ، وقال: لايجتمعان، وعاقبهما ، فقال عليّ رضي الله عنه : ليس هكذا ولكن هذه الجهالة من الناس ، ولكن يفرّق بينهما ، ثم تستكمل بقية العدة من الاول ، ثم تستقبل عدة اخرى، وجعل لها عليّ رضي الله عنه المهر بمااستحلّ من فرجها ، قال : فحمد الله عمر رضي الله عنه ، وأثنى عليه ثم قال : ياأيها الناس ردّوا الجهالات إلى السنة .

اقول : ولاأدري لما ذاجلدهما عمر بن الخطاب ؟ و لماذا أخذ المهر ؟ و

بأىّ كتاب أم بأيّة سنة جعل الصداق في بيت المال وصيّره صدقة في سبيل الله ؟ و لم وبم حرّم المرأة على الرجل ؟ أنا لا أدرى كيف غفل عن قوله تعالى : فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون. وليت الخليفة لاينسى نفسه ويأخذ بقوله : ردّوا الجهالات إلى السنة قبل قضائه بالأقضية الشاذة عن الكتاب والسنة !

١٠- أخرج البيهقى فى (السنن الكبرى ج ٧ ص ٤٤٣) مالفظه :

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : ياأمير المؤمنين إنى غبت عن إمرأتى سنتين فجئت وهى حبلى ، فشاور عمر ناساً فى رجمها ، فقال معاذ بن جبل رضى الله عنه : ياأمير المؤمنين إن كان لك عليها سبيل ، فليس على ما فى بطنها سبيل فاتركها حتى تضع ، فتركها فولدت غلاماً قد خرجت ثناياه فعرف الرجل الشبه فيه ، فقال : إبنى ورب الكعبة فقال عمر: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ: لولا معاذ لهلك عمر .

رواه جماعة من أعلام العامة :

١- أبو عمرو فى (العلم ص ١٥٠)

٢- الباقلانى ايعازاً إليه فى (التمهيد ص ١٩٩)

٣- إبن أبى شيبة كمافى (كنز العمال ج ٧ ص ٨٢)

٤- إبن حجر العسقلانى فى (فتح البارى ج ١٢ ص ١٢٠) وقال : أخرجه إبن أبى شيبة ورجاله ثقات ، و (الاصابة ج ٣ ص ٤٢٧) نقلاً عن فوائد محمد بن مخلد العطار، وذكره إبن أبى الحديد فى (شرح النهج ج ٣ ص ١٥٠) متسالماً عليه

وعن أبى سفيان عن أشياخ لهم : إن إمرأة غاب عنها زوجها سنتين ثم جاء وهى حامل ، فرفعها إلى عمر ، فأمر برجمها ، فقال له معاذ : إن يكن لك عليها سبيل فلاسبيل لك على ما فى بطنها ، فقال عمر : احبسوها حتى تضع ، فوضعت غلاماً له ثنيتان ، فلمار آه أبوه عرف الشبه ، فقال : إبنى إبنى ورب الكعبة فبلغ ذلك عمر فقال : عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ . لولا معاذ لهلك عمر .

١١- فى (شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٢٢٧) مالفظه :

إنه- عمر بن الخطاب - عطّل حدّ الله فى المغيرة بن شعبة لما شهد(شهد

واخ) عليه بالزنا ، و لقّن الشاهد الرابع الامتناع عن الشهادة إتباعاً لهواه فلما فعل ذلك عاد إلى الشهود فحدّهم وضربهم (فضحهم خ) فتجنّب أن يفضح المغيرة وهو واحد وفضح الثلاثة مع تعطيله لحكم الله و وضعه في غير موضعه .

١٢- وفيه (ج ١٢ ص ٢٤٦)مالفظه :

انه- عمر بن الخطاب كان يتلوّن في الاحكام، حتى روى انه قضى في الجد بسبعين قضية- وروى مأة قضية- وانه كان يفضّل في القسمة والعطاء ،وقدسوّى الله تعالى بين الجميع،وانه قال في الاحكام من جهة الرأى والحدس (الحدّخ) والظن

١٣- عن سعيد بن المسيب : ان عمر بن الخطاب قضى في الأصابع : في الابهام بثلاثة عشر ، وفي التي تليها باثنى عشر ، و في الوسطى بعشرة ، و في التي تليها بتسع ، وفي الخنصر بست .

وفي لفظ آخر: إن عمر بن الخطاب قضى في الابهام بخمس عشرة ، وفي التي تليها بعشر ، وفي الوسطى بعشرة ، وفي التي تلي الخنصر بتسع، وفي الخنصر بست.

و عن أبي غطفان : إن إبن عباس كان يقول في الأصابع عشر عشر فأرسل مروان إليه، فقال : أتفتي في الاصابع عشر عشر ، وقد بلغك عن عمر في الاصابع ؟ فقال إبن عباس : رحم الله عمر : قول رسول الله صلى الله عليه وآله أحق أن يتبع من قوله عمر .

رواه الشافعي من كتاب (الام ج ١ ص ٥٨و١٣٨) واختلاف الحديث للشافعي أيضاً هامش كتاب (الام ج ٧ ص ١٤٠) و كتاب (الرسالة ص ١١٣) للشافعي و (سنن الكبرى ج ٨ ص ٩٣) للبيهقي .

وقد ثبت في الصحاح والمسانيد ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال في الأصابع : عشر عشر على ماقال به إبن عباس ، وهذه سنته صلى الله عليه وآله المسلمة وهذا الثابت فيها .

وماقضى عليه عمر بن الخطاب فمن آرائه الخاصة به، والامر كما قال إبن عباس : قول رسول الله صلى الله عليه وآله أحق أن يتبع من قوله عمر .

قال الله عزوجل : « قل الله يهدى للحق أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لايهدى إلاّ أن يهدى فمالكم كيف تحكمون » يونس : ٣٥)

ارجاع الى الجهال

و هناك قرآن ناطق

روى الحاكم فى (المستدرك ج٣ص٢٧١ و٢٧٢) عن علي بن رباح اللخمى قال : إن عمر بن الخطاب خطب الناس فقال : من أراد أن يسئل عن القرآن فليأت ابى بن كعب ، ومن أراد أن يسئل عن الحلال والحرام فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسئل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسئل عن المال فليأتني فاني له خازن .

وفي لفظ : فان الله تعالى جعلني خازناً و قاسماً .

رواه جماعة من حملة أسفار العامة المعتبرة باسانيد عديدة :

١ ـ أبو عبيد فى كتابه (الاموال ص٢٢٣) باسناده رجاله كلهم ثقات .

٢ ـ البيهقى فى (السنن الكبرى ج٦ ص٢١٠) .

٣ ـ فى (العقد الفريد ج٢ ص١٣٢) .

٤ ـ إبن الجوزى فى (سيرة عمر ص٨٧) .

٥ ـ اشير إليه فى (معجم البلدان ج٣ ص ٣٣) فقال : فى الجابية خطب عمر بن الخطاب خطبته المشهورة . وجاء فى ترجمة كثيرين : انهم سمعوا خطبة عمر فى الجابية .

٥ ـ فى (تهذيب التهذيب ج٥ ص٢٦١) و(ج١٠ ص٣٦٣) .

٦ ـ الهيتمى (فى مجمع الزوائد ج١ ص١٣٥) .

۷ ـ فى (خلاصة الكمال ص۳۳۶ و ۲۳۱) وغيرهم .

و ان هـذه الخطبة ـ سميت بالجابية ـ ثابتة مروية عـن عمر بن الخطاب صحيحة عندأعلام العامة ، ثقات رجالها ، و صحّحها الحاكم والذهبى وغيرهم .

وفيها إعتراف من عمربن الخطاب بان المنتهى إليه فى العلوم الثلاثة هؤلاء النفر المذكورون فحسب . و ليس لعمر إلاّ انه خازن مال الله ، هل ترى من المعقول أن يكون من ادعى الخلافة الاسلامية و أميراً على امة رسول الله تعالى فى شرعه ودينه و كتابه وسنته وفرائضه فاقداً لهاتيك العلوم ؟ ويكون مرجعه فيها لفيفاً من الناس كما تنبأ عنه سيرته ، فعلام هذه الخلافة ؟ و هل تستقرّ بمجرد الأمانة ـ وماكانت ـ وليست بعزيزة فى امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟ وما وجه الاختصاص به ؟ نعم ! وقع النص عليه ممن سبقه فى الخلافة على غير طريقة القوم فى الخليفة الاول .

و شتّان بين هذا القائل الجاهل ، وبين من لم يزل يعرض نفسه لعويصات المسائل ومشكلات العلوم ، فيحلّها عند السؤال عنها من فوره ، ويرفع عقيرته على صهوات المنابر بقوله سلام الله عليه :

۱ـ « سلونى قبل أن لاتسئلونى ولن تسئلوا بعدى مثلى »

أخرجه الحاكم فى (المستدرك ج۲ ص۴۶۶) وصححه هو والذهبى فى تلخيصه.

۲ـ روى إبن كثير الدمشقى فى(تفسيره ج۴ ص ۲۳۱) مالفظه :

وثبت أيضاً من غير وجه عن أمير المؤمنين على بن أبيطالب رضى الله عنه انه صعد منبر الكوفة فقال: «لاتسئلونى عن آية فى كتاب الله تعالى ولا عن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ أنبأتكم بذلك ... »

۳ـ روى محب الدين الطبرى فى(الرياض النضرة ج ۲ ص ۱۹۸) قوله عليه السلام : « سلونى والله لاتسئلونى عن شىء يكون إلى يوم القيامة إلاّ أخبرتكم ، وسلونى عن كتاب الله فوالله مامن آية إلاّ وأنا أعلم أبليل أم بنهار فى سهل أم فى جبل »

رواه أبوعمر فى(جامع بيان العلم ج ۱ ص ۱۱۴) والسيوطى فى (تاريخ

الخلفاء ص ١٢٤) وفي (الاتقان ج ٢ ص ٣١٩) ويوجد في (تهذيب التهذيب ج٧ ص ٣٣٨) و(فتح الباري ج ٨ ص ٤٨٥) و(عمدة القاري ج ٩ ص ١٦٧) و (مفتاح السعادة ج ١ ص ٤٠٠)

٤- روى أبوعمر فى(جامع بيان العلم ج ١ ص ١١٤) وفي(مختصره ص٥٧) قول علي عليه السلام : « ألارجل يسئل فينتفع وينفع جلسائه »

٥- روى أبو نعيم فى (حلية الاولياء ج ١ ص ٦٨) قول علي عليه السلام : والله ما نزلت آية إلاّ وقدعلمت فيم انزلت ؟ وأين أنزلت ؟ ان ربي وهب لي قلباً عقولاً و لساناً سئولاً .

ذكره صاحب (مفتاح السعادة ج ١ ص ٤٠٠)

٦- روى أحمد الحنبل قول علي عليه السلام : سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني عن كتاب الله ،وما من آية إلاّ وأنا أعلم حيث انزلت بحضيض جبل أوسهل أرض، و سلوني عن الفتن فما من فتنة إلاّ وقدعلمت من كسبها ومن يقتل فيها .

٧- روى الحمويني في (فرائد السمطين) عن أبي سعيد: إن علياً عليه السلام على منبر الكوفة و عليه مدرعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو متقلّد بسيفه و متعمم بعمامته صلى الله عليه وآله وسلم فجلس على المنبر و كشف عن بطنه ، فقال:سلوني قبل أن تفقدوني ، فانما بين الجوانح مني علم جمّ ، هذا سفط العلم ، هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا ما زقّني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زقاًزقاً، فوالله لو ثنيت لي وسادة فجلست عليها لافتيت أهل التوراة بتوراتهم ، و أهل الانجيل بانجيلهم ، حتى ينطق الله التوراة و الانجيل ، فيقولان: صدق عليّ قدأفتاكم بماانزل فيّ (فيناظ)وأنتم تتلون الكتاب أفلاتعقلون.

٨- روى أبوعمر فى (العلم ج ٢ ص ١١٤) وفي(مختصره ص ٥٨) عن سعيد بن المسيب انه قال : لم يكن أحد من الصحابة يقول : سلوني إلاّ علي بن أبيطالب و كان إذاسئل عن مسئلة يكون فيها كالسكة المحماة ويقول :

إذا المشكلات تصدّين لي   كشفت حقائقها بالنظر

فان برقت فى مخيل الصوا ب عمياء لايجتليها البصر
مقنّعـة بغيـوب الامـور وضعت عليها صحيح الفكر
لساناً كشقشقة الأرحبى أو كالحسام اليمانى الذكر
وقلباً إذا استنطقته الفنو ن أبرّ عليها بواه درر
ولست بامّعة فى الرجا ل يسئل هذا وذاما الخبر؟
ولكنى مذرب الاصغرين أبين مع ما مضى ما غبر

قوله : « مذرب »المذرب : الحاد و«الأصغرين» أصغراه : قلبه ولسانه .

اقول : أنشدك بالله عز وجل أيها الاخ المسلم السنى ! أتستطيع أن تقيس عمر بن الخطاب مع مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام فى فضيلة من الفضائل فضلاً عن جميعها ؟

أو ليس من الجفاء على نفسك أن تميل إلى من هذه حاله ، وتترك من كانت هذه خصاله ، وتقدّم المفضول على الفاضل بمعاذير ليست إلا أسوأ المعاصى . . .

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

تمت سورة عبس والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد وأهل بيته المعصومين

سورة التكوير مكية وآياتها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا الشمس كورت (١) وإذا النجوم انكدرت (٢) وإذا الجبال سيرت (٣) وإذا العشار عطلت
(٤) وإذا الوحوش حشرت (٥) وإذا البحار سجرت (٦) وإذا النفوس زوجت (٧) وإذا الموءودة سئلت (٨)
بأي ذنب قتلت (٩) وإذا الصحف نشرت (١٠) وإذا السماء كشطت (١١) وإذا الجحيم سعرت (١٢)
وإذا الجنة أزلفت (١٣) علمت نفس ما أحضرت (١٤) فلا أقسم بالخنس (١٥) الجوار الكنس (١٦) والليل
إذا عسعس (١٧) والصبح إذا تنفس (١٨) إنه لقول رسول كريم (١٩) ذي قوة عند ذي العرش مكين (٢٠)
مطاع ثم أمين (٢١) وما صاحبكم بمجنون (٢٢) ولقد رآه بالأفق المبين (٢٣) وما هو على الغيب
بضنين (٢٤) وما هو بقول شيطان رجيم (٢٥) فأين تذهبون (٢٦) إن هو إلا ذكر للعالمين
(٢٧) لمن شاء منكم أن يستقيم (٢٨) وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين (٢٩)

﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قرأ «عبس وتولى» و«إذا الشمس كوّرت» كان تحت جناح الله من الجنات (الجناح) وفي ظل الله و كرامته وفي جناته، ولا يعظم ذلك على الله إن شاء الله.

اقول : رواه الطبرسي في المجمع، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين، والمجلسي في البحار، والشيخ المحدث الحر العاملي في وسائل الشيعة.

وذلك من قرأها متدبراً فيما جاء فيها من ذكر أحوال القيامة ومواقفها، و حسابها وجزائها... إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً، فآمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبماجاء به، و باليوم الاخر، وعمل صالحاً، يدخله الله جل وعلا جنة النعيم، و ظلا ظليلاً.

وهو يقول: «والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة و ندخلهم ظلاً ظليلاً» النساء: ٥٧)

و في الدر المنثور : عن عبدالله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين، فليقرأ «إذا الشمس كوّرت» و «إذا السماء إنفطرت» و«إذا السماء انشقت».

اقول : رواه السابقون المتقدم ذكرهم آنفاً.

و فى البرهان: عن النبى ﷺ انه قال : من قرأ هذه السورة أعاذه الله من الفضيحة يوم القيامة حين ينشر صحيفته ، وينظر إلى النبى ﷺ وهو آمن، ومن قرأها على أرمد العين أومطروفة أبرأها باذن الله تعالى

رواه الطبرسى فى المجمع عن ابى بن كعب .

اقول : ولايخفى على القارى المتأمل الخبير من المساس مابين الرواية، وماتدور عليه السورة من الغرض ، وضعف السند يجبر بذلك ، وليس لنا ريب فى أن المؤمنين حقاً هم من فزع يوم القيامة وفضيحتها آمنون .

قال الله تعالى : «من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون» النمل : ٨٩)

و قال : « لايحزنهم الفزع الاكبر و تتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون » الانبياء : ١٠٣)

ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورة لمن آمن مافى الرواية الاخيرة.

و فى المجمع : وروى أبوبكر قال: قلت لرسول الله ﷺ : يارسول الله أسرع إليك الشيب ، قال: شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت .

اقول : وبالتدبر فيما تحويه السور تدفع شبهات المشككين، فتأمل جيداً.

﴿الغرض﴾

ان هذه السورة تدور على فصلين :

احدهما: بصدد ذكر أهم أشراط الساعة،وهول أعلامها من إنقلاب و تبدل في نواميس الكون من إنمحاق ضوء الشمس ، وإنطفاء النجوم ، وتسيير الجبال، وجمع الوحوش ، وتعطيل العشار عن طبيعتها ، وتفجير البحار ، وإشتداد حرارة المياه ،وإلتهابها ، وتشقق السماء أوإنكشافها ، وحساب الناس يومئذو مصائرهم و مواقفهم . . .

وتصنيفهم حسب أعمالهم إلى أهل الحق والخير ؛ وأصحاب الباطل والشر ، إلى أهل الايمان والطاعة، وأصحاب الكفر والمعصية، وإلى أهل السعادة والنجاة، وأصحاب الشقاء والعذاب . . . ونشر كتب الاعمال ، و تأجيج النار لأصحابها ، و تهيئة الجنة لأهلها ، وحينئذيرى كل امرىء نتائج أعماله ماقدم بين يديه ،ومن جملة مايسئل الناس يومئذ عنه وأد بناتهم من غير ذنب .

واسلوب آيات هذا الفصل اسلوب تنديدى بهذه العادة الشنيعة، وإنذار بشدة ممقو بتها عند الله عز و جل لما فيها من قسوة بالغة ، وجرأة على إزهاق روح بريئة على سبيل توكيد قوى بمجيىء يوم القيامة وأهواله وأماراته التى تسبقه أوترافقه ، ومحاسبة الناس على أعمالهم وتوفية كل منهم جزائه إما الجنة ونعيمها ، وإما النار وعذابها من قوله تعالى : « إذا الشمس كورت ـ إلى ـ علمت نفس ماأحضرت» .

ثانيهما : بصدد توكيد صدق ماأخبر بهالنبى الكريم ﷺ مما ألقاه إليه ﷺ أمين الوحى، وصلته ﷺ بوحى الله عزوجل، ونفى الجنون ومسّ الشيطان عنه ﷺ من طريق القسم بالمشاهد الكونية و حركاتها مختتمة بسؤال فى أمر النبى الكريم ﷺ ينطوى على تنديد بالمكذبين والمترددين فى تصديق ماأخبر به رسول الله ﷺ ، وبأوهامهم و تفسير اتهم الخاطئة لما يخبر به من المشاهد الروحانية ، وبجواب تنبيهى على أن ما يبلغه إنما هو تذكرة وموعظة ليرى من شاء الحق ، فيتبعه ويستقيم عليه، فيكون قد اهتدى بهدى الله جل و علا ومشيئته التى تناط بهامشيّة الناس .

و الفصلان على إختلاف موضو عيهما غير منفصلين عن الآخر ، فان الأول يخبر بيوم القيامة وأهواله ونتائجه، وينذر الناس بعواقب أعمالهم ، والثانى يؤكد صدق الاخبار والانذار ويردّ على الكفار مايقولونه فى صددهما ، و ماينسبون إلى رسول الله الاعظم ﷺ من تخليط الشياطين عليه .



﴿النزول﴾

سورة التكوير مكية نزلت بعد سورة « المسد » وقبل سورة « الاعلى » وهى السورة السابعة نزولاً ، والحادية والثمانون مصحفاً .

وتشتمل على تسع وعشرين آية ، سبقت عليها /١٥٩ آية نزولاً ، و /٥٨٠٠ آية مصحفاً على التحقيق

ومشتملة على /١٠٤ كلمة، وقيل : /١١٤ كلمة، و قيل : /١٣٩ كلمة ، و على /٤٣٤ حرفاً، وقيل : /٥٣٠ حرفاً، وقيل : /٥٣٣ حرفاً على ما في بعض التفاسير

ولهذه السورة ثلاثة أسماء : أحدها ـ سورة التكوير . ثانيها ـ سورة كوّرت ثالثها ـ سورة الشمس . والاول هو المشهور .

فى أسباب النزول للواحدى النيسابورى باسناده عن سليمان بن موسى قال : لما أنزل الله عزوجل : « لمن شاء منكم أن يستقيم » قال : ذلك إلينا إن شئنا إستقمنا ، وإن لم نشأ لم نستقم ، فأنزل الله تعالى : « و ما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله رب العالمين »

وفى الجامع لاحكام القرآن :وقال أبو هريرة وسليمان بن موسى :لما نزلت: «لمن شاء منكم أن يستقيم » قال أبو جهل : الامر إلينا إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم ـ وهذا هو القدر وهو رأس القدرية ـ فنزلت : « وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله رب العالمين »

رواه السيوطي في أسباب النزول عن أبي هريرة .

أقول : إن هذه السورة مكية من غير خلاف، وقد أسلم أبو هريرة بالمدينة، وأين هو بمكة المكرمة ؟ فلو كانت الرواية عن أبي هريرة فهي إحدى من آلاف أكاذيبه وموضوعاته ومختلقاته . . .



﴿القراءة﴾

قرأ إبن كثير و أبوعمرو : « سجرت » بالتخفيف لقوله تعالى : «والبحر المسجور » الطور : ٦)

إخباراً عنه حالها مرة واحدة ، والباقون بالتشديد ، إخباراً عن حالها فى تكرير ذلك منها مرة بعد اخرى ، والتشديد هو المشهور بناء على أن الفعل مسند إلى ضمير كثرة من باب غلقت الابواب .

وقرأ أبوجعفر «قتلت» بالتشديد لارادة تكرار فعل القتل لان المراد بالمؤدة هنا الجنس ، فارادة تكرار الفعل جائزة ، والباقون بالتخفيف .

فى المجمع :وروى عن أبى جعفر وأبى عبدالله عليهما السلام «وإذا الموؤدة سئلت » بفتح الميم والواو ، و تشديد الدال . وروى ذلك عن إبن عباس أيضاً . و روى عن أمير المومنين عليه السلام : « وإذا الموؤدة سئلت بأىّ ذنب قتلت » وهو قراءة إبن عباس .

وعلى الفتح والتشديد فالمراد بذلك الرحم و القرابة، و انه يسئل قاطعها عن سبب قطعها ، وروى عن إبن عباس انه قال : هو من قتل فى مودتنا أهل البيت .و عن أبى جعفر عليه السلام قال : يعنى قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن قتل فى جهاد . و فى رواية اخرى قال :هو من قتل فى مودتنا وولايتنا .

وعلى قراءة فتح السين جعل الموؤدة موصوفة بالسؤال وبالقول بأىّ ذنب قتلت ، ويمكن أن يكون الله جل و علا أكملها فى تلك الحال وأقدرها على النطق حتى قالت ذلك القول ، ويعضده ماروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : يجيىء المقتول

ظلماً يوم القيامة ، وأوداجه تشخب دماً اللون لون الدم ، و الريح ريح المسك متعلقاً بقاتله يقول : يارب سل هذا فيم قتلني ، وأما القراءة المشهورة فهي ضمّ السين مبنياً للمفعول .

وقرأ ابوجعفر ونافع وإبن عامر و أبوعمرو و عاصم « نشرت » بالتخفيف ، على نشرها مرة واحدة لقيام الحجة لقوله تعالى : « في رق منشور » الطور : ٣)

وهي القراءة المشهورة ، والباقون بالتشديد على تكرار النشر للمبالغة في تقريع العاصي وتبشير المطيع .وقيل:لتكرار ذلك من الانسان والملائكة الشهداء عليه لقوله جل وعلا : « صحفاً منشرة» المدثر : ٥٢) .

وقرأ إبن عامر و حفص و عاصم و نافع «سعرت» بالتشديد ، و هي القراءة المشهورة ، وهذا يدل على كثرة ، وشيء بعد شيء ، فحقه التشديد ، فهي أوقدت مرة بعد مرة لقوله تعالى : « كلما خبت زدناهم سعيراً » الاسراء : ٩٧)
و قرأ الباقون بالتخفيف لقوله تعالى : « و كفى بجهنم سعيراً » النساء : ٥٥)

بناء على أن السعير فعيل بمعنى المفعول ، وهذا إنما يجيىء من فعل، فهي أوقدت فأضرمت للكفار وزيد في إحمائها.

وقرأ أبوعمرو «الجوار» بالامالة. وقرأ إبن كثير وأبوعمرو «بظنين» بالظاء والباقون بالضاد . ومعنى الظنين : المتهم من قولم : ظننت أي إتهمت لا من ظننت المتعدى إلى مفعولين ، إذلو كانت منه لكان لابد من ذكر المفعول الثاني ، و عدم ذكر المفعول الاخر الدلالة على أنه من ظننت بمعنى إتهمت ، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرف بالأمين .

وعلى الثاني فهو من البخل . والمعنى : ان النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم انه يخبر بالغيب فيبينه، ولايكتمه كما يمتنع الكاهن من اعلام ذلك حتى يأخذ عليه الاجرة .

﴿الوقف والوصل﴾

« كورت لاص » للعطف التالى ، و لكن يرخص فيه الوقف للضرورة ، و «انكدرت لاص» لماتقدم ، و «سيرت ك» علامة الوقف الجارى على حكم الوقف السابق، و«عطلت ك» و«حشرت ك» و«سجرت ك» و«زوجت ك» و«سئلت ك»كالمتقدم ،و«قتلت ج» لاعتراض الاستفهام بين النسق .

و «نشرت ك» و« كشطت ك»و«سعرت ك» و«ازلفت ك» لماتقدم،و «أحضرت ط » لتمام الشرط والجزاء ، والتقدير : إذا كورت الشمس ، كورت إرتفعت الشمس بفعل مضمر، تفسيره الظاهر، و كذلك مابعدها. وقوله : «عملت» جواب عن الكل وهو العامل فى«إذا» وماعطف عليها .

و«الخنس لا» للوصف التالى ، و«الكنس لا» للعطف الآتى ، و«عسعس لا» و «تنفس لا» لجواب القسم الآتى، و« كريم لا» للوصف الآتى ، و «مكين لا»كالسابق ، و«أمين ط» بناه على أن مابعده مستأنف ، ومن جعل « وماصاحبكم » وما بعدها معطوف على جواب القسم لم يقف على «أمين» إلى قوله : «فأين تذهبون» .

و«بمجنون ج» لاحتمال العطف والاستيناف ، و«المبين ج » و«بضنين ج» و «رجيم ج» للاحتمالين المتقدمين ، و«تذهبون ط» لتمام الكلام ، وإستئناف التالى، و«للعالمين لا» لانما بعده بدل البعض ، و«يستقيم ط» لتمام الكلام .

﴿ اللغة ﴾

٥٦ - التكوير - ١٣٢٩

كار العمامة على رأسه يكورها كوراً - من باب قال - : لاثها عليه وأدارها ، وكار الارض : حفرها ، وكار في مشيته : أسرع ، وكار الفرس ذنبه : رفعه في حضره.

كوّر الشيء يكوّره تكويراً - من باب التفعيل - : لفّه على شيء آخر مستديراً يقال : كور العمامة .

قال الله تعالى : « إذا الشمس كوّرت » التكوير : ١)

تكوير الشمس لفّها أو رفعها ، وإزالتها. وقيل : لفّ ضيائها أومحوه. وقيل: إن هذا الفعل مأخوذ من كور الشخص : جعله أعمى لايبصر وعمى الشمس معناه : أن تفقد ضياءها .

كوّر الجندي عدوه : صرعه فسقط على الارض ملفوفاً كأنه كرة وقيل : إن هذا هو المقصود من تكوير الشمس ، فمعناه : إزالتها من مكانها أوقذفها في الفضاء .

وقال تعالى : « خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار و يكوّر النهار على الليل » الزمر : ٥)

وهذا تمثيل فقد جعل الله تعالى زيادة طول الليل بتقصير طول النهار بمثابة لفّ الليل حول النهار وتمليكه جزءاً منه وبالعكس قد جعل طول النهار بتقصير

طول الليل بمثابة لفّ النهار على الليل وإعطاؤه جزءاً منه .

ويمكن أن يقال : إنه تعالى جعل إقتضاء الظلام لأثر النور على سطح الارض بمثابة التفاف الظلام حول النور أو إلتفاف الليل حول النهار وجعل إقتفاء النور لاثر الظلام على سطح الارض أيضاً بمثابة إلفاف النور حول الظلام أو إلتفاف النهار حول الليل .

تكوّر الشيء تكوّراً : سقط وتكوّر الرجل : تشمّر. وتكوّر الشيء: تقطّر وكوّره فتكوّر أي صرعه فسقط .

في المفردات : كور الشيء : أدارته وضمّ بعضه إلى بعض ككور العمامة وقوله : « يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل » فاشارة إلى جريان الشمس في مطالعها وإنتقاص الليل والنهار وإزديادهما .

وقيل لكل مصر : كورة وهي البقعة التي يجتمع فيها قرى ومحالّ .

وفي النهاية : في الحديث : « انه كان يتعوّذ من الحور بعد الكور » أي من النقصان بعد الزيادة .

وكأنه من تكوير العمامة وهو لفّها وجمعها. وفي صفة زرع الجنة «فيبادر الطرف نباته وإستحصاده وتكويره » أي جمعه وإلقاؤه .

وفي المجمع : والكور ـ بالضم ـ : كور الحدّاد المبني من الطين . والكورة : المدينة والناحية .

وفي اللسان : الكور ـ بالضم ـ : الرحل ، وقيل : الرحل بأداته وكور الحدّاد : الذي فيه الجمر وتوقد فيه النار وهو مبنيّ من طين .

وتكوير الليل والنهار : أن يلحق أحدهما بالاخر وقيل : تغشية كل واحد منهما في صاحبه وقيل : إدخال كل واحد منهما في صاحبه .

وفي القاموس وشرحه : كوارة النحل ـ بالضم ـ : شيء يتخذ للنحل من القضبان والطين وهي شيء ضيق الرأس تعسل فيه .

وكوّر المتاع تكويراً : جمعه وشدّه وقيل : القى بعضه على بعض .
وكذا كارة القصار لكونه يكور ثيابه في ثوب واحد ويحملها ، فيكون بعضها على بعض .

١٤ - النجم والنجوم - ١٤٨٩

نجم ينجم نجماً - من باب نصر - : طلع وظهر .
يقال : نجمت الكواكب : إذا طلعت ويقال : نجم السنّ والقرن والنبت : طلع وخرج .
١- النجم : الكوكب المضيء . و غلب النجم على الثريا والنجم الثاقب - فيما قيل - على زحل . وجمع النجم : نجوم وأنجم .
قال الله تعالى : « والنجم إذا هوى » النجم : ١) ان المراد بالنجم: الجنس من الكواكب وقيل : الثريا. وقيل : القرآن .
وقال تعالى : « وإذا النجوم إنكدرت » التكوير : ٢)
وكان الناس في القديم يتعرفون بعض أحوالهم المستقبلة بالنظر في النجوم ومواقعها وماوضع فيها - على زعمهم - من تأثير ويقال من هذا : نظر في النجوم إذا حاول معرفة شيء بالنظر في الكواكب . . .
ولما كان النظر في النجوم يعين على معرفة الصواب والرأى عندهم .
يقال : نظر في النجوم إذا فكّر في أمره يتبيّن كيف يدبره .
ب - النجم : مالاساق له من النبات بل ينبت علـى وجـه الارض كالبقول والعشب والحشيش وهو في هذا المعنى يقابل الشجر .
قال الله تعالى : « والنجم والشجر يسجدان » الرحمن : ٦)
قيل : إن المراد من النجم النبات و قيل : الكوكب ويقال : ليس لهذا الحديث نجم أى أصل .

ج ـ النجم : المقدار من الشيء يرتبط بوقت ويربط نظيره بوقت آخر ، وهو يرادف القسط تقول :جعل وفاءدينه نجوماً.ومن هذا قيل للجملة التى تنزل من القرآن :نجم. وقد نزل القرآن نجوما نحو ثلاث وعشرين سنة ولم ينزل جملة واحدة

قال الله تعالى :« فلا اقسم بمواقع النجوم » الواقعة : ۷۵) أى نجوم القرآن.

وقيل : اريد بالنجوم الكواكب .

و أصل هذا ان العرب كانوا يوقّتون أداء ديونهم ودياتهم بطلوع النجوم فاطلق النجم على الوقت المضروب لدفع بعض الدية أوالدين أوغيرهما .

واطلق النجم من هذا المعنى على القدر الذى يؤدّى فى الوقت المضروب. تقول :جعل فلان ماله على فلان نجوماً معدودة يؤدى عند إنقضاء كل شهر منها نجماً.

فى المفردات : أصل النجم الكوكب الطالع وجمعه نجوم . ونجم: طلع نجوماً ونجماً فصار النجم مرّة إسماً ومرّة مصدراً فالنجوم مرّة إسماً كالقطوب والجيوب ومرّة مصدراً كالطلوع والغروب ، ومنه شبّه به طلوع النبات والرأى .

فقيل : نجم النبت والقرن ونجم لى رأى نجماً و نجوماً و نجم فلان على السلطان صار عاصياً .

ونجّمت المال عليه إذا وزّعته كأنك فرضت أن يدفع عند طلوع كل نجم نصيباً ثم صار متعارفاً فى تقدير دفعه بأىّ شيء قدّرت ذلك .

وفى النهاية : فى الحديث : « هذا إبّان نجومه » أى وقت ظهوره يعنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقال : نجم النبت ينجم : إذا طلع و كل ما طلع وظهر فقد نجم .

والنجم فى الاصل : إسم لكل واحد من كواكب السماء .

وفى المجمع : النجم : زمان يحل بانتهائه أو إبتداءه قدر معين من مال الكتابة أومال الكتابة كله ، ومنه الحديث :« ان عجز المكاتب أن يؤخر النجم إلى النجم الآخر »

وكانت العرب توقت بطلوع النجم لانهم ماكانوا يعرفون الحساب ، و إنما

كانوا يحفظون أوقات السنة بالأنواء وكانوا يسمون الوقت الذى يحلّ فيه الأداء نجماً ثم توسعوا حتى سموا الوظيفة نجماً .

قال إبن فارس : النجم وظيفة كل شيء وكل وظيفة نجم .

٥٩ - العطل - ١٠٢٤

عطل يعطل عطلاً وعطالة ـ من باب نصر ـ : بطل .

يقال : عطل الرجل : عظم بدنه و خلا من المال والأدب . ورجل عاطل : أى خال من المال والأدب . قوس عطل ـ بضمتين ـ لاوتر عليها .

عطّل الشيء : تركه ضياعاً وعطّل المرأة : نزع حليّها .

من الحسى المعطل : الموات من الارض وناقة عطل بلاسمة ومنه التعطيل : التفريغ والخلو من الشيء مطلقاً . بئر معطلة لايستقى منها .

قال الله تعالى : « و بئر معطلة » الحج : ٤٥) .

إبل معطّلة : لاراعى لها قال الله تعالى : «وإذا العشار عطلت» التكوير:٤).

أى لم تجد راعياً لاشتغالهم بأهوال يوم القيامة .

عطّلت الغلّات والمزارع : إذا لم تعمر ولم تحرث .

التعطيل: هو إنكار صفات البارى تعالى . المعطلة: أصحاب مذهب التعطيل.

ويقال : لمن يجعل العالم بزعمه فازعاً عن صالع أتقنه وزيّنه : معطّل .

وتعطيل الحدود : ان لاتقام على من وجبت عليه .

فى المفردات : العطل: فقدان الزينة والشغل . وعطّل الدار عن ساكنيها والابل عن راعيها .

وفى المجمع : فى الحديث : « لاينبغى للمرأة أن تعطل نفسها » يعنى من الحلى ولو أن تعلق قلادة فى عنقها . ومثله: «ياعلى مر نسائك لايصلين عطلا» بضمتين اراد فقدان الحلى .والتعطيل من النساء: الطويلة العنق

١٨ - الوحش - ١٦١٥

وحش الرجل بثوبه وسلاحه يحش وحشاً - من باب ضرب كوعد - : رمى به مخافة أن يلحق .

أوحش الارض ايحاشاً : وجدها وحشة خالية . و أوحش المنزل : صار وحشاً و ذهب عنه الناس ومنه وحشة القبر لخلوّه عنهم وإنفراد الميت فيه توحّش الرجل توحشاً : صار كالوحش يقال : إذا أقبل الليل : استأنس كل وحشيّ و استوحش كل انسيّ .

الوحش : هو حيوان البرّ الذى ليس فى طبعه الاستئناس ببنى آدم . و الوحشى واحد الوحش : كل شيء يستوحش عن الناس وجمع الوحش: الوحوش .

قال الله تعالى : « وإذا الوحوش حشرت » التكوير : ٥) .

إستوحش الرجل إستيحاشاً : وجد الوحشة ضد إستأنس .

ويقال : بات فلان وحشاً إذا لم يكن فى جوفه طعام وجمعه أوحاش الوحشة بين الناس : الانقطاع وبعد القلوب فى المودّات .

و فى الحديث : « قلوب الرجال وحشيّة » أى متباعدة بعضها عن بعض من الوحشة وهى عدم الأنس « فمن تألفها أقبلت عليه » .

فى المفردات : الوحش خلاف الانس ، و تسمى الحيوانات التى لاتأنس لها بالانس وحشاً وجمعه وحوش .

و فى اللسان : الوحشة : الخلوة و الهم . و فى حديث فاطمة بنت قيس : « انها كانت فى مكان وحشى فخيف على ناحيتها » أى خلالا ساكن به .

ويقال : بات وحشاً ووحشاً أى جائعاً وأوحش الرجل: جاع . والوحشى: الجانب من كل شيء .

١٠ - البحر والبحار - ٩٤

بحر يبحر بحراً بالتحريك - من باب علم - : دهش وتحيّر من الفزع واشتدّ عطشه فلم يرو من الماء فهو بحر .

أبحر الرجل: ركب البحر وصادف إنساناً بلاقصد لرؤيته . واشتدّت حمرة أنفه . أبحر الارض : كثرت منافعها وأبحر الماء : ملح .

اصل البحر : كل مكان واسع جامع للماء الكثير جمعه بحار و أبحر و بحور قال الله تعالى: «وإذا البحار سجرت» التكوير: ٦) وأطلق على الماء الكثير ملحاً كان أوعذباً على سبيل إطلاق الظرف على المظروف قال الله تعالى : « وما تستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج » فاطر :١٢)

ويطلق على كل متوسع فى شىء فيقال للرجل المتوسع فى علمه : بحر و للفرس المتوسع فى جريه : بحر.

تبحّر فى العلم وغيره: تعمّق فيه و توسّع. إستبحر فى العلم وغيره: إنبسط.

البحار: الملاّح للمبالغة .

البحران عند الاطباء: التغير الذى يحدث للعليل دفعة فى الامراض الحادّة يقولون : هذا يوم بحران بالاضافة .

البحيرة: الناقة التى بحروا أذنها أى شقّوها وذلك ان العرب فى الجاهلية كانوا إذا نتجت الناقة خمسة أبطن وقيل : عشرة أبطن فكان آخرها ذكراً شقوا أذنها وأعفوا ظهرها من الركوب والحمل والذبح ولاتمنع عن ماء ولامرعى و إذا لقيها المعى المنقطع به لم يركبها .

قال الله تعالى : « وما جعل الله من بحيرة ولاسائبة » المائدة : ١٠٣)

فى المفردات : أصل البحر: كل مكان متوسع جامع للماء الكثير ثم اعتبر تارة سعته المعاينة فيقال : بحرت كذا: أوسعته سعة البحر تشبيهاً به وسمّوا كل

متوسع فى شىء بحراً حتى قالوا : فرس بحر باعتبار سعة جريه .

وقال عليه السلام فى فرس ركبه : «وجدته بحراً»

وفى النهاية : ومنه حديث عبدالمطلب وحفر بئر زمزم : «ثم بحرها» أى شقها ووسّعها حتى لاتنزف .

البحيرة : مدينة الرسول ﷺ وهو تصغير البحرة. والعرب تسمى المدن والقرى : البحار ومنه الحديث : «وكتب لهم ببحرهم» أى ببلدهم وأرضهم و فيه ذكر «البحيرة» فى غير موضع كانوا إذا ولدت إبلهم سقباً بحروا أذنه أى شقّوها وقالوا :

اللهم إن عاش ففتىّ وإن مات فذكىّ فاذا مات أكلوه وسمّوه البحيرة وقيل :البحيرة: هى بنت السائبة كانوا إذا تابعت الناقة بين عشر اناث لم يركب ظهرها ولم يجزّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا ولدها أوضيف وتركوها مسيّبة لسبيلها وسمّوها السائبة .

فما ولدت بعد ذلك من انثى شقّوا أذنها وخلّوا سبيلها وحرم منها ما حرم من امّها وسمّوها البحيرة .

وفى اللسان : البحر : الماء الكثير ملحاً كان أو عذباً ، و هو خلاف البر سمى بذلك لعمقه وإتساعه ، وقد غلب على الملح حتى قلّ فى العذب .

والبحر فى كلام العرب: الشق وسمى البحر بحراً لاستبحاره وهو إنبساطه وسعته ويقال : إنما سمى البحر بحراً لانه شق فى الارض شقاً، وجعل ذلك الشق لمائه قراراً .

واستبحر الرجل فى العلم والمال وتبحّر: إتسع و كثر ماله وتبحر الراعى فى رعى كثير : إتسع و كله من البحر لسعته .

بحر الرجل ـ من باب علم ـ : إذا رأى ففرق حتى دهش و كذلك برق إذا رأى سنا البرق فتحيّر .

وبحر الرجل : بهت وأبحر الرجل إذا إشتدت حمرة أنفه وأبحر إذا صادف انساناً على غير إعتماد وقصد لرؤيته .

١٥- السجر- ٦٧٤

سجر النهر يسجره سجراً وسجوراً - من باب نصر - : ملأ .

وسجّر النهر : ملأه. وسجرت الناقة: مدّت حنينها . وسجّر الماء:فجّره وسجّر التنور وسجره : أوقده وأحماه .

قال الله تعالى . «ثم في النار يسجرون » غافر : ٧٢) أي يحرقون ظاهراً و باطناً .

وقال تعالى : « وإذا البحار سجرت» التكوير:٦) أي ملئت بتفجير بعضها إلى بعض حتى تعود بحراً واحداً فأحميت .

إنسجر الابل في السير : تتابعت وإنسجر الاناء : إمتلاء .

الساجر : الموضع الذي يأتي عليه السيل فيملاه .

«مررنا بكل حاجر وساجر » السيل الذي يملاء كل شيء .

السجر في العين : أن يخالط بياضها حمرة . و في معنى السجر إطلاقاً من الاختلاط مالا يخفى .

في المفردات: السجر : تهييج النار يقال : سجرت التنور ومنه «و البحر المسجور » .

وسجرت الناقة : إستعارة لالتهابها في العدو نحوه إشتعلت الناقة .

والسجير : الخليل الصفي الذي يسجر في مودة خليله .

وفي النهاية : في صفته عليه السلام : «انه كان أسجر العين»

السجرة : أن يخالط بياضها حمرة يسيرة .

وفي المجمع : أصل السجرة : الكدرة .

وفى اللسان : وكان على بن أبيطالب عليه السلام يقول : المسجور بالنار أى مملوء قال : والمسجور فى كلام العرب : المملوء .

وقال فى قوله تعالى: « وإذا البحار سجرت » : أفضى بعضها إلى بعض فصارت بحراً واحداً .

وشعر منسجر ومسجور: مسترسل و كذلك اللؤلؤ لؤلؤ مسجور إذا إنتثر من نظامه .

١ـ الوأد ـ ١٦٣٤

وأد البنت يئدها وأداً ـ من باب ضرب كوعد ـ : دفنها حيّة .

ووصف المفعول موؤدة قال الله تعالى: « وإذا الموؤدة سئلت بأىّ ذنب قتلت» التكوير : ٨)

وقد كان يفعل هذا بعض العرب فى الجاهلية يعمد الرجل إلى إبنته فيئدها فى صغرها خشية ان تلحق به عاراً بزناها أو سبيلها إذا كبرت أو خشية الاملاق والفقر وما إليها من فساد العقيدة .

قال الله تعالى : « وإذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسّه فى التراب ألا ساء ما يحكمون » النحل : ٥٩)

تو أدت عليه الارض : غيّبته وذهبت به. الوئيد : شدة الوطء على الارض

فى النهاية : ومنه حديث العزل« ذلك الوأد الخفى» وفى حديث آخر: «تلك الموؤدة الصغرى » جعل العزل عن المرأة بمنزلة الوأد إلاّ انه خفىّ لان من يعزل عن إمرأته إنما يعزل هرباً من الولد ولذلك سمّاه الموؤدة الصغرى لان وأد البنات الاحياء الموؤدة الكبرى .

أقول : إذا كان النزع والعزل وأداً فكيف الاسقاط ومنهم من كان يئد

البنين عند المجاعة .

الوئيد: صوت شدة الوطء على الارض يسمع كالدوي من بعد ومنه الحديث «وللارض منك وئيد» يقال : سمعت و أدقوائم الابل ووئيدها .

وفي المجمع :وكانت كندة تدفن البنات و في الخبر : « انه نهى عن وأد البنات » أي قتلهن لانهم كانوا في الجاهلية يدفنونهن و هن حيات في التراب .

الوئيد وهي السكون والرزانة والتأني والمشي بثقل . و يقال : أيتدء في مشيته أي إقتصد وايتئد في أمرك أي ثبت .

وفي اللسان : الوأد و الوئيد : الصوت العالي الشديد كصوت الحائط إذا سقط ونحوه .

٢٦ـ الكشط ـ ١٢٩٩

كشط الشيء عن الشيء يكشط كشطاً ـ من باب ضرب ـ : رفعه عنه قد غشاه .

الكشط: النزع والازالة قال الله تعالى: «وإذا السماء كشطت »التكوير:١١) اى قلعت وازيلت كما ينزع الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور به.

يقال : كشط الجلد عن اللحم والسرج عن ظهر الفرس .

الكشاط : الانكشاف .

في المفردات : كشط : «وإذا السماء كشطت» وهو من كشط الناقة أى تنحية الجلد عنها ومنه استعير إنكشط روعه أى زال .

و في النهاية : في حديث إستسقاء: « فتكشّط السحاب» أي تقطّع وتفرّق . والكشط والقشط سواء في الرفع والازالة والقلع والكشف

وفي المجمع : إنكشط الشيء : ذهب ومنه إنكشط روعه.

وفى اللسان : كشط الغطاء عن الشىء والجلدعن الجزور والجل عن ظهر الفرس : قلعه ونزعه و كشفه عنه .

وإسم ذلك الشىء الكشاط .

وفى القاموس و شرحه . كشط الحرف : أزاله عن موضعه .

٤٦- السعير- ٧٠٥

سعر النار والحرب يسعرهما سعراً - من باب منع -وأسعرهما إسعاداً وسعر هما تسعيراً : أو قدهما وهيجهما وأشعلهما .

قال الله تعالى : « وإذا الجحيم سعرت » التكوير : ١٢)

أى أوقدت وهيجت نارها

السعير : الموقد المهيج ونار سعير : موقدة مهيجة ويراد بالسعير جهنم قال الله تعالى : « وسيصلون سعيراً » النساء : ١٠)

السعر : جمع السعير .

والسعر أيضاً الجنون قال تعالى : « قالوا أبشراً منا واحداً نتبعه انا إذا لفى ضلال وسعر » القمر : ٢٤) هى بمعنى الجنون .

فى المفردات : السعر : إلتهاب النار وسعر الرجل : أصابه حر .

و فى الصحاح : السعار : حر النار و شدة الجوع و توهج العطش و الجنون .

و فى النهاية : ومنه حديث على رضى الله عنه يحث اصحابه : «اضربوا هبراً وارموا سعراً » أى رمياً سريعاً شبهه باستعار النار .

وفى المجمع: السعار: حر النار وشدة الجوع والسعر - بالكسر-:الذى يقوم عليه الثمن . الجمع أسعار وسمى السعر سعراً تشبيهاً باسعار النار لان سعر السوق يوصف بالارتفاع .

وفي الدعاء «جبل ساعير» وهو الجبل الذى أوحى الله عزو جل إلى عيسى بن مريم عليه السلام .

٤٨- الكنس -١٣٢١

كنس الظبى يكنس كنساً و كنوساً - من باب ضرب - : إستتر فى كناسه و هو مأواه الذى يتخذه فى الشجر ليستره فهو كانس و جمعه : كنّس قال الله تعالى : « فلااقسم بالخنس الجوار الكنس » التكوير : ١٥و١٦) .

الجوارى الكنس : الكواكب تختفى أوبقر الوحش أو الظباء تأوى إلى مخائبها أو كل ما كانت صفته الكنوس أحياناً والجرى اخرى وتكنّس الرجل : دخل فى الخيمة والمرأة : دخلت فى الهودج .

الكناسة - بالضم - : الزبالة وبمعنى موضع الزبالة أيضاً .

الكنّاس : فعّال للمبالغة وهوالذى حرفته الكنس .

الكنيس : متعبد اليهود والكنيسة متعبد النصارى وقد تطلق الكنيسةعند النصارى على جماعة المؤمنين منهم . وقد تطلق على متعبد اليهود و النصارى و الوثنيين جمعها كنائس .

المكنسة : إسم آلة يكنس بهاجمعها مكانس.

فى الصحاح : الكناس : موضع فى الشجر يكتن فيه الظباء ويستتر .

وفى النهاية : وفى حديث كعب : « أول من لبس القباء سليمان عليه السلام لانه كان إذا أدخل الرأس للبس اللباس كنّست الشياطين إستهزاء » يقال : كنّس أنفه إذاحرّ كهمستهزئاً .

وفى المجمع: الكناسة - بالضم - : إسم موضع بالكوفة صلب فيها زيد بن على بن الحسين عليه السلام

٤٣- عسعس- ١٠٠٨

عسعس الليل يعسعس عسعسة وعسعاساً ـ من باب دحرج ـ : أظلم ومضى وأقبل وأدبر .

يقال : فلان عسعس الامر : لبّسه وعمّاه .و عسّ يعسّ عساً وعساساً ـ من باب مدّ ـ : طاف بالليل لحراسة الناس .وعسّ عليّ : أبطأ .

وإعتسّ الشيء : طلبه ليلاً أوقصده .الذئب العسوس : الطالب للصيدمن الحسى العسعاس : مايطلب الصيد بالليل من السباع والخفيف من كل شيء .

ومنه في عمل الناس العسّ : نفض الليل عن أهل الريبة ومن الصيد ليلاًفي تخفّ يقال : تعسعس الذئب : طلب الصيد بالليل.

ومن الخفة تكون عسعسة الليل خفة ظلامه في أول إقباله أوعند إدباره في السحر قبيل الصبح .

ولعل السياق القرآني العسعسة عند إدبار الليل إذبعدها تنفس الصبح وقد يقال : إن عسعس بمعنى أقبل وبمعنى أدبر معافهو من الاضداد قال الله تعالى : « و الليل إذاعسعس » التكوير : ١٧) .

في المفردات: عسعس:أي أقبل وأدبر وذلك في مبدأ الليل ومنتهاه فالعسعسة والعساس رقة الظلام وذلك في طرفي الليل .

و في النهاية : في حديث علي عليه السلام : « انه قام من جوز الليل ليصلي فقال : «والليل إذا عسعس» عسعس الليل : إذا أقبل بظلامه وإذاأدبر فهو من الاضداد .

وفي اللسان : عسعس الليل إذاأقبل وعسعس إذاأدبر والمعنيان يرجعان إلى شيء واحدوهو إبتداء الظلام في أوله وإدباره في آخره .

٤-الصبح - ٨٣٤

١- صبح القوم يصبح صبحاً ـ من باب منع ـ : أتاهم وأغارهم كقولهم : « صبحناهم بالف من سليم وصبحتهم الخيل كذلك »

٢- صبح الشعر يصبح صبحاً وصبحة- من باب علم- : برق والحديد :صقل .

٣- صبح الوجه يصبح صباحة - من باب كرم - : أشرق وأنار، ومنه يقال: غلام صبيح الوجه . وغلام صباح : أي جميل .

الصبح : الفجر قال الله تعالى : « والصبح إذا تنفّس » التكوير :١٨) و المراد منه الفجر .

و الصبح : أول النهار قال تعالى : «ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب» هود : ٨١) هما بمعنى أول النهار . جمع الصبح : الأصباح .

سمى بذلك لحمرته لان الصباحي : الدم الشديدة الحمرة .

الصباح : نقيض المساء وربما كنوا بالصبح عن الأمر الجلى .

أصبح : دخل في الصباح كقوله تعالى : « فاصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها » الكهف : ٤٢)

أصبح : بمعنى صار كقوله تعالى: « فأصبحتم بنعمته إخواناً » آل عمران : ١٠٣) أي صرتم .

صبّحهم - من باب التفعيل - : أتاهم غدوة كقوله تعالى : « ولقد صبّحهم بكرة عذاب مستقر » القمر : ٣٨) ويقال : تصبّح الرجل : نام غداة .

المصباح : السراج وجمعه مصابيح قال الله تعالى: « المصباح في زجاجة» النور : ٣٥)

وقال : « وزيّنّا السماء الدنيا بمصابيح » فصلت : ١٢)

الاصباح : مصدر يراد به أول الفجر قال الله تعالى: « فالق الاصباح»الانعام: ٩٦) أي الصبح .

وربما استعير للانتقال من ظلمة الاثم إلى نور الزهد ، و من ظلمة الضلال إلى نور الهدى .

والعرب تقول : أصبح يا رجل أي إنتبه من غفلتك .

في المفردات: الصبح والصباح: أول النهار وهو وقت ما احمرّ الافق بحاجب الشمس قال: « أليس الصبح بقريب - فساء صباح المنذرين ».

وفي النهاية: ومنه حديث يحيى بن زكريا عليهما السلام: « كان يخدم بيت المقدس نهاراً ويصبح فيه ليلا » أي يسرج السراج.

وفيه « انه نهى عن الصبحة » وهي النوم أول النهار لانه وقت الذكر ثم وقت طلب الكسب.

الاصبح: الشديد حمرة الشعر.

وفي المجمع: الاصباح: الصبح والصبيحة: الصباح.

وفي الحديث: « وليس عند ربك صباح ولا مساء » قال علماء الحكماء: المراد ان علمه تعالى حضورى لا يتصف بالمضى والاستقبال كعلمنا وشبهوا ذلك بحبل كل قطعة منه على لون في يد شخص يمده على بصر نملة فهي لحقارة باصرتها ترى كل آن لوناً ثم يمضي ويأتي غيره.

فيحصل بالنسبة إليها ماض وحال ومستقبل بخلاف من بيده الحبل فعلمه - سبحانه وله المثل الاعلى - بالمعلومات كعلم من بيده الحبل و علمنا بها كعلم تلك النملة. كذا ذكره الشيخ البهائي.

« صبحه الله بخير » دعا له.

والمصباح: السراج الثاقب المضيء ويعبّر به عن القوة العاقلة والحركات الفكرية الشبيهة بالمصباح ومنه قوله عليه السلام: « قد زهر مصباح الهدى في قلبه » وإن شئت قلت: فأضاء العلم اليقين في قلبه. والمستصبح: المتخذ لنفسه مصباحاً وسراجاً.

وفي الحديث - : لما نزلت « وأنذر عشيرتك الاقربين » قال صلى الله عليه وآله وسلم: « ياصباحاه » وهذه كلمة يقولها المستغيث عند وقوع أمر عظيم وأصلها إذا صاحوا للغارة لانهم أكثر ما كانوا يغيرون وقت الصباح فكأن القائل: واصباحاه

يقول :قدغشينا العدو .

و في اللسان : الاصبح : الشديد حمرة الشعر ومنه صبح النهار مشتق من الاصبح . قال الازهرى : ولون الصبح الصادق يضرب إلى الحمرة قليلاً كأنهالون الشفق الاول فى أول الليل .

والصبح : بريق الحديد وغيره .

وفى القاموس : وشرحه : الصبحاء :الواضحة الجبين. ومصابيح النجوم: أعلام الكواكب .

ومن المجاز : دايت المصابيح تزهر فى وجهه .

١٨- الضنين-٩١٠

ضنّ بهيضنّ ضنّاً وضنّاً وضنانة -من باب ضرب كفرّ - : بخل بهوأمسك. من المادى ضننت بالمنزل : لم أبرحه، والضنّ : الشيء النفيس .والمضنونة، ضرب من الطيب ومنه معنى الحرص والامساك والبخل بالشيء. قال الامام على عليه السلام : « من ضنّ بعرضه فليدع المراء »

الضنين : البخيل جمعه : الضنائن وهى مايختص بالانسان من الاشياء مما يضنّ بهلنفاسته .

قال الله تعالى : « وماهو على الغيب بضنين » التكوير : ٢٤) .

أى يأتيه صلى الله عليه وآله غيب وهو منفوس فيه فلايبخل بهعليكم ولايضنّ بهعنكم.

الضنن - بالتحريك - : الشجاع .

فى المفردات: الضنّة : هوالبخل بالشيء النفيس .

وفى النهاية : فى الحديث : « ان لله ضنائن من خلقه يحييهم فى عافية و يميتهم فى عافية »

الضنائن : الخصائص واحدهم : ضنينة فعيلة بمعنى مفعولة من الضن وهوما

تختصّه وتضنّ به: أى تبخل لمكانه منك و موقعه عندك .

يقال : فلان ضنّى من بين إخوانى وضنّتى أى إختص به واضنّ بمودته .

ومنه حديث زمزم «قيل له : احفر المضنونة » أى التى يضنّ بها لنفاستها و عزّتها .

وفى المجمع : الضنين : البخيل الشحيح قوله تعالى: «وما هو على الغيب بضنين » والمعنى لايبخل بالوحى بان يسئل تعليمه أو يروى بعضه فلايبلغه .



﴿ النحو ﴾

١ـ (اذا الشمس كورت)

«إذا» ظرف للاستقبال، يتضمن معنى الشرط، ويختصّ بالدخول على الجملة الفعلية ، ويحتاج إلى جواب، ويقع في الابتداء عكس «إذا» للفجائية، والفعل بعده إما ظاهر كقوله تعالى : « إذا جاء نصر الله » وإما مقدر كقوله تعالى : «إذا الشمس كوّرت » على تقدير : إذا كورت الشمس ، فالشمس فاعل لفعل مقدر يفسّره المذكور، و« كوّرت» فعل ماض، مبنيّ للمفعول في باب التفعيل: وتأنيثه لتأنيث الشمس مجازاً .

و « إذا» في موضع نصب لان قوله تعالى « علمت نفس »عامله ، و على هذا يجري أمثاله و الجملة التي هي الفعل المحذوف مع فاعله بعد « إذا » في موضع جرّ باضافة « إذا » إليها ، والتقدير : وقت تكوير الشمس تعلم كل نفس ما عملته، و تجزى به .

وعلى هذا فهنا إثناعشر « إذا » كلها ظروف إضيفت إلى الجمل التي بعدها من قوله تعالى : » إذا الشمس كورت ـ إلى ـ وإذا الجنة ازلفت» والعامل فيها كلها قوله جل وعلا : « علمت نفس ما أحضرت » .

٢ـ (و اذا النجوم انكدرت) .

الواو للعطف ، والجملة عطف على السابقة ، و « النجوم » جمع النجم ، و « إنكدرت » فعل ماض من باب الافعال ، و تأنيثه باعتبار جماعة النجوم ، وبناءه

للفاعل بخلاف أخواته من الافعال الملتفة به لكونه لازماً .

٣- (و اذا الجبال سيرت) .

عطف على ماقبلها ، و «الجبال» جمع الجبل ، و «سيرت» فعل ماض ، مبنى للمفعول من باب التفعيل ، وتأنيثه باعتبار جماعة « الجبال » .

٤- (و اذا العشار عطلت) .

«العشار» جمع العشراء كالنفاس جمع النفساء ، والعشار : النوق الحوامل قد أتى عليها عشرة أشهر من حملها، وتسمى بها حتى تضع حملها . وقيل: ولايزال ذلك إسمها حتى تضع و بعد ماتضع أيضاً ، إذ من عادة العرب أن يسموا الشيء باسمه المتقدم ، و إن كان قد جاوز ذلك .

٥- (واذا الوحوش حشرت) .

« الوحوش » جمع الوحش ، وهو من الحيوان مالايتأنس بالانسان كالسباع وغيرها و « حشرت » فعل ماض ، مبنى للمفعول .

٦- (واذا البحار سجرت) .

« البحار » جمع البحر ، و « سجرت » فعل مـاض ، مبنيٌ للمفعول من باب التفعيل .

٧- (و اذا النفوس زوجت) .

« النفوس » جمع النفس ، والباقى ظاهر مما تقدم .

٨- (و اذا الموؤدة سئلت) .

« الموؤدة » اسم مفعول كالمقتولة وزناً ومعنى ، و «سئلت» فعل ماض مبنى للمفعول .

٩- (باى ذنب قتلت) .

الباء للمقابلة ، وهى التى تدخل على الاعواض حقيقة كقوله تعالى: «ادخل الجنة بما كنتم تعملون» النحل:٣٢)و كقولك لصديقك: بما اشتريت هذا الفرس،

وتقديراً كالمقام و« أى» استفهامية انكارية ، اضيفت إلى «ذنب» و«قتلت» فعل ماض مبنى للمفعول ، وفاعله النيابى ضمير مستتر فيه راجع إلى «الموؤدة» .

۱۰ـ (و اذا الصحف نشرت) .

« الصحف » جمع الصحيفة ، و ان الالف و اللام عوض عن المضاف إليه أى صحف أعمال الانسان . . .

۱۱ـ (و اذا السماء كشطت) .

« السماء » إسم جنس يشمل المفرد و الجمع ، و « كشطت » فعل ماض ، ثلاثياً ، مبنياً للمفعول .

۱۲ـ (و اذا الجحيم سعرت) .

« الجحيم » إسم من أسماء جهنم ، و «سعرت » فعل ماض ، مبنياً للمفعول من باب التفعيل .

۱۳ـ (و اذا الجنة ازلفت) .

« ازلفت » فعل ماض ، مبنياً للمفعول ، من باب الأفعال .

۱۴ـ (علمت نفس ما أحضرت) .

« علمت » فعل ماض ، و«نفس» فاعل الفعل باعتبار تأنيث فاعله مجازاً ، و التنوين فى «نفس» للتقليل ولكنها تفيد التكثير بحسب المقام ، وقيل : للتعظيم أو للتنويع يعنى النفس الانسانية لا النباتيـة ، ولا الحيوانية و لا الفلكية عند القائلين بها .

و « علمت » جواب ا «إذا» كلها والفعل هو العامل ا «إذا» جميعها ، و «ما» موصولة ، محلها النصب ، مفعول به لفعل العلم ، و « أحضرت» فعل ماض من باب الافعال، وفاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «نفس» والجملة صلة الموصول على حذف العائد لرعاية الفواصل أى أحضرته .

۱۵ـ (فلا اقسم بالخنس) .

الفاء للتفريع ، وهى التى ترتبط بما وقع جواباً للشرط ، أى إن هذا الحق واقع، فلااقسم لكم على توكيده بالخنس، و«لا» حرف نفى. وقيل : زائده جيئت للتأكيد. و«اقسم» فعل مضارع للتكلم وحده من باب الافعال ، والباء فى «بالخنس» للقسم ،وهى مع مجرورها متعلق بفعل القسم،و «الخنس» جمع خنساء وهى ظبية تدخل فى كناسها، والمراد بها ههنا الكواكب إذا طلع عليها النار خنست أى غابت، واختفت معالمها عن الانظار ... وقيل: الخنس : جمع خانس كطلّب جمع طالب.

١٦- (الجوار الكنس)

«الجوار» جمع الجارية، صفة ا «الخنس» لانها تجرى فى أفلاكها، و«الكنس» جمع الكانس .والكناس : مأوى الظباء الذى تسكن إليه، صفة اخرى ا «الخنس» لانها تكنس أى تتوارى فى بروجها كماتتوارى الظباء فى كناسها.وقيل:«الكنس» صفة ا «الجوار » .

١٧- (والليل اذاعسعس)

الواو للعطف ، و«الليل» عطف على «الخنس» مجرور بباء القسم ، و «إذا» حرف شرط للاستقبال ، و«عسعس » فعل ماض ، رباعياً كدحرج ، و فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الليل » .

١٨- (والصبح اذا تنفس)

«الصبح» عطف على «الخنس» وقيل: إن الجملة عطف على «والليل إذاعسعس» و«تنفس» فعل ماض من باب التفعل ، فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى « الصبح ».

١٩- (انه لقول رسول كريم) .

«ان» حرف تأكيد ، وضمير الوصل فى موضع نصب، إسم لحرف التأكيد ، راجع إلى القرآن ،و«لقول» اللام للتأكيد، ومدخولها خبر لحرف التأكيد المتقدم، أضيف إلى «رسول» و« كريم» نعت من «رسول» ،و الجملة جواب للقسم .

٢٠- (ذى قوة عندذى العرش مكين) .

«ذی» بمعنی صاحب، صفةاخری ا «رسول» اضیف إلی «قوة»و «عند» ظرف، متعلق بمحذوف ، وهو صفة ثالثة ا «رسول » و«عند» اضیف إلی «ذی» وهو اضیف إلی «العرش»و«مکین» صفةرابعةا«رسول» وقیل: «عندذی العرش »متعلق ب«مکین».

٢١- (مطاع ثم أمین)

«مطاع» إسم مفعول من باب الأفعال ، صفة خامسة ا «رسول» و«ثم» بفتح الثاء ظرف ، عامله «مطاع» و«أمین» صفة سادسة ا «رسول» .

٢٢- (وما صاحبکم بمجنون)

الواو للعطف ، و«ما» حرف نفی، تشبه ب«لیس » و«صاحبکم» إسمها ، و «بمجنون» خبرها ، والباء لتأکید النفی ، والجملة عطف علی جواب القسم «انه لقول رسول کریم» فالجملة المعطوفة داخلة فی جواب القسم .

٢٣- (ولقد رآه بالافق المبین)

الواو للقسم ، واللام فی « لقد» لتوطئة القسم و قیل : الواو للعطف واللام للزینة والجملة عطف علی جواب القسم من عطف الجملة الفعلیة علی الاسمیة ،و «قد» حرف تحقیق،و « رآی» فعل ماض،فاعله ضمیر مستتر فیه راجع إلی «صاحبکم» وهوالنبی الکریم صلی الله علیه و آله و ضمیر الوصل فی موضع نصب ، مفعول به ، راجع إلی جبرئیل علیه السلام و«بالافق » متعلق بمحذوف، وهوحال من جبرئیل علیه السلام والمعنی: واقسم لقدرآی محمد رسول الله صلی الله علیه و آله جبرئیل علیه السلام حالکون جبرئیل کائناً فی الافق المبین. وفی «المبین» وجهان : أحدهما -انه صفة من «الافق». ثانیهما - انه صفة لمن رآه .

٢٤- (وما هو علی الغیب بضنین)

الواو للعطف ، و «ما» حرف نفی، و «هو» إسمها ، و « علی الغیب» متعلق ب«ضنین» وهو خبر لحرف النفی، وهو کبخیل وزناً ومعناً ، صفة مشبهة من الضن بمعنی البخل .

٢٥- (وما هو بقول شيطان رجيم)

عطف على جواب القسم كالجملة السابقة ، فالجمل الثلاث كلها داخلة في جواب القسم ، و«رجيم» صفة ا «شيطان»

٢٦- (فأين تذهبون)

الفاء للتفريع، و«أين» إستفهام توبيخي، و«تذهبون» فعل مضارع على خطاب الجماعة للمشركين على تقدير: إذا كان الامر على هذا فأين تذهبون أيها المشركون وتتركون الحق وراء كم ؟.

وقيل : ان الجملة إعتراض على تقدير القول وحرف الجزأى قال: إلى أين تذهبون كقولك: ذهبت مكة المكرمة أي إلى مكة المكرمة . ويجوز أن يحمل على المعنى كأنه قال: أين تؤمنون.

٢٧- (ان هو الاذكر للعالمين)

«إن» حرف نفي تشبه بـ «ليس» وهي تدخل على الجملة الاسمية ، و تأتي و بعدها حرف «إلاّ» أو «لما» المشددة التي هي بمعنى «إلاّ» غالباً كقوله تعالى :«إن الكافرون إلاّ في غرور » الملك : ٢٠) و قوله تعالى : « إن كل نفس لما عليها حافظ » الطارق : ٤)

و«هو » إسم لحرف النفي ، و « إلاّ » حرف إستثناء ، و« للعالمين » متعلق بمحذوف وهو صفة ا «ذكر» أي ذكر ثابت للعالمين ، ولم يعمل «إن» لمكان الاستثناء والجملة جواب للقسم المتقدم أيضاً .

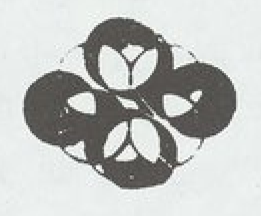
٢٨- (لمن شاء منكم أن يستقيم)

«لمن» بدل من «للعالمين» بدل بعض من الكل باعادة الجار، و«من» موصولة، و«شاء» فعل ماض، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «من» و«منكم» متعلق بفعل المشيئة ، و«أن » حرف مصدرية ، و«يستقيم» فعل مضارع من باب الاستفعال ، منصوب بحرف المصدر ، والفعل بعد إنسباكه إلى المصدر مفعول به لفعل المشيّة.

٢٩- (وما تشاؤن الاان يشاءالله رب العالمين)

الواو للحال ، و«ما» نافية ، و«تشاؤن» فعل مضارع لخطاب الجمع ،و«إلاّ» حرف إستثناء ، و«رب» اضيف إلى «العالمين » صفة ا «الله» جل جلاله.

ولايخفى على الأديب المتأمل : انهذه السورة كلها مركبةمن شروط و جزاء ، ومن أقسام وأجوبة ...



﴿ البيان ﴾

١- (اذا الشمس كورت)

فصل أول من فصلى هذه السورة، يخبر ببعض أشراط الساعة وأهوالها ، وما يقع يوم القيامة من إنقلاب فى نظام الكائنات ، و تبدل فى نواميس الوجود ، و ما يكون حينذاك ، وهى إثناعشر شيئاً :

اولها: تكوير الشمس ، وقدّمها تفخيماً لشأنها ، و أخذاً بما يأنس بها الانسان يقظة ، وفى هول تبدلها من الشدة مالافى تبدل غيرها .

وفى حذف الفعل أولاً ، وإسناده إلى الضمير ثانياً على شريطة التفسير من إفادة التحقق والثبوت لامحالة ، وفى ايثار الفعل مبنياً للمفعول من التهويل كما فى الافعال التالية مالايخفى على القارىء الخبير .

وان المراد من تكوير الشمس إنظلام جرمها على نحو الاحاطة من الاستعارة، فان التكوير هو اللفّ على طريق الادارة كلفّ العمامة على الرأس .

٢- (واذا النجوم انكدرت)

الثانى من أعلام الساعة إنكدار النجوم . الكدر : ضدّ الصفاء . وإنكدار الشىء فى الأصل : إنقلابه من الصفاء إلى ضدها . وإنكدار النجوم كناية عن إنطفاء بريقها ولمعانها وذهاب نورها، وإنقضاءها وتناثرها وتساقطها على الارض وسميت النجوم نجوماً لظهورها فى السماء بضوئها .

٣- (واذا الجبال سيرت)

الثالث : من أشراط القيامة تسيير الجبال ، و هو كناية عن إقتلاعها من أماكنها ، وذهابها عن وجه الارض ، وسيرها في الفضاء ، وصيرورتها هباء منبثاً، وسراباً .

٤- (واذا العشار عطلت)

الرابع : من أعلام الساعة تعطيل العشار ، وهو تركها مهملة لاراعي لهاولا حافظ يحفظها فتذهب حيث تشاء ، فكأن فيالاية الكريمة إشارة - على طريق الكناية - إلى أن نفائس الاموال التي يتنافس فيها الانسان تبقى اليوم من غير صاحب لها يتملكها ولامتصرف يتصرف فيهالانهم مشغولون بأنفسهم عن كلشيء كماقال الله جل وعلا : « لكل إمرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » عبس : ٣٧)

وقيل : إن تعطيل العشار تمثيل لشدة الكرب ، وإلا فلاعشار ولاتعطيل إذ لاتكون يوم القيامة ناقة عشراءولكن أراد به المثل : ان هول يوم القيامةبحال لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها وإشتغل بنفسه . وإنما خص العشاربالذكرلأنها أعزماتكون على العرب، وليس يعطلها أهلها إلا حال القيامة لعظم الهول و شدة الكرب يومئذ .

٥- (واذا الوحوش حشرت)

الخامس : من أعلامالساعة حشرالوحوش ، وهو كناية عن جمعهامن كل ناحية ليقتص لبعض من بعض، ثم تصير تراباً .

٦- (واذا البحار سجرت)

السادس : من تلك الاشراط تسجير البحار ، و هو كناية عن إطلاق مياه البحار يومئذ لايمسكها شيء ، وتنشيف مافيها من الرطوبة حتىلايبقى فيها شيء من المياه . . .

٧- (واذا النفوس زوجت)

السابع : من تلك الاعلام تزويج النفوس ، وهو كناية عن إقتران الارواح

بأجسادها التى كانت فيها ، وبعثهما مزدوجاً . وفى ذلك ايماء إلى بقاء النفوس من حين الموت إلى وقت البعث، فانها بعد أن إنفردت عن أبدانها تعود إليها يومئذ .

٨- (واذا الموؤدة سئلت)

الثامن : مما يقع يوم القيامة هو السؤال عن الموؤدة ، وهى البنت الصغيرة التى تدفن حية خوف العار والفقر بيد أهلها .

ان تسئل : ان السؤال إنما يحسن عن القاتل والجانى لا عن المقتول والمجنى عليه ؟

تجيب عنه : إنما سؤال الموؤدة لتبكيت قاتلها وتوبيخه بما تقوله من الجواب فانها تقول : قتلت بغير ذنب ، فسؤال الموؤدة توبيخ لوائدها وهو أبلغ من سؤالها عن قتلها لان هذا مما لا يصح إلاّ بذنب ، فبأىّ ذنب كان ذلك فاذا ظهر انه لا ذنب لها كان أعظم فى البلية وظهور الحجة على قاتلها .

وفى هذا تشنيع على الجانى ومواجهة له بالجريمة التى إرتكبها ،ووضعها بين يديه ليرى تلك الجناية الغليظة المنكرة ، وليسمع من قتيلته التى ظن انه سوّى حسابه معها ، ليسمع منطقها الذى يأخذ بتلابيبه ويملأ فزعاً ورعباً . .

أرأيت إلى قتيل يظهر على مسرح القضاء ، هذا وقاتله فى موقف المحاكمة؟ ثم أرأيت إلى هذا القتيل و هو يروى للقاضى العدل ، والحاكم الحق : لم قتل ؟ و كيف قتل ؟ ثم أرأيت إلى القاتل ، وقد أذهله الموقف فخرس لسانه، وارتعدت فرائصه وانهار كيانه ؟ ذلك بعض من هذا المشهد الذى يكون بين الموؤدة و وائدها يوم البعث والحساب ! .

فتوجيه السؤال إلى النفوس الموؤدة لاظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها، وإسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته ، وتوطئة لان تسئل الله جل وعلا الانتصاف لها من قاتلها حتى يسئل عن قتلها فيؤخذ لها منه .

ونظيره فى التبكيت والتوبيخ قوله جل وعلا لعيسى بن مريم عليه السلام: «أأنت

قلت اتخذونى وامى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق » المائدة : ١١٦)

وقيل: إن إسنادالمسئولية إلىالموؤدة منالمجازالعقلى . وسميتبالموؤدة لما يطرح عليها من التراب فيؤودها أى يثقلها حتى تموت ، ومنه قوله تعالى : « ولا يؤده حفظهما » أى لايثقله .

وفى تلخيص البيان : للسيدالشريف الرضى رضوان الله تعالى عليهفىقوله تعالى : « وإذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت » قال : « و هذه إستعارة ، والمراد والله أعلم انها سئلت لا لاستخراج الجواب منها ، ولكن لاستخراج الجواب من قاتلها ، ويكون ذلك على وجه التوبيخ للقاتل إذ قتل منلايعرف (لايعرب خ) عن نفسه ، ولم يذنب ذنباً يؤخذ بجريرته . وقيل : معنى سئلت أى طلب بدمها كما يقول القائل : سئلت فلاناً حقى عليه أى طالبته به ، و إنما سميت موؤدة للثقل الذى يلقى عليها من التراب ، تقول : آدنى هذا الامرأى أثقلنى ، و منه قوله تعالى : « لايؤودهحفظهماوهوالعلى العظيم » أىلايثقله ذلك كما يثقلأحدنا الشاهد حفظ المتشعبات وضبط المنتشرات » إنتهى كلامه ورفع مقامه .

٩- (باى ذنب قتلت)

فكأن البنت الصغيرة المدفونة حية تسئل على مسمع من وائدها : لماذا و أدك وائدك ؟ و كيف استبدلت الرحمة بالفظاظة ، والرأفة بالغلظة ؟؟؟

وفى اسلوب الايةوماقبلها تنديدعلى عادةالعرب دفن بناتهم احياء كراهة ولادتهن كما صرّح بذلك فىقوله تعالى : « وإذا بشرأحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشربه أيمسكه على هونأميدسه فىالتراب ألاساء ما يحكمون » النحل : ٥٨ - ٥٩)

وإنذارشديد بشدة مثوبتها عندالله تعالىلما فيها من قسوة بالغة،وجرأةعلى إزهاق روح بريئة ، وتشديد عليهم علىهذه العادة القاسية البشعة التىكانالذين

يمارسونها يظنون انه ليس عليهم فى ذلك من حرج ولاإثم . . .

١٠ـ (واذا الصحف نشرت)

التاسع : مما يشاهد يوم القيامة ، وفيه من الهول والفزع نشر صحائف الاعمال : خيرها وشرها،صالحهاوفاسدها . . ، للحساب والجزاء ، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً ، فالناس مجزيون بأعمالهم . . .

ولايخفى على القارىءالمتأمل الخبير ان الاية الكريمة مع ما تنطوىمن حقيقة ايمانية ومع دخول ذلك فى نطاق قدرة الله جل وعلا ـ أنها بسبيل الانذار والترهيب والوعيد باسلوب من الاساليب التى إعتادها الناس فى الحياة الدنيا من تسجيل الاحداث وإبرازالتسجيلات فىمقام الاثبات والافحام .

وفى نشرالصحف إفادة لكشفها ومعرفتها ، فلا تعود خافية ، ولا غامضة ، و هذه العلنية الشاملة يوم المحشرأشدعلى إنسانها وأنكى ، فكم من سوأة يخجل صاحبها فى نفسه ، ويرجف ويذوب من كشفها ، فكيف إذا رآها منشورة حاضرة مشهودة ! فتنكشف صحف الاعمال للحجة والحساب والجزاء .

١١ـ (و اذا السماء كشطت)

العاشر: من أعلام الساعة كشط السماء ، وهو كناية عن نزعها عن أماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة ، وينزع الغطاء عن الشىء ، وزوال هذه الصورةالتى تبدومنها لنا فى الحياة الدنيا .

١٢ـ (واذا الجحيم سعرت)

الحادى عشر : من مشاهد الساعة توقد نارجهنم وتسعّرجمرها، و علو لهيبها واضرامها مرة بعد مرة ، فتزداد شدة على شدة .

١٣ـ (واذا الجنة ازلفت)

الثانىعشر : من مشاهد يوم القيامة دنوالجنة من أهلها ، وتهيئهاوتزينها بنعيمها لهم قبل أن يدخلوها ، وذلك ليزداد أهلها سروراً ، وأهل النارحسرة .

١٤- (علمت نفس ماأحضرت)

جواب للشروط تواردت على تلك الاحداث الكونية الآفاقية والانفسية ، والسماوية والارضية ، الانسانية والحيوانية ... التى تقع بين يدى الساعة و يوم مجيئها .

ان تسئل : كيف قال الله جل وعلا ذلك بأنه أثبت العلم لنفس واحدة مع أن كل نفس تعلم ماأحضرت يوم القيامة لقوله تعالى: «يوم تجد كل نفس ماعملت من خيراً محضراً» آل عمران : ٣٠) ؟

تجيب عنه : ان هذا مما اريد به عكس مدلوله ، و مثله كثير فى كلام الله تعالى كقوله : «ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » الحجر : ٢) فان رب هنا بمعنى كم للتكثير .

وقوله جل وعلا حكاية عن موسى عليه السلام لقومه : «وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم» الصف : ٥) فان «قد» هنا تفيد التحقيق ، وقد دخلت على المضارع .

والمراد بالنفس الجنس ، فالاية الكريمة فى معنى قوله تعالى: «يوم تجد كل نفس ...» والمعنى: علمت كل نفس وقت تلك المذكورات وهو يوم القيامة ماأحضرت من خير أو شر ،من ايمان أو كفر، من إخلاص أو رياء ، و من صدق أو كذب . . .

وقيل : ان تنوين «نفس» للتعظيم . و قيل : للنوع أى النفس الانسانية لا النباتية ولاالحيوانية ولاالفلكية، وإسناد الاحضار إلى النفس مجازلان الملائكة أحضروها فى الصحف أوفى الموازين إلا انها لما تسبب منها ذلك اسند إليها على أن آثار أعمالها إنما تلوح عليها .

وقد احتوت أربع عشرة آية من آيات اوليات هذه السورة الكريمة فصلاً أولاً من فصليها ، وقد تضمن هذا الفصل توكيداً قوياً بمجيىء يوم القيامة وأهواله وأماراته التى تسبقه أو ترافقه، ومحاسبة الناس على أعمالهم فى الدنيا وتوفية كل

منهم جزاء إما بالجنة ونعيمها ، وإما بالنار وعذابها .

و ما ذكر من الانقلاب الذى يطرأ على نواميس الكون هو على مايتبادر و بالاضافة إلى حقيقته الا يمانية ، و دخوله فى نطاق قدرة الله جل و علا بسبيل تصوير هول يوم القيامة و أثره فى مشاهد الكون العظيمة التى تملأ الأذهان إستهدافاً لاثارة خوف السامعين وحملهم على الارعواء، وليس من طائل فى التخمين والتزيد فى مظاهر هذا الانقلاب وماهياته المادية،وليس ذلك من أغراض القرآن الكريم . فتأمل واغتنم جداً .

١٥- (فلاأقسم بالخنس)

شروع بفصل ثان، وفيه تنزيه للنبى الكريم ﷺ عن الجنون وفدا تهموه به ؛ وللوحى السماوى عن مداخلة الشيطان ، وإنما هو كلامه جل وعلا يلقيه إلى رسول الله الأعظم ﷺ ملك الوحى الذى لايخون فى رسالته ، وانه ذكر للعالمين هاد باذن الله تعالى لمن إهتدى منهم ، على طريق القسم بالمشاهد الكونية المذكورة وحركاتها بأن الذى يبلغ وحى الله تعالى هو رسول كريم أمين على ماينقل قوى على حمل الأمانة حظى عندالله تعالى ، وبأن رسول الله ﷺ ليس مجنوناً ، وبأنه قد رأى ملك الله عزوجل فى افق السماء ، وبأنه صادق فيمايقول غير متهم فى أمانته ، وغير مخف شيئاً مما رآه و سمعه وعرفه ، و بأن مايبلغه ليس من تخليط الشيطان الرجيم وأقواله ...

فصل مستقل الموضوع عن سابقاتها غير أن الارتباط بينها و بين هذه السابقات قائم، فالاولى تخبر بيوم القيامة وأهواله ونتائجه ... وتنذر الناس بعواقب أعمالهم ، والثانية تؤكد صدق الاخبار و الانذار ، و ترد على الكفار مايقولونه فى صددهما ، وما ينسبونه إلى النبى الكريم ﷺ من تخليط الشياطين عليه، والمرجح ان الفصلين نزلا متتابعين إن لم يكونا قدنزلامعاً .

ولايخفى ان هذه الاقسام المنفية يراد بها التعريض بالقسم لا وقوع القسم

ذاته ، إذ كان الامر الواقع فى معرض القسم أظهر من أن يحتاج إلى تو كيد وجوده بقسم .

فالفاء ترتبط بما وقع جواباً للشرط « إذا » فى أول السورة و هو قوله عزوجل : « علمت نفس ما أحضرت » أى ان هذا الحق واقع ، فلا اقسم لكم على تو كيده بالخنس ، الجوار الكنس .

١٦- (الجوار الكنس)

وصفان آخر ان للنجوم باعتبار جريها فى مجراها ، وغيبوبيتها فى المواضع التى تغيب فيها عن العيون ...

و فى تلخيص البيان : قال فى قوله تعالى : « فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس » : وهاتان إستعارتان ، وهما جميعاً فى صفة النجوم ، فأما الخنس ، فالمراد بها التى تخنس نهاراً ، وتطلع ليلاً ، و الخنس جمع خانس ، و هو الذى يقبع و يستتر ، ويخفى ويستتر ، وأما الكنس فجمع كانس وهو أيضاً المتوارى المستخفى مشبهاً بانضمام الوحشية إلى كناسها ، و هو الموضع الذى تأوى إليه من ظلال شجر ، وإلتفاف خمر وجميعه (جمعه خ) كنس ، فشبه تعالى إنقباع النجوم فى بروجها بتوارى الوحوش فى كنسها .

١٧- (والليل اذا عسعس)

قسم ثان ، أقسم بالليل المدبر ، و هو كناية عن آخر الليل حيث يدبر شيئاً فشيئاً .

١٨- (والصبح اذا تنفس)

قسم ثالث فى هذا الفصل ، أقسم الله جل و علا بالصبح المتنفس ، و تنفسه كناية عن طلوع الفجر ، وهو خروج ضوء الصبح وظهور نوره من غموم غسق الليل وظلمته ، فكأن الصبح متنفس من كرب أومتروح من هم كتنفس المكروب إذا وجد راحة .

أومجاز عما يكون عنده من روح ونسيم ، و فـي ذلك بشرى للأنفس بحياة جديدة في نهار جديد، إذ تنطلق الارادات لتحصيل الرغبات وسد الحاجات، وإستدراك مافات ، والاستعداد لما هو آت .

ففي التعبير عن ظهور الصبح وطلوع الفجر بالتنفس إشارة إلى أنه مولد حياة للأحياء جميعها ، حيث تبعث الحياة من جديد في الاحياء مع الصباح بعد أن غشيها النوم وحبسها عن الحركة ، فبدت وكأنها في عالم الموتى ، و هذا مايشير إليه قوله جل وعلا : « وهو الذي يتوفاكم بالليل و يعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه »الانعام : ٦٠)

و في تلخيص البيان : قال في قوله تعالى : « والصبح إذاتنفس » : «وهذه من الاستعارات العجيبة ، والتنفس ههنا عبارة عن خروج ضوء الصبح من غموم غسق الليل ، فكأنه متنفس من كرب أومتروح من همّ ، ومن ذلك قولهم : قدنفس عن فلان الخناق أي إنجلى كرب وانفسح قلبه،وقد يجوز أن يكون معنى « إذاتنفس» أي إذاإنشق وإنصدع من قولهم:تنفس الاناء إذاإنشق، وتنفست القوس إذاانصدعت، وهذا التأويل يخرج اللفظ من باب الاستعارة » إنتهى كلامه ورفع مقامه .

وقيل : في الاية الكريمة إشارةإلى تكامل طلوع الصبح، وفي كيفيةالمجاز قولان أحدهما ـ انه إذا أقبل الصبح أقبل باقباله روح ونسيم ، فجعل ذلك نفساً له على المجاز . ثانيهما ـ انه شبّه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي خنق بحيث لايتحرك واجتمع الحزن في قلبه ، وإذا تنفس و جد راحة ، فههنا لما طلع الصبح ، فكأنه تخلّص من الحزن ، فعبّر عنه بالتنفس وهو إستعارة لطيفة .

١٩- (انه لقول رسول كريم)

جواب للأقسام الثلاثة ، و في ايثار الجواب بالجملة الاسمية ، و تأكيدها بحرفيه مالايخفى على القارىء الخبير المتأمل. والمعنى : فلاأقسم لكم بالخنس. . بان أخبار يوم القيامة وأحداثها وأهوالها واقعة لاريب فيها، وان تلك الاخبار التي

تحدثكم عن هذا اليوم هي قول رسول كريم ، و هو رسول الوحي جبرئيل عليه السلام بلّغ به كلمات ربه إليه ، لااقسم لكم بهذه العوالم على وقوع هذا الخبر فانه بيّن ظاهر ... وفي إضافة القول إلى الرسول بما أنه رسول دلالة على أن القول من الله عز وجل، و إن نسبته إلى جبرئيل نسبة الرسالة إلى الرسول ؛ واضيف إليه لنزوله به .

وبعبارة اخرى : ان الله تعالى أضاف القول إلى جبرئيل عليه السلام ثم عدّاه عنه بقوله عز وجل: « تنزيل من رب العالمين » الواقعة : ٨٠) ليعلم أهل التحقيق في التصديق ان القول قول الله عز وجل، ففي لفظ «رسول» دلالة على أنه ليس قوله عليه السلام بالاستقلال. وقد وصف الله تعالى هذا الرسول بست صفات مدحه بها: منها ـ الكرامة عند الله تعالى .

٢٠- (ذي قوة عند ذي العرش مكين)

وصفان باعتبار ، وثلاث صفات باعتبار آخر لرسول الوحي جبرئيل عليه السلام و في وصفه بذي القوة ايماء إلى صلابة أمين الوحي ، وحصانته في نفسه في الحفظ و البعد عن الخطأ والنسيان ...

٢١- (مطاع ثم أمين)

وصفان آخر ان لرسول الوحي جبرئيل عليه السلام الذي تطيعه الملائكة في السموات على الوحي، و هو الذي أمين على ما يحمل من كلمات الله جل وعلا إلى رسل الله لايبدّل ولايحرّف .

٢٢- (وما صاحبكم بمجنون)

جواب ثان للاقسام الثلاثة المتقدمة على طريق عطف المنفي المؤكد بحرفي «ما» النافية ، والباء على المثبت المؤكد بحرفي التأكيد .ولايخفى على اهل البيان والأدب ان لفظة «ما» النافية تفيد التأكيد مالاتفيده لفظة «لا» النافية وغيرها من حروف النفي ، كما ان الباء في خبرها تفيد التأكيد في جانب النفي .

وفي تعرّض عنوان المصاحبة تلويح باحاطتهم بتفاصيل أحواله صلى الله عليه وآله وسلم خبراً ،وعلمهم بنزاهته صلى الله عليه وآله وسلم عما نسبوه إليه بالكلية ، وتكذيب لهم في رميهم له صلى الله عليه وآله وسلم

بالجنون وتنزيه لساحته .

وفيه ايماء إلى أنه ﷺ صاحبكم لبث فيكم معاشراً لكم طول عمره ، و أنتم أعرف به، وأنتم قدوجدتموه ﷺ على كمال من العقل ورزانة من الرأى ، وصدق من القول ، ومن كانت هذه صفته لايرمى بالجنون .

٢٣- (ولقدر آه بالافق المبين)

قسم تلويحى يؤيد صدق ما يذكره النبى الكريم ﷺ من رؤيته أمين الوحى ،وهو بالافق الاعلى، وقد كان المؤمنون يصدقونه ﷺ و الجاحدون يكذبونه ، ويبعث اليقين فى نفس من لايتعمد العناد واللجاج و المكابرة فى صدق هذه الرؤية السماوية ، ويجلّى صورة رائعة لصميمية النبى الكريم ﷺ ويقينه بصحة مار آى ويؤيد صحة الحديث . وفى وصف «الافق» بـ«المبين» مالايخفى على القارى الخبير المتأمل .

٢٤- (وما هوعلى الغيب بضنين)

عطف ثان على جواب القسم السابق ، إخبار من الله جل وعلا عن صدق النبى الكريم ﷺ وإشفاقه ، بأن محمداً ﷺ صادق فيما يقول ، غيرمتهم فى أمانته، وغيرمخف شيئاً ممار آه وسمعه وعرفه، ولايغيّره بتبديل بعضه أو كله شيئاً آخر بل يعلّم الناس كما علّمه الله تعالى و يبلّغهم مالمرو بتبليغه .

٢٥- (وماهو بقول شيطان رجيم)

عطف ثالث على جواب القسم، داخل فيه، نفى عن النبى ﷺ فرية اخرى وتأكيد قوى يوحى بصدق ما أخبر به النبى المعصوم ﷺ وعمق ايمانه به ، و إستناده فيه على الحقيقة الواقعة التى أدركها بالقوة التى إختصه الله جل وعلا بها ،و يقضى على أى ريب فى نفس كل امرىء حسنت نيته ورغب على المماراة بالباطل، وحاسم على الذين كانوا يتقولون بان القرآن الكريم نفثة الشيطان على لسان محمد ﷺ .

هل يوحى الشيطان بالخير والهدى ، والحق والصدق وهومطرود من الخير

والرأفة ، من الحق والهدى ، ومن الصدق والفلاح ؟؟؟ ! !! .

وفى الاية الكريمة : نفى لاستناد القرآن الكريم إلى إلقاء شيطان بماهو أعم من طريق الجنون ، فان الشيطان بمعنى الشرير ،والشيطان الرجيم كمايطلق فى كلام الله عزو جل على إبليس وذريته ، يطلق على أشرار سائر الجن...

ان الله تعالى قد بيّن فى الايات السبع ـ التى تصف رسول الوحى والمرسل إليه نفياً وإثباتاً ، جائت على ايجاز متونها جواباً للاقسام الثلاثة ـ ثمانية امور :

احدها ـ ان هذا القرآن هو كلام الله جل وعلا الذى أنزله برسول الوحى وهو جبرئيل عليه السلام إلى المرسل إليه وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ثانيها ـ ان رسول الوحى هو ذو كرامة عند الله تعالى .

ثالثها ـ ان هذا الرسول ذو صلابة فى أمره وصيانة فى نفسه ، وجليل القدر وعظيم المنزلة عند الله عزوجل مالايقدر قدره ولايكتنه كنهه .

رابعها ـ ان هذا الرسول هو الذى تطيعه الملائكة ، وهو أمين فى كل أمر، ومنه إبلاغ الوحى إلى المرسل إليه ، ولاصارف من نفسه أوغيره يصرفه عن أخذه ولاحفظه ولاتبليغه .

خامسها ـ ان المرسل إليه هو صاحبكم الذى لبث فيكم عمراً ، لايخفى عليكم حاله، وأنتم تعلمون أنه ليس بمجنون، فكيف تفترون عليه مالاتعتقدون به

سادسها ـ ان صاحبكم هذا قد رأى أمين الوحى بمرأى العين وظاهر الامر فلاشبهة فى أمره ولاخفاء .

سابعها ـ ان صاحبكم هذا ليس بكاتم عليكم لما يوحى إليه و لابمغيّر ، فما يتلوا عليكم فهو حق وصدق من غير أن ينقص عنه ولا أن يتسامح فى بيانه .

ثامنها ـ ان ما يتلوه عليكم صاحبكم ليس بتسويل من إبليس و جنوده ولا بالقاء من بعض أشرار الجن على ماتقولونه .

٢٦ـ (فاين تذهبون) .

الفاء لترتيب مابعدها على ماقبلها من ظهور انه هذا القرآن وحى مبين ، فنتيجة البيان المتقدم ان القرآن كتاب هدى يهتدى به من أراد الاستقامة على الحق ، وهوقوله تعالى : « إن هو إلاّ ذكر للعالمين ... » وليس ممايقولون فى شيء فى حقه ، ولا مايرمون به جائيه من الجنون وغيره كماتقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها : هـذا طريق واضح فأين تذهب على طريق الاستفهام الانكارى . فالجملة توطئة لذكر نتيجة البيان السابق ، وهى قوله تعالى : « إن هو إلاّ ذكر للعالمين » على سبيل القصر القلب

و ان السؤال تبكيتى عن السامعين المعاندين : إلى أين تذهبون فى أمر الوحى السماوى ؟ وماذا تظنون فى صاحبكم ؟ و كيف تفترون عليه وأنتم تعلمون أنه لايكذب ؟؟؟ .

والسؤال ينطوى على تنديد بالمكذبين والمترددين فى تصديق ماأخبر به النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و بأوهامهم و رمياتهم الخاطئة لمايخبر به من المشاهدة الظاهرة السماوية .

٢٧- (ان هو الا ذكر للعالمين) .

تقرير لحقيقة القرآن الكريم على طريق القصر القلب بأن مايبلغه محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما هو تذكر و موعظة للعالمين ، و ليس ممـا تقوله هؤلاء المعاندون .

و ان الاية الكريمة تنطوى رداً قوياً على هؤلاء المعاندين الذين نعتوا النبى المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم بالجنون ، وماهو الحق فى أمر القرآن الكريم دافعاً عنه إرتيابهم فيه بما يرمون به الجائى به من الجنون وغيره بأن القرآن هو هدى للعالمين ، ومنبّه ومذكّر بهم ، لايمكن أن يصدر هذا من مجبون ، رداً على هذه التهمة الفاجرة الظالمة التى تنطلق بهـا أفواه هؤلاء المشركين ، و تثبيتاً للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فى موقفه، وإلفاتاً له إلى مابين يديه من آيات القرآن الذى هو ذكر

للعالمين كافة ، وحياة مجددة للناس جيلاً بعد جيل .

و انه لاذ كر ولا قدر لمن فاته الاتصال بهذا الكتاب ، و تلقى عنه ، وقطع مسيرة الحيـاة تحت رايته ، و إستجهالاً أن يجنن من جـاء بمثله من الآداب و الحكم والسنن واصول كل العلوم والمعارف التى يحتاج إليها المجتمع البشرى فى كل وقت و مكان . . .

٢٨- (لمن شاء منكم أن يستقيم) .

تخصيص بعد تعميم حيث ان الله جل وعلا ذ كر بأن القرآن الكريم ذ كر للخلق كافة ثم خصّ الذ كر بمن شاء الحق وأراد الاستقامة عليه ، فيتبعه و يستقيم عليه لانه الذى ينتفع، فيكون قد اهتدى بهدى الله تعالى ومشيئته التى تناط بهامشيئة الناس ، فمن لم يشاء الحق ، ولم يرد الاستقامة عليه ، فهو لا ينتفع ، فكأنه لم يكن له ذ كر ، و ان هذا القرآن كالدواء يشفى من أراد الشفاء ، فمن أبى فكأنه ليس له شفاء .

و فى الاية الكريمة ايماء إلى أن العالمين كلهم لا ينتفعون بهذا الذ كر و الوحى السماوى ، وهى مسوقة لبيان ان فعلية الانتفاع بهذا الذ كر مشروط بأن يشاؤا الاستقامة على الحق ، وهو التلبس بالثبات على العبودية وصالح الاعمال ...

٢٩- (وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين) .

تحقيق لما هو حق ببيان أن مجرد مشيئتهم غير كافية فيمن أراد الحق والاستقامة عليه كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية أى وما تشاؤن الاستقامة على الحق ، ولا تقدرون على تحصيلها فى وقت من الاوقات إلاّ وقت مشيئة الله جل وعلا تحصيلها لكم إذ لا دخل لمشيئة العبد إلاّ فى الكسب .

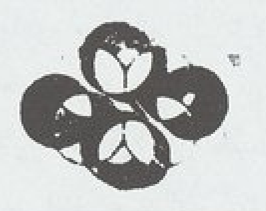
و كما أن الاستثناء من النفى يفيد ان مشيئة العبد متوقفة فى وجودها على مشيئته جل وعلا ، فلمشيئته تعالى تأثير فى فعل العبد من طريق تعلقها بمشيئة العبد، و ليست متعلقه بفعل العبد مستقلاً وبلا واسطة حتى تستلزم بطلان تأثير إرادة العبد،

وكون الفعل جبرياً ، ولأن العبد مستقل في إرادته ، بحيث يفعل مايشاء ، شاء الله عزوجل أم لا . فالفعل إختياري لاستناده إلى إختيار العبد ، و أما إختيار العبد فليس مستنداً إلى إختيار آخر .

وان الاية الكريمة ـ على ماقيل ـ بحسب مايفيده السياق في معنى دفع الدخل فان من الممكن أن يتوهموا من قوله : « لمن شاء منكم أن يستقيم » ان لهم الاستقلال في مشيئة الاستقامة إن شاؤا إستقاموا ، و إن لم يشاؤا لم يستقيموا فلله جل وعلا إليهم حاجة في الاستقامة التي يريدها منهم .

فدفع ذلك بأن مشيتهم متوفقة على مشية الله عز و جل ، فلايشاؤن الاستقامة إلا أن يشاء الله تعالى أن يشاؤها ، فأفعال الانسان الارادية مرادة لله جل وعلا من طريق إرادته ، وهو أن يريد الله تعالى أن يفعل الانسان فعلاً كذاو كذا عن إرادته .

وفي ايثار كلمة « رب» اضيف إلى « العالمين » ايماء إلى أن المشيئة من شئون الربوبية . وليس في جانب المربي قصور ولاتقصير في شؤون التربية ، وإنما القصور والتقصير فمن جانب المربوبين ، فان أكثرهم لم يتربوا بأسباب التربية بسوء إختيارهم .



﴿الاعجاز﴾

ان التدبر فى هذه السورة : مبانيها و معانيها ، و اسلوبها ونظمها ... يلهمنا بمـا اجتمع فيها مـن وجوه الاعجاز : الصدق المطلق الذى جائـت به ، و علو الجهة التى نزلت منها ، و حسن الأداء الذى عرضت به وجهها ، و صوّرت فيها حقائقه . . . و كل ذلك قد اجتمـع فـى هذه السورة ، الصدق المطلق ظـاهراً و باطنـاً ، و علـو الجهة علواً شامخـاً ثابتـاً لايتغيـر ، راسخـاً لايهتزّ ، بعيـداً لاينال ، قويـاً لايضعف ، انه الكبير المتعال . . . لايسامـى و لايدانى ، و حسن أدائها لآلـى فريدة نظمتها يد الحكمة ، و كان بناءاً شامخـاً راسخـاً أقامته يد القدرة المطلقة :

«إذا الشمس كورت ـ علمت نفس ماأحضرت » : ١ ـ ١٤)

ختمت كلهـا بحرف التاء ، و كـان لحنـاً علويـاً خالداً ألّفت بيـن أنغامـه و ألحانـه يد اللطيف الخبير : « انـه لقول رسول كـريم ـ إن هو إلاّ ذكر للعالمين » : ١٩ـ٢٧)

لو كانت السورة على صفة واحدة من تلك الوجوه الثلاثة لكانت معجزة مفحمة، تخرس الألسنة لبلاغتها ، و تعنو الجباه لجلالتها ، و تخشع القلوب لعظمتها ، و تحيّر العقول لروعتها . . . فكيف بالثلاثة إذا اجتمعت فى كلام ، وصرن وجوهاً من وجوه محاسنه، وآية من آيات إعجازه ؟

وهذا فيما تكشف لعيوننا، ووراء ذلك كثير من وجوه الحسن، كلها رائع معجب، بل ما خفى منها أروع وأعجب.

مضافاً إلى أن فى السورة إشارة إجمالية إلى علو قدر القرآن كريم، و تقرع آياتها أسماع الكافرين، فتو غر صدورهم وتضطرم فيها نار الحقد على القرآن و العداوة له.. فتذهب نفوسهم حسرة، و تتقطع أنفاسهم ألماً، و تتحرك ألسنتهم بكلمات محمومة مسعورة يرمون بها القرآن الكريم رميات طائشة... يأخذها القرآن من أفواههم، فيسفع بها وجوههم ويقدع انوفهم...

«وما صاحبكم بمجنون - فأين تذهبون»: ٢٢ -٢٦)

ويدور القوم بأعينهم هنا وهناك، فلا يجدون شيئاً يلقون به هذا التحدى، و يظل القرآن الكريم قائماً وحده فى الميدان يصول و يجول لا يقوم له أحد من اولئك الظالمين المستكبرين، من اولئك المكذبين الفاجرين، من اولئك الكافرين العاصين ومن اولئك المجرمين الطاغين ... ولا يحاول ذى مقول منهم أن يفتح فمه بحديث يعترض سبيله أو يجرى معه.

ومن تدبير القرآن الكريم فى هذا أيضاً انه فى هذا الدور المبكر من الدعوة نزل بتلك السور القصار التى تضم كل سورة منها أصواتاً صارخة مدمدمة تثير الهول والفزع بما تبعث من نذر الهلاك والدمار، وبما تحمل من صور الانقلابات الهائلة المروّعة التى تقلب أوضاع هذا الوجود!

«إذا الشمس كورت - وإذا السماء كشطت» فمثل هذه الاهوال المزلزلة كانت تضرب آذان قريش، فتضطرب لذلك القلوب وتهيج النفوس...

وهيهات أن يفرّ إنسان من وجه هذا النذير المبين!

فما أن تكاد هذه الكلمات تطرق الآذان حتى تنطبع فى كيان سامعها إنطباعاً لتناغم كلماتها وتوازن آياتها وتقابل معانيها ... وإذاً هى على كل فم و فى كل

بيت .. . غناء وحداء ونشيداً .. . واستمع إلى سورة « التكوير» فتدبر واغتنم .

وهي على نسق واحد مع كونها على فصلين، وفي الاول طلقات راعة مدمدمة مزلزلة تملأ الآفاق رعباً وفزعاً ، فلايتنفس أهل مكة منها إلاّ الرعب والفزع...و في الثاني تأكيد لما اخبربه في الاول .



﴿التكرار﴾

واعلم أن سبع سور إبتدأت بحرف الشرط « إذا » :

١- سورة الواقعة » ٢- سورة المنافقون . ٣- سورة التكوير . ٤- سورة الانفطار . ٥- سورة الانشقاق : ٦- سورة الزلزال : ٧- سورة النصر .

وأن ثلاث سور يشتمل كل واحدة منها على تسع وعشرين آية :

١- سورة الفتح . ٢- سورة الحديد . ٣- سورة التكوير .

ونحن نشير في المقام إلى صيغ ثلاث عشرة لغة - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة - الصيغ التي جائت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنية :

١- جاءت كلمة (التكوير) على صيغها في القرآن الكريم نحو : ثلاث مرات : ١- سورة التكوير : ١) ٢و٣- سورة الزمر : ٥)

٢- » » (النجم) » » » : ١٣مرة :

٣- » » (العطل) » » » : مرتين :

أحدهما . سورة التكوير : ٤) ثانيهما - سورة الحج : ٤٥)

٤- » » (الوحش) » » » : مرة واحدة و

هي في سورة التكوير : ٥)

٥- » » (البحر) » » » : ٤٢مرة :

٦- » » (السجر) » » » : ثلاث مرات :

١- سورة التكوير:٦) ٢- سورة غافر : ٧٢) ٣- سورة الطور : ٦)

٧- » » (الوأد) » » » : مرة واحدة

وهي في سورة التكوير : ٨)

٨- » » (الكشط) » » » : مرة واحدة

وهي في سورة التكوير : ١١)

٩- » » (السعر) » » » : ١٩ مرة :

١٠- » » (الكنس) » » » : مرة واحدة

وهي في سورة التكوير : ١٦)

١١- » » (عسعس) » » » :مرة واحدة

وهي في سورة التكوير : ١٧)

١٢- » » (الصبح) » » » : ٤٥مرة:

١٣- » » (الضنين) » » » : مرة واحدة

وهي في سورة التكوير : ٢٤)

قال الله تعالى : « وإذا البحار سجرت » التكوير: ٦) وقال في سورة الانفطار: « وإذا البحار فجرت » : ٣) وذلك لان معنى « سجرت » عند أكثر المفسرين : « أوقدت » فصارت ناراً من قولهم : سجرت التنور . وقيل : هي بحار جهنم تملأ حميماً فيعذب بها أهل النار، فخصّت هذه السورة بـ « سجرت» موافقة لقوله تعالى : « سعرت » : ١٢) ليقع الوعيد بتسعير النار وتسجير البحار .

وفي الانفطار وافق قوله جل و علا : « وإذا الكواكب إنتثرت » : ٢) أي تساقطت «وإذا البحار فجرت» أي سالت مياهها ، ففاضت على وجه الارض. «وإذا القبور بعثرت » : قلبت واثيرت . وهذه الاشياء كلها زايلت أماكنها، فلاقت كل واحدة قرائنها .

و قال في سورة التكوير : « علمت نفس ما أحضرت » : ١٤) و في سورة

الانفطار : « ماقدمت وأخرت » : ٥) لان ما فى هذه السورة متصل بقوله تعالى : « وإذا الصحف نشرت » : ١٠) فقرأها أربابها فعلمت ما أحضرت ، وما فى سورة الانفطار متصل بقوله عزوجل : « وإذا القبور بعثرت » : ٤) والقبور كانت فى الحياة الدنيا فيذكرون ماقدموا فى الدنيا وما أخروا فى العقبى ، فكل خاتمة لائقة بمكانها، وهذه السورة من أولها شرط وجزاء وقسم وجواب .



﴿ التناسب ﴾

ان البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة وماقبلها نزولاً .

ثانيها ـ التناسب بينها وماقبلها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها :

أما الاولى : فالمناسبة بينهما ان سورة «التكوير» نزلت بعدسورة «المسد» ولما كان غرض سورة المسد دعاءعلى أبي لهب خاصة، وقد كان هوشديدالمعاداة للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مصراً على تكذيبه مبالغاً في إيذائه بمايستطيعه من قول وفعل ووعيد شديد بالخزي والخسران ، والدمار والهلاك في الحياة الدنيا من غير إغناء عنه ماله و ما كسبه شيئاً ، و إنذار له و لامرأته بالنار في الآخرة لموقفهما الذي واجهه رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم و كان ثالث مواقف الصد والمناوأة التي واجهها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان لهذا الموقف أشد الأثر في نفسه الشريفة، وفي سير دعوته صلى الله عليه وآله وسلم وخاصة في نحو بزوغ الرسالة، وبدء الدعوة ، إنطوت سورة «التكوير» على تنديد بالمكذبين عامة ، والمترددين في تصديق ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبأوها مهم د تفسير اتهم الخاطئة لمايخبر بهمن المشاهد الروحانية ...

وأما الثانية : فلما اشير في سورة « عبس» إلى أهوال يوم القيامة ، و إلى العذاب الشديد الذي يحيط بالكافرين حتى ليفر الكل من أخيه وامه وأبيه و صاحبته وبنيه و على وجوههم غبرة ترهقها قترة لكونهم الكفرة الفجرة إفتتحت

هذه السورة بذكر أشراط الساعة ، و أحوال يوم القيامه التي تقع قبل علم كل نفس بماعملت وهي إثناعشر أمراً :

۱- تكوير الشمس . ۲- إنكدار النجوم . ۳- تسيير الجبال . ۴- تعطيل العشار . ۵- حشر الوحوش . ۶- تسجير البحار . ۷- تزويج النفوس . ۸- سئوال الموؤدة . ۹- نشر الصحف . ۱۰- كشط السماء . ۱۱- تسعير الجحيم . ۱۲- إزلاف الجنة .

ولايخفى ان الاشراط و الاحوال ستة الاولى منها في آخر الدنيا ، و ستة الاخرى منها في أول الآخرة .

وأما الثالثة : فلما افتتحت السورة باثنى عشر أمراً من أشراط الساعة و أحوال يوم القيامة وأهوالها على طريق الشرط ، أشار تعالى إلى الجزاءالمترتب على الشروط التي هي مجمع تلك الامور و ظهورها و وقوعها ، فقال : « علمت نفس ماأحضرت »

وان السورة كما سبق تدور على فصلين :

الاول : تنطويه أربع عشرة آية، وهي تخبر بيوم القيامة وأهواله ونتائجه وتنذر الناس بعواقب أعمالهم ...

والثاني : تنطويه خمس عشرة آية ، وهي تؤكد صدق الاخبار والانذار و ترد على الكفار مايقولونه في صددهما و ينسبونه إلى النبي الكريم ﷺ من تخليط الشياطين عليه .

وفي الاول إشارةإلى مايتعلق بأمر المعاد، وفي الثاني إشارة إلى مايتعلق بأمر النبوة المؤكدة بالاقسام المتعددة ... إذأقسم بأربعة أشياءبأنما ذكر نامن الشرط و الجزاء صدق و ليس بكذب فقال : « فلا اقسم بالخنس - انه لقول رسول كريم » : ۱۵ - ۱۹)

ثم مدح المخبر بتلك الأخبار بست صفات : « رسول كريم ذي قوة مكين

مطاع أمين » فليس بكاذب في إخباره ولا خائن . ولا من تلقاء نفسه ، و لأنه غير يليق بذلك .

ثم نزّه المخبر به بقوله تعالى : « وما صاحبكم بمجنون ـ ماهو على الغيب بضنين » : ٢٢-٢٤)

ثم نزّه الخبر عما يرميه المكذبون ، مع بيان حقيقته، بقوله تعالى : «وماهو بقول شيطان رجيم ـ إن هو إلّا ذكر للعالمين » : ٢٥ ـ ٢٧)

وبعبارة اخرى: ان الله جل وعلا لما أوضح في الايات السبع المتقدمة: ١٩-٢٥) ماهو الحق في أمر القرآن الكريم دافعاً عنه إرتياب المكذبين فيه بما يرمون به الجائي به من تلقاء النفس، ومن الجنون ومسّ الشيطان وغيرها على ايجاز متون الايات الكريمة ـ فبيّن أولاً: انه كلام الله تعالى، واتكاء هذه الحقيقة على آيات التحدي .

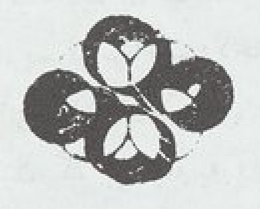
وثانياً: ان نزوله برسالة ملك سماوي جليل القدر، عظيم المنزلة وهو أمين الوحي جبرئيل لا حاجز بينه وبين الله سبحانه ، ولا بينه وبين النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ولا صارف من نفسه أو غيره يصرفه عن أخذه ولا حفظه ولا تبليغه .

وثالثاً : ان الذي انزل عليه ، وهو يتلوه عليكم وهو صاحبكم الذي لا يخفى عليكم حاله، ليس بمجنون كما يبهتونه به، وقد رآى الملك الحامل للوحي ، و أخذ عنه، وليس هو صلى الله عليه وآله وسلم بكاتم لما يوحى إليه ولا بمغيّر. ورابعاً : انه ليس بتسويل من إبليس وجنوده ولا بالقاء من بعض أشرار الجن ـ أشار إلى نتيجة هذا البيان على سبيل التوبيخ والتهديد بقوله عزوجل : « فأين تذهبون » .

فقوله تعالى : « فأين تذهبون » تمهيد لذكر نتيجة البيان السابق ، و هو إستظلال لهم فيما يرونه في أمر القرآن الكريم : انه من طوارى الجنون أو من تسويلات الشيطان أو من تلقاء النفس .

ونتيجة هذا البيان : ان القرآن كتاب سماوى، وهدى يهتدى به من أراد الاستقامة على الحق، وهو قوله عزوجل : « إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم » .

ان الله تعالى لما ذكر جميع الخلق على العموم خص الاستقامة بمن يستقيم ، ثم ختم السورة بما يدفع به توهم أن إرادة الانسان مستقلة فى فعل ما يريد .



﴿ الناسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه ﴾

قيل: إن قوله تعالى: «لمن شاء منكم أن يستقيم » التكوير : ٢٨) منسوخ بقوله جل وعلا : « وماتشاؤن إلاّ أن يشاء الله»: ٢٩)

اقول : إن الاية الاولى في معنى نفي الاكراه في الدين الاسلامي عقيدة و إخلاصاً بعد وضوح الحق ، وهذا لايقبل نسخاً و لاتخصيصاً ، وان دين الله تعالى دين فطرة وعقيدة، منبعث من الاعماق وثابت على الاستقامة في مجالي العقيدة والسلوك.

وان الاية الثانية إخبار عن عدم ايمانهم ، وهذا لايصلح أن يكون ناسخاً .

والمعنى : انكم باختيار كم لاتؤمنون ألبتة لا إذا أكرهنا كم على الايمان جبراً الامر الذي يتنافى ، والاختيار في الايمان ، وان من طبيعة الدين الذاتية هو الاختيار لاجبر ولا إكراه .

وقد زعم بعض المفسرين من العامة ان قوله جل وعلا : «وماتشاؤن إلاّ أن يشاء الله رب العالمين » من المتشابهات .

اقول : و لكن التحقيق عندنا : انها ليست منها و ان التشابه من الامور النسبية، فسيأتيك وضوح معنى الاية الكريمة و كونها من المحكمات فانتظر، والله تعالى هو أعلم .

﴿ تحقيق في الاقوال ﴾

١- (اذا الشمس كورت)

في تكوير الشمس أقوال : ١- عن إبن عباس: تكويرها: إدخالها في العرش ٢- عن إبن عباس أيضاً والحسن وقتادة و أبيّ و مجاهد والضحاك : أي إذا ذهب ضوؤها فأظلمت وسترت وخرجت من مدارها ومحت وإضمحلت. ٣- عن إبن عباس أيضاً وسعيد بن جبير : كوّرت أي غوّرت .٤- عن أبي عبيدة : كورت مثل تكوير العمامة أي تلفّ الشمس ، فتمحى بأن الشمس يجمع نورها ويذهب ضوءها حتى تصير كالكارة الملقاة ، ويحدث الله للعباد ضياء غيرها .

والمعنى : إذاالشمس لففت وذهب بنورها وسقطت .

٥- عن الربيع بن خيثم : كوّرت: رمي بها ، وما كوّرته، فتكوّر أي سقط.
٦- عن الزجاج : أي جمع ضوء الشمس ولفت كما تلف العمامة، والمراد إختفاؤها عن الاعين و ذهاب نورها . ٧- عن أبي صالح : كوّرت أي نكست فالقيت عن الفلك .

٨- قيل: تكوير الشمس: ظهورها كالكرة في أعين الناس يوم القيامة حيث يشرف عليها الانسان من عل فيراها من جميع وجوهها لامن وجه واحد كماتبدو لنا الآن و كأنها قرص مسطح .

اقول : و على الثاني أكثر المفسرين من غير تناف بينه و بين أكثر الاقوال الاخر .

٢- (واذا النجوم انكدرت)

في الانكدار أقوال : 1- عن أبي عبيدة : أي إنصبت كما ينصب العقاب إذا إنكسرت . ويقال : إنكدرت الطائر من الهواء إذا إنقضت . 2- عن مجاهد وقتادة و الربيع بن خيثم وأبي صالح : أي تهافتت وتناثرت وإنقضت و تساقطت . و إنكدار الشيء في الأصل : إنقلابه .

وقال إبن عباس : قال رسول الله ﷺ : «لا يبقى في السماء يومئذ نجم إلا سقط في الارض حتى يفزع أهل الارض السابعة مما لقيت وأصاب العليا» يعني الارض.

وعن إبن عباس أيضاً : أي تساقطت حتى تذهب ويمحى ضوءها . و ذلك ان النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور ، وتلك السلاسل بأيدي الملائكة من نور. فاذا جائت النفخة الاولى مات من في الارض ومن في السماوات ، فتناثرت تلك الكواكب و تساقطت السلاسل من أيدي الملائكة لانه مات من كان يمسكها .

3- قيل : الانكدار من الكدورة وهي الظلمة . و إنكدار النجوم : إنطفاء بريقها حيث ان هذا البريق الذي نراه منها إنما هو بسبب الغلاف الهوائي المحيط بالارض ، فاذا جاوز الانسان الغلاف الهوائي للارض بدت النجوم كرات لامعة معلّقة في الفناء لايشع منها ضوء . 4- عن إبن زيد : أي رمي بها من السماء في الارض .

5- قيل: إنكدار النجوم هو طمس آثارها، وسميت النجوم نجوماً لظهورها في السماء بضوءها . 6- عن إبن عباس ايضاً والجبائي : إنكدرت : تغيّرت فلم يبق لها ضوء لزوالها عن أماكنها. وقيل: الانكدار: قبول الكدورة والمراد به ذهاب ضوءها .

اقول : ولكل وجه ،والمعاني متقارب وإن كان بعضها من قبيل ذكر اللازم وإرادة الملزوم وبالعكس فتأمل جيداً .

3- (واذا العشار عطلت)

في العشار وتعطيلها أقوال : ١- عن إبن عباس ومجاهد والحسن و قتادة والضحاك والربيع بن خيثم : العشار النوق التي أتت عليها في الحمل عشرة أشهر ثم لايزال ذلك إسمها حتى تضع ، وتسمى عشاراً أيضاً بعد الوضع .

والمعنى : وحين النوق الحوامل تركت بلاراع أوبلاحلب لما دهاهم من الامرولم يكن لهم مال أعجب إليهم منها فهي تركت يوم الصاخة في الصيحة الاولى إذ تضع حملهاقبل أوانهوبجف حليبهالشدة الوقعة فهي تهمل عن صواحبها. والواحدة عشراء، وتعطيلها : إهمالها وذهابها حيث شائت لاشتغال أصحابهم بأنفسهم لشدة الكرب وعظم الهول

٢- قيل : انهم إذاقاموا من قبورهم وشاهد بعضهم بعضاً ، ورأوا الوحوش والدواب محشورة ،وفيها عشارهم التي كانت أنفس أموالهم لم يعبئوا بها ولم يهمهم أمرها . وخوطبت العرب بأمرالعشارلان مالها وعيشها أكثره من الابل .٣- عن الجبائي وأبي عمرو : العشار : السحاب والغمام تعطّل مما يكون فيه ، وهوالماء فلاتمطرفتعطيلها : توقفها عن طبيعتها ومهمتها . ٤- قيل : العشار : الديار التي تعطّل فلا تسكن .

٥- قيل : العشار: الارض التي يعشّرزرعها فتعطّل فلاتزرع فتترك .

٦- قيل : العشارجمع عشراء وهي الناقة التي أتي على حملها عشرة أشهر وهوإسمها إلى أن تضع لتمام السنة ، وهي أنفس ما يكون عند أهلها و أعزها عليهم ، وفيها يتنافس المتنافسون ، وهي مع ذلك كله تركت مهملة يوم القيامة لا راعي لها ولا حافظ يحفظها لاشتغال أهلها بأنفسهم بحيث ينسون أعزأموالهم عندئذ أولايعتنون بها ، فلايعطلها أهلهاإلاّ حال القيامة ، وهذا على وجهالتمثيل لان في القيامة لاتكون ناقة عشراء ، فلاعشارولاتعطيل يومئذ .

اقول : وعلى الاول أكثر المفسرين ، ولكن الثاني غيربعيد ، فان الكلام وإن كان بصدد كشف عن حال الشده والكرب والهول والفزع يومئذ ، و لكنه لا

يمنع من أن تكون هناك عشار كما يظهر من قوله تعالى : « وإذا الوحوش حشرت»

٥- (واذا الوحوش حشرت)

في حشر الوحوش أقوال : ١- عن الحسن وقتادة : أي جمعت الوحوش يوم القيامة ، فان الحشر بمعنى الجمع من كل ناحية لقوله تعالى : « والطير محشورة » ص : ١٩) وقوله : « فحشر فنادى » النازعات : ٢٣)

و المعنى : جمعت الوحوش يوم الحشر ليقتص لبعض من بعض ثم تصير تراباً وقال ابن عباس : يحشر كل شيء يوم القيامة حتى الذباب ، وتحشر الوحوش غداً حتى يقتص لبعضها من بعض ، فيقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها : كوني تراباً فتموت .

وفي المجمع : أي جمعت حتى يقتص لبعضها من بعض ، فيقتص للجماء من القرناء ، ويحشر الله سبحانه الوحوش ليوصل إليها ما تستحقه من الاعواض على الآلام التي نالتها في الدنيا ، وينتصف لبعضها من بعض ، فاذا وصل إليها ما إستحقته من الاعواض : فمن قال : إن العوض دائم تبقى منعمة إلى الأبد ، و من قال : تستحق العوض مطلقاً ، فقال بعضهم: يديمه الله لها تفضلاً لئلا يدخل على المعوض غم بانقطاعه : وقال بعضهم : إذا فعل الله بها ما استحقته من الاعواض جعلها تراباً .

٢- قيل : حشر الوحوش : هو جمع بعضها إلى بعض ، و سوقها إلى أكنانها حيث يدفعها البلاء إلى الفرار ، وطلب النجاة مما تراه من أحداث القيامة، فترتد عن مسارحها مسرعة إلى حيث ما تظن عنده الاختفاء من الخطر المحدق بها، فتجيء من كل وجه ، و يلوذ بعضها ببعض ، حيث يذهب الهول بكل ما فيها من نوازع الشر والعدوان .

وأما ما يقال : من حشر الوحوش بمعنى بعثها وسوقها إلى الحساب والجزاء كما يفعل بالناس ، فذلك ما لا يقوم عليه دليل من كتاب الله ، حيث ان الدنيا هي دار ابتلاء ويتكلف فيها الانسان وحده من بين سائر المخلوقات التي على الارض، وان

هذه البهائم لم تكلف بشيء ، ولم تدع إلى شيء ، وإنما هي مما خلق الله سبحانه للانسان لينتفع بها أوليبتلى بالضارمنها ، كما في النبات أوالجماد من نافع وضار.

وعن محمد عبده انه قال : « وحشر الوحوش إما جمعها لاستيلاء الرعب عليها وخروجها من أجحارهاو أوكارها،ونسيانها ماكانت تخافه ، فتفرّ منه فتحشر هائمة ، لايخشى بعضها بعضاً ، ولايخشى جميعها سطوة الانسان ».

٣- عن إبن عباس والربيع بن خيثم ، حشرالوحوش : موتها و هلاكها ، فان حشر كل شيء موته غيرالجن والانس ، فانهما يواقفان يوم القيامة،ويوافيان حسب أعمالهم . . .تقول العرب إذا أضرت السنة بالناس وأصابتهم بالقحط والجدب حشرتهم السنة أي أهلكتهم . و هلاك الوحوش يومئذ يكون من هول ذلك الحادث العظيم .

٤- عن أبي ابن كعب:حشرت الوحوش أي إختلطت، وذلك لان الوحوش مع نفرتها من الناس وبعضها من بعض في الدنيا وتندها في الصحارى تنضمّ يوم القيامة إلى الناس وإلى أنفسها من أهوال ذلك اليوم .

٥- قيل : أي تنفرمذعورة عند خراب الكون وتموت خوفاً ، والمرادمن الوحوش كل الدواب سوى الانسان . وقيل : هي الدواب غير المتآنسة للانسان كالسباع وغيرها من دواب البر ، فليس كلها وحوشاً .

٦- قيل ، ان حشر الوحوش من أشراط الساعة لامما يقع يوم القيامة ، والمراد به خروجها من غاباتها وأكنانها . . .

أقول : والاول هوالمستفاد من ظاهر السياق ، و تؤيده الايات الكريمة فانتظر .

وأما مازعم بعض المفسرين من أن الوحوش غيرمكلفة ، فلاوجه لحشرها، فمردود بنفس القرآن الكريم ، وبالروايات الصحيحة الواردة عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين، أوردنانبذة منها في تفسيرسورة الطورفراجع،

وقد صرّح فيها يوم القيامة نوع تكليف لغير المكلفين .

وقال بعض المعاصرين : ان المحاسبة والاقتصاص لايتوقفان على التكليف ألاترى ان النائم غير مكلف، فاذا حرّك يده أورجله أثناء نومه، فكسر إناء لغيره فانه بذلك لايؤاخذ لانه لم تمرد على القانون وماخالف التكليف لأنا نفرض انه نائم، والنائم غير مكلف فلايعاقب ، ولكنه يؤاخذ بالقصاص و تغريمه ثمن الاناء لصاحبه لانه حق شخصي ، فعليه الضمان وإن كان نائماً ، فهذه الوحوش و إن كانت غير مكلفة فانها لاتحشر لتعاقب على الحق العام الذى هو مخالفة التكليف لانا فرضنا لاتكليف ولكن تقاص ، ويوخذ من الظالم منها للمظلوم حقه ، وهذا منتهى عدله سبحانه .

وقال : ولنا جواب آخر وهو ان المراد بالوحوش ليست الحيوانات الصامتة بل المراد الوحوش البشرية ، فان كل مكلف يخالف تكليفه وهو يعلم انه مسئول فهو بمنزلة الوحش ، فيكون التعبير بقوله : « وإذا الوحوش » من باب الاستعارة.

اقول : ولانرى للقول الأخير وجهاً .

٦- (واذا البحار سجرت)

في الاية الكريمة أقوال . ١- عن إبن عباس وإبن زيد وسفيان : أى أوقدت وإشتعلت ناراً وحميت فصارت كلها نيراناً تضطرم ، فالبحار تنقلب ناراً بعدما كانت بحاراً بأنها تفجّر بالبداية تفجّراً بزلزال الارض وإنشقاقها، ثم تحوّل لها بخاراً بخروج الكرة النارية المذابة من بطن الارض، ثم تحوّل البحار نيراناً ملتهبة هائلة لايتصور مداها .

فتتحول البحار التي هي حول الارض كلها نيراناً فاضرمت ناراً ، فان ما في بطن الارض من النار بتشققها وتمزّق طبقاتها العليا ، فيصير حينئذ الماء بخاراً بل ولايبقى إلا النار أو يصير في الحرارة والاحراق كالنار كما في بعض المياه التي تجرى من بعض العيون وهي الحارة المحرقة .

٢- قيل : أى ارسل عذبها على مالحها وبالعكس حتى إمتلأت .

وعن مجاهد ومقاتل والضحاك : أى فجر بعضها في بعض ، فصارت البحور كلها بحراً واحداً ويرتفع البرزخ بينها ، فاذا رفع البرزخ تفجرت مياه البحار فعمت الارض كلها ، وصارت البحار بحراً واحداً .

٣- قيل : أى رؤيت و كأنها بحر واحد محيط بالارض لاحر كة له، و كأنه مسجور أى مربوط بالارض ، ففجر الزلزال ما بينها حتى إختلطت و عادت بحراً واحداً . ٤- قيل : أى أفرغت . ٥- قيل : معنى « سجرت » : هو حمرة مائها حتى تصير كالدم مأخوذ من قولهم : عين سجراء أى حمراء . ٦- قيل : أى تنطلق مياه البحار هنا وهناك لايمسكها شيء وان البحار هنا كل البحار : أرضية وسماوية.

٧- عن مقاتل والحسن والضحاك والكلبي والربيع بن خيثم : أى ملئت من الماء وفاضت. والعرب تقول : سجرت الحوض أسجره سجراً إذا ملأته وهو مسجور. والمسجور والساجر في اللغة : الملآن . وحقيقة « سجرت » : ملئت فيفيض بعضها إلى بعض ، فتصير شيئاً واحداً .

وعن القشيري : هو من سجرت التنور أسجره سجراً إذا احميته وإذا سلط عليه الايقاد تشف ما فيه من الرطوبة ، وتسيّر الجبال حينئذ وتصير البحار والارض كلها بساطاً واحداً بأن يملأ مكان البحار بتراب الجبال .

٨- عن الحسن وقتادة : أى يبست و ذهب ماؤها ، فلم يبق فيها قطرة من الماء . ٩- عن الكلبي أيضاً والجبائي : أى ملئت من القيح والصديد الذى يسيل من أبدان أهل النار في النار ، وأراد بحار جهنم لان بحار الدنيا قد فنيت .

وعن إبن عباس في قوله: « إذا الشمس كورت » قال : كوّر الله الشمس والقمر والنجوم في البحر ، فيبعث عليها ريحاً دبوراً ، فتنفخه حتى تصير ناراً ، فذلك قوله : « وإذا البحار سجرت » .

اقول : وعلى الاول أكثر المفسرين من غير تناف بينه و بين بعض

الاقوال الاخر .

٧- (واذا النفوس زوجت)

فى تزويج النفوس أقوال : ١- عن عمر بن الخطاب ومقاتل وعطاء ومجاهد وقتادة والحسن وإبن عباس : أى زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين و قرن الكافر بالشياطين و كذلك المنافقون .

والمعنى : يقرن كل إنسان بشكله من أهل النار ، وبشكله من أهل الجنة ، يقرن الفاجر مع الفاجر ، والصالح مع الصالح ، فألحق كل إنسان بشكله وقرن بين الضرباء والامثال ، فالرجلان يعملان عملاً واحداً ، فيدخلان بـه الجنة أو يدخلان به النار ، فهم أزواج إما فى الجنة وإما فى النار .

٢- عن إبن عباس أيضاً : أى صنف الناس يوم القيامة على أصناف حسب أعمالهم . . . وذلك حين يكون الناس أزواجاً ثلاثة : السابقون زوج يعنى صنفاً - أصحاب اليمين زوج وأصحاب الشمال زوج .

وهذا بناء على أن تزويج الأشرار غير النكاح، وان خلط الآيات فى القيامتين يسمح بشمول التزويج للنكاح، وان ذكر قبل الحساب إذن فهو التزويج العام يوم القيام ، الشامل لكل نفس خيرة و شريرة قرناً من كل شيء من قرن الاجزاء الاصلية المعادة - لكل نفس - بعضها ببعض دون أن تضل أو تتصل إلى غير بدنها ، وقرن كل نفس ببدنها الاصيل الذى عاشته طوال حياة التكليف دون تقمص بغير قميصها ، ودون أن تضل الارواح ولا الاجساد . . .

وقرن كل نفس بما تجانسه وتقارنه فى عقيدة الايمان وعمل الايمان من السابقين ، وأصحاب اليمين أوما تشاركه فى تركهما من أصحاب الشمال . . . و قرن كل تابع بمتبوعه ، و كل مأموم بامام ، و قرن كل ساع بسعيه ، و قرن المؤمنات بالمؤمنات والحوريات فى الزواج، وغير ذلك من التشكيلات المتجانسة عدلاً فى كل مجالاته ،إذليس الملك هناك إلا لله الواحد القهار دون الحياة الدنيا

التى يقرن فيها الشيء بضده أونقيضه .

٣ـ قيل: ضمّ كل رجل إلى من كان يلزمه من ملك وسلطان ، ومن صديق و صاحب ، ومن تابع و متبوع كما قال الله تعالى : « احشروا الذين ظلموا و أزواجهم » الصافات : ٢٢)

فيلحق كل امرىءبمن تبعه لقولهجل وعلا : « يوم ندعوا كل إناس بامامهم» اليهود باربابهم والنصارى برهبانهم ، والشيعة الامامية بأئمتهم عليهم السلام وأهل السنة بخلفائهم . . . وعن الحسن وقتادة : أى كل من كان يعبد شيئاً من دون الله يلحق بعضهم ببعض .

٤ـ عن عبدالرحمن بن زيد : أى جعلوا أزواجاً على أشباه أعمالهم فليس بتزويج أصحاب اليمين زوج ، ولابأصحاب الشمال زوج ، ولا بالسابقين زوج .

٥ـ عن عكرمة وأبىمسلم والشعبى : أى قرنت الارواح بالاجساد أىردّت إليها ، فالمراد بالنفوس هنا الارواح ، فتعود كل روح آدمية إلى جسمها الاول الذى فارقته عند الموت ، فزوجت الابدان التىكانت فيها لتخرج من قبورها للبعث والحساب والجزاء .

٦ـ عن الجبائى : يقرن الغاوى بمن أغواه من شيطان أو إنسان على جهة البغض والعداوة فيقرن المطيع بمن دعاه إلى الطاعة من الانبياء والمؤمنين . ٧ـ عن الزجاج : أى قرنت النفوس بأعمالها ، فصارت لاختصاصها بهاكالتزويج .

٨ـ قيل : أى يضمّ كل صنف بمن كان فى صنفه : الرجال بالرجال، والنساء بالنساء وهكذا، كمانشاهد جميع المتشابهات تتكاثف فى الدنيا ، فكل إلىمقرّها الهواء فى الجو والماء فى البحار والتراب فى الارض لان الهواء ليس مقرّ التراب ولا الحجر فانه يسقط إذا رفعناه ، و كل حيوان يأنس بنوعه ، وهكذا يأنس السارق بالسارق والفاجر بالفاجر ، ويألف المؤمن بالمؤمن ، فكل على شاكلته، وهذا فى الدنيا وليست الآخرة خارجة من هذا النظام العام المتقن .

اقول : والخامس هو الانسب بظاهر السياق . ولايخفى على المتأمل الخبير ان التزويج هو قرن كل شيء إلى شيئيته أومثله أومايحق أن يقرن به، وهذا هنا لايشمل النكاح لانه يخص أهل الجنة دون النفوس كلها ، و ان الاية الكريمة كطرفيها تستعرض قيامة الاحياء قبل الحساب والجزاء و نشر الصحف وتسعير الجحيم وإزلاف الجنة وقبل أن تعلم كل نفس ما أحضرت .

فالايات الكريمة على ظاهر سياقها تجمع بين علامات الاماتة و الاحياء حيث انمن تكوير الشمس - إلى - تسجير البحار تشير إلى الاولى، ومن تزويج النفوس إلى نشر الصحف إلى الثانية ، ثم ترجع إلى الاولى فى كشط السماء ثم بقية الآيات إلى الثانية جمعاً بين القيامتين لوحدتهما فى الطامة وإتصالهما .

وماورد فى المقام فمن باب بعض المصاديق الظاهرة .

۹۹۸- (واذا الموؤدة سئلت باى ذنب قتلت)

فى الايتين أقوال : ۱- عن الحسن و الفراء : ان الموؤدة هى التى تسئل ، فيقال لها : بأىّ ذنب قتلت . و الموؤدة هى البنت التى تدفن فى التراب و هى فى حالة الحياة بتعمد قتلها .

ومعنى سئوالها توبيخ لقاتلها لانها تقول فى الجواب : قتلت بغير ذنب. قيل: سميت المدفونة بموؤدة من «وأد» مقلوب «آد» : أثقل كقوله تعالى: « ولايوؤده حفظهما » فكانت الموؤدة ثقلاً عند العرب الجاهلى : ثقل المعيشة و ثقل العار فكانوا يثقلونها بالتراب تخفيفاً عنهم ثقل الحياة و لذلك سميت موؤدة لهذه الاثقال الثلاثة كلها ...

۲- عن أبى مسلم : ان معنى « سئلت » : طولب قاتل الموؤدة بالحجة فى قتلها ، وسئل عن سبب قتلها ، فكأنه قيل: والموؤدة يسئل قاتلها بأىّ ذنب قتلت هذه كقوله تعالى : « ان العهد كان مسئولاً » أى مسئولاً عنه . والموؤدة المقتولة حية سميت بها لما يطرح عليها من التراب ، فيثقلها حتى تموت . فتكون القتلة

هناهم المسئولون ، وإنما المقتولة مسئول عنها .

٣- عن مسلم بن صبيح : أى ان الموؤدة تسئل وائديها بأىّ ذنب قتلوها، فتطلب بدمائها . فسئلت بمعنى : طلبت ، فتطلب البنت بدمها من قاتلها بالحجة فى قتلها وسئل عن سبب قتلها . وقيل : يطلب المقاتل بدم المقتول، فيقال : أين بناتكم ؟ .

و عن إبن عباس و أبى صالح : تتعلق الجارية يوم القيامة بأبيها ، فتقول : بأىّ ذنب قتلتنى ؟ فلايكون له عذر .

٤- عن إبن عباس وأبى صالح أيضاً وجابربن يزيد : تسئل الموؤدةالله جل وعلا يوم القيامة عما فعل عليه الوائد لينتقم منه .

و عن إبن عباس أيضاً عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ان المرأة التى تقتل ولدها تأتى يوم القيامة متعلقاً ولدها بثدييها ملطخاً بدمائه ، فيقول : يارب هذه امى و هذه قتلتنى » .

٥- قيل : الموؤدة هى التى تسئل نفسها ، فهى السائلة والمسئول عنها .

اقول : وعلى الاول جمهور المفسرين وهو الأنسب، فان سئوال الموؤدة توبيخ لوائدها ، وهو أبلغ من سئوالها عن قتلها لان هذا مما لايصح إلاّ بذنب ، فبأى ذنب كان ذلك، فاذا ظهر انه لاذنب لها كان أعظم فى البلية ، وظهور الحجة على قاتلها .

١٠- (واذا الصحف نشرت)

فى الصحف و نشرها أقوال : ١- عن قتادة الصحف هى كتب الاعمال التى فتحت يوم القيامة و بسطت بعد أن كانت مطوية بالموت ، فينظر إلى ما فيها صاحبها يومئذ مما كتبته الملائكة فيها فى الدنيا من خيروشر .

والمعنى : تفرقت صحائف أعمال الناس بين أصحابها ، فتقع صحيفة المؤمن بيمينه وتقع صحيفة الكافر والمنافق بشماله .

عن مرثد بن وداعة انه قال : إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش ، فتقع صحيفة المؤمن في يده اليمنى «في جنة عالية - إلى - الايام الخالية» وتقع صحيفة الكافر في يده اليسرى «في سموم وحميم - إلى - لابارد ولا كريم» .

٢- قال الزمخشري في الكشاف : هي صحف غير صحف الاعمال . . . ٣- قيل : هي صحف الوحي ، و صحف الاعمال من الاعضاء و من الارض ، و صحف القلوب و الصدور و الافكار التي كانت مبسوطة عليها سطور الهداية و سجلات الاعمال ، ولكنها كانت خفيةعلى غير أصحابها أو خفية عن بعض أصحابها الذين خفيت صحائف عقولهم ...

اقول : وعلى الاول جمهور المحققين .

١١- (واذا السماء كشطت)

في كشط السماء أقوال : ١- قيل : أي شقت و تمزقت وأبطلت و ازيلت . و كشط السماء : هو زوال هذه الصورة التي تبدو منها لنا في الحياة الدنيا ، و كأنها سقف سميك ، فتبدو السماء حينئذ و كأنها قد ازيلت من مكانها ، فكانت أبواباً مفتحة تنطلق فيها الارواح إلى ماشاء الله تعالى من علو دون أن تصطدم بشيء يردها ..

٢- قيل : أي كشفت عمن فيها من الملائكة وغيرها ، ومافيها من الجنة و العرش و ما فيهما . هذا بناء على أن السماء فاصلة بين أهل الارض و ماوراء السماء فاذا قلعت السماء ، ومحيت هذه الفاصلة يرى أهل الارض أهل السماء ، و الرابطة بين الأهلين سهلة ، فالسماء كالليل المظلم يمنع من الرؤية ، فاذا مضى الليل يرفع المانع، فيرى بعض الناس بعضهم، فكذلك الامر بين أهل السماء وأهل الارض .

٣- عن قتادة والزجاج : أي قلعت كما يقطع السقف . والكشط : قلع عن

شدة إلتزاق . فتقلع السماء يوم القيامة كما يقلع السقف ، وتكشط كما يكشط الجلد عن الكبش وغيره .

٤- عن مجاهد : أي جذبت . ٥- قيل : أي طوت لقوله تعالى: «يوم نطوى السماء كطي السجل للكتاب» فكأن المعنى : قلعت فطويت .

٦- قيل : أي كشفت بذهاب الكواكب . وقيل : أي كشفت عمن فيها. ٧- قيل : أي تنزع السماء عن مكانها كما ينزع الغطاء عن الشيء و ينزع الجلد عن الشاة . ٨ - قيل : أي كشفت و ازيلت عما فوقها ، فلم يبق غطاء ولاسماء . ولايوجد مايطلق عليه إسم الأعلى ولاالأسفل .

اقول : والاول هو الانسب بمعناه اللغوى ، وإن ينطبق الكشطعلىطيّها وشقها وذهاب آثارها وغير ذلك .

١٢- (واذا الجحيم سعرت)

في تسعيرالجحيم أقوال: ١- عن قتادة:سعر الجحيم: غضب الله تعالى وخطايا بنى آدم. ٢- قيل : أي أوقدت نار الجحيم ايقاداً شديداً ، وسعرت جمرها، وعلا لهيبها ، وأضرمت للكفار والمنافقين حتى إز دادت شدة على شدة ، و يكون ألم أصحابها من أشد الآلام التى تحدث عن مس النيران للاجسام الحية .

وان الجحيم هى إسم من أسماء جهنم .

٣- قيل: أي أججت نارجهنم، وهى قبل دخول أهلها غيربارزة ولامسعرة وإنماتسعيرها هو إلتهاب النارفيها ، وانه بوقود الاجساد الجهنمية ، وأعمالهما من الخالدين فيها. والتسعير : تهييج النار حتى تأجج .

اقول : وعلى الثاني جمهور المحققين ، وقريب منه الثالث .

١٣- (واذا الجنة ازلفت)

في إزلاف الجنة أقوال : ١- قيل : أي تمهّدت و هيئت للمتقين . ٢- عن الحسن: أي ادنيت وقربت من المتقين، فانهم يقربون منها لاأنها تزول عن موضعها.

٣ـ قيل: أي زيّنت وأعدت لنزول أهلها . ٤ـ قيل : أي قربت بمافيها من النعيم ، فيزداد المؤمن سروراً ، ويزداد الكافر حسرة .

أقول: والمعاني متقارب بالتلازم .

١٤ـ (علمت نفس ما احضرت)

في الاية الكريمة أقوال : ١ـ عن إبن عباس : ان الاية جواب لقوله تعالى : «إذا الشمس كورت» ومايليها على طريق الشرط والجزاء . والمعنى : إذا كورت الشمس ووقعت مايليها من إنكدار النجوم... علمت كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة ما احضرت من عملها خيراً كان أو شراً .

٢ـ عن الحسن : انها جواب لقوله جل وعلا : « إذا الشمس كورت» ومايليها على تقدير القسم كما يقال: إذا نفر زيد نفر عمر وعلى تقدير القسم أي والله إذا نفر زيد نفر عمرو . والمعنى: والله إذا الشمس كورت ... الخ علمت كل نفس ما أحضرت من صحائف الاعمال ...

٣ـ قيل: أي عملت ما أحضرته من خير وشر . وإحضار الاعمال مجاز لانها لا تبقى . والمعنى : انه لايشذ عنها شيء ، فكأن كلها حاضرة . ٤ـ قيل: ان المراد صحائف الاعمال ... ٥ـ قيل : أي علمت كل نفس ما أعدّ لها من خير أو شر ، من نعمة أو نقمة ، ومن جنة أو نار .

أقول : والاول هو الانسب بظاهر السياق، وعليه جمهور المفسرين، والمؤيد بالآيات القرآنية ...

١٥-١٦ـ (فلااقسم بالخنس الجوار الكنس)

في الايتين الكريمتين أقوال : ١ـ عن مجاهد والحسن وقتادة وإبن زيد و عطاء ومقاتل وبكر بن عبدالله: الجوار هي النجوم كلها ، و وصفت بالجوار لانها ترجع في مجراها وراء ها بينما نرى النجم في آخر البرج إذ كرّ راجعاً إلى أوله. ووصفت بالخناس لانها تبدو ليلاً، فتظهر للعيون بعدما كانت مختفية نهاراً منها كما

يظهر الوحش من كناسه . ووصفت بالكناس لانها تختفى نهاراً عن البصر وتغيب عن العيون كماتأوى الوحش إلى كناسها ليلاً .

٢- عن الحسن وقتادة أيضاً والفراء: الجوار هى الكواكب الخمسة الدرارى المتحيرة الجارية مع النيرين فى أفلاكها بالارتباطات المعلومة فى الهيئة وهى: زحل والمشترى وعطارد والمريخ والزهرة، وهى التى تخنس بالنهار فى مجراها وتكنس أى تستتر فى بيوتها إذاغربت، وتتأخر عن البصر لخفائها، فلاترى كماتكنس الظباء فى المغار و هو الكناس . و هى متحيرة لمشاهدة الوقوف و الرجوع منها بعد الاستقامة ولاختلافها فى حركاتها من الاستقامة والرجعة والاقامة ، وهى حركتها الخاصة من المغرب إلى المشرق على توالى البروج أى من الحمل إلى الثور، ثم إلى الجوزاء وهكذا على الترتيب ، فاذا تحركت القهقرى بعكس هذا الترتيب شبه الحركة اليومية يقال : إنهاراجعة . فهى النجوم الرواجع التى تسير فى اتجاه ، فتختفى ثم تظهر. فالخنس هى النجوم التى تختفى نهاراً، و الكنس هى هذه النجوم التى تظهر ليلاً .

وفى تخصيصها بالذكر من بين سائر النجوم قولان: أحدهما - لانها تستقبل الشمس . ثانيهما - لانها تقطع المجرّة .

٣- قيل: الجوار هى الكواكب السيارات و هى سبعة دون الثوابت ، فان الخنس هى التى تختفى تحت ضوء الشمس ، وتنحجب بضوئها فى النهار ، فالجوار هى السيارة التى تجرى مع الشمس ، والكنس تختفى بالغروب . ٤- عن عبدالله بن مسعود وإبراهيم النخعى وجابر بن عبدالله، وعكرمة وجابر بن زيد وعبدالله بن وهب ،وعكرمة: الخنس: هى بقر الوحش التى إذارأين الانسان خنسن وإنقبضن وتأخرن ودخلن كناسهن .

وقال : عبدالله بن وهب : هى البقر إذا فرّت من الذئاب .

٥- عن إبن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير و الضحاك : الخنس هى الظباء

التي تكنس في المغار . فالظباء تجرى يوماً في البرارى وتغيب ليلاً في مكانها ٦- قيل: الجوار : مطلق الوحوش من الظباء والبقر والطير والسباع إذا تبدو نهاراً ودخلن في كناسها ليلاً. ٧- قيل: هي الملائكة التي تبدو عند نزول الوحي وتختفي بالعروج .

٨- قيل: هي كل شيء تظهر تارة وتغيب تارة اخرى سواء كانت من الكواكب التي تظهر ليلاً وتغيب نهاراً أم كانت من الوحوش: كالبقر والظباء والطيور وما إليها عكس الكواكب في الظهور والاختفاء وغير ذلك .

٩- قال أصحاب التأويل : هي الحواس الخمس تظهر آثارها تارة و تغيب تارة اخرى .

اقول: والاول هو المروى عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام وهو المؤيد بظاهر السياق ، وخاصة ذكر الليل والصبح بعد ذلك فتأمل واغتنم .

١٧- (والليل اذا عسعس)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن إبن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والضحاك وإبن زيد والفراء : أي إذا أدبر الليل بظلامه ، ولم يبق منه إلاّ القليل .

وفي إدباره زوال الغمة التي تغمر الاحياء بانسدال الظلمة وإنحسارها .و عسعس الليل : قفل راجعاً ، وذهب ظلامه الذى كان مخيماً على الكون ، و منه العسس وهم حرّاس الليل من الجنود يعسّون في الطرقات أي يتحركون تحت جنح الظلام ليروا ماذا يجرى من أحداث يحدثها أهل الشر تحت الستار من الظلام فالليل متحرك ، و ليس ثابتاً انه يجرى إلى كناسه كما تجرى الكواكب إلى كناسها .

٢- عن الحسن أيضاً وزيد بن أسلم : أي أقبل بظلامه و غشي الناس . و قال الجبائي : أي إذا أظلم . ٣- قيل : أي إذا انقضى . ٤- قيل: أي إذا أقبل وأدبر وهو

من الاضداد ، والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد، وهو إبتداء الظلام في أول الليل وإدباره في آخره .

وقيل : أصل العسعس من العس : الامتلاء ومنه قيل للقدح الكبير : عس لامتلائه بمافيه، فاطلق على إقبال الليل لابتداء إمتلائه، واطلق على إدباره لانتهاء إمتلائه على ظلامه لاستكمال إمتلائه به. ٥- قيل: ان الليل المعسعس هنامثال لزمن الفترة الرسالية بين عيسى المسيح وسيدنا محمد ﷺ إذ كان يقبل أحياناً بظلمات الجهل العارمة، ويدبر اخرى تخفيفاً عنها، ولقد كان طلاب الحقيقة في هذه الفترة العس الداعس كانوا حيارى بين من لايجد إلاالظلام ، ومن يجد خليطاً منه ، و من النور عن كتابات الوحي الخليطة من الغث والسمين .

اقول : والاول هو المروى عن أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام و هو ترجمان الوحي ، وهو الظاهر من إتصال الاية بتاليها من قوله تعالى : « والصبح إذا تنفس » .

١٨- (الصبح اذاتنفس)

في تنفس الصبح أقوال : ١- قيل: معنى التنفس: خروج النسيم من الجوف مجازاً لمافي مجيىء الصبح من النسيم والروح الذى يشبه التنفس. والمعنى: واقسم بالصبح إذاتنفس بالنور والحياة و الحركة ، والتنفس هنا خروج ضوء الصبح من غموم غسق الليل ، فكأنه متنفس من كرب أومتروح من هم ومن ذلك قولهم: قد نفس عن فلان الخناق أي إنجلى كربه وانفسح قلبه

٢- قيل : تنفس الصبح مجاز عن تخلصه من ظلمة الليل كتنفس المكروب إذاوجد راحة .

٣- قيل: أي اقسم بالصبح إذاإمتدحتى يصير نهاراً بيناً . يقال للنهار إذازاد: تنفس ، و كذلك الموج إذانضج الماء . والمعنى : إذاأسفر وأضاء، وامتدضوءه على الافق حتى يصير نهاراً . ٤- عن سعيد بن جبير وقتادة : أي إذا أقبل ضوء النهار و

أنشأ وتبيّن .

٥- قيل: أى واقسم بالصبح إذا إنشق وإنفلق وإنصدع من قولهم: تنفس الاناء إذا إنشق ، و تنفست القوس إذا إنصدعت . و المعنى : واقسم بالصبح إذا إنشق من كابوس الليل بطلوع الفجر وضيائه ، وحينئذ تسمع سقسقة العصفور و صيحة الديك .

٦- قيل : إن فى التعبير عن ظهور الصبح بالتنفس إشارة إلى أنه مولد حياة للأحياء جميعها ، حيث تبعث الحياة من جديد فى الاحياء مع الصباح بعد أن غشيها النوم وحبسها عن الحركة ، فبدت وكأنها فى عالم الموتى ، و هذا ما يشير إليه قوله جل وعلا : «وهو الذى يتوفاكم بالليل و يعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه» الانعام : ٦٠)

٧- قيل : ان هذا مثال قرآنى إذ أخذ يفجر منذ بزوعه ظلم الاوهام التى خنقت البشرية طوال الفترة الرسالية ، ففى الصبح الذى بزغ نور الوحى القرآنى على القلب المحمدى ﷺ لمست البشرية ، و تنفست بحياة جديدة بعد موت عارم خيم بظلمه على بنى الانسان إذ كانوا فى ليل داج عسعس ، ولم تكن الأنوار فى الارض إلا خنساً كنساً : فأنوار وحى الارض كانت غاربة ، و أنوار وحى السماء كانت خليطه بشىء كثير من وحى الارض ، حتى تنفس صبح الرسالة القرآنية ، مهيمنة على وحى الرسالات كلها ...

اقول : ولكل وجه من غير تناف بينها وإن كان الانسب بظاهر السياق هو الاول .

١٩- (انه لقول رسول كريم)

فى «رسول كريم» قولان : أحدهما ـ عن الحسن و قتادة و الضحاك : هو جبرئيل أمين الوحى عليه السلام أنزله على محمد رسول الله ﷺ . ثانيهما ـ قيل: هو محمد رسول الله ﷺ .

اقول : وعلى الاول جمهور المفسرين وهو المؤيد بظاهر السياق والايات الكريمة ...

٢٠- (ذى قوة عند ذى العرش مكين)

فى الاية الكريمة أقوال : ١ ـ قيل : أى ذى قوة فى البعد عن النسيان و الخطاء والزلل ، فذى قوة فى الحفظ .

٢ـ عن إبن عباس : أى ذى قدرة فى نفسه ، و من قوته قلعه ديار قوم لوط بقوادم جناحه حتى بلغ بها إلى السماء ثم قلبها . ٣ـ قيل : أى ذى قوة فيما كلّف وامر بهمن العلم والعمل وذى قوة فى تبليغ الرسالة و الانذار وإلقاء الوحى .

اقول : ولكل وجه من غير تناف بينها .

٢١- (مطاع ثم امين)

فى الاية الكريمة قولان : أحدهما ـ عن إبن عباس وقتادة وأبى صالح و الضحاك: ان جبرئيل عليه السلام مطاع فى السموات تطيعه الملائكة فيها، مطاع عندالله تعالى فى ملائكة المقربين ، فهم يصدرون عن أمره ، ويرجعون إلى رأيه .

ومن طاعة الملائكة له عليه السلام انه لما اسرى برسول صلى الله عليه وآله وسلم قال جبرئيل عليه السلام لرضوان خازن الجنان : إفتح له صلى الله عليه وآله وسلم ففتح فدخل ورآى مافيها . وقال لمالك خازن النار : إفتح له جهنم حتى ينظر إليها ، فأطاعه وفتح له .

وان جبرئيل عليه السلام هو أمين على الذى يجيىء به ، وعلى ما كلّف به .

ثانيهما ـ ان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو مطاع يطيعه من أطاع الله عزوجل، و هو صلى الله عليه وآله وسلم أمين عند الناس قبل الرسالة حتى سمّوه محمد الأمين ، و أمين عندالله تعالى فى أمر رسالته وفى دعوته وإرشاده ، وفيما أمر به ، ومانهى عنه ...

اقول : و على الاول جمهور المفسرين ، ولكن الثانى هو المروى من أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين ، اللهم إلاّ أن يكون الثانى من باب التأويل وهو اللب فتأمل جيداً .

٢٣- (ولقد رآه بالافق المبين)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- عن مجاهد والحسن وقتادة : وإبن زيد: رآى محمد ﷺ جبرئيل عليه السلام بافق مطلع الشمس بمكة و هو الافق ترى الاشياء حين تطلع الشمس و هو الافق الا على من ناحية المشرق ، فهو مبين أى ترى الاشياء من جهته .

٢- قيل : رآى رسول الله ﷺ جبرئيل عليه السلام فى أقطار السماء ونواحيها حين كان ينزل بالوحى عليه ﷺ . قيل : رآه على كرسى بين السماء والارض على صورته التى خلقه الله تعالى عليها ، وله ستمأة جناح .

٣- قيل: رآى محمد ﷺ جبرئيل عليه السلام عند سدرة المنتهى ليلة الاسراء. ٤- قيل : رآى محمد ﷺ جبرئيل عليه السلام بالمدينة من ناحية المغرب ، و هى الافق الواضح .

٥- قيل : رآى رسول الله ﷺ جبرئيل عليه السلام حال كون جبرئيل كائناً فى الافق المبين وهو الافق الاعلى من سائر الآفاق بما يناسب عالم الملائكة .

٦- قيل : رآى رسول الله ﷺ جبرئيل عليه السلام على صورة دحية الكلبى بالافق الواضح إذ تمثل له جبرئيل فى مثال يظهر ويبصر، فتجلى لعينيه ، واعلم أنه جبرئيل ، فعرفه، وبلغه القرآن الكريم على حقيقته فى مكان معلوم عند الله تعالى وعند محمد ﷺ وجبرئيل عليه السلام .

٧- قيل : رآى جبرئيل عليه السلام محمداً ﷺ فى الافق الا على و هو افق السموات العلى حيث عرج بالنبى ﷺ فظهر له جبرئيل على صورته الملكية.

٨- قيل : رآى محمد ﷺ القرآن الكريم بالافق الواضح لاخفاء فيه عليه ﷺ والمعنى : فقد رآى النبى ﷺ القرآن بالافق العالى الواضح فى معراجه إلى الملأ الاعلى كما يشير إليه قوله تعالى: «لقد رآى من آيات ربه الكبرى» النجم : ١٨)

٩- عن إبن مسعود: الرؤية هذه هي رؤية الفؤاد بنور اليقين.وهي كمال المعرفة والزلفى الممكنة للممكنات للرسول الأمين أن رآى ربه بالافق المبين أعلى الآفاق المعرفية بأعلى الآفاق الكونية . فرآى الرسول ﷺ ربه بنور المعرفة واليقين لآخر درجات الامكان .

اقول : والسادس هو الانسب بظاهر السياق .

٢٢- (وماهو على الغيب بضنين)

في الآية الكريمة أقوال : ١- قيل : أي وليس الله تعالى ممسكاً على غيبه الممكن كشفه على غيره ولا بخيلاً برسوله الكريم ﷺ . ٢ - عن الفراء و المبرد : أي وليس جبرئيل عليه السلام أمين الوحي بضعيف في نزول الوحي و إلقائه على المرسلين .

٣- عن إبن عباس وسعيدبن جبير و مجاهد وقتادة وإبن زيد و الضحاك و إبراهيم : أي ليس محمد ﷺ على مايوحى إليه ومايخبربه ومايؤديه بمتهم ، فان أحواله ناطقة بالصدق والامانة و كمال العقل، فيؤدي عن الله جل وعلا ويعلم الناس كما علّمه الله تعالى .

اقول : وعلى الأخير جمهور المحققين .

٢٦- (فاين تذهبون)

في الاية الكريمة أقوال: ١- عن قتادة: أي فالى أين تعدلون عن هذا القول والايمان بالله تعالى و طاعته و كتابه ، و هو الشفاء و الهدى . ٢- عن الزجاج : أي فايّ طريقة تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بينت لكم .

٣- قيل : أي إلى أيّ مذهب من مذاهب الضلال تذهبون بعد هذا البيان المبين ، وبعد تلك الحجة الواضحة ؟ أهناك مذهب لكم إلى غير الله تعالى وإلى غير ماتدعو كم إليه آيات الله ؟، وأيّ طريق آخر غير هذا الطريق هو الضلال والهلاك والحيرة والنار ...

اقول : ولكل وجه من غير تناف بينها كما أن التعميم هو الانسب بظاهر الا طلاق .

٢٧- (ان هو الا ذكر للعالمين)

فى الآية الكريمة أقوال : ١ ـ قيل : أى ليس هذا القرآن إلاّ ذكر للعالمين ، يهدى إلى ماهو أسلم وأقوم ، يتجه بالحياة إلى ماهو أنفع وأكمل .

٢ ـ قيل : أى ليست هذه الرسالة المحمدية إلاّ ذكر للعالمين . ٣ـ قيل: أى ليس كل واحد من الوحى ورسول الوحى ونبى الوحى إلاّ ذكر للعالمين .

اقول : وعلى الأول جمهور المفسرين .

٢٩- (وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين)

فى الاية الكريمة أقوال : ١ـ عن الجبائى : أى وما تشاؤن أيها الناس الا سْتقامة على الحق و إتباع الوحى إلاّ أن يشاء الله تعالى ذلك من حيث خلقكم لها و كلفكم بها ، فمشيته بين مشيتكم فالانسان مسيّر فى مشيئته وليس مخيّراً إذ كانت المشيئة الالهية هى السبب لمشيئة العبد المحققة للاستقامة و الهداية .

٢ـ عن أبى مسلم : أى لاتشاؤن أيها الكفار و المشركون الاسلام إلا أن يشاء الله أن يجبركم عليه و يلجأكم إليه ولكنه تعالى لا يفعل ذلك لانه يريد منكم أن تومنوا إختياراً لتستحقوا الثواب ولايريد أن يحملكم عليه إذ لا إكراه فى الدين . فليست مشيئة الله لتحقيق الاستقامة إلاّ بعد مشيئة العبد وهذا عكس الفرض الاول .

٣ ـ عن الحسن : أى لايعمل العبد خيراً إلاّ بتوفيق الله عزوجل ولا شراً إلا بخذلانه .

قيل : وذلك لان الانسان مختار فى مشيئة الاستقامة و سواها ، و ان هذه المشيئة تخرجه عن إستقلاله فى مشيئته، وتجعله بين الامرين: «لاجبر ولاتفويض بل أمر بين الأمرين»فليس الانسان مخيراً فى مشيته الاستقامة كمفوّض إليه أمره، ولا هو مسيّر فى أمره بل هو بين مشيتين : من الله تعالى ومن نفسه :

أما من نفسه، فانه يختار ويشاء الاستقامة بما جعله الله عزوجل مختاراً.
وأما من الله تعالى فأن يوفقه للوصول إلى مايشاء من الاستقامة، فلولاتوفيق من الله تعالى لم تكن مشيئة الانسان - أياً كان - لتوصله إلى واقع الاستقامة.

فاذا لم يكن واقع الهداية بمشيئة الرسول «انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء» وإنما له وعليه الدلالة فحسب فأولى بمن سواه ألاّ يقدروا على واقع الهداية لانفسهم، و إنما يملكون هم مشيئة الاهتداء و الا ستقامة، فالقرآن الكريم و رسول الله ﷺ دليلهم فى مسير الهداية تشريعياً، ثم الله تعالى من وراء القصد يهديهم إلى واقع الهداية تكوينياً.

فالمعنى: ماتشاؤن أيها المستقيمون على الحق تحقق الهداية مشيئة تحقيق توصلكم إلى حق الهداية إلاّ أن يشاء الله عزوجل أيضاً لكم إياها تشريعياً و تكوينياً لانه رب العالمين.

إذن فتحقق الاستقامة والهداية بحاجة أولاً إلى مشيئة من المستقيم تكوينياً ثم مشيئة من الله عزوجل تشريعياً للدلالة على كيفية الاستقامة والهداية، ثم مشيئة منه تعالى تكوينياً، يوفقه و يسهل له الوصول إلى واقع الهداية و الاستقامة. فلما تحققت المشيئتان الالهيتان تبعتهما مشيئة العبد الاخيرة الملامسة لواقع الهداية والاستقامة.

و ذلك يستفاد من قوله تعالى: «لمن شاء منكم أن يستقيم» مشيئة أولى للمستقيم، ومن قوله: «وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله» مشيئة ثانية وهى مع واقع الهداية و الا ستقامة ومشيئة تشريعية و تكوينية من الله تعالى تتوسطان مشيئتى العبد المستقيم - إذن - فلاجبر فى الهداية ولاتفويض بل أمر بين الامرين: أمر من الله تعالى، وأمر من العبد، ولذلك، فلتنسب الهداية إلى الله تعالى - واخرى له - وإلى العبد أيضاً لاختياره.

٣- قيل: أى وما تشاؤن الاسلام إلاّ أن يشاء الله تعالى أن يلطف لكم فى

الاستقامة لما فى الكلام من معنى النعمة .

٥- قيل : أى من شاء منكم أن يستقيم فليطلب الاستقامة وليرد مواردها وليأخذ بالاسباب إليها ... ثم ان مشيئتكم تلك مرتهنة بمشيئة الله العامة الشاملة التى كل مشيئة منطوية تحتها دائرة فى فلكها .

فالانسان - وإن كانت له مشيئة - ليس بالذى يستقل بمشيئته عن مشيئة الله فهو إذيشاء شيئاً ، وإذا يمضى هذا الشيء ، فانما ذلك من مشيئة الله فيه .

وهذا ليس بالذى يدعو الانسان إلى أن يعطل مشيئته منتظراً مشيئته جل و علا فيه لانه لايعلم مامشيئة الله فيه .. بل ان عليه أن يعمل مشيئته كما يعمل جوارحه جميعها فاذا وافقت مشيئته مشيئة الله تعالى نفذت وإن خالفت مشيئة الله لم تمض ومضت مشيئة الله !

هذا هو المطلوب من العبد .. فان اعطى مشيئته ماينبغى أن يقدّمه بين يديها من بحث ونظر وعقل جائت مشيئته قائمة على طريق الحق مثمرة له أطيب ثمار تماماً كما إذا أيقظ حواسه وعمل بها فى المحسوسات كان له من معطياتها مايصله بالحياة وصلا وثيقاً ويقيمه على طريقها دون أن يتعثر أو يضلّ .

اقول : والثانى هو المستفاد من الايات القرآنية والروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين .

﴿ التفسير و التأويل ﴾

١- (اذا الشمس كورت)

تجييء الصاخة وتأتي الساعة وتقع القيامة حين كوّرت الشمس، وإنمحق ضوءها ، وذهب بنورها ، وإنظلم جرمها على نحو الاحاطة ، فتصير سوداء مظلمة فتخرج عن مدارها ، وعندئذ تجمع الشمس والقمر، فتسقط وتزول .

وذلك ان الشيء الذي يلفّ يصير مخفياً عن الاعين ، فعبّر عن إزالة النور عن الشمس و صيرورتها غائبة عن الاعين بالتكوير ، و هذا من أشراط الساعة و وقوع الواقعة .

وحينئذ يخرب العالم ويبدّل نواميس الوجود ونظام الكون الذي يعيش فيه الحي في حياته الدنيا ، فلايبقى في عالمه الاخر الذي ينقلب إليه شيء من تلك الاجرام السماوية ...

قال الله تعالى : « وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك» فاطر : ١٣)

وقال : « لايرون فيها شمساً ولازمهريراً » الانسان : ١٣)

وقال : « يسئل أيان يوم القيامة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر» القيامة : ٦-٩)

وقال: «يوم تبدّل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار» ابراهيم : ٤٨)

٢- (واذا النجوم انكدرت)

وتأتى الساعة حين إنطفأ بريق النجوم بذهاب ضوءها ، و محى أثرها من النور و غيره ، فتخرج عندئذ عن مدارها ، فتتناثر و تتساقط ، فتمطر السماء يومئذ نجوماً .

قال الله عزوجل : «فاذا النجوم طمست وإذا السماء فرجت » المرسلات : ٨ و٩) .

وقال : «وإذا الكواكب إنتثرت» الانفطار : ٢)

٣- (واذا الجبال سيرت)

وتقع القيامة حين قلعت الجبال عن مقارها ، وإنفصلت عن أماكنهابرجفة الارض وتقطع أوصالها ، فتنفصل من الارض فتدكان دكة واحدة ، وتحول عن كونها حجارة ، فتقذف فى الفضاء حتى تصيرهباء منبثاً و سراباً تصير كلا شيء لتفتت أجزائها وإنبثاثها .

قال الله جل وعلا : «ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً» الكهف: ٤٧)

وقال : « ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لاترى فيها عوجاً ولاأمتاً » طه : ١٠٥ - ١٠٧)

و قال : « إذا وقعت الواقعة - إذا رجت الارض رجاً وبست الجبال بساً فكانت هباء منبثاً » الواقعة : ١ - ٦)

وقال : « فاذانفخ في الصور نفخة واحدةوحملت الارض والجبال فد كتادكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة » الحاقة : ١٣ - ١٥)

وقال : «يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً»المزمل :١٤)

وقال : « وسيرت الجبال فكانت سراباً » النباء : ٢٠)

٢- (واذا العشار عطلت)

ويوم القيامة يوم تترك النوق الحوامل التي أتت عليها عشرة أشهر من الحمل، وهي أنفس الأموال عند أصحابها وأعزها ، وهم يهملونها هملاً لاشتغالهم بأنفسهم من شدة الهول والفزع والكرب النازلة بهم يومئذ حتى يعطلوا ويهملوا ماهو أهم شيء عندهم فكيف بغيره ؟ كيف لا وتضع يومئذ الحامل حملها قبل أوانه ، و تذهل كل مرضعة عما أرضعت .

قال الله سبحانه : « يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زازلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » الحج : ١ ـ ٢)

وقال : « فاذا جائت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وامه وأبيه وصاحبته و بنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » عبس : ٣٣ ـ ٣٧)

و قال : « فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » المؤمنون : ١٠١)

هذا لمن علق قلبه بالعشار ، وأحب العاجلة وترك الاخرة، وأما المؤمنون فهم من فزع يومئذ آمنون .

قال الله تعالى : « من جاء بالحسنه فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون » النمل : ٨٩)

٥- (واذا الوحوش حشرت)

ويقع يوم القيامة يوم جمعت الوحوش من كل ناحية لقصاص بعضها البعض . وان الحشر بمعنى الجمع من كل ناحية ، و الوحوش من الحيوان مالا يتأنس بالانسان من الظباء والسباع وغيرها . . .

فاذا كان لا يهمل يوم القيامة أمر الوحوش ، فكيف أمر المكلفين من الجن و الانس .

قال الله تعالى : « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا امم

أمثالكم ما فرّطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون » الانعام: ۳۸)

فلا معنى للموت والهلاك أن يقال: « إلى ربهم يحشرون ».

۶- (واذا البحار سجرت)

وتجيىء الساعة لامحالة حين يفجّر بعض البحار في بعض، عذبها على مالحها وبالعكس فصارت البحار عندئذ كلها بحراً واحداً بارتفاع البرازخ بينها بزلزال الارض وإنشقاقها، فحينئذ أوقدت وحميت وإشتعلت نيراناً تضطرم.

قال الله تعالى: « وإذا البحار فجّرت » الانفطار: ۳)

۷- (واذا النفوس زوجت)

ويوم القيامة يوم تقرن النفوس بأجسادها، فتزوج الابدان التي كانت فيها وردّت إليها لتخرج من قبورها للبعث والحساب والجزاء، فالمراد بالنفوس هنا الارواح...

والاية الكريمة في معنى قوله تعالى: « وإذا القبور بعثرت» الانفطار: ۴)

وقوله جل وعلا: « وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور» الحج: ۷)

وما ورد في المقام فمن باب الجرى والانطباق فتأمل جيداً واغتنم جداً.

۸و۹- (واذا الموؤدة سئلت باى ذنب قتلت)

ويوم القيامة يوم سئلت الجارية التي كانت في الحياة الدنيا تدفن حية خوف العار والحاجة تبكيتاً لقاتلها، فتبعث يوم القيامة، و تسئل عن مسمع من وائدها: لماذا وأدك الوائد؟ بأىّ ذنب قتلت؟

الموؤدة هي البنت التي تدفن حية وتوارى، سميت بذلك لمايطرح عليها من التراب فيوؤدها أى يثقلها حتى تموت، و منه قوله جل وعلا: « ولا يؤوده حفظهما » البقرة: ۲۵۵).

أى لايثقله. ولخوف العار والحاجة وفرط الغيرة.

وقد كانت العرب الجاهلية تدفن البنات على إختلافهن في السن أحياءاً، خوفاً من لحوق العاربهم من أجلهن لفرط الغيرة، فيرونها عاراً لانفسهم-عكس الجاهلية في عصر التمدن إذ تدع النسوة طلاقة العنان لفقد الغيرة - كما يشير إليه قوله جل و علا: «و إذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً و هو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشربه أيمسكه على هون أم يدسّه في التراب» النحل: ٥٨ - ٥٩)

والمراد من سئوال الموؤدة ان قاتلها ووائدها طولب بالحجة في قتلها، و سئل عن وأده لها على سبيل التوبيخ والتعنيف، وإقامة الحجة، فالوائد ههناهو المسئوول في الحقيقة لا الموؤدة، وفيه تنبيه على أنه لاحجة لهم في وأدهم، وهذا يجري مجرى قوله تعالى لعيسى بن مريم عليه السلام: «ءأنت قلت للناس اتخذوني و امي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ماليس لي بحق» المائدة: ١١٦) توبيخاً لقومه وإقامة الحجة عليهم كما يقال للطفل إذا ضرب: لم ضربت؟ وماذنبك؟

وماورد في المقام فمن باب التأويل فتدبرواغتنم.

١٠- (واذا الصحف نشرت).

و تقوم الساعة يوم تنشر فيه صحف الأعمال - بعد أن كانت مطوية - التي كتبتها الملائكة فيها ما فعل أصحابها، من ايمان و كفر، من حق و باطل، من هداية وضلالة، من إرشاد وإضلال، من إخلاص ورئاء، من طاعة ومعصية، من حسنة وسيئة، من صدق و كذب، من إصلاح وإفساد، من أمانة وخيانة. وبالجملة من خير وشر ... تطوى تلك الصحف المكتوبة بالموت وتفتح يوم القيامة، وتنشر بين أصحابها، فيأتي المؤمن كتابه بيمينه، و الكافر بشماله، فيقف كل إنسان على صحيفة أعماله، فيرى ما فيها، و يقرأ كتابه بنفسه، فيعلم يومئذ بما عمل في الحياة الدنيا.

قال الله تعالى : «وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون » الانفطار : ١٠ ـ ١٢) .

و قال : «ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون و ترى كل امة جاثية كل امة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون » الجاثية : ٢٧ ـ ٢٩) .

و قال : « يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » الزلزلة : ٦ ـ ٨) .

وقال : « و كل إنسان ألزمناه طائره في عنقه و نخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً» الاسراء : ١٣ ـ ١٤) .

وقال: «ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين ممافيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولايظلم ربك أحداً » الكهف : ٤٩) .

وقال:«فأما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه ـ وأما من اوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم اوت كتابيه » الحاقة . ١٩ ـ ٢٥) .

١١ ـ (واذا السماء كشطت) .

و تجيىء الساعة حين تقلع السماوات كلها عن مقارها بالمدّ و النزع قلعاً شديداً ، وتزول عن أماكنها زائلاً هائلاً بالانفطار والانفجار والانفراج ، ثم تطوى كطى السجل للكتب ، وتبدل صورتها الاولى التى تبدولنا فى الحياة الدنيا، فتأتى بدخان مبين ، وتكون وردة كالدهان ، فاذاً هى واهية .

قال الله تعالى : « يوم تمور السماء موراً » الطور : ٩) .

وقال : « يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار » ابراهيم : ٤٨) .

و قال : « فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة ـ فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت

السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية » الحاقة : ١٣ ـ ١٨) .

وقال : « يوم تكون السماء كالمهل » المعارج : ٨) .

وقال : « وإذا السماء فرجت » المرسلات : ٩) .

وقال : « إذا السماء إنفطرت » الانفطار : ١) .

وقال : « يوم نطوى السماء كطيّ السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين » الانبياء : ١٠٤) .

و قال : « و الارض جميعاً قبضته يوم القيامة و السموات مطويات بيمينه » الزمر : ٣٧) .

و قال : « فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » الرحمن : ٣٧) .

١٢ـ (واذا الجحيم سعرت) .

ويوم القيامة يوم توقد نار جهنم ايقاداً شديداً ، ويشتد ضرامها ، وتزيد في إحمائها، ويعلو لهيبها للكفار والمجرمين، للفجار والمنافقين، وللفساق والعاصين.

قال الله جل وعلا: « و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً و بكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً » الاسراء :٩٧) .

وقال : « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً و سيصلون سعيراً ـ و منهم من صدّ عنه و كفى بجهنم سعيراً » النساء : ١٠ـ٥٥)

و قال : « بل كذبوا بالساعة و أعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيراً إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً » الفرقان : ١١ـ١٢)

وقال: « ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيراً » الفتح: ١٣)

وقال : « وبرزت الجحيم لمن يرى فأما من طغى و آثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى » النازعات: ٣٦ـ٣٩)

وقال : «وان الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين و ماهم عنها بغائبين » الانفطار : ١٤-١٦)

١٣- (واذا الجنة ازلفت)

ويوم القيامة زينت الجنة بما فيها من النعيم، وهيئت لأهل التقوى واليقين، وقربت من دخول أهلها فيها .

قال الله تعالى : «وأزلفت الجنة للمتقين» الشعراء : ٩٠)

وقال : « و أطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون و سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات و الارض اعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين»آل‌عمران: ١٣٢-١٣٤)

وقال : «وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ماتوعدون لكل أواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد» ق : ٣١-٣٥)

١٤- (علمت نفس ماأحضرت)

إذا كوّرت الشمس و وقعت مايليها من أشراط الساعة و أحوال القيامة وأهوالها ... علمت كل نفس يومئذ ماأحضرت من عمل فى الحياة الدنيا: من ايمان و كفر، من خير وشر، من طاعة ومعصية ، من إصلاح وإفساد ومن حسنة وسيئة ... علمت علم عيان بما يرى من يرى من عقائده وماكان في صدره من حق أو باطل، ومن إخلاص أورياء ... وعلمت علم بيان بما يسمع من أقواله وأفعاله .. .

و تجد كل ذلك وجداناً واقعياً ، لاتستطيع بانكارها ، ولا أن تغيّر شيئاً منها و لا أن تزيد عليها أو تنقص منها ، إذ جفّ القلم عما كان ، ولا يحضر إلاّ ماوقع، وتعلم عندئذ كل نفس نتائج أعمالها وأفكارها ، وثمار عقائدها وأقوالها...

فمن آمن وإستقام فالى الجنة ونعيمها ، فنعم أجر العاملين ، ومن كفرو

عصى فالى الجحيم وعذابها ، وبئس مثوى المجرمين .

قال الله تعالى : «ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها و وضع الكتاب وجيىء بالنبيين و الشهداء و قضى بينهم بالحق و هم لايظلمون و وفيت كل نفس ماعملت وهو أعلم بما يفعلون» الزمر: ٦٨-٧٠)

وقال : «يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» الزلزلة : ٦-٨)

وقال : «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وماعملت من سوء » آل عمران : ٣٠)

وقال : « ويوم نحشرهم جميعاً - هنالك تبلوا كل نفس ماأسلفت» يونس: ٢٨-٣٠)

وقال : « وإذا القبور بعثرت علمت نفس ماقدمت وأخرت» الانفطار:٤-٥)

وقال : «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون و ستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون» التوبة: ١٠٥)

وقال : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عندالله ان الله بما تعملون بصير» البقرة : ١١٠)

وقال : « و وضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه و يقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها و وجدوا ما عملوا حاضراً ولايظلم ربك أحداً» الكهف : ٤٩)

وقال : «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون» الحشر: ١٨)

وقال : «من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلانفسهم يمهدون» الروم :

وقال : « أفلا يعلم إذا بعثر مافى القبور وحصّل مافى الصدور ان ربهم بهم

يومئذ لخبير» العاديات: ٩-١١)

وقال : «ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد و جائت كل نفس معها سائق و شهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » ق : ٢٠-٢٢)

وقال : «ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور» الزمر: ٧)

وقال : «اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بماكانوا يكسبون» يس : ٦٥)

و قال : « يوم تشهد عليهم ألسنتهم و أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » النور: ٢٤)

وقال : «حتى إذا ماجاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بماكانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء و هو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولاجلودكم ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيراً مما تعملون وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين» فصلت: ٢٠-٢٣)

ومن التاويل : ان تلك الاحوال يمكن إعتبارها من أشراط القيامة الصغرى وهى حالة الموت، فالشمس : هى النفس الناطقة للانسان ، وتكويرها قطع تعلقها عن الجسم ، وإنكدار النجوم : تساقط القوى الانسانية ، وتسيير الجبال :إنعزال الاعضاء الرئيسة عن فعالها ، وتعطيل العشار : إهمال أمر البدن الانسانى، وحشر الوحوش : ظهور نتائج الافعال البهيمية والسبعية على الشخص .

وتسجير البحار: نفاد الاوهام الباطلة والأمانى الفارغة ، فانها بحر لاساحل له دون الموت الاختيارى أو الاضطرارى ، وتزويج النفوس : إنضمام كل ملكة إلى جنسها الظلمة إلى الظلمة ، والنور إلى النور، السعادة إلى السعادة، والشقاء

إلى الشقاء ... والموؤدة : القوة التي ضيعها المكلف في غير ماخلقت لاجله. ونشر الصحف : ان كل مسئلة سخت للخاطر ولم تقيد بالكتابة حتى غابت .

وكشف السماء : الارواح تنزع عن الأبدان ، فاذن القبر إما حفرة من حفرات النار ، وإما روضة من رياض الجنة ، فتعلم حينئذ كل نفس ما عملت .

١٦٩١٥- (فلااقسم بالخنس الجوار الكنس)

إذا علمتم أيها القراء المتأملون في آيات الله جل وعلا ، والمستمعون لها ما ذكرناه سابقاً ، فاعلموا ان ذلك كله واقع لامحالة ، فما أخبركم رسولنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بما تقدم ليس من تلقاء نفسه ، وإنما هو وحي سماوي أنزلناه عليه صلى الله عليه وآله وسلم فلا اقسم لكم على توكيده بالنجوم التي تجري في أفلاكها ، تبدو لكم ليلاً ، وتختفي عنكم نهاراً .

ولا يخفى على القارىء الخبير ان هذه الاقسام المنفية يراد بها التعريض بالقسم لا وقوع القسم ذاته ، إذ كان الامر الواقع في معرض القسم أظهر من أن يحتاج إلى توكيد وجوده بقسم .

نظيره قوله تعالى : « فلااقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم » الواقعة : ٧٥ ـ ٨٧) .

وقوله : « فلااقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم ومانحن بمسبوقين » المعارج : ٤٠ ـ ٤١) .

وقوله : « فلااقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذااتسق لتركبن طبقاً عن طبق فمالهم لايؤمنون » الانشقاق : ١٦ ـ ٢٠) .

ان الله جل وعلا أقسم بالكواكب التي زين السماء الدنيا بها على سبيل التأكيد كمافي ظهورها وحركاتها ، وضيائها ونظامها طوراً ، و في إختفائها طوراً آخر من الدلائل على كمال علم خالقها ، وعموم تدبيره ، وتمام حكمته ، و إطلاق قدرته ،

وبديع صنعه . وإحكام نظامه . . .

قال الله تعالى : « وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر و البحر قد فصلنا الايات لقوم يعلمون » الانعام : ٩٧) .

و قال : « و النجـوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيـات لقوم يعقلون » النحل : ١٢) .

وقال : « انا زيّنا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد » الصافات : ٦ ـ ٧) وما ورد فى المقام فمن باب التأويل ، والله جل وعلا هو أعلم .

١٧ـ (و الليل اذا عسعس) .

و اقسم بالليل إذا أدبر بظلامه ، ولم يبق منه إلاّ القليل .

والاية الكريمة فى معنى قوله تعالى : « والليل إذ أدبر » المدثر : ٣٣)

١٨ـ (و الصبح اذا تنفس) .

و اقسم بالصبح إذا فجر وظهر ضوءه و إنبسط على الافق حتى يصير نهاراً . و المراد من تنفس الصبح هو طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، فكأنه عندئذ يتنفس بالنور والحياة و الحركة عن كابوس الظلمة والموت والسكون . . .

والاية الكريمة فى معنى قوله جل وعلا : « و الفجر » الفجر : ١) وقوله : « و الصبح إذا أسفر » المدثر : ٣٤) .

وماورد فى المقام فمن باب التأويل وهو اللب من غير تناف بينه وبين التفسير فتأمل جيداً .

١٩ـ (انه لقول رسول كريم) .

اقسم بتلك الامور الثلاثة : ان هذا القرآن الذى يتلوه عليكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقول رسول الوحى عن الله عزوجل الذى هو كريم عند الله تعالى .

و ان سياق المقام نظير قوله تعالى : «فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه

لقول رسول كريم ـ تنزيل من رب العالمين » الحاقة : ٣٨ ـ ٤٣) .

فجبرئيل هو رسول لانه ينزل الوحى السماوى و يلقيه على النبى الكريم محمد رسول الله ﷺ بأمر الله تعالى، و كريم لما أعطاه الله عزوجل هذه الكرامة من ابلاغ الوحى وإنزاله إلى المرسلين عليهم السلام ، و أمانتهم فيما امروا به . كما أن المرسلين كرماء لابلاغهم الرسالة إلى الناس، ودعوتهم إلى الخير والسعادة، إلى الكمال والسيادة ، وإلى الفلاح والنجاة والفوز بالجنة ... كما أن الوحى نفسه كريم لاهتداء الناس به ونجاتهم به من الشقاء والضلالة ، ومن العذاب والهلاكة ، ومن الانحطاط والذلة ...

قال الله تعالى : «قل من كان عدواً لجبريل فانه نزّله على قلبك باذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » البقرة : ٩٧) .

وقال : « وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » الشعراء : ١٩٢ ـ ١٩٥) .

وقال: « وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم» النمل : ٦) .

وقال : «بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون» الانبياء : ٢٦ـ٢٧)

وقال : «فلا اقسم بمواقع النجوم و انه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم» الواقعة : ٧٥ـ٧٧)

٢٠ـ (ذى قوة عند ذى العرش مكين)

ان جبرئيل رسول الوحى هو شديد القوى ، قوى فى الحفظ و البعد عن النسيان والخطاء والزلل، وذو صلابة وحصانة فى نفسه ، وذو قوة على حمل الأمانة السماوية وإبلاغها إلى المرسلين ، غير عاجز فى كل ما كلّف عليه ، و ما امربه من العلم والعمل ، وهو ذو مكانة ومنزلة عند الله جل وعلا .

قال الله جل وعلا : «قالوا سبحانك لاعلم لنا إلاّ ماعلمتنا» البقرة : ٣٢)

وقال : « يسبحون الليل والنهار لايفترون» الانبياء : ٢٠)

وقال : «تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» المعارج : ٤)

وقال : «لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون» التحريم : ٦)

٢١- (مطاع ثم امين)

ان جبرئيل عليه السلام هو مطاع عندالله عزوجل ، تطيعه الملائكة في السموات، فله أعوان من الملائكة ، فيأمرهم بما يأتمرون بأمره ويطيعونه ، وهو أمين عندالله عزوجل على وحيه و رسالته وسفارته إذ قد عصمه الله تعالى من الخيانة فيما يأمره به وجنّبه الزلل فيما يقوم به من الأعمال .. .

قال الله تعالى : « و انه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين» الشعراء : ١٩٢-١٩٤)

٢٢- (وما صاحبكم بمجنون)

واقسم بالله جل جلاله ان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم الذي يدعوكم أيها المشركون المعاندون والعتاة المكذبون والطغاة المجرمون إلى الله جل وعلا وايمان به و إخلاص طاعته وصالح الاعمال ... ليس بمجنون كما اتهمتموه وقلتم فيه .

كيف وهو الذي عاش بينكم أربعين سنة ، و أنتم تعرفونه بالاستقامة في الرأي وصدق اللهجة ، وكمال العقل و وفور الحلم والامانة في العمل ؟

ومن كانت هذه صفته تعرفونه وتعترفون بها ؟ فكيف يرمى بالجنون؟ إنما أنتم تعلمون أنه صاحب وحي وإلهام ...

فارجعوا النظر إلى أفكاره وآثاره وأقواله وأعماله ... إن كنتم من أصحاب العقل والانصاف ، وأحراراً في الفكر والنظر ...

قال الله تعالى: « وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون» الدخان : ١٤)

وقال : «قل لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا أدرا كم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون» يونس : ١٦)

وقال : «ماضلّ صاحبكم وماغوى وماينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى» النجم : ٢ـ٤)

وقال : «لما سمعوا الذكر ويقولون انه المجنون» القلم: ٥٢)

وقال : «قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلاّ نذير لكم بين يدى عذاب شديد» سبأ : ٤٦)

وقال : « أفلم يدبّروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جائهم بالحق و أكثرهم للحق كارهون» المؤمنون : ٦٨ـ٧٠) و قال : «أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين» الاعراف : ١٨٤)

٢٣ـ (ولقد رآه بالافق المبين)

و اقسم بعزتى و جلالى ان محمداً رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم لرآى جبرئيل أمين الوحى حين ينزله عليه بالافق الظاهر الواضح الذى لاخفاء فيه ، وما كان فى نوم ولافى وراء ستار .

و ان المشركين و المكذبين كانوا يستبعدون نزول الملائكة على النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ويقولون : لما ذا لاتأتينا الملائكة لو تنزل عليه صلى الله عليه وآله وسلم فردّ الله تعالى عليهم بأن الملائكة لاتنزل إلابالحق والوحى .

قال الله تعالى : « وقالوا ياأيها الذى نزّل عليه الذكر انك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ماننزّل الملائكة إلاّ بالحق » الحجر ٦ ـ ٨) .

وقال : «ينزّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا انه لا إله إلاّ أنا فاتقون ـ قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ليثبّت الذين

آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين» النحل : ٢-١٠٢)

وقال : «وقال الذين لايرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً» الفرقان: ٢١)

٢٣- (وماهو على الغيب بضنين)

وليس محمد رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم على ما يوحى إليه من الغيب بمتهم بالبخل والكتمان والامساك ، غير متهم شيئاً مما رآه وسمعه و عرفه ، وإنما هو صلى الله عليه وآله وسلم ثقة أمين لايأتي به‌من تلقاء نفسه ، ولايبدل منه حرفاً بحرف ولامعنى بمعنى إذ لم يعرف عنه الكذب في ماضي حياته ...

فهو صلى الله عليه وآله وسلم غير متهم فيما يحكيه عن رؤية جبرئيل عليه السلام وسماع الشرائع منه ، نزول الوحي إليه ، فلا يكتم محمد رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم مانزل عليه من القرآن الكريم ، ولايسكت عن إبلاغه مخافة أن يقول قائل : هومجنون، و إنما هو مأمور بالابلاغ وهو يعلّم الناس كما علّمه الله جل وعلا و يبلغهم ما امر بتبليغه .

قال الله تعالى : « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولاقومك من قبل هذا» هود: ٤٩)

وقال : «قل الله شهيد بيني وبينكم و اوحي إليّ هذا القرآن لانذر كم به ومن بلغ» الانعام: ١٩)

و قال : «قل مايكون لي أن ابدّله من تلقاء نفسي إن أتبع إلاّ ما يوحى إليّ» يونس: ١٥)

وقال : « إنما العلم عندالله وابلّغكم ماارسلت به» الاحقاف: ٢٣)

وقال : «ياأيها الرسول بلّغ ماانزل إليك من ربك وإن لم تفعل فمابلّغت رسالته» المائدة : ٦٧)

٢٥- (وماهو بقول شيطان رجيم)

وليس هذا القرآن الكريم الذى يتلوه عليكم محمد رسول الله ﷺ بقول شيطان مطرود من رحمة الله تعالى ، ولامن إلقاء كل شيطان من أشرار الجن و الانس ، ولامن تلقيناته و تخليطه وصلته بما يبلغه كما زعم العتاة المشركون والطغاة المجرمون و رميهم بأن القرآن الكريم من وساوس الشيطان ومقولاته إلى الرسول ﷺ .

قال الله تعالى : «وما تنزلت به الشياطين وماينبغى لهم ومايستطيعون انهم عن السمع لمعزولون» الشعراء : ٢١٠-٢١٢)

و قال : « و ما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون تنزيل من رب العالمين و لو تقوّل علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين» الحاقة : ٤٢-٤٦)

٢٦- (فاين تذهبون)

فاذا ثبت لكم أيها العتاة المشركون، والطغاة المجرمون بالحجة الواضحة والبرهان القاطع على أن هذا القرآن هو الوحى الذى أنزله الله جل وعلا بأمين الوحى جبرئيل عليه السلام على رسوله الخاتم ﷺ فليس من تلقاء نفسه ، فهو حق لاريب فيه ، فاذا كان الامر على هذا الوضوح ، و كان الانسان تحت هيمنة الله عزوجل وبين يدى جبروته ...

فالى أين تذهبون عن الحق إلى الباطل، عن الايمان إلى الكفر، عن الطاعة إلى المعصية ، وعن التصديق إلى التكذيب ؟ وإلى أين تتركون الحق والهدى و الخير وراءكم ؟ وإلى أىّ مسلك تسلكون فى إنكاركم الوحى و إعراضكم عن نبيه ﷺ وقد قامت عليكم الحجة؟ وإلى أين تذهب بكم المذاهب، وقدسدّت عليكم السبل ، و أحاط بكم الحق من جميع جوانبكم ، و بطلت مفترياتكم و رمياتكم وأحكامكم، فلم يبق لكم سبيل تستطيعون الهرب منها ؟ وإلى أين تذهبون فى العداوة و الافتراء ، وفى العناد و البغضاء ؟ و أنى تؤفكون و ماذا بعد الحق

إلاّ الضلال ؟

قال الله تعالى : « انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر أنى يؤفكون » المائدة : ۷۵)

وقال : «ألم تر إلى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون» غافر : ۶۹)

وقال : «أنى لهم الذكرى وقدجاءهم رسول مبين» الدخان : ۱۳)

وقال : « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله و آياته يؤمنون» الجاثية : ۶)

وقال : «فبأى حديث بعده يؤمنون» الاعراف : ۱۸۵)

وقال : «فما ذا بعد الحق إلاّ الضلال فأنّى تصرفون» يونس: ۳۲)

فمن الغفلة أن لايطيع الانسان ربه ، ولا يؤمن برسالة رسله عليهم السلام حسب التسلسل و أن يبقى جاحداً لرسالة خاتمهم نبى الرحمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم و إمامة الاوصياء من بعده صلوات الله عليهم اجمعين .

فالى أين يفرّ هذا الانسان ؟ وإلى أين يتوجه هذا المخلوق الضعيف بين يدى ربه ، المغرور بما منّ عليه خالقه من علوم ومعارف وحكم ... ؟؟؟

فلا ملجأ إلاّ إليه على حدّ قوله تعالى : «ففرّوا إلى الله انى لكم منه نذير مبين» الذاريات: ۵۰)

فطوبى لمن أقلع عن طيشه و غروره ، و فكر فى عقباه ومصيره ، فشمّر عن ساعد الجد لاصلاح نفسه ، والمثول بين يدى ربه ، واستمد ليوم : « لاتملك نفس لنفس شيئاً والامر يومئذ لله» الانفطار : ۱۹) و «ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين» المطففين : ۶)

۲۷- (ان هو الا ذكر للعالمين)

ليس هذا القرآن الكريم إلاّ ذكراً للعالمين كائنين من كانوا يمكنهم به أن يتبصّروا للحق والهدى من الجن والانس، جعله الله عزوجل ذكراً فليتذكر

من أراد التذكر به .

قال الله تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزّل إليهم و لعلهم يتفكرون» النحل: ٤٤)

وقال : «وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون » الانبياء : ٥٠)

و قال : «أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم» الاعراف : ٦٩)

وقال : «وماعلّمناه الشعر وماينبغى له إن هو إلاّ ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حياً» يس: ٦٩-٧٠)

وقال : «ء انزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى» ص : ٨)

وقال : «ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدكر» القمر: ١٧)

كماكانت رسالة رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم شاملة للثقلين :

قال الله عزوجل : « تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» الفرقان : ١)

وقال: «وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين» الانبياء : ١٠٧)

و قال : « قل اوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد فآمنابه» الجن: ١-٢)

٢٨- (لمن شاء منكم ان يستقيم)

هذا الوحى السماوى ذكر لمن شاء منكم أيّها المشركون المكذبون أن يتلقى منه الموعظة والهدى ، و يستقيم على الحق والطريق الواضح ، و على أمر الله تعالى وطاعته و عبادته ، ويسلك مسلك الكمال و الرشاد و النجاة باتباع الحق .

فيتذكر بهذا القرآن من وجّه إرادته للاستقامة على جادة الحق والصواب ، وأما من إنحرف عن ذلك ، فلايؤثر فيه هذا الذكر ولايخرجه من غفلته .

قال الله جل وعلا : « إنما يتذكر اولوا الالباب» الرعد: ١٩)

وقال : « إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب» يس: ١١)

وقال : «ومايتذكر إلاّ من ينيب» غافر: ١٣)

وقال : « تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ـ ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد» ق : ٨ـ ٣٧)

٢٩- (وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين)

و ما تشاؤن الاستقامة على الحق إلاّ أن يشاء الله رب العالمين إستقامتكم عليه، ولايشاء الله جل وعلا الاستقامة إلاّ لمن سلك نهج الهداية تماماً وهو يقول: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين» العنكبوت: ٦٩)

فمن أعرض عن الباطل وأقبل على الحق ، من أعرض عن الشر وأقبل على الخير، من أعرض عن الانحطاط والضلالة، وأقبل على الكمال والهدى ومن أعرض عن الكفر والطغيان وأقبل على الايمان والطاعة، فالله جل وعلا يعامله بمااختاره لنفسه وهو يقول : « من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضلّ فانما يضلّ عليها» الاسراء : ١٥) ويقول : «قدجاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه و من عمى فعليها» الانعام : ١٠٤)

فليس فى الاية الكريمة ماينفى من الانسان قابليته وحرية الارادة والمشيئة التى أودعها الله عزوجل فيه ، على ما زعم بعض المفسرين .

و ذلك لان ما أكّدته التقريرات القرآنية العديدة الحاسمة حتى صارت المبادى المحكمة ان هذه القابلية ، وتلك حرية الارادة مما شاء الله جل وعلا أن تكون للانسان ليصح عليه التكليف .

فاختيار الانسان الهدى أو الضلال ، الايمان أو الكفر ، الخير أو الشر ، الصدق أو الكذب ، الطاعة أو المعصية ، الشكر أو الكفران ، الأمانة أو الخيانة، واختيار سبيل الكمال والفلاح ، أو طريق الانحطاط والخسران ... هومن ذلك،

فلا يكون هناك ، تناقض فان إعمال قدرة الانسان في الفعل أو الترك يكون باختياره من غير إستناد إختياره إلى اختيار آخر .

وإن كانت هذه القدرة وسائر المبادىء حين الفعل تفاض من الله عزوجل، فالفعل مستند إلى العبد من جهة ، وإلى الله تعالى من جهة اخرى .

وماورد في المقام فمن باب التأويل وهو اللب ، حيث ان أئمتنا أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين، فانهم أصدق مصاديق المستقيمين ولنا فيهم اسوة حسنة فتدبر جيداً واغتنم جداً .



﴿ جملة المعانى ﴾

٥٨٠١- (اذا الشمس كورت)

تجيىء الصاخة حين كوّرت الشمس .

٥٨٠٢- (واذا النجوم انكدرت)

وتأتى الساعة حين إنطفأ بريق النجوم بذهاب ضوئها وانتثرت .

٥٨٠٣- (واذا الجبال سيرت)

و تقع القيامة حين قلعت الجبال عن مقارها برجفة الارض حتى تصير كلا شيء بتفتت أجزائها . . .

٥٨٠٤- (واذا العشار عطلت)

ويوم القيامة يوم تترك النوق الحوامل مهملة لاشتغال أصحابها بأنفسهم .

٥٨٠٥- (واذا الوحوش حشرت)

ويوم جمعت الوحوش من كل ناحية لقصاص بعضها لبعض .

٥٨٠٦- (واذا البحارسجرت)

وتجيىء الساعة لامحالة حين يفجّر بعض البحار فى بعض .

٥٨٠٧- (واذا النفوس زوجت)

ويوم القيامة تقرن النفوس بأجسادها . .

٥٨٠٨- (واذا الموؤدة سئلت)

ويوم تسئل الجارية التى دفنت حية خوف العاروالحاجة .

٥٨٠٩- (بأى ذنب قتلت)

لما ذا وأدك الوائد ؟ بأىّ ذنب قتلك ؟

٥٨١٠- (و اذا الصحف نشرت)

وتقوم الساعة يوم تنشر فيه صحف أعمال الخلائق . . .

٥٨١١- (واذا السماء كشطت)

و يوم تقلع السموات كلها عن مقارها بالنزع الشديد .

٥٨١٢- (واذا الجحيم سعرت)

ويوم توقد نار جهنم ايقاداً شديداً ويعلو لهيبها للكفار والعاصين .

٥٨١٣- (و اذا الجنة ازلفت)

ويوم تزين الجنة بما فيها من النعيم لأهلها .

٥٨١٤- (علمت نفس ما احضرت)

علمت كل نفس يومئذ ما أحضرت من عمل فى الحياة الدنيا من ايمان وطاعة

٥٨١٥- (فلا اقسم بالخنس)

فاعلموا أيها الناس ان ما ذكرنا سابقاً واقع لامحالة ، فلااقسم لكم على توكيده بالنجوم .

٥٨١٦- (الجوار الكنس)

التى تجرى فى أفلاكها ، تبدو لكم ليلاً وتختفى عنكم نهاراً

٥٨١٧- (والليل اذا عسعس)

واقسم بالليل إذا أدبر بظلامه ، ولم يبق منه إلاّ القليل .

٥٨١٨- (والصبح اذا تنفس)

واقسم بالصبح إذا فجر وظهر ضوءه وإنبسط على الافق حتى يصير نهاراً

٥٨١٩- (انه لقول رسول كريم)

ان هذا القرآن الذى يتلوه عليكم محمد ﷺ لقول رسول الوحى

الذى هو كريم عندالله عزوجل .

٨٥٢٠- (ذى قوة عند ذى العرش مكين)

صاحب قوة وصلابة وحصانة فى نفسه ، صاحب مكانة عندالله عز وجل الذى هوذو العرش .

٥٨٢١- (مطاع ثم أمين)

ان جبرئيل عليه السلام هومطاع تطيعه الملائكة فى السموات ، و هو أمين عند الله جل وعلا .

٥٨٢٢- (وما صاحبكم بمجنون)

واقسم بالله جل وعز ان صاحبكم محمداً ليس بمجنون كمااتهمتموه وقلتم فيه

٥٨٢٣- (ولقد رآه بالافق المبين)

واقسم بعزتى و جلالى ان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لـرآى جبرئيل أمين الوحى عليه السلام حين ينزله عليه بالافق الواضح الذى لاخفاء فيه .

٥٨٢٤- (وماهوعلى الغيب بضنين)

وليس محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مايوحى إليه من الغيب بمتهم بالبخل والكتمان والامساك ، غيرمتهم شيئاً مما رآه وسمعه .

٥٨٢٥- (وما هوبقول شيطان رجيم)

وليس هذا القرآن بقول شيطان مطرود من رحمةالله تعالى .

٥٨٢٦- (فاين تذهبون)

فاذا ثبت الحق على هذا الوضوح ، فالى أين تذهبون أيها المشركون والمكذبون عن الحق إلى الباطل ؟

٥٨٢٧- (ان هو الا ذكر للعالمين)

ليس هذا القرآن الكريم إلاّ ذكراً للثقلين من الجن والانس .

٥٨٢٨- (لمن شاء منكم ان يستقيم)

لمن شاء منكم أيها المشركون المكذبون أن يتذكر بهذا الوحي السماوي ويستقيم على الحق والطريق الواضح .

٥٨٢٩- (وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين)

ولا تشاؤن الاستقامة على الحق إلاّ أن يشاء الله رب العالمين إستقامتكم عليه ، ولا يشاء الله تعالى الاستقامة إلاّ لمن زكّى نفسه وسلك نهج الهداية وصراط المستقيم تماماً .



﴿بحث روائي﴾

في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي ذر الغفاري قدّس الله تعالى روحه قال: كنت آخذاً بيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نتماشا جميعاً، فما زلنا ننظر إلى الشمس حتى غابت، فقلت: يارسول الله أين تغيب؟ قال: في السماء ثم ترفع من سماء إلى سماء حتى ترفع إلى السماء السابعة العليا حتى تكون تحت العرش، فتخرّ ساجدة، فتسجد معها الملائكة المو كلون بها.

ثم تقول: يارب! من أين تأمرني أن أطلع؟ أمن مغربي؟ أم من مطلعي؟ فذلك قوله عزوجل: «والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم».

يعني بذلك صنع الرب العزيز في ملكه بخلقه (العليم بخلقه خ) قال: فيأتيها جبرئيل بحلة ضوء من نور العرش على مقادير ساعات النهار في طوله في الصيف أو قصره في الشتاء أو مابين ذلك في الخريف والربيع.

قال: فتلبس تلك الحلة كما يلبس أحدكم ثيابه ثم تنطلق بها في جوّ السماء حتى تطلع من مطلعها، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فكأني بها قد حبست مقدار ثلاث ليال ثم لاتكسى ضوءاً وتؤمر أن تطلع من مغربها.

فذلك قوله عزوجل: «إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت» والقمر كذلك من مطلعه ومجراه في افق السماء ومغربه و إرتفاعه إلى السماء السابعة، ويسجد تحت العرش، وجبرئيل يأتيه بالحلة من نور الكرسي، فذلك قوله عزوجل: «هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً».

قال أبوذر رحمة الله تعالى عليه : ثم اعتزلت مع رسول الله ﷺ فصلينا المغرب .

اقول : رواه أيضاً في التوحيد ، والبحراني في البرهان ، والحويزي في نورالثقلين وغيرهم . ولايخفى ان الرواية من النوادر التي لايفهمها إلاّ النوادر ...

و في تفسير القمي : « إذا الشمس كورت » قال : تصير سوداء مظلمة « وإذا النجوم انكدرت» قال : يذهب ضوؤها «وإذا الجبال سيرت » قال: تسيّر كما قال : «تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب » قوله : «وإذا العشار عطلت » قال : الابل تتعطّل إذا مات الخلق ، فلا يكون من يحلبها ، قوله : « وإذا البحار سجّرت» قال: تتحوّل البحار التي حول الدنيا كلها نيراناً «وإذا النفوس زوّجت» قال : من الحور العين .

و في الدر المنثور : عن أبي مريم ان النبي ﷺ قال في قوله: « إذا الشمس كورت» : كوّرت في جهنم « وإذا النجوم انكدرت » قال : انكدرت في جهنم ، وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم إلاّ ما كان من عيسى بن مريم و امه ولو رضيا أن يعبدا لدخلاها .

و فيه عن النبي ﷺ في قوله تعالى : « إذا الشمس كوّرت» : الشمس و القمر مكوران يوم القيامة .

و فيه : في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : «وإذاالنفوس زوجت» قال : أما أهل الجنة فزوّجوا الخيرات الحسان، وأما أهل النارفمع كل إنسان منهم شيطان يعني قرنت نفوس الكافرين و المنافقين بالشياطين فهم قرناؤهم .

اقول : ومن المحتمل أن يكون قوله : «يعني ... الخ» من كلام الراوي.

وفي البحار : عن محمد بن علي بن الحنفية انه قرأ «وإذا النفوس زوجت» قال: والذي نفسي بيده لوأن رجلاً عبدالله بين الركن والمقام حتى تلتقي ترقوتاه

لحشره الله مع من يحب .

و فى الدر المنثور : عن النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «وإذا النفوس زوجت» قال: هما الرجلان يعملان العمل يدخلان الجنة والنار.

وفى المناقب لابن شهرآشوب رضوان الله تعالى عليه عن إبن عباس فى قوله تعالى : «وإذا النفوس زوجت» قال : مامن مؤمن يوم القيامة إذا قطع الصراط زوّجه الله على باب الجنة أربع نسوة من نساء الدنيا و سبعين ألف حورية من حوراء الجنة إلاّ على بن أبى طالب عليه السلام فانه زوج البتول فى الدنيا ، و هو زوجها فى الجنة ، ليست له زوجة فى الجنة غيرها من نساء الدنيا ، لكن له فى الجنان سبعون ألف حوراء لكل حوراء سبعون ألف خادم .

وفى الكافى : باسناده عن مسعدة بن صدقة عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام - فى حديث يذم زمن الجاهلية - :وقد أعمت عيون أهلها و أظلمت عليها أيامها ، قد قطعوا أرحامهم ، وسفكوا دمائهم ، و دفنوا فى التراب الموؤدة بينهم من أولادهم ، يختارون دونهم طيب العيش ورفاهية خفوض الدنيا لايرجون من الله ثواباً ولايخافون والله منه عقاباً ... الحديث

و فى المجمع : و روى عن أبى جعفر وأبى عبدالله عليهما السلام «وإذا الموؤدة سئلت» بفتح الميم والواو . وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام «وإذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت»

اقول : أى بفتح السين فى «سئلت» والقاف فى «قتلت»

وفيه : ومن قرأ «وإذا الموؤدة سئلت» بفتح السين جعلت الموؤدة موصوفة بالسؤال ، و بالقول «بأىّ ذنب قتلت» ويمكن أن يكون الله تعالى أكملها فى تلك الحال ، وأقدرها على النطق حتى قالت ذلك القول ويعضده ماروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه يجيىء المقتول ظلماً يوم القيامة وأوداجه تشخب دماً اللون لون الدم ، و الريح ريح المسك، متعلقاً بقاتله: يارب سل هذا فيم قتلنى، وأما من قرأ الموؤدة

بفتح الميم و الواو ، فالمراد بذلك الرحم والقرابة ، وانه يسئل قاطعها عن سبب قطعها ، وعن أبي جعفر عليه السلام قال: يعني قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن قتل في جهاد وفي رواية اخرى قال : هو من قتل في مودتنا و ولايتنا .

وفي الكافي : باسناده عن عبدالحميد بن أبي الديلم عن أبي عبدالله عليه السلام - في حديث - قال : فقال : « قل لااسئلكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى » ثم قال: «وإذا المؤدة سئلت بأيّ ذنب قتلت» يقول : أسئلكم عن المودة في القربى، ثم قال : التي انزلت عليكم فضلها مودة القربى بأيّ ذنب قتلتموهم .

و في تفسير القمي : باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «« إذا المؤدة سئلت بأيّ ذنب قتلت» قال : قتلت في مودتنا .

وفي المناقب : عن الامام باقر العلوم محمد بن علي عليه السلام في قوله : «« إذا المؤدة سئلت » يقول أسئلكم عن المودة التي انزل عليكم فضلها مودة ذي القربى وحقنا الواجب على الناس ، وحبنا الواجب على الخلق، قتلوا مودتنا بأيّ ذنب قتلتمونا .

وفي البرهان: بالاسناد عن زيد بن علي عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك قوله تعالى : ««وإذا المؤدة سئلت بأى ذنب قتلت » ؟ قال : هي والله مودتنا وهي والله فينا خاصة .

و فيه : بالاسناد عن جابر الجعفي قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل : ««وإذا المؤدة سئلت بأيّ ذنب قتلت » قال : من قتل في مودتنا قاتله عن قتله .

و فيه باسناد عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام انه قال : ««وإذا المؤدة سئلت بأى ذنب قتلت» قال : من قتل في مودتنا

و فيه : بالاسناد عن علي بن القاسم قال: سئلت أباجعفر عليه السلام عن قوله تعالى: ««وإذا المؤدة سئلت بأيّ ذنب قتلت» قال : شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله تسئل بأيّ

ذنب قتلت .

وفيه : بالاسناد عن إسمعيل بن جابر عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قتلت : قوله عزوجل : «وإذاالمؤودة سئلت بأىذنب قتلت» قال : الحسين عليه السلام .

وفيه : بالاسناد عن محمد بن أبى عمير عن بعض رجاله عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عزوجل : «وإذا المؤودة سئلت بأى ذنب قتلت» قال : نزلت فى الحسين بن على عليه السلام .

وفيه : عن سليم بن قيس انه قال : من قتل فى مودتنا أهل البيت .

وفى تفسيرالقمى : قوله : « و إذا المؤودة سئلت بأى ذنب قتلت » قال: قال : كان العرب يقتلون البنات للغيرة ، فاذاكان يوم القيامة سئلته المؤدة بأى ذنب قتلت و قطعت ، و الدليل على ذاك قوله : « قل لا أسئلكم عليه أجرا إلاّ المودة فى القربى » .

اقول : وقد تقدم منا فى التفسير و التأويل : ان الروايات الواردة فى « الموؤدة » المنصرفة عن ظاهر السياق ، فمن باب الجرى والانطباق من غير تناف بينها فتأمل جيداً .

وفيه : في قوله تعالى : « و إذا الصحف نشرت » قال : صحف الاعمال . وقوله: «إذاالسماء كشطت » قال : ابطلت .

و فى البرهان : عن إبن عباس فى قوله : «و إذاالجحيم سعرت» قال : يريد اوقدت للكافرين والجحيم النار الاعلى من جهنم، والجحيم فى كلام العرب ماعظم من النار لقوله عزوجل : « ابنوا له بنياناً والقوه فى الجحيم » يريد النار العظيمة « وإذا الجنة ازلفت » يريد قربت لاولياء الله من المتقين .

و فى الاحتجاج : فى رواية سليم بن قيس الهلالى عن سلمان الفارسى ـ فى حديث طويل ـ قال : الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام لعمر بن الخطاب : ويلك يابن الخطاب ! لو تدرى مماخرجت وفيمادخلت و

ماذا جنيت على نفسك وعلى صاحبك ؟ .

فقال أبو بكر : ياعمر اما إذا بايع وأمنّا شره وفتكه وغائلته فدعه،يقول: ما يشاء فقال علي عليه السلام : لست بقائل غيرشيء واحد . اذكركم بالله أيها الاربعة يعنيني والزبير وأباذر والمقداد: أسمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:ان تابوتاً من نار فيه إثناعشر رجلاً : ستة من الاولين ، وستة من الاخرين في جبّ في قعر جهنم في تابوت مقفل ، على ذلك الجب صخرة إذا أراد الله أن يسعر جهنم كشف تلك الصخرة عن ذلك الجب، فاستعاذت جهنم من وهج ذلك الجب فسئلناه عنهم وأنتم شهود .

فقال صلى الله عليه وآله : أما الاولين فابن آدم الذى قتل أخاه ، و فرعون الفراعنة . والذى حاج إبراهيم في ربه ، و رجلان من بني اسرائيل بدّلا كتابهم وغيّرا سنتهم، أما أحدهما فهوّد، والآخر نصّر النصارى، وإبليس سادسهم، والدجال في الآخرين وهؤلاء الخمسة أصحاب الصحيفة الذين تعاهدوا وتعاقدوا على عداوتك ياأخي، و تظاهروا عليك بعدى، هذا وهذا وهذا حتى عدّهم وسماهم؟ فقال سلمان: فقلنا: صدقت نشهد اناسمعنا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « فلااقسم بالخنس » قال ، أي واقسم بالخنس و هو إسم النجوم ، « الجوار الكنس » قال : النجوم تكنس بالنهار فلا تبين .

وفي الكافي : باسناده عن ام هاني قال : سئلت أباجعفر محمد بن علي عليهما السلام عن قول الله عزوجل : « فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس » قالت : فقال : إمام يخنس سنة ستين ومأتين . ثم يظهر كالشهاب يتوقد في الليلة الظلماء . وأن أدركت زمانه قرّت عينك .

وفي اكمال الدين : باسناده عن إبراهيم بن عطية عن ام هاني الثقفية قال: غدوت على سيدى محمد بن علي الباقر عليهما السلام فقلت : يا سيدى آية من كتاب الله عزوجل : «فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس » قال: نعم المسئلة سئلتني

ياام‌هاني هذا مولود في آخر الزمان هو المهدي من هذه العترة ، يكون له حيرة و غيبة يضل فيها قوم و يهتدي فيها قوم ، فياطوبى لك إن أدركته و ياطوبى لمن أدركه .

و في البرهان : بالاسناد عن الاصبغ بن نباته عن علي عليه‌السلام قال : سئله إبن الكواء عن قوله عزوجل : « فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس » قال : إن الله لايقسم بشيء من خلقه ، فأما قوله : «الخنس» فانه ذكر قوماً خنسوا علم الاوصياء ودعوا الناس إلى غير مودتهم ، ومعنى خنسوا ستروا ، فقال له : «والجوار الكنس» قال : يعني الملائكة جرت بالعلم إلى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله فكنسه عن الاوصياء من أهل بيته لايعلم به أحد غيرهم . ومعنى كنسه رفعه و توارى به ، فقال : « والليل إذا عسعس » وهذا ضربه الله مثلاً لمن ادعى الولاية لنفسه وعدل عن ولاة الامر ، فقال : «والصبح إذا تنفس» قال : يعني بذلك الاوصياء يقول : إن علمهم أنور وأبين من الصبح إذا تنفس .

اقول : ان الروايات الثلاث من باب التأويل وهو اللب . ولايخفى على القارىء الخبير ان بناء على تأويل الخنس على الجمعية إما للتعظيم ، و إما للمبالغة في التاخر أو لشموله لسائر الائمة أهل البيت عليهم‌السلام باعتبار الرجعة أولان ظهور الامام المهدي أرواحنا له الفداء بمنزلة ظهور الجميع .

وقوله عليه‌السلام : « فان أدركت» أي على الفرض البعيد أو في الرجعة «ذلك» أي ظهوره وتمكنه .

فما يظهر من السياق ان المراد بالخنس هي الكواكب ، فيكون ذكرها لتشبيه الامام المعصوم عليه‌السلام بها في الغيبة والظهور كما في أكثر المتون .

و في الدر المنثور : عن علي عليه‌السلام في قوله : «فلااقسم بالخنس» قال : هي الكواكب تكنس بالليل و تخنس بالنهار فلاترى .

وفي المجمع : « بالخنس » وهي النجوم تخنس بالنهار وتبدو بالليل « و

الجوار صفة لها لانها تجرى فى أفلاكها «الكنس» من صفتها أيضاً لانها تكنس أى تتوارى فى بروجها كما تتوارى الظباء فى كناسها وهى خمسة أنجم: زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد عن على عليه السلام «والليل إذا عسعس» أى إذا أدبر بظلامه عن على عليه السلام.

و فى تفسير القمى: «والليل إذا عسعس» قال: إذا أظلم «والصبح إذا تنفس» قال: إذا ارتفع.

و فى الدر المنثور: أخرج الحاكم أبو أحمد فى الكنى عن العدبس قال: كنا عند عمر بن الخطاب فأتاه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين: ما الجوارى الكنس، فطعن عمر مخصرة معه فى عمامة الرجل فألقاها عن راسه، فقال عمر: أحرورى! و الذى نفس عمر بن الخطاب بيده لو وجدتك محلوقاً لأنحيت القمل عن رأسك»

اقول: أفهكذا يجاب من يسئل عن القرآن الكريم؟ فاذا جهل الخليفة معنى آية من القرآن فلما ذا يهتك من يستعلمه؟ ولما ذا يفترى عليه؟

لعل الحق مع الخليفة يؤدب من يستعلمه، وليس المسؤول من أهل الذكر والله عزوجل يقول: «فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون» النحل: ٤٣) نعم! إذا كان المسئول غير يليق للسؤال فلاجواب له إلا الضرب أو الشتم أو الغضب...

و لكنه هل من الخطأ أن يظن بخليفة المسلمين بعض الخير: انه يعلم بعض الشىء من القرآن فيستعلم؟ أنا لادرى!

وليس هذا بعجيب ممن كان يقول: نلت الخلافة فلتة. و يقول: الملك عقيم... و ما هو أعجب من ذلك كله: ان الذين يدّعون العلم و التحقيق هم يعترفون بعدلهذا الجاهل الباغى خلافة إسلامية، و هنا مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام خزّان العلم و من عنده علم الكتاب...

و لعمرى لولم يكن هنا على عليه السلام لما كان عمر بن الخطاب يليقاً لهذه الخلافة السماوية لجهله وظلمه لقوله تعالى : «وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ـ ياداود انا جعلنا خليفةفي الارض فاحكم بين الناس بالحق» ص: ٢٠ـ٢٦)وقوله عزوجل : «وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين » البقرة : ١٢٤) و البحث فى محله فاقض ماأنت قاض .

وفى جامع البيان : عن أبى ظبيان قال : كنت اتبع علىبن أبيطالبرضى الله عنه ، وهو خارج نحو المشرق ، فاستقبل الفجر فقرأ هذه الاية : « و الليل إذا عسعس» .

وفيه : عن أبى عبدالرحمن قال : خرج على عليه السلام مما يلى باب السوق ، وقد طلع الفجر أو الصبح فقرأ: «والليل اذا عسعس والصبح إذا تنفس»أين السائل عن الوتر نعم ساعة الوتر هذه .

و فى عيون الاخبار : ـ فيما جاء عن الامام علىبن موسى الرضا عليه السلام من خبر الشامى وما سئل عنهالامام أميرالمؤمنين على عليه السلام فى جامعالكوفة ـ وسئله عن شىء تنفس ليس له لحم ولادم؟ فقال : ذاك الصبح إذا تنفس .

و فى تفسير القمى : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام فى قوله : «ذى قوة عند ذى العرش مكين» قال : يعنى جبرئيل ، قلت : « مطاع ثم أمين» قال : يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله هو المطاع عند ربه الأمين يوم القيامة،قلت: قوله : «ما صاحبكم بمجنون» قال : يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله ماهو بمجنونفى نصبه أميرالمؤمنين عليه السلام علماً للناس ، قلت : قوله : «وما هو على الغيببضنين» قال : وما هو تبارك و تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله بغيبه بضنين عليه ، قلت : « ما هو بقول شيطان رجيم » قال : يعنى الكهنة الذين كانوا فى قريش ، فنسب كلامهم إلى كلام الشيطان الذين كانوا معهم يتكلمون على ألسنتهم ، فقالوا : وما هو بقول الشيطان رجيم مثل اولئك ، قلت : قوله تعالى : «فأين تذهبون إن هوإلاّ ذكر

للعالمين ».

قال : أين تذهبون في على عليه السلام يعني ولايته أي تفرّون منها « إن هو إلا ذكر للعالمين » لمن أخذ الله ميثاقه على ولايته، قلت: « لمن شاء منكم أن يستقيم » قال : في طاعة على عليه السلام والائمة من بعده قلت : قوله : « وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين » قال : لان المشية إلى الله لا إلى الناس.

اقول : والرواية لاتخلو من التأويلات فتدبر جيداً.

و في المجمع : وفي الحديث : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لجبرئيل عليه السلام: ماأحسن ماأثنى عليك ربك « ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين » فما كانت قوتك ؟ وما كانت أمانتك ؟ فقال : أما قوتي فاني بعثت إلى مداين لوط وهي أربع مداين في كل مدينة أربعماة ألف مقاتل سوى الذراري، فحملتهم من الارض السفلى حتى سمع أهل السموات أصوات الدجاج ، و نباح الكلاب ، ثم هويت بهنّ فقلبتهن وأما أمانتي فاني لم اومر بشيء فعدوته إلى غيره.

و فيه : في قوله تعالى : « وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين » روى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لجبرئيل لما نزلت هذه الاية : هل أصابك من هذه الرحمة شيء ؟ قال : نعم اني كنت اخشى عاقبة الامر، فآمنت بك لما أثنى الله عليّ بقوله : « ذي قوة عند ذي العرش مكين ».

و في البرهان : عن إبن عباس في قوله عزوجل : « انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين » قال : يعني رسول كريم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع عند رضوان خازن الجنان و عند مالك خازن النار ثم أمين فيما استودعه إلى خلقه وأخوه على أمير المؤمنين عليه السلام أمين أيضاً فيما استودعه محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى امته.

و في تفسير القمي : باسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام - في حديث الاسراء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن قال صلى الله عليه وآله وسلم - حتى دخلت سماء الدنيا ، فما لقيني ملك الاّ ضاحكاً مستبشراً حتى لقيني ملك من الملائكة لم أر خلقاً أعظم

منه كريه المنظر ظاهر الغضب (العتب خ) فقال: ماقالوا من الدعاء إلا أنه لم يضحك ولم أرفيه من الاستبشار، وما رأيت فيمن ضحك من الملائكة،فقلت: من هذا ياجبرئيل، فاني قد فزعت منه ؟ فقال : يجوز أن تفزع منه ولكنا نفزع منه ان هذا مالك خازن النار لم يضحك ، ولم يزل منذولاه الله جهنم يزداد كل يوم غضباً وغيظاً على أعداء الله وأهل معصيته ، فينتقم الله به منهم ولوضحك إلى أحد كان قبلك أو كان ضاحكاً لاحد بعدك لضحك إليك و لكنه لايضحك ، فسلمت عليه فرد علي السلام وبشرني بالجنة ، فقلت لجبرئيل ، وجبرئيل بالمكان الذى وصفه الله «مطاع ثم أمين» : ألاتأمره أن يريني النار؟ فقال له : يامالك أرمحمداً النار، فكشف عنها غطائها وفتح باباً منها ... الحديث .

أقول : ولايرى المتارى الخبير المتأمل تنافياً بين الروايات كمازعم بعض المفسرين فان أمثال هذه الروايات تحمل على التنزيل و التفسير تارة ، وعلى التأويل والانطباق تارة اخرى .. إذللقرآن الكريم وجه لكل وجه وجوه . .

فجبرئيل عليه السلام يحمل وحي القرآن كمايحمله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتنزيل الايات بشأن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتأويلها بشأن جبرئيل عليه السلام كما يمكن العكس، و كل من يحمل وحي القرآن من فروع الرسالة المحمدية من أئمتنا أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين فكل منهم رسول كريم ذوقوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين ... فلايطرح أمثال هذه الروايات إلا ضعيف الادراك وناقص الفهم أو قليل التأمل ومريض القلب .

وفي الخصال باسناده عن محمدبن أبي حمزة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من قال في كل يوم من شعبان، سبعين مرة : استغفرالله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الحي القيوم و أتوب إليه كتب في الافق المبين ، قلت : وما الافق المبين؟ قال : قاع بين يدى العرش فيه أنهار تطرد فيه من القدحان عدد النجوم .

وفي البرهان : بالاسناد عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال: إن الله تبارك و تعالى جعل قلوب الائمة مورداً لارادته ، وإذا شاء (شاء الله خ) شيئاً شاؤه و هو

قوله : «وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله» .

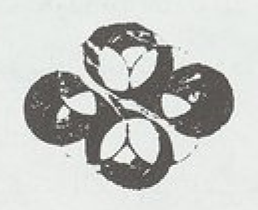
وفي الاحتجاج : - في حديث يذكر فيه جواب الامام أمير المؤمنين عليه السلام عما اعترض به الزنادقة على التنزيل - أجاب عليه السلام عما توهمه من التناقض بين قوله: «الله يتوفى الانفس حين موتها» و قوله : «يتوفاكم ملك الموت وتوفته رسلنا وتتوفاهم الملائكة» بقوله : فمن كان من أهل الطاعة تولت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن كان من اهل المعصية تولت قبض روحه ملائكة النقمة ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة، يصدرون عن أمره فعلهم فعله، وكل ما يأتونه منسوب إليه ، وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت وفعل ملك الموت فعل الله لانه يتوفى الانفس على يد من يشاء ، ويعطي ويمنع ويثيب ويعاقب على يد من يشاء، وإن فعل امنائه فعله كما قال : «وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله» .

أقول : قال بعض المعاصرين: وهذا إستيحاء لطيف إذ يربط مشيئة امناء الله بمشية الله، وهذه هي العصمة في المشيئة تعصمهم وحتى عن أية مشيئة قبل أن يشاء الله، المشيئة التشريعية والتكوينية سواء وإن كانوا يشاؤن دائماً الاستقامة والهداية، ولذلك نجد الله يعصمهم ويهديهم لأفضل درجات الهداية .

﴿ بحث فقهي ﴾

وقداستدل بعض المحققين من الفقهاء المتأخرين بقوله تعالى: «إذا الموؤدة سئلت بأيّ ذنب قتلت» التكوير: ٨ـ ٩) على حرمة إسقاط الجنين لاطلاق الموؤدة عليه.

وقداستدل بقوله جل وعلا: «وماهو على الغيب بضنين» التكوير: ٢٤ ، على حرمة كتمان العلم على العلماء وقادة الدين، فعليهم بيان ماهو الواقع من المعارف و الحكم و الاحكام الاسلامية في الكتاب و السنة و دعوة الناس إليها بالقول الدين في كل وقت فضلاً عما إذاظهرت البدع في الدين الاسلامي بأية صورة كانت ...



﴿ بحث مذهبى ﴾

يستدل بقوله جل وعلا : « و إذا النفوس زوجت » التكوير : ٧) على المعاد الجسمانى رداً على منكريه الجهلة السفلة وأصحاب الغفلة .

ومعنى الاية الكريمة عند جمهور المحققين : تعود كل نفس آدمية يوم القيامة إلى الجسم الذى فارقته عند الموت .

ولايخفى ان الايمان بحشر الانسان جسماً وروحاً من ضرورات الدين الاسلامى لاتقليد فيه تماماً بل يجب على كل مكلف أن يجتهد فيه كالتوحيد والنبوة والعدل والامامة عند مذهب الحق، وحكم منكره أومشككه كحكم منكرها ومشككها.

و يستدل بقوله تعالى :« إذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت» التكوير ٨-٩) . على أن أطفال المشركين لايعذبون يوم القيامة، وعلى أن التعذيب لايستحق إلا بذنب . فاذا وبخ الله عزوجل الوائد بسبب الموؤدة فلأن لايعذبها أولى .

قيل : يمكن أن يكون تعذيب الوائد للوأد من جهة انه تصرف فى ملك الله تعالى بغير حق وهذا لاينافى تعذيب الموؤدة من جهة اخرى، وهى ان حكمها فى الاسلام والكفر حكم أبيها .

اقول : وقد سبق منا الكلام فى تفسير سورة «الطور» ما يناسب المقام فراجع واغتنم جداً .

وقد زعم بعض المتفسرين من العامة ان قوله سبحانه :« و إذا الجحيم سعرت وإذا الجنة ازلفت » التكوير : ١٢- ١٣) يدل على أن الجنة والنار لم تخلقا بعد ،

لان الله سبحانه علّق تسعير جهنم وإزلاف الجنة بيوم القيامة وعدّهما من اشراط الساعة .

اقول : ولايخفى على القارىء المتدبر المنصف: ان تسعير الجحيم وإزلاف الجنة لاينافيان وجودهما الآن ، مع مايدل على وجودهما الآن كثير من الآيات القرآنية ، و نحن لسنا بصدد ذكرها في المقام ، وقد وردت روايات عديدة عن طريق أئمة أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين في ذلك :

منها : مارواه الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن عبدالسلام بن صالح الهروي عن علي بن موسى الرضا عليه السلام ـ في حديث ـ قال : فقلت له : يابن رسول الله فأخبرني عن الجنة والنار أهما اليوم مخلوقتان ؟ فقال: نعم، وأن رسول الله قد دخل الجنة و رآى النار لماعرج به إلى السماء قال : فقلت له : فان قوماً يقولون : انهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتين ، فقال عليه السلام ما اولئك منا ، ولا نحن منهم ، من أنكر خلق الجنة و النار فقد كذب النبي صلى الله عليه وآله و كذبنا ، وليس من ولايتنا على شيء وخلد في نار جهنم قال الله عزوجل .

«هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن» وقال النبي صلى الله عليه وآله لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل فادخلني الجنة ، فناولني من رطبها فأكلته ، فتحول ذلك نطفة في صلبي ، فلما هبطت إلى الارض واقعت خديجة ، فحملت بفاطمة ، ففاطمة حوراء انسية ، فكلما إشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة إبنتي فاطمة .

و في ينابيع المودة للقندوزي الحنفي عن عائشة قالت : قلت : يارسول الله مالك إذا أقبلت فاطمة جعلت لسانك في فيها كأنك تريد أن تلعقها عسلاً ؟ قال: لما أسرى بي إلى السماء أدخلني جبرائيل الجنـة ، فناولني تفاحة ، فأكلتها ، فصارت نطفة في ظهري ، فلمانزلت من السماء واقعت خديجة ، ففاطمة من تلك النطفة ، فكلما اشتقت إلى تلك التفاحة قبلتها .

أخرجه أبوسعيد في «شرف النبوة» .

أقول : وتفصيل البحث في باب خلق الجنة والنار فراجع .

وقد زعم بعضهم : ان قوله سبحانه : «انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين » التكوير: ١٩ ـ ٢١) يدل على أفضلية الملائكة على النبي الكريم ﷺ و ذلك لان الله وصف جبرائيل بصفات الكرامة ثم وصف النبي ﷺ بقوله : «وماصاحبكم بمجنون» .

و في الكشاف : قال الزمخشري ـ مستدلاً بالايات على تفضيل الملك على الانبياء ـ لانه وصف جبرائيل بصفات الكرامة ثم وصف النبي ﷺ بقولـه : «وما صاحبكم بمجنون» و شتان بين الوصفين .

أقول: و قد تقبّل الرازي رأس المجبرين هذا القول في تفسيره بقبول حسن إذ أو رده فيه من غير أن يتعرض للجواب عنه مع كمال حرصه على تزييف أدلته . . .

ولا يخفى على القارىء الخبير: ان توصيف جبرئيل عليه السلام بماوصف من صفات المدح دون النبي الكريم ﷺ لا دلالة فيه على أفضليته على رسول الله ﷺ لان الكلام مسوق لبيان ان القرآن كلام الله تعالى منزل على رسول الله الاعظم ﷺ من عنده جل وعلا من طريق الوحي لا من أوهام الجنون بالقاء شيطان من الشياطين . . .

بل وقع مدحه إستطراداً لبيان مدح النبي ﷺ و المبالغة في صدقه، فان الكفرة زعموا ان القرآن إفك إفتراه مجنون به ، و أعانه عليه قوم آخرون . فلم يكن بدٌ من نفي الجنون عنه ، ووصف جبرائيل بالأمانة والمكانة وغيرهما، فان شرف الرسول يدل على شرف المرسل إليه و صدقه .

فما يفيد في هذا الغرض هو بيان سلامة طريق الانزال و تجليل المنزل ـ إسم الفاعل ـ بذكر أوصافه الكريمة ، والمبالغة في تنزيهه عن الخطأ و اللزلل و

الخيانة ، و أما دلالته على افضليته على النبى الاعظم صلى الله عليه وآله فلا، وفي مطاوى كلامه عزوجل من نعوت النبى صلى الله عليه وآله الكريمة وصفاته العليا وأخلاقه الفاضلة مالا يرتاب معه في أفضليته صلى الله عليه وآله على جميع الخلائق الذين لولاه صلى الله عليه وآله لما خلقهم الله تعالى، كيف لاوقد أمر الله عزوجل الملائكة أجمعين على أن يسجدوا للانسان الذى هو خليفته في الارض لما كان في المسجود مزيد فضل على الساجد ، و في المقام كلام في باب النبوة و فضل نبينا محمد صلى الله عليه وآله على سائر الانبياء عليهم السلام و على الملائكة المقربين فراجع .

و قد استدل القدرية على مذهبهم السخيف بقوله تعالى: «لمن شاء منكم أن يستقيم » التكوير : ٨) .

واعلم أن القدرية على طائفتين : طائفة منهم هم الذين يسندون أفعال العباد كلها : خيرها وشرها ، صلاحها وفسادها . . . حتى الايمان والكفر ، والطاعة و العصيان إلى الله سبحانه، وانه هو الفاعل لها حقيقة، وان كان المباشر في الظاهر هم العباد أنفسهم ، ولذلك صحت تسميتهم بالقدرية إنطباقاً عليهم بالحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لعن الله القدرية على لسان سبعين نبياً ، قيل: من القدرية يارسول الله ؟ قال : الذين يعصون الله تعالى ويقولون: كان ذلك بقضاء الله و قدره » .

والايمان بهذا المعنى الباطل هي عقيدة عربية جاهلية إمتدت حتى مابعد إزدهار الاسلام ورغم مكافحة النبى صلى الله عليه وآله والائمة الهداة عليهم السلام من بعده لهذه العقيدة الجاهلية الاولى ، قال الامام المجتبى سبط المصطفى الحسن بن على صلوات الله عليهم: « بعث الله محمداً إلى العرب وهم قدرية يحملون ذنوبهم على الله تعالى».

و دليلاً على ذلك قولة المشركين : «لوشاء الله ماأشركنا ولا آباءنا ولا حرّمنا من شي » الانعام : ١٤٨) ومن ثم كذبهم الله عزوجل هذه العقيدة السخيفة الفاسدة المخالفة لصريح الوجدان ، قال ـ تعقيباً على قولتهم تلك ـ : « كذلك كذّب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسناقل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن

تتبعون إلاّ الظن وإن أنتم إلاّ تخرصون » الانعام : ١٤٨) .

و طائفة آخرون : هم خلاف الطائفة الاولى : وهم الذين يسندون الافعال كلها إلى العباد بصورة مطلقة، وينفون كل تأثير لارادة الله وحوله وقوته في أفعال العباد ، و هم يقولون : ان العباد هم المحدثون لافعالهم باختيارهم و إرادتهم و قدرتهم الخاصة .

في تفسير الجامع لاحكام القرآن للقرطبي : «وقال أبو هريرة وسليمان بن موسى : لما نزلت «لمن شاء منكم أن يستقيم» قال أبو جهل : الأمر إلينا إن شئنا إستقمنا و إن شئنا لم نستقم » وهذا هو القدر وهو رأس القدرية فنزلت : « وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله رب العالمين » .

اقول :فالآية التالية تدفع عقيدة القدرية السخيفة، فلاحاجة إلى دفع آخر.

و تستدل الجبرية بقوله سبحانه: «وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله رب العالمين» التكوير : ٢٩) على مذهبهم السخيف ، بأن الكفر والايمان مخلوقان في الكافر و المؤمن ،فهما فيهما بمعزل عن إختيارهما.

اقول : و قد سبق منا الردّ على هذا المذهب السخيف في خلال البحث المذهبي في تفسير سورة فراجع

﴿ الموؤدة والجاهلية قبل الاسلام ﴾

قال الله عزوجل : « وإذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت» التكوير: ٨ و ٩)

واعلم أن عادة دفن البنات أحياء وكراهة ولادتهن من صور حياة العرب قبل البعثة وعاداتهم الجاهلية ، وان اسلوب الاية الكريمة هنا اسلوب تنديد بهذه العادة القاسية البشعة التى كانوا يمارسونها، وإنذار بشدة مثوبتها عندالله عزوجل لما فيها من قسوة بالغة وجرأة على إزهاق روح بريئة .

وفى تفسير الطبرى : عن قتادة فى قوله تعالى : «وإذا الموؤدة سئلت » هى فى بعض القراءات «سئلت» ـ مبنياً للفاعل ـ «بأى ذنب قتلت » لابذنب كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم إبنته ، ويغذو كلبه ، فعاتب الله ذلك عليهم .

وفيه : عن قتادة قال : جاء قيس بن عاصم التميمى إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إنى وأدت ثمانى بنات فى الجاهلية ، قال : فأعتق عن كل واحدة بدنة .

وفيه : قال إبن زيد فى قوله : « وإذا الموؤدة سئلت » قال : البنات التى كانت طوائف العرب يقتلونهن .

وقد ذكر هذا فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم ، ومن ذلك قوله تعالى : «وإذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون » النحل : ٥٨-٥٩)

وقد كان من هو ان تاريخ الانسان عادة وأد البنات المظلومات خوف الفقر

والعار، و ان القرآن الكريم يندد بها في مواضع عدة ، وأنهن إذا كنّ عاداً ، فلما ذا تنسبون إلى الله عزوجل البنات : «أم له البنات ولكم البنون » الطور : ٣٩) « أم اتخذ مما يخلق بنات و أصفاكم بالبنين و إذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم أومن ينشؤا في الحلية وهوفي الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً» الزخرف: ١٦- ١٩)

يختصّ القرآن الكريم هذه العملية الوحشية القاسية هنا بذكرها في طيّات علامات الطامة الكبرى و آثارها، ايحاءاً إلى أنها من أقسى وأوحش مامضى على تاريخ الانسان، انها طامة من الطامات الكبرى، يحاسب بها فاعلها أول مايقوم يوم الحساب ، يذكره في سياق هذا الهول الهائج المائج كأنه حدث كوني من تلك الاحداث العظام . . .

وان العرب الجاهلي الوائدين للبنات كانوا على فرق شتى، تعمها الصورة القاسية الوحشية لهذه العملية العارمة : فمنهم من كانوا يجلسون المرأة حين وضعها فوق حفرة هيأوها من قبل،فان كان المولود بنتاً رمى بها فيها وردمت، ومنهم من كان يتركها إلى السادسة من عمرها ثم يقول لأمّها زيّنيها وطيّبيها لكي أذهب بها إلى أحمامها ، فيأخذها إلى حميم البئر، يدفعها فيها بكل قساوة و ضراوة ، و يهيل التراب عليها « أم يدسه في التراب » و البعض القليل كانوا يمسكونها مهينة «أيمسكه على هون» إلى أن تقدر على الرعى ، فيلبسها جبة من صوف أوشعر، ويرسلها في البادية ترعى له إبله ، وفيما إذا تزوجت ومات زوجها جاء وليه، فألقى ثوبه عليها منعاً لها عن زواج آخر، ثم يرثها أو تفتدي نفسها منه

وفي لباب التاويل : ان مضر و خزاعة و تميماً كانوا يدفنون البنات أحياء ، والسبب في ذلك إما خوف الفقر و كثرة العيال ولزوم النفقة أوالحمية ، فيخافون عليهن من الاسر ونحوه أو طمع غير الاكفاء فيهن ، فكان الرجل من العرب في الجاهلية إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحييها تركها حتى إذا كبرت

ألبسها جبّة من صوف أوشعر و جعلها ترعى الابل والغنم فى البادية .

وإذا أراد أن يقتلها تركها حتى إذا صارت سداسيةً قال لامها : زينيها حتى أذهب بها إلى احمائها ، ويكون قد حفرلها حفرة فى الصحراء فاذا بلغ بها تلك الحفرة قال لها : انظرى إلى هذه البئر ، فاذا نظرت إليها دفعها من خلفها فى تلك البئر ، ثم يهيل التراب على رأسها ، و كان صعصعة عم (جدّ) الفرزدق إذا أحسّ بشيء من ذلك وجه بابل إلى والد البنت ، حتى يحييها بذلك ، فقال الفرزدق إذا يفتخر بذلك :

وجدّى الذى منع الوائدات فأحيا الوئيد فلم يوأد

قيل :وقدكان جدّه يشتريهن من آبائهن ، فجاء الاسلام و قد أحيى سبعين موؤدة .

وقيل : ومن الجاهلية العربية من كان يفعل ماهوأنكى و أقسى من ذلك .

فيالله ! ما أعظم هذه القسوة بقتل البريئات بغير جرم سوى خوف الفقرأ والعار .

و كيف إستبدلت الرحمة بالفظاظة والرأفة بالغلظة بعد أن خالط الاسلام قلوبهم، ومحى وصمة هذا الخزى عنهم .

وفى المجمع : وكانت المرأة إذا حان وقت ولادتها حفرت حفرة وقعدت على رأسها ، فان ولدت بنتاً رمت بها فى الحفرة ، وإن ولدت غلاماً حبسته عن إبن عباس : قال شاعرهم :

سمّيتها إذ ولدت تموت والقبر صهر ضامن زميّت

وفى مقتنيات الدرر : كان الرجل فى الجاهلية إذا ظهر آثار الطلق بامرأته إختفى من القوم إلى أن يعلم ما يولدله ، فان كان ذكراً إنبسط روح قلبه،ووصل إلى الاطراف لاسيّما الوجه ، فاشرق الوجه وتلألأ واستنار ، و ظهر الفرح فى بشرته من تلك البشارة ، وإن كان انثى إحتبس الروح فى باطن القلب فاغبرّ و اسود وجهه وبشرته و كمد .

وفيه : انهم كانوا مختلفين فى قتل البنات ، فمنهم من يحفر الحفيرة ، و يدفنها حياً فيها إلى أن تموت ، ومنهم من يرميها من شاهق جبل، ومنهم من يغرقها، ومنهم من يذبحها فبئس الحكم حكمهم .

وفى سراج المنير : ان رجلاً قال : يا رسول الله ﷺ والذى بعثك بالحق ما أجد حلاوة الاسلام منذ أسلمت ، فقد كانت لى فى الجاهلية إبنة، فأمرت إمرأتى أن تزينها فاخرجتها ،فلما إنتهيت إلى واد فيه بئر بعيدة القعر ألقيتها فيها، فقالت : يا أبت قتلتنى ؟ فكلما ذكرت قولها لم ينفعني شيء فقال رسول الله ﷺ : ماكان فى الجاهلية فقد هدمه الاسلام ، ومافى الاسلام يهدمه الاستغفار .

وفى الجامع لاحكام القرآن للقرطبى: وكانوا يدفنون بناتهم أحياء لخصلتين إحداهما -كانوا يقولون : ان الملائكة بنات الله ، فألحقوا البنات به . الثانية - إما مخافة الحاجة والاملاق ، وإما خوفاً من السبى والاسترقاق .

وعن إبن عباس :كانت المرأة فى الجاهلية إذا حملت حفرت حفرة، وتمخضت على رأسها ، فان ولدت جارية رمت بها فى الحفرة وردّت التراب عليها ، و إن ولدت غلاماً حبسته .

وفيه : قال قتادة : كانت الجاهلية يقتل أحدهم إبنته و يغذو كلبه فعاتبهم الله على ذلك وتوعّدهم بقوله : « وإذا الموؤدة سئلت » قال عمر فى قوله تعالى : « وإذا الموؤدة سئلت » قال : جاء قيس بن عاصم إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ! انى وأدت ثمان بنات كنّ لى فى الجاهلية ، قال : فاعتق عن كل واحدة منهن رقبة . قال : يا رسول الله ! انى صاحب إبل قال : فأهد عن كل واحدة منهن بدنة إن شئت .

وفى الكافى : باسناده عن أبى خديجة عن أبى عبدالله عليه السلام قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : إنى ولدت بنتاً وربّيتها حتى إذا بلغت فألبستها و حلّيتها ثم جئت بها إلى قليب ، فدفعتها فى جوفها وكان آخر ما سمعت منها وهى

تقول : ياأبتاه ـ إلى أن قال ـ قال أبوخديجة : فقلت لأبي عبدالله عليه السلام : متى كان هذا؟ فقال : كان في الجاهلية ، و كانوا يقتلون البنات مخافة أن يسبين . فيلدن في قوم آخرين .

و في اوضح التفاسير : لمحمد عبداللطيف (طمصر سنة ١٣٥٧م)مالفظه: روى ان عمر بن الخطاب بينما كان جالساً مع بعض الصحابة إذ ضحك قليلاً ثم بكى، فسئله من حضر عن سبب ذلك، فقال : كنا في الجاهلية نصنع صنماً من عجوة فنعبده أياماً ثم نأكله ، و هذا هو سبب ضحكي ، أما بكائي فلأنه كانت لي إبنة فأردت وأدها، فأخذتها معي وحفرت لها حفرة، فصارت تنفض التراب عن لحيتي، فدفنتها حية ، وهذا سبب بكائي .

وفي نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام ـ في خطبة ـ : «فالاحوال مضطربة ، والأيدي مختلفة ،والكثرة متفرّقة في بلاء أزل ، و أطباق جهل من بنات موؤدة و أصنام معبودة ، و أرحام مقطوعة و غارات مشنونة » .

و في شرح الحديد : وقال قوم: بل وأدوا البنات أنفة، وزعموا ان تميماً منعت النعمان الاتاوة سنة من السنين ، فوجّه إليهم أخاه الريّان بن المنذر و جلّ من معه من بكر بن وائل ، فاستاق النعم و سبى الذراري ـ فوفدت بنو تميم إلى النعمان واستعطفوه فرقّ عليهم و أعاد عليهم السبي ، و قال : كل امرأة اختارت أباها ردّت إليه ، وإن اختارت صاحبها تركت عليه .

فكلهن إخترن آبائهن إلاّ إبنة قيس بن عاصم ، فانها اختارت من سباها وهو عمر و بن المشمرخ اليشكري، فنذر قيس بن عاصم المنقريّ التميمي ألاّ يولد له بنت إلاّ و أدها . والوأد أن يخنقها في التراب ، ويثقل وجهها به حتى تموت ثم اقتدى به كثير من بني تميم .

و فيه : و روى الزبير في « الموفقيّات » ان أبابكر قال في الجاهلية لقيس بن عاصم المنقري : ماحملك على أن و أدت ؟ قال: مخافة أن يخلف عليهن مثلك .

وفي الميزان: أول مابدالهم « للمشركين » ذلك « قتل الانثى وتواريها » ان بني تميم غزوا كسرى فهزمهم وسبى نساءهم وذراريهم ، فادخلهن دار الملك و اتخذت البنات جواري وسرايا، ثم اصطلحوا بعد برهة واستردّ واالسبايا، فخيّرن في الرجوع إلى أهلهن ، فامتنعت عدة من البنات فاغضب ذلك رجال بني تميم ، فعز موا الا تولد لهم انثى إلاّ وأدوها، ودفنوها حية ثم تبعهم في ذلك بعض من دونهم، فشاع بينهم وأدالبنات .

و في شرح الحديد : وفي الحديث : ان صعصعة بن ناجية بن عقال لما و فدعلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: يارسول الله اني كنت أعمل في الجاهلية عملاً صالحاً، فهل ينفعني ذلك اليوم ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : وماعملت ؟ قال: ضللت ناقتين عشرا وين ، فركبت جملاً ومضيت في بغائهما ، فرفع لي بيت حريد فقصدته فاذاً شيخ جالس بفنائه ، فسئلته عن الناقتين ، فقال : ماناره‍ما ؟ قلت : ميسم بني دارم قال : هما عندي ، وقد أحيى الله بهما قوماً من أهلك من مضر، فجلست معه ليخرجهما إليّ ، فاذاً عجوز قدخرجت من كسر البيت فقال لها :

ما وضعت ، فان كان سقباً شاركنا في أموالنا ، و إن كان حائلاً و أدناها ؟ فقالت العجوز : وضعت انثى ، فقلت له : أتبيعها ؟ قال : و هل تبيع العرب أولادها ! قلت : إنما أشترى حياتها و لاأشترى رقّها ، قال : فبكم ؟ قلت : إحتكم قال : بالناقتين والجمل ، قلت : أذاك لك على أن يبلغني الجمل و إياها ؟ قال : بعتك فاستنقذتها منه بالجمل و الناقتين و و آمنت بك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد صارت لي سنّة في العرب أن أشتري كل موؤدة بناقتين عشراوين و جمل ، فعندي إلى هذه الغاية ثمانون ومأ تاموؤدة ، قدانقذتهن ، فقال ﷺ : « لاينفعك ذاك لانك لم تبتغ به وجه الله ، وإن تعمل في إسلامك عملاً صالحاً تثب عليه » .

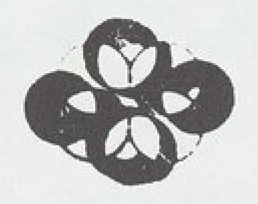
ومما يروى عن عاداتهم : ان رجلاً منهم جاء إلى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه و جاء يوماً إلى الرسول ﷺ فقال : يارسول الله ﷺ هل ترى لي من توبة ؟ فقال الرسول : ان الله هو التواب الرحيم ، قال: يارسول الله انذنبي امظيم فقال الرسول : ويلك انعفوالله لأعظم فماذنبك ؟ قال: اعلم يارسول الله اني ذهبت في سفر بعيد وتركت أهلي حاملاً ، ورجعت بعدأربع سنوات ، فدخلت إلى بيتي فاستقبلتني أهلي ، فنظرت وإذاً في البيت بنت ، فقلت لأهلي :

إبنة من هذه ؟ فقالت : هي إبنة جيراننا ، فقلت في نفسي : بعدساعة تذهب إلى بيت أهلها فصبرت ساعة فلم تذهب البنت و كانت امها تخفى على أنها ابنتي خوفاً مني أن أقتلها ، فقلت لها: اصدقيني الحديث إبنة من هذه؟ فقالت : أما تركتني يوم سفرك حاملاً و قد ولدتها و هي إبنتك ، فتنا و مت تلك الليلة قلقاً وإنزعاجاً لما بلغني من أنها بنتي حتى إذا قارب الفجر أن يسفر عن وجهه نهضت من فراشي ، ثم دنوت من البنت وهي نائمة ، فاجتذ بتها من يدها وأنهضتها من فراشها ثم قلت :

اتبعيني إلى الحائط ـ البستان ـ وتناولت الرفش والقفة و أخذت أسير و هي تسير من خلفي حتى إذا وصلت إلى الحائط أخذت أحفر وهي ترفع معي التراب حتى إذا أكملت الحفر أخذتها تحت إبطيها وأركستها في الحفيرة (هذا و عينا رسول الله ﷺ اغرورقتا بالدموع) ثم وضعت يسراي على كتفها وأخذت أهيل التراب باليمنى عليها ، وهي ترفع رجلاً وتضع الثانية وتقول: أبتاهما أنت صانع بي؟ ثم لا أعيرها إلتفاتاً ، وفي الأثناء وقع بعض التراب على لحيتي فمدت يدها و

أخذت تنفض التراب من لحيتي .

ومع ذلك كله مازلت أهيل عليها التراب حتى غيبتها تحته ، و تركتها تئن تحت التراب ، فقال رسول الله ﷺ : لولم تسبق رحمة الله غضبه لكان حقاً عليه أن يعجل لكم الانتقام ، وأخذ الرسول يكفكف دموعه .



﴿البنات والنساء قبل الاسلام﴾

وما ذكرناه آنفاً كانت زاوية من زوايا العادة الجاهلية بحق البنات عند العرب ، والتحقيق في أحوال النساء عامة وحياتهن قبل الاسلام يلهمنا بأنهما كان لقبيل النسوة أيّ كيان قبل الاسلام بل كنّ أنزل مكانة من الحيوان أيضاً وأرذل كياناً ، وقد كانت المرءة عندئذ تشترى وتباع كالبهائم والمتاع، و كانت تكره على الزواج والبغاة ، وكانت تورث ولا ترث، وتملك ولا تملك، وكان أكثر الذين يملكونها يحجرون عليها التصرف فيما تملكه بدون إذن زوجها ، وكانوا يرون للزوج الحق في التصرف بمالها من دونها ...

و لقد كانت المرأة في نظر بعض الأجيال صفراً ، بل و تحت الصفر ، ففي الجيل الخامس الميلادي كانت تعتقد المجامع للنظر في : كون النساء إنساناً ذوات نفس وروح خالدة كالرجال أم هي دون الانسان رغم صورتهن الانسانية ؟ و في كونهن تلقن الدين؟ وتصح منهن العبادة أم لا تكليف لهن؟ وفي: كونهن تدخلن الجنة أو الملكوت في الآخرة أم لا ؟ فقد قرر أحد المجامع في رومية انها حيوان نجس لا روح له ولا خلود.

ولكن تجب عليهن العبادة والخدمة، وأن يكمن فمهنّ كالبعير والكلب العقور لمنعهن من الضحك والكلام لأنهن احبولة الشيطان ، وكانت أعظم الشرائع تبيح للوالد بيع إبنته ، وكان بعض العرب يرون ان للأب الحق في قتل إبنته بل في وأدها ،وكان منهم من يرى انه لا قصاص على الرجل في قتل المرأة ولا دية ... .

فقد كان العصر السابق على الاسلام عصر ضياع المرأة، و كان للرجل كل حق عليها حتى وأدها دون أى نظام يطالبه بالتجريم أو يحكمه بالتحريم، كأن الوأد هو القانون، وهن على تلك الحال حتى جاء الاسلام مشنعاً بهذه العادات، فمتعهن بحقوقهن و اعتبرهن بنتاً و زوجة واماً، و خلصهن من وأدهن وحرمانهن حقوقهن، ورفع لهن من درجاتهن كما تحق فى كافة مجالات الحياة فردية و جماعية وكافيهن فى مكانتهن أن تسمى سورة القرآن باسم النساء.

ويتلوا عليهم وعليهن محمد رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم قول الله عزو جل: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عندالله أتقاكم» الحجرات: ١٣) وقوله تعالى: «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء» النساء: ١)

فجعل الله تعالى الانثى أصيلة فى نظام الحياة أصالة الذكر، بل ربما كانت أشد أصالة لانها المستقر كما سميت بالام لـذلك، فحكمة الله عزو جل وقاعدة الحياة اقتضت ان تنشأ الحياة من زوجين: ذكر و انثى، فكيف يغتم الانسان إذا بشر بالانسان وهو ولد منها، ولولاها لم يوجد هو أصلاً؟

أفيعقل أن تشمئز ثمرة الشجرة وتنفر عن اصولها ووجودها منها، وإن نظام الحياة لايقوم الا على وجود الزوجين دائما؟ ومن هنا تبدو قيمة العقيدة الاسلامية فى تصحيح التصورات و الاوضاع الاجتماعية، و تتجلى النظرة الكريمة القويمة التى بثها فى النفوس والمجتمعات تجاه المرأة، بل تجاه الانسان، فما كانت المرأة هى المغبونة وحدها فى المجتمع الجاهلى الوثنى.

إنما كانت الانسانية فى أخص معانيها مغبونة لان الانثى نفس الانسانية، و إهانتها و طلب زوالها وإستعبادها وإستبعادها عن المجتمع الانسانى بما هى عليه الذى حدده الله تعالى إهانة لأصل العنصر الانسانى الكريم، وطلب زواله وفناءه تماماً، وقتل الانثى قتل نفس الانسانية، وإهدار لشطر الحياة و مصادمة لحكمة

الخلق الأصيلة التي إقتضت أن يكون عليها الاحياء جميعاً إلاّ الفرد من الانسان ذكراً أوانثى . وجاء الاسلام وقدكان بعض البشر من اوروبة وغيرها يرون ان المرأة لايصح أن يكون لها دين حتى كانوا يحرمون عليها قراءة الكتب المقدسة رسمياً، فجاء الاسلام مخاطباً للرجال والنساء معاً بالتكاليف الدينية ، وكان يلقبهم بلقب المؤمنين والمومنات والمسلمين والمسلمات ...

فكان أول إمرأة آمنت بمحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زوجه صلى الله عليه وآله وسلم خديجة بنت خويلد ، وقد ذكر الله تعالى مبايعته صلى الله عليه وآله وسلم للنساء بنص القرآن الكريم كمابايع الرجال بماجاء به إذيقول :

«ياأيها النبى إذاجاءك المؤمنات يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولايزنين ولايقتلن أولادهن ولاياتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولايعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم» الممتحنة:١٢)

فشتان بين الحالين : حال الخروج عن دائرة الانسانية ، و حال إستغفار خاتم الانبياء محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لهن ... إذكانت المرأة فى العالم يومئذ لايحسب لها حساب ، وكانت الفلاسفة وغيرهم يتجادلون فى أمرها : هل لها روح أم ليس لها روح أصلاً ولو فرض لها الروح ، فهل هى روح الانسانية أم روح الحيوانية ؟

و على فرض روح الانسانية لها ، فهل وضعها الاجتماعى والانسانى بالنسبة إلى الرجل هو وضع الرقيق بالنسبة إلى السادة؟ أم هو شيء أرفع قليلاً من الرقيق؟ وحتى فى الفترات القليلة التى إستمتعت فيها المرأة بمركز إجتماعى مرموق سواء فى اليونان أوفى الامبراطورية الرومانية لم يكن ذلك مزية للمرأة كجنس ، وإنما كان لنساء معدودات بصفتهن الشخصية؟ أولنساء العاصمة بوصفهن زينة للمجالس وأدوات من أدوات الترف التى يحرص الاغنياء والمترفون على إبرازها زهواً وعجباً .

ولكنها لم يكن هى قط موضع الاحترام كمخلوق إنسانى جدير بذاته أن

يكون له كرامة بصرف النظر عن الشهوات التى تحببه لنفس الرجل، وظل الوضع كذلك فى عهود الرق و الاقطاع فى اوربا ، والمرأة فى جهالتها تدلل حيناً تدليل الترف والشهوة وتهمل حيناً كالحيوانات التى تأكل وتشرب و تحمل و تلدو تعمل ليلاً ونهاراً .



﴿الاسلام و المرأة﴾

وقد علمنا شأن المرأة ووضعها الانساني والاجتماعي قبل الاسلام ... وأما وضعها وشأنها في الاسلام ، فمن البديهيات الاسلامية التي لا يمكن الانكار، ولو من الذين أشد عداوة على الاسلام: ان المرأة في عرف الاسلام كائن إنساني لها روح إنسانية من نفس النوع الذي منه روح الرجل ، يوجه إليها الخطابات القرآنية مثلها إلى الرجال سواء بسواء في موارد الاتفاق، و كل بحسبه في موارد التخالف...

فالمرأة إذن الوحدة الكاملة في الاصل والمنشاء والمصير والمساواة الكاملة في الكيان البشري تترتب عليها كل الحقوق المتصلة مباشرة بهذا الكيان ، فحرمة الدم والعرض والمال والكرامة التي لايجوز أن تلمز مواجهة أو تغتاب و لايجوز أن يتجسس عليها أو تقتحم الدور . . . كلها حقوق مشتركة لاتمييز فيها بين جنس وجنس. والأوامر والتشريعيات فيها عامة للجميع والجزاء في الآخرة واحد للجنسين .

قال الله عزوجل : « و من يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى و هو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة » النساء : ١٢٤)

وقال : « فاستجاب لهم ربهم اني لااضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى» آل عمران : ١٩٥)

وتحقيق الكيان البشري في الارض متاح للجنسين الأهلية للملك والتصرف فيه بجميع أنواع التصرف : من رهن و إجارة و وقف و نذر و بيع و شراء

واستغلال . . .

فتملك وتتصرف و تنتفع بشخصها مباشرة بلا وكالة و تعامل المجتمع بلا وسيط ولم يكتف الاسلام بتحقيق كيان المرأة في مسئلة الملكية ، بل حققه فى أخطر المسائل المتعلقة بحياتها ، وهى مسئلة الزواج ، فلا يجوز أن تزوج بغير إذنها ، ولايتم العقد حتى تعطى الاذن : « لاتزوج الثيب حتى تستأمر و لاتزوج البكر حتى تستأذن وإذنها صماتها» فيصير العقد باطلاً إذا أعلنت انها لم تبدموافقتها عليه ، وقد كانت المرأة فى غير الاسلام تحتاج إلى سلوك طرق ملتوية لتهرب من زواج لاتريده لانها لاتملك شرعاً ولاعرفاً أن ترفض .

وجاء الاسلام فأعطاها هذا الحق الصريح تستخدمه متى أرادت ، ويبلغ من تقدير الاسلام لمقومات الكيان البشرى - فى العصور التى كان يغشيها الجهل و الظلام - ان اعتبر العلم والتعلم ضرورة بشرية ، ضرورة لازمة لكل فرد لالطائفة محدودة من الناس ، فقرر للملايين حق التعلم بل جعله فريضة وركناً من الايمان بالله عز و جل على طريقة الاسلام : « التعلم و التعليم فريضة على كل مسلم و مسلمة »

وان الاسلام أول نظام فى التاريخ العالمى نظر إلى المرأة على أنها كائن بشرى لايستكمل مقومات بشريته حتى يتعلم شأنها شأن الرجل سواء بسواء ، فجعل العلم فريضة عليها كما هو فريضة على الرجل ، ودعاها أن ترتفع بعقلها كما ترتفع بجسدها و روحها عن مستوى الحيوان بينما ظلت اروبا تنكر هذا الحق إلى عهد قريب و لم تستجب إليه إلا خضوعاً للضرورات ...

فاذا وصل تكريم الاسلام للمرأة إلى هذا الحد ، فلن يستطيع أحد ، مهما جن بالعناد أو بالتقليد من المعاند أن يقول : ان فكرة الاسلام فى كل هذه الامور قائمة على أن المرأة مخلوق ثانوى أو تابع فى وجوده لمخلوق آخر ، أو ان دورها

فى الحياة دور ضئيل لايؤبه له .

فلو كان الامر كذلك لما اعتنى بتعليمها و التعليم بالذات مسئلة لها دلالة خاصة، وتكفى وحدها -دون حاجة إلى المسائل الاخرى- لتقرير الوضع الحقيقى لامرأة فى الاسلام وهو وضع كريم عندالله عزوجل :



﴿التمايز بين الرجل و المرأة فى الاسلام﴾

ان الدين الاسلامي بعدما قرّر المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة في الانسانية والمساواة في جميع الحقوق التي تتصل مباشرة بالكيان البشري المشترك بين الجميع، يفرّق بين الرجل والمرأة في بعض الحقوق و بعض الواجبات على أساس غريزتهما الذكورة والانوثة، وإن لم أكن هناك بصدد بيان ما بينهما من الفروق لما سبقت مناتفصيلاً في فصل النساء فراجع.

وهنا ضجة كبرى تثيرها نساء المؤتمرات ويثيرها معهن كتّاب ومصلحون وشباب ان الله تعالى يعلم انهم كم يريدون بدعوتهم وجه الاصلاح، و كم يريدون بها أن يجدوا سهلة التناول في المجتمع وفي الطريق...

وقبل الاشارة إلى بعض المواضع التي يفرق فيها الاسلام بين الرجل والمرأة نرد المسئلة أولاً إلى جوهرها الحقيقي إلى اصولها الفسيو لوجية والبيولوجية والسكلوجية، ثم نستعرض بعد ذلك رأي الاسلام ثانياً...

هل هما جنس واحد؟ أو جنسان مختلفان؟ وهل هي وظيفة واحدة؟ أم وظيفتان؟ تلك عقدة الموضوع:

فان أرادت نساء المؤتمرات و كتّابهن ومصلحوهن وشبابهن أن تقولوا: ليس بين المرأة والرجل خلاف في التكوين الجسدي والكيان الوجداني و وظائف الحياة البيولوجية، فما عسى أن يرد عليهم، وإن أقرّوا - إلاّ ولابد لهم - بوجود هذا الخلاف، فهناك إذن أساس صالح لمناقشة الموضوع، وتبعاً لهذا الاختلاف

الحاسم فى المهمة و الأهداف إختلفت طبيعة الرجل والمرأة ليواجه كل منهما مطالبه الأساسية،وقد زودتـه الحياةبكل التيسيرات الممكنة ، ومنحتهالتكييف الملائم لوظيفته .

و لذلك ارى كيف تستساغ هذه الثرثرة الفارغة عن المساواة الآلية بين الجنسين ان المساواة فى الانسانية أمر طبيعى ومطلب معقول ، فالمرأة و الرجل هماشقا الانسانية أوهمانصف التفاحة التى تشير إليهاالاسطورة الشهيرة أماالمساواة فى وظائف الحياة وطرائقها فكيف يمكن تنفيذها ، ولوأرادتها كل نساءالارض وعقدت من أجلها المؤتمرات ، وأصدرت القرارات هل فى وسع هذه المؤتمرات و قراراتها الخطيرة ان تبدل طبائع الاشياء ، فتجعل الرجل يشارك المرأة فى الحمل والولادة والرضاع ...

وهل يمكن أن يكون هناك وظيفة بيولوجية من غير تكييف نفسى وجسدى خاص ؟ هل إختصاص أحد الجنسين بالحمل والرضاعة لايستتبعه أن تكون مشاعر هذاالجنس وعواطفه وأفكاره مهيّأة بطريقة خاصة لاستقبال هذا الحادث الضخم و التمشى مع مطالبه الدائمة ؟

ان الامومة بكل ماتحويه من مشاعر نبيلة وأعمال رفيعة ، وصبر على الجهد المتواصل ودقة متناهية فى الملاحظة وفى الأداء ... هى التكييف النفسى والعصبى والفكرى الذى يقابل التكييف الجسدى للحمل والارضاع كلاهما متمم للآخر متناسق معه بحيث يكون شذوذاً عجيباً أن يوجد أحدهما فى غيبة من الآخر، و هذه الرغبة وهذه الرقة اللطيفة فى العاطفة والانفعال السريع فى وجدان والثورة القوية فى المشاعر التى تجعل الجانب العاطفى لاالفكرى هو النبع المستعد أبداً بالفيض المستجاش أبداً بأول لمسة كل ذلك من مستلزمات الامومة ، لان مطالب الطفولة لاتحتاج إلى التفكير الذى قد يسرع أو يبطىء . و قد يستجيب أو لايستجيب .

و إنما تحتاج إلى عاطفة مشبوبة لاتفكر بل تلبى الداعى بلاتراخ و لاإبطاء ، فهذا كله هو الوضع الصحيح للمرأة حين تلبى وظيفتها الأصيلة وهدفها المرسوم، وان الرجل هو مكلف من جانب آخر بوظيفة اخرى ، ومهيأ لها على طريقة اخرى مكلف بصراح الحياة فى الخارج ، سواء كان الصراح هو مجابهة الوحوش فى الغابة أو قوى الطبيعة فى السماء والارض أو نظام الحكومة وقوانين الاقتصاد... كل ذلك لاستخلاص القوت ولحماية ذاته وزوجه وأولاده من العدوان .

هذه الوظائف لاتحتاج إلى أن تكون العاطفة هى المنبع المستجاش بل ذلك يضرّها ولاينفعها ، فالعاطفة تنقلب فى لحظات من النقيض إلى النقيض ، و لاتصبر على إتجاه واحد إلا فترة تتجه بعدها إلى هدف جديد ، وهذا يصلح لمطالب الامومة المتغيرة المتقلبة، ولكنه لايصلح لعمل خطة مرسومة تحتاج فى تنفيذها إلى الثبات على وضع واحد لفترة طويلة من الوقت .

وانما يصلح لذلك الفكر فهو بطبيعته أقدر على التدبير وحساب المقدمات والنتائج قبل التنفيذ وهو أبطأ عملاً من العاطفة الجياشة المتفجرة، وليس المطلوب منه هو السرعة ماهو تقدير الاحتمالات والعواقب، وتهيئة أحسن الاسباب للوصول إلى الهدف المنشود . . . وسواء كان المقصود هو صيد فريسة أو إختراع آلة أو وضع خطة إقتصادية أو سياسة حكم أو إشعال حرب ، أو تدبير سلم فكلها امور تحتاج إلى اعمال الفكر ويفسدها تقلب العاطفة .

فالرجل فى وضعه الصحيح حين يؤدى هدفه الصحيح يفسر كثيراً من أوجه الخلاف بين الرجل والمرأة، فهو يفسّر مثلاً لماذا يستقر الرجل فى عمله ويمنحه الجانب الاكبر من نفسه وتفكيره بينما هو فى الميدان العاطفى متنقل كالأطفال فى حين ان المرأة تستقر فى علاقتها العاطفية تجاه الرجل ، وحينما تتجه إليه .

فكأنما كيانها كله يتحرك ويدبر الخطط ، ويرتب الملابسات و هى فى هذا الشأن أبعد ماتكون نظراً وأشد ماتكون دقة ترسم أهدافها لمسافات بعيدة،

وتعمل دائبة على تحقيق أغراضها بينما هي لاتستقر في العمل إلاّ أن يكون فيه مايلبي جزءاً من طبيعتها الانوثية كالتمريض أوالتدريس أوالحضانة، أماحين تعمل في المتجر فهي تلبي كذلك جزءاً من عاطفتها بحثاً عن الرجل هناك، ولكن هذه الاعمال كلها بديل لايغني عن الأصل ، وهو الحصول على رجل و بيت و اسرة وأولاد . . .

ومان تعرض الفرصة للوظيفة الاولى حتى تترك المرأة لتهب نفسها لبيتها إلاّ أن يحول دون ذلك عائق قهري كحاجتها إلى المال ، ولكن هذا ليس معناه الفصل الحاسم القاطع بين الجنسين ، ولامعناه ان كلاً منهما لايصلح آية صلاحية لعمل آخر ... فالجنسان إذن خليط وعلى نسب متفاوتة متمايزة ...

فاذا وجدت إمرأة تصلح للحكم أوالقضاء أوحمل الاثقال أوالحرب والقتال... وإذا وجد رجل يصلح لادارة البيوت أو الاشراف الدقيق على الاطفال أوالحنان الانثوي أوكان سريع التقلب بعواطفه ينتقل في لحظة من النقيض إلى النقيض .

فكل ذلك أمر طبيعي ونتيجة صحيحة لاختلاف الجنسين في كيان كل جنس ، ولكنه خلو من الدلالة المزيفة التي يريد أن يلصقها به شذاذ الآفاق في الغرب المنحل والشرق المتفكك سواء .

فالمسئلة في وضعها الصحيح ينبغي ان توضع على هذه الصورة هل كل هذه الاعمال التي تصلح لها المرأة زائدة على وظيفتها الطبيعية تغنيها عن هذه الوظيفة الاصلية تغنيها عن طلب البيت والاولاد والاسرة تغنيها عن طلب الرجل قبل هذا وبعد ذلك ليكون في البيت رجل بصرف النظر عن شهوة الجنس وجوعة الجسد. وهذا ومالم يذكر من حقيقة الخلاف بين طبيعة الرجل والمرأة على أساس الفطرة البشرية كماكانت التسوية بينهما على أساس الفطرة البشرية بنى عليها الاسلام و هو يدعو الناس إلى تزكية أنفسهم ، و تهذيب طبائعهم و الارتفاع من غير تغيير الطبائع ...

فهو يجيىء متمشياً مع الفطرة بعد تهذيبها وهو يسير فى مسئلة الرجل والمرأة على طريقته الواقعية المدركة لفطرة البشر ، فيسوى بينهما حيث تكون التسوية هى منطق الفطرة السليمة ، ويفرق بينهما كذلك حيث تكون التفرقة هى منطق الفطرة السليمة ، فينبغى لكل إنسان مفتوح العين، سليم القلب أن ينظر إلى أهم مواضع التفرقة من تقسيم الارث ومسئلة القوامة ...

إذ يقول الاسلام فى الارث: «للذكر مثل حظ الانثيين» النساء : ١١) ذلك حق لكنه يجعل الرجل هو المكلف بالانفاق ، ولا يتطلب من المرأة ان تنفق شيئاً من مالها على غير نفسها وزينتها إلا حيث تكون العائل الوحيد لاسرتها ، و هى حالات نادرة فى ظل النظام الاسلامى لان أى عاصب من الرجال مكلف بالانفاق و بعدت درجته .

فأين الظلم الذى يزعمه دعاة المساواة المطلقة ان المسئلة مسئلة حساب لاعواطف ولا ادعاء تأخذ المرأة - كمجموعة - ثلث الثروة الموروثة لتنفقها على نفسها ، ويأخذ الرجل ثلثى الثروة لينفقها أولاً على زوجة - أى على إمرأة - و ثانياً على اسرة وأولاد ... فأيهما يصيب أكثر من الآخر بمنطق الحساب والارقام، وإذا كانت هناك حالات شاذة لرجال ينفقون كل ثرواتهم على أنفسهم و لا يتزوجون ولا يبنون اسرة ، فتلك أمثلة نادرة وهم على أى حال ينفقون جزءاً من الثروة على النساء من غير الطريق الشريف .

وإنما الامر الطبيعى أن ينفق الرجل ثروته على بناء اسرة فيها إمرأة بطبيعة الحال هى الزوجة، وهو ينفق عليها لا تطوعاً منه بل تكليفاً ، ومهما كانت ثروتها الخاصة فلا يحق له أن يأخذ منها شيئاً ألبتة إلا بالتراضى الكامل بينهما ، و عليه أن ينفق عليها كأنها لا تملك شيئاً ، ولها أن تشكوه إذا امتنع عن الانفاق أو قتر فيه بالنسبة لما يملك ويحكم لها الشرع بالنفقة أو بالانفصال :

فهل بقيت بعد ذلك شبهة فى القدر الحقيقى الذى تناله المرأة من مجموع

الثروة ؟ و هل هو إمتياز حقيقي في حساب الاقتصاد أن تكون للرجل مثل حظ الانثيين ، وهو مكلف مالا تكلفه الانثى على أن هذه النسبة إنما تكون في المال الموروث بلا تعب ؟ فهو يقسم حسب أعدل قانون وصلت إليه البشرية اليوم وهو : «لكل حسب حاجته»

ومقياس الحاجة هو التكاليف المنوطة بمن يحملها أما المال المكتسب فلا تفرقة فيه بين الرجل والمرأة لا في الأجر على العمل، ولا في ربح التجارة، ولا ريع لارض . . .

﴿عصر الفضاء والجاهلية الاخرى﴾

ان الدين الاسلامى منذ بزوغه قدمنح النساء الانسانية، وقد سلبت عنهن من قبل إذ كان بعض البشر من الافرنج وغيرهم يعدونهن من البهائم تارة، ومن الشياطين تارة اخرى لامن نوع الانسان وبعضهم كانوا شاكين فى ذلك

و ان المرأة الفرنسية لاتزال إلى اليوم مقيدة بارادة زوجها فى جميع التصرفات المالية و العقود القضائية ، و ان دولة الولايات الآمير يكية لم تمنح النساء حتى التملك و التصرف إلاّ من عهد قريب من قرن دابع عشر بعد أن الاسلام منحهن منذ أربعة عشر قرناً .

وحقاً ان النسوة تقهقرت إلى ما كانت قبل الاسلام إذ جائت الثورة الصناعية التى كانت الكارثة التى لم تصب المرأة بشرّ منها فى تاريخها الطويل، لقد كانت الطبيعة الاوربية فى جميع عهودها كزة جاحدة لاتسخو ولا ترتفع إلى مستوى التطوع النبيل الذى يكلف جهداً ولايفيد مالاً أونفعاً قريباً أو غير قريب .

ولكن الاوضاع الاقتصادية فى عهدى الرقى والاقطاع - تقسيم الأراضى - و التكتل الذى كانا يستلزمانه فى البيئة الزراعية جعلا تكليف الرجل اعالة المرأة هو الامر الطبيعى الذى تقتضيه الظروف فضلاً عن أن المرأة كانت تعمل فى المنزل فى الصناعات البسيطة التى تتيحها البيئة الزراعية ، فكانت تدفع ثمن اعالتها بهذا العمل .

ولكن الثورة الصناعية قلبت الاوضاع كلها فى الريف والمدينة على السواء

فقد حصلت كيان الاسرة و حلت روابطها بتشغيل النساء و الاطفال فى المصانع فضلاً عن إستدراج العمال من بيئتهم الريفية القائمة على التكافل والتعاون إلى المدينة التى لايعرف فيها أحد أحداً ولايعول أحد احداً، وإنما يستقل كل إنسان بعمله و متعته وحيث يسهل الحصول على المتعة الجنسية من طريقها المحرم، فتهبط الرغبة فى الزواج و كفالة الاسرة أوتتأخر سنوات طويلة على الاقل.

فالثورة الصناعية فى أوربا شغلت النساء والاطفال، فحطمت روابط الاسرة وحلت كيانها، ولكن المرأة هى التى دفعت أفدح الثمن من جهدها و كرامتها وحاجاتها السيكلوجية والمادية، فقد نكل الرجل عن إعالتها من ناحية، وفرض عليها أن تعمل لتعول نفسها حتى لو كانت زوجة وأما و استغلتها المصانع أسوأ إستغلال من ناحية اخرى، فشغلتها ساعات طويلة من العمل وأعطتها أجراً أقل من الرجل الذى يقوم معها بنفس العمل فى نفس المصنع.

فلا تعترف اوربا بالكرامة للانسان من حيث هو إنسان ولاتتطوع بالخير حيث يستطيع أن تعمل الشر وهى آمنة تلك طبيعتها على مدار التاريخ فى الماضى والحاضر والمسقبل إلا أن يشاء الله تعالى لها الهداية والارتفاع، وإن كانت النساء والاطفال ضعافاً، فما الذى يمنع من إستغلالهما والقسوة عليهما إلى أقصى حد؟ ان الذى يمنع من ذلك شىء واحد فقط وهو الضمير ومتى كان لاوربا ضمير؟

ومع ذلك فقد وجدت قلوب إنسانية حية لاتطيق الظلم، فهبت تدافع عن المستضعفين من الاطفال فقط، فراح المصلحون الاجتماعيون يندون بتشغيلهم فى سن مبكرة و تحميلهم من الاعمال مالاتطيقه بنيتهم الغضة التى لم تستكمل نصيبها من النمو وضآلة اجورهم بالنسبة للجهد العنيف الذى يبذلونه و نجحت الحملات، فرفعت رويداً رويداً سن التشغيل و رفعت الاجور و خفضت ساعات العمل أما المرأة فلم يكن لها نصير، فنصرة المرأة تحتاج إلى قدر من إرتفاع المشاعر لاتطيقه أوربا لذلك ظلمت فى محنتها تنهك نفسها فى العمل - مضطرة

لا عالة نفسها - و تتناول أجراً أقل من أجر الرجل مع إتحاد الا نتاج و الجهد المبذول ...

وجاءت الحرب العظمى الاولى و قتل عشرة ملايين من الشباب الأوربيين و الآمر يكان و واجهت المرأة قسوة المحنة بكل بشاعتها ، فقد وجدت ملايين من النساء بلاعائل ، إما لان عائلهن قد قتل فى الحرب أو شوه أوفسدت أعصابه من الخوف والذعر والغازات السامة والخانقة، وإما لأنه خارج من حبس السنوات الاربع يريد أن يستمتع ويرفه عن أعصابه، ولا يريد أن يتزوج ويعول أسرة تكلفه جهداً فى المال والاعصاب ...

ومن جهة اخرى لم تكن هناك أيد عاملة من الرجال تكفى لاعادة تشغيل المصانع لتعمير ماخربته الحرب، فكان حتماً على المرأة أن تعمل وإلا تعرضت للجوع هى ومن تعول من العجائز والاطفال كان حتماً عليها كذلك ان تتنازل عن أخلاقها ، فقد كانت أخلاقها قيداً حقيقياً يمنع عنها الطعام ان صاحب المصنع، وموظفيه لايريدون مجرد الأيدى العاملة، فهم يجدون فرصة سانحة والطير يسقط من نفسه - جائعاً ليلتقط الحب فما الذى يمنع من الصيد ألعله الضمير ومادامت قد وجدت - بدافع الضرورة - إمرأة تبذل نفسها لتعمل - فلن يتاح العمل إلا للتى تبذل نفسها للراغبين .

ولم تكن المسئلة مسئلة الجوع إلى الطعام فحسب ، بل الجنس حاجة بشرية طبيعية لابد لها من الشباع ولم يكن فى وسع الفتيات أن يشبعن حاجتهن الطبيعية ولو تزوج كل من بقى حياً من الرجال بسبب النقص الهائل الذى حدث فى عدد الرجال نتيجة الحرب .. ولم تكن عقائد اوربا وديانتها تسمح بالحل الذى وضعه الاسلام لمثل هذه الحالة الطارئة وهو تعدد الزوجات ...

لذلك لم يكن بد للمرأة أن تسقط راضية أو كارهة لتحصل على حاجة الطعام وحاجة الجنس وترضى شهوتها إلى الملابس الفاخرة ، و أدوات الزينة و

للراغبين فيها ، وتعمل فى المصنع و المتجر وتشبع رغائبها عن هذا الطريق أو ذاك ، ولكن قضيتها زادت حدّة فقد استغلت المصانع حاجة المرأة إلى العمل و استمرت فى معاملتها الظالمة التى لايبررها عقل ولاضمير ، فظلت تمنحها أجراً أقل من أجر الرجل الذى يؤدى نفس العمل فى نفس المكان .

ولم يكن من بد من ثورة: ثورة جامحة تحطم ظلم أجيال طويلة وقرون ، وماذا بقى للمرأة لقد بذلت نفسها وانوثتها و كرامتها وحرمت من حاجتها الطبيعية إلى اسرة وأولاد تحس بكيانها فيهم وتضمّ حياتهم إلى حياتها ، فتشعر بالسعادة و الامتلاء - أفلاتنال مقابل ذلك - على الأقل - المساواة فى الأجر مع الرجل حقها الطبيعى الذى تقرره أبسط البديهيات ...

و لم يتنازل الرجل الاوربى عن سلطانه بسهولة أوقل: لم يتنازل عن أنانيته التى فطر عليها و كان لابد من إحتدام المعركة وإستخدام جميع الأسلحة الصالحة للعراك إستخدمت المرأة الاضراب والتظاهر، واستخدمت الخطابة فى المجتمعات، واستخدمت الصحافة ثم بدالها انها لابد أن تشارك فى التشريع لتمنع الظلم من منبعه، فطالبت أولاً بحق الانتخاب ثم بالحق الذى يلى ذلك بحكم طبائع الأشياء...

وهو حق التمثيل فى «البرلمان» وتعلمت على نفس الطريقة التى يتعلم بها الرجل لانها صارت تؤدى نفس العمل ، وطالبت كنتيجة منطقية لذلك أن تدخل وظائف الدولة كالرجل ماداما قد أعدا بطريقة واحدة ، ونالادراسة واحدة، تلك قصة «كفاح المرأة لنيل حقوقها» فى اوربا قصة مسلسلة كل خطوة فيها لابد أن تؤدى إلى الخطوة التالية رضى الرجل أو كره ، بل رضيت المرأة أو كرهت، فهى ذاتها لم تعد تملك أمرها فى هذا المجتمع الهابط المنحلّ الذى افلت منه الزمام

ومع ذلك كله فقد تعجب حين تعلم ان « انجلترا - أم الديمقراطية » ما تزال إلى هذه اللحظة تمنح المرأة أجراً أقل من أجر الرجل فى وظائف الدولة رغم ان فى مجلس العموم نائبات محترمات . . . وقدكانت شرائع أوربا «المتحضرة»

تحرم المرأة من كل حقوق أثبتها لها الاسلام من الأهلية للملك والتصرف فيه بجميع أنواع التصرف من بيع وشراء واستغلال ورهن وإجارة ووقف .. وكل مايشترك فيه الرجل والمرأة .

تحرم إلى عهد قريب وتجعل سبيلها الوحيد إليها من طريق الرجل زوجاً أوأباً أوولى أمرأى ان المرأة الاوربية ظلت أكثرمن اثنى عشرقرناً بعد الاسلام لاتملك من الحقوق ماأعطاها الاسلام ، ثم هـي حين ملكتها لم تأخذها سهلة ولا احتفظت بأخلاقها دعرضهاو كرامتها، وإنما احتاجت لان تبذل كل ذلك،وتتحمل العرق والدماء والدموع لتحصل على شيء مما منحه الاسلام - كعادته تطـوعاً و وإنشاءلاخضوعاً لضرورة إقتصادية ولا إذعاناً للصراع الدائربين البشر

ولكن إحساساً منه بالحق والعدل الأزليين ، وتطبيقاً لهما فى واقع الامر لافيعالم المثل والاحلام .. وان الشيوعيين خاصةوالغرب عامة يعتبرون الكيان البشرى هوالكيان الاقتصادى ، ويقولون صراحة : ان المرأة لـم يكن لها كيان لانها لم تكن تملك أولم يكن لها حق التصرف فيما تملك ، وانها صارت مخلوقاً آدمياً فقط حين إستقلت إقتصادياً أى حين صارلها ملك خاص مستقل عن الرجل تستطيع أن تعيش منه وتتصرف فيه .

وبالجملةان الجاهلية الاخرى الشرقية والغربية فيعصر الفضاءباسم التمدن وألفاظ بارقة خادعة . . . ترى المرأة حديداًتصنع بها القناطريعبر عليها الانسان والحيوان . .

وأما الدين الاسلامى من بزوغه إلى يوم القيامة يرى المرأة ذهباً و أعلى منه من الجواهر التى لابد من حفظها من دس الايدى الخبيثة السارقة . . .ففى حفظها فى الصندوق دلالة على فضلها فى السعر على الحديد وما إليه من المعادن التى لاتحتاج حفظها فى إلى الصندوق .

المرأة المغبونة في تاريخ الحياة

وفي الجاهلية المعاصرة

ان محنة الانسان وسر مأساته في ظل الحضارات المادية الحديثة تكمن في تلك الازمة الكفرية والضياع العقائدي ، وإرتباك المفاهيم و الأفكار التي تملي عليه المواقف ، و تحدد نظرته إلى الاشياء من حوله و ترسم علاقاته وروابطه الانسانية مع أبناء نوعه . . . فيكفي الباحث و المحلل أن يلقي نظرة عابرة على طبيعة و ظاهر الاوضاع الاجتماعية و الاقتصادية و الامنية والنفسية التي يعاينها إنسان الحضارة المادية الجاهلية المعاصرة ليكتشف من خلال هذه المعاناة عقدة الحضارة وصورة المأساة المرّة من الظلم والكبت والضياع والحرمان ...

وإذا ماحاول المرء إرجاع هذه الظواهر الاجتماعية والنفسية و الفكرية إلى اصولها التاريخية سيجدها حلقة وثيقة الارتباط بسلسلة التاريخ الجاهلي على وجه هذه الارض، وصورة تجمعت خطوطها عبر أبعاد العصور الجاهلية السحيقة في فراغ الزمن المعاصر لتشكل أضخم حجم حضاري لتخبّط الانسان وضياعه الفكري والنفسي ، و لترسم صورة ذلك الانسان المشوّه الذي تلوثت فطرته ، و انحرفت حياته عن قانون الطبيعة البشرية ، وخط الاستقامة والخير الذي يقود الانسان إلى صنع الحياة في ظل قيم ومفاهيم إنسانية يشكل في ظلها إنسانيته الرفيعة ، ويعبر من خلالها عن هويته وذاته الفطرية السليمة ...

و من تلك المفاهيم والقيم ، و العلاقات المشوّهة المنحدرة من أعماق

التاريخ الجاهلي للانسان ، والمنصبة في اطار الحضارة المادية الحديثة هومفهوم هذه الحضارة عن المرأة والجنس والاسرة وعلاقة الرجل بالمرأة ... فتاريخ هذه المفاهيم والقيم والعلاقات يحدثنا عن صورة مأساوية وطبيعة وحشية أساءت لقانون الحياة، وحادت عن نظام الطبيعة والفطرة البشرية .. و وضعت المرأة في مواضع لاتتناسب ، و وضعها الانساني في بيئة الحياة، فاضطربت نتيجة لهذا الفهم والوضع موازنة الحياة الاجتماعية، واختلت معادلة العلاقة الانسانية بين الرجل والمرأة...

و صارت المرأة تعاني من شقاء المجتمع و سوء معاملة الرجل و وحشية القوانين، أشد المعاناة بدأ بأقدم العصور وإنتهاءاً بالحضارة المادية الحديثة،فكل تلك الحضارات والقوانين ـ إلاّ ماندر ـ تعتبر المرأة سلعة من سلع الحياة وأداة من أدوات المتعة ، وأسيرة لاتملك من أمرها شيئاً ، ومخلوقاً لايتمتع بالخصائص الانسانية التي يتمتع بها الرجل، بل اعتبرت المرأة مصدراً للشرور في هذا العالم، وسبباً للخطيئة ورجساً يجب التطهر منه ... وحتى في الشعوب التي اعتبر أهلها أصحاب مدنية وحضارة كاليونان والرومان، فان المرأة كانت محرومة من حقوقها المدنية وخاضعة لتصرف الأب والزوج خضوع العبيد و الأسرى.

كما هو حالها في ظل المفاهيم اليهودية المحرفة التي إعتبرت المرأة سبباً للخطيئة والاثم إنطلاقاً من الاسطورة اليهودية القائلة بأن المرأة هي السبب لخطيئة آدم و إغوائه وإخراجه من الجنة ، فقد نصّت التوراة ـ توراة اليهود المحرفة ـ : « المرأة أمرّ من الموت وان الصالح أمام الله ينجو منها رجلاً واحداً بين ألف وجدت أما إمرأة فبين كل اولئك لم أجد ...»

واعتبرت المرأة في ظل هذا الفهم اليهودي المحرف لشريعة موسى الالهية.. اعتبرت متاعاً يورث وسلعة تباع، فقد جاء في الاصحاح الثاني والاربعين من سفر أيوب عليه السلام : « لم توجد نساء جميلات كنساء أيوب في كل الارض و أعطاهن أبوهن ميراثاً بين اخوتهن» و تحكم هذه الشريعة : إذا توفي شخص بدون أن

ينجب أولاداً ذكوراً تصبح أرملته ـ وهي المسماة عند اليهود (ياباماه) ـ زوجة تلقائية لشقيق زوجها أو أخيه لأبيه ـ ويسمى عند اليهود (يابام) رضيت بذلك أم كرهت . وتجب عليه نفقتها ويرثها إذا ماتت ، وأول ولد ذكر يجيىء من هذا الزواج يحمل إسم زوجها الاول ، ويخلفه في تركته و وظائفه ، و ينسب إليه لا إلى زوجها الحالي، فيخلد بذلك إسم زوجها الاول، ولايمحى من سجل إسرائيل، ولايجوز (لليا باماه) أن تتزوج من غير (اليابام) إلا إذا خلصها بطريقة تسمى في شريعتهم (الخاليصاه) ويتم هذا الخلاص في طقوس غريبة ينص عليها سفر (التثنية) إذ يقول :

إذا لم يرغب هذا الأخ في الزواج بأرملة أخيه، فانه يجب عليها أن تشخص إلى مجلس شيوخ بني إسرائيل ، وتذكر لهم أن أخ زوجها قد عزف عن تخليد إسم أخيه سجل إسرائيل، فلم يرغب في الزواج بها، وحينئذ يستدعيه أعضاء هذا المجلس ويحضّونه على العدول عن رأيه ، والزواج من إمرأة أخيه، فاذا لم يذعن لرأيهم ، وظلّ متشبثاً برأيه ، تقدمت إليه إمرأة أخيه وخلعت نعليه وبصقت في وجهه قائلة: هكذا يجب معاملة من لايعمر منزل أخيه ، وسيطلق على منزله إسم (منزل الحافي) من لانعل له .

و قد أقرت ذلك المادة (٣٦) من كتاب الاحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للاسرائيليين بمصر إذ تقرر أن المتوفى عنها زوجها إذا لم يترك أولاداً ذكوراً ، و كان له شقيق أو أخ لأب اعتبرت زوجة له شرعاً ، ولاتحل لغيره مادام حياً إلاّ إذا تبرّأ منها ، بل ان شريعة حكماء اليهود لتبيح للوالد المعسر أن يبيع إبنته بيع الرقيق لقاء ثمن يفرج به أزمته ... وأكثر من ذلك ان هذه الشريعة المتحرفة المنحرفة إعتبرت البنت سلعة تباع وتشترى .

و أما حالة المرأة في الجاهلية العربية قبل الاسلام ، فهي صورة اخرى من صورة المأساة المريرة التي عاشتها المرأة ...

إذ كانت العرب تعتبر المرأة سوءة وتكره وجودها ، وتخاف العار وتبعات السبى و يتمنى العربى وقتها لولم تولد له انثى و لم يزوجها ، وقد بلغ الحقد والكراهية كل مدى فى نفوس هذا الصنف من الرجال القساة إلى درجة راح معها بعض الآباء يدفن إبنته حيّة بعد الولادة أوعند ماتصير حبيّة تدرج وتلعب...

و نتيجة لهذا المنطق الغلط والتصور الباطل كانت المرأة سلعة و متاعاً فى مفهوم ذلك المجتمع الجاهلى إلى درجة كان الابن يتزوّج زوجات أبيه ، و قد سجّل القرآن الكريم هذه الصورة الاجتماعية البشعة لجاهلية العرب ، مستنكراً كل أوضاعها وتصوراتها ومواقفها من المرأة ، قال الله عزوجل: «وإذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألاساء مايحكمون» النحل: ٥٨- ٥٩)

وقال : «وإذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت» التكوير : ٨-٩)

وقال : «ولاتنكحوا مانكح آباؤكم من النساء إلاّ ماقد سلف انه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً» النساء : ٢٢)

وأما المفاهيم الكنيسية فقد بنت أفكارها على حطام أفكار حكماء اليهود وأحبارهم ، وقد جاء هذا الموقف الكنيسى من المرأة واضحاً محدّداً على لسان أحد أقطاب المسيحية الأول و أئمتها ، مبيّناً نظرية المسيحية ـ المحرفة ـ فى المرأة: «انها مدخل الشيطان إلى نفس الانسان ، وانها دافعة بالمرء إلى الشجرة الممنوعة ، ناقضة لقانون الله ومشوّهة لصورة الله أى صورة الرجل ...» وكذلك يقول (كرائى سوستام) الذى يعدّ من كبار أولياء الديانة المسيحية فى شأن المرأة : «هى شرّ لابد منه ، و وسوسة جبلية وآفة مرغوب فيها، و خطر على الاسرة والبيت ومحبوبة فتّاكة ورزء مطلى مموّه» .

و كان طبيعياً بعد تنامى الحضارة الاوربية المادية الحديثة أن تنشأ ردود فعل معاكسة ضد المفاهيم اليهودية والكنيسية الهمجية الخرافية المتخلّفة من

قبل شعوب أوربا وأمريكا وغيرها من الشعوب التى خضعت قروناً من الزمن لهذا التفكير ...

وكان طبيعياً أن تتحطّم هذه النظرية عن الجنس والمرأة وعلاقتها بالرجل والحياة والحضارة، وكان طبيعياً أن تكوّن أوربا المادية نظريتها عن هذه الموضوعات على أساس موروثات اليونان والرومان الحضارية من جهة، وعلى أساس ردّ الفعل المعاكس لوضع المرأة الماساوى فى ظل مجتمعها الذى ورث مفاهيمه وقوانينه وقيمه من المفاهيم اليهودية والمسيحية المشوّهة، فانبرت هذه النظرية تنادى بتحطيم المفاهيم الخرافية الباطلة التى كوّنتها تلك الحضارات المنحرفة والشاذة، وترفع شعار الاباحة الجنسية، وتنادى بما يسمى بتحرير المرأة ...

ولم يكن هذا الاتجاه إلاّ نتيجة طبيعية للمفهوم الاخلاقى المادى للذة والجنس والاستمتاع والتعامل العزيزى الذى رفعته الحضارة الاوربية المادية ضد أوضاع المرأة ومفهوم الجنس والعلاقة بين الرجل والمرأة والحياة فى مجتمعها الذى خطّطت الحياة والمفاهيم والعلاقات الاجتماعية فيه أفكار الكنيسة المتحجّرة، وبقايا الفكر اليهودى المنحرف مما أركس المرأة فى ظلّ هذه الحضارة فى أو حال السقوط. وشدّد خناق المأساة الاجتماعية من حولها، فلم يمهلها هذا التيار فرصة الخروج من محنة الاحتقار والعبودية والاستهانة بانسانيتها حتى أسقطها فى فوضى الاستمتاع الشهوانى، وضياع المقاييس وألم المعاناة والشقاء النفسى والعائلى الذى منيت به على يد هذه الحضارة المريضة المهزوزة. فأصبحت كالمستجير من الرمضاء بالنار ...

والذى يتابع أوضاع المرأة التى صنعتها هذه الحضارة فى اوربا وآمريكا واليابان وروسيا وبقيّة أنحاء العالم المتأثر بهذا التيار المادى، يشاهد أوضاعاً شاذة، ويلاحظ نتائج مؤلمة، ويدرك ان حضارة هذا الانسان الجاهلى ستنهار، و

ان ركب هذه الحضارة يتعثر في صحاري التيه والضياع ، وأنها تكرار لتجربة الامم الجاهلية المنقرضة التي شخّص القرآن الكريم تجربتها بقوله :

«كالذين من قبلكم كانوا أشدمنكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا اولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة اولئك هم الخاسرون » التوبة:٦٩)

وعلى الرغم من دعاوي المدنية بتحرير المرأة و نيلها حقوقها و مساواتها بالرجل ، إلاّ أن مشكلة المرأة والجنس والعلاقة مع الرجل والمجتمع أصبحت خطراً يهدد سعادة المرأة والاسرة والمجتمع ، وصارت هذه الدعوات سبباً لشقاء المرأة ومسخ إنسانيتها ، وها هي الارقام والاحصائيات تخرج علينا في كل يوم بحقائق مفزعة و وضعيات مؤلمة ، تشكل بمجموعها صوت النذير ، وإرهاصات السقوط، وتفرض على إنسان هذه الحضارة أن يعيد النظر في فهمه وتصوّره للجنس والمرأة والرجل والعلاقة الاجتماعية بينهما ...

ولكي نضع بين يدي القارىء شهادة موثقة بأرقام الاحصاء ونتائج الدراسات تدوّن في ما يأتي عيّنات إحصائية تحكي لنا جانبا من صورة المأساة و الضياع المروّع في ظلّ الحضارة المادية الحديثة لمشاكل الاسرة والطلاق والزنا والابناء غير الشرعيين وتعاسة المرأة و الرجل الاسرية . . . فمثلاً :

يقول الاتحاد الآمريكي لخدمات الاسرية : أصبح انهيار الاسرة والذي وصل الآن إلى درجة وبائية: المشكلة الاجتماعية الاولى، لكل عام يفصل الطلاق بين أكثر من مليون شخص والمعدل الحالي هو سبعة أضعاف ما كان قبل مأة سنة. وأصبح عدد الاطفال غير الشرعيين ثلاثة أضعاف ما كان سنة ١٩٣٨ م ويولد سنوياً (٤) ملايين طفل غير شرعي في الولايات المتحدة...

وجاء في تقرير آخر :

« ... وهل تعلم انه ورد في تقرير لمكتب التحقيق الفيدرالي إلى أن نسبة جرائم

القتل في نطاق الاسرة هي حالات قتل زوج لزوجته ، وان (١٥٪) من جرائم الاسرة هي حالة قتل أبوين لأبنائهما »

وفي إستفتاء جرى مؤخراً تحت إدارة اليونسكو كانت النتيجة ان (٦٠٪) من الزوجات الامريكيات والزوجات الاوربيات يشعرن بالخيبة والشقاء وعدم الرضا.»

وجاء في تقرير آخر :

« والمشكلة الخطيرة في المجتمع الشيوعي الروسي هي : ان في كل حالتي زواج تحدث حالة طلاق في معظم المدن الروسية الغربية »

يلاحظ من هذا التقرير ان الاسلام رغم محاربة الشيوعية الملحدة له في المناطق الاسلامية الخاضعة للاستعمار الروسي ، فانه مازال يؤثر في المسلمين هناك ويقلل من مشاكل الاسرة والمرأة في المناطق الشرقية من الاتحاد السوفيتي حيث ان مشاكل الاسرة تتركز خطورتها في المناطق غير الاسلامية .

وجاء في التقرير المتقدم: « ففي موسكو مثلاً بعد ولادة الطفل الاول تحدث تسع و أربعون حالة طلاق من كل مأة حالة زواج ، وفي منطقة (مافادنسك) نسبة الطلاق ٩ ، ٧٢٪

ودعى مؤتمر الاطباء الذى عقد في جامعة موسكو عام ١٩٧٥م إلى إتخاذ خطوات مستعجلة لمعالجة هذا الاضطراب الاجتماعي الخطير ، وهو نسبة الطلاق المرتفعة و كذلك إنخفاض نسبة الولادة ... » .

﴿ الموؤدة فى عصر التمدن ﴾

ولاأظن أن أحداً من أهل الفضل المتدبرين فى الشؤون الاجتماعية وأوضاع المجتمع البشرى أن يظن الآن ان البنات خلصن من الوأد ، و فى عصر تحضر المرأة وتقدمها مع كل ماوصلت إليه المدنية الحديثة ، لأن كل عاقل سليم القلب ذى الغيرة يرى البنات فى عصر التمدن والفضاء موؤدة أسوأ مما كانت فى الجاهلية الاولى ، وان الايات الكريمة تندد بمن يئد البنات أياً كان وأداً فى التراب أم وأداً فى تباب قبل الولادة وبعدها ، جسدانياً أم روحياً ، وأحرى أن يسمى الوأد الروحى وأداً ! فانه بعد عن حياة الروح ، وذلك عن حياة الجسم .

فاذا كانت الجاهلية الاولى تئد البنات ، فالجاهلية المتحضرة تئدهن مع الذكور بعملية الاجهاض المتبعة فى كافة البلاد ، وتئدهم جميعاً بالامراض التناسلية الناتجة عن تفشى الفحشاء و الخلط بين الجنسين ، لحدّ تولد الولائد المرضى ، المبتلين بالامراض المهلكة ، أم تقتلها قبل ولادتها ، وما إلى ذلك من ألوان الوأد لحدّ لايحصى ، وإذا كانت الجاهلية الاولى تدفن البنات تحت التراب مخافة الفقر أو العار . فالجاهلية الأخيرة تدفنهن بشبابها و تدفعها إلى كل عار و دمار و بوار خلقى ورذالات جنسية همجية ، وأداً لكرامتها و دفناً لانسانيتها ، جاهلية أعمى من الاولى ، غليظة الحس ، حيوانية التصور ، هابطة فى درك البشرية إلى حضيض مهين و ضلال مبين ، فقدت المرأة ميزتها الانسانية ، وانحطت إلى أحط الورطات والنكبات الحيوانية ، لحدّ توزن بثقل جسدها وجمالها وشبابها

ونضارتها الجنسية كأنها حيوانة خلقت لارضاء ناحية الجنس ليس إلاّ .

فهل ياترى إن وأد البنات و قتلهن فـي أجسادهـن مخافـة الفقر و العار المزعومين هل انه أوحش وأفحش ؟ أم دفنهن في الملاهي والشهوات وألدعات و ألوان العار و البوار ، أن يصبحن لعبة للرجال دونما حدّ و لاحجز ، نتيجة عدم الاكتراث بشأنهن ؟

فهذا دفن الروح والجسم معاً ، وذاك دفن الجسم ، هذا دفن المثل العليا و القيم الانسانية وذاك دفن القيم الجسدانية ، فهو أشد من قتل الاجساد ووأدها ، و كما توحى إليه آيات عدة : « والفتنة أشد من القتل ـ أكبر من القتل » البقرة : ١٩١ـ ٢١٧)

وأية فتنة أشد و أكبر من فتنة اللامبالاة بين الفتيان والفتيات الناتجة عن تركهم سدى في خوضهم يلعبون وفي غيّهم يعمهون وتركهن طلاقة العنان .

وقد يفسّر الامامان الباقر والصادق عليهما السلام القتل في الاية الكريمة: « من قتل نفساً بغير حق أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً» المائدة:٣٢) بقتل الروح وعلى حدّ قولهما : « مـن أخرجها من هدى إلى ضلال فقد قتلها » بياناً لاهم المصاديق . كما يفسّر الحياة أيضاً بحياة الروح : « ومن أحياها فكانما أحيى الناس جميعاً » المائدة : ٣٢) أي من أخرجها من ضلال إلى هدى ، من باطل إلى حق ، من شر إلى خير، من كفر إلى ايمان ، ومن معصية إلى طاعة الله جل وعلا.

فسؤال الموؤدة يوجه إلى الآباء الحاليين قبل أن يوجّه إلى القدامى ،حيث ان القتل في عصور الحضارة والفضاء أشد و أكبر منه في الجاهلية الاولى .

تمت سورة التكوير والحمد لله الاولى والآخرة
وصلى الله على محمد و آله الطاهرة

فهرس ماجاء في تفسير سورة النازعات

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول: في عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

الفصل الثانی : فی مواضیع الحکم القرآنیة و المعارف الاسلامیة المبحوث عنها فی سورة النازعات وفیها ثلاثة عشر أمراً :

فهرس ماجاء في تفسير سورة عبس

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول: في عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

الفصل الثانى: فى مواضيع الحكم القرآنية و المعارف الاسلامية المبحوث عنها فى سورة عبس وفيها بصيرتان:

إحداهما ـ وفيها سبعة امور:

البصيرة الثانية : وفيها امور ثمانية :

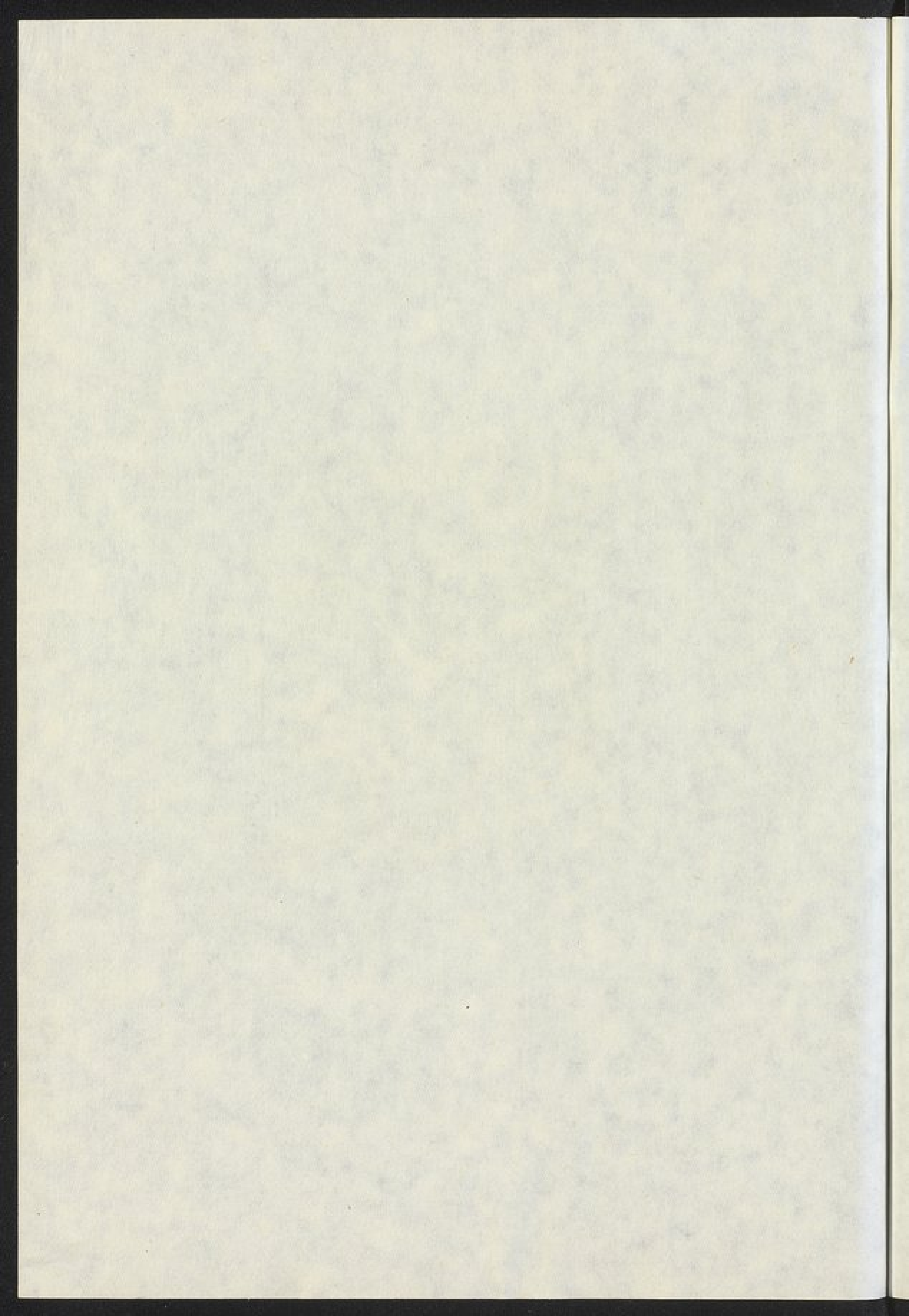
فهرس ماجاء فى تفسير سورة التكوير

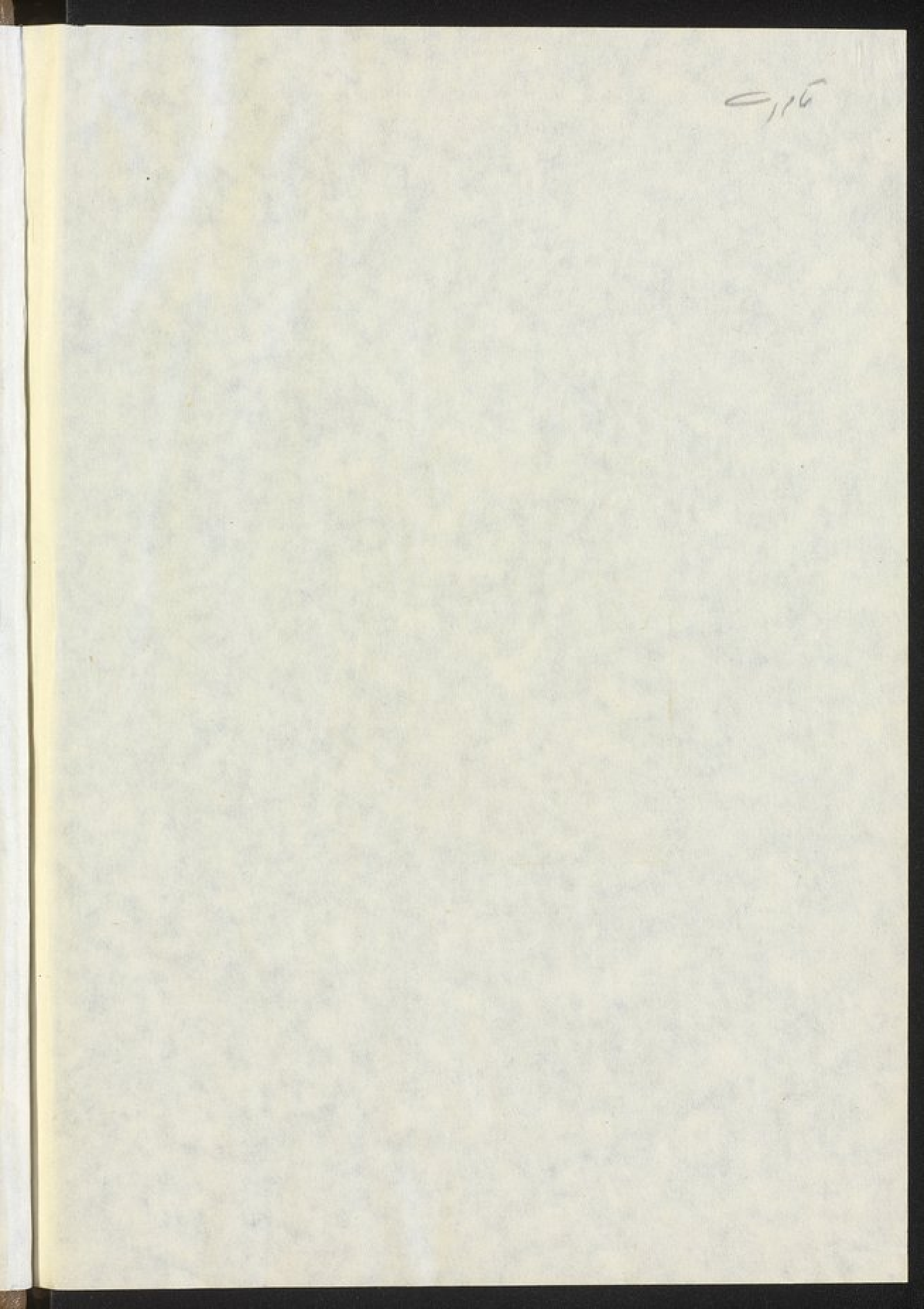
يدور البحث حولها على فصلين :

الاول: فى عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنية و المعارف الاسلامية المبحوت عنها في سورة التكوير و فيها

البصيرة الواحدة: وفيها سبعة امور:






VETUS & TESTA-
NOVUM MENTUM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

